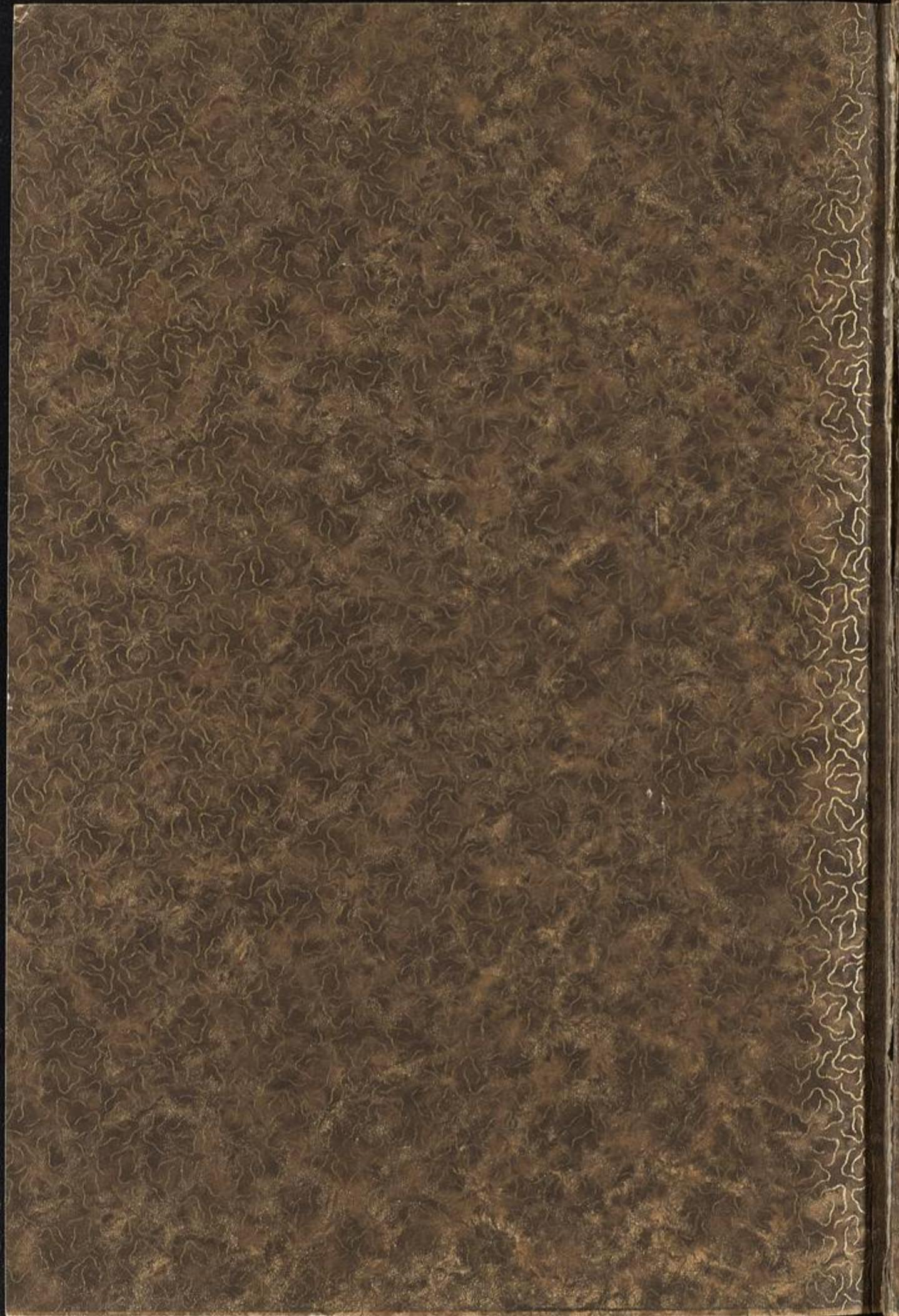
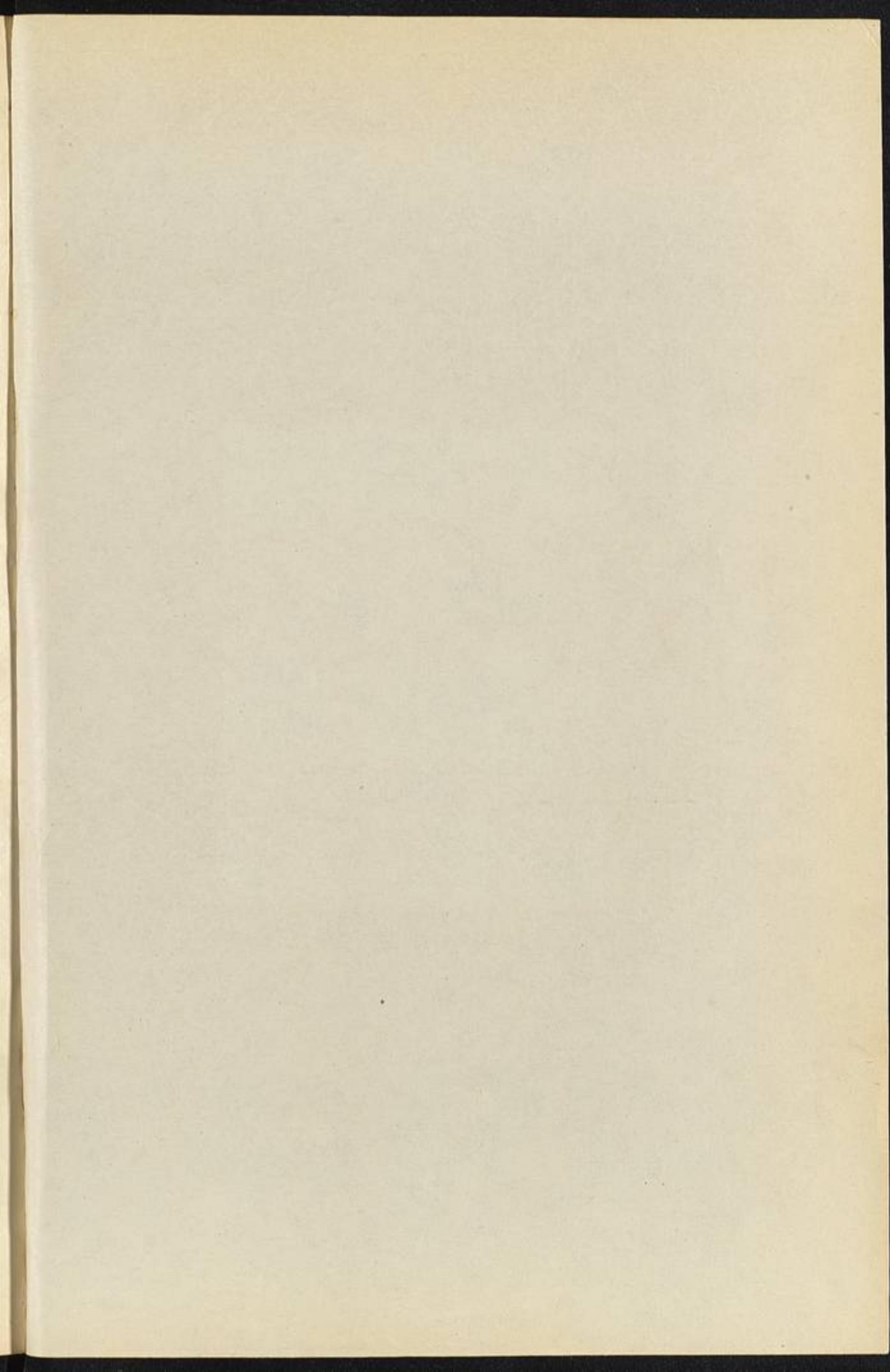




THE LIBRARIES
COLUMBIA UNIVERSITY





دار الكتب المصرية
كتاب مصطفى زكي

دار الكتب المصرية

القسم الأدبي

الجامع لأحكام القرآن

لأبي عبد الله محمد بن حماد الأنضباري القرطبي

الجزء التاسع عشر



المتأخرة
طبعة دار الكتب المصرية

١٣٦٩ - ١٩٥٠

893.7K84

DK5

v.17

الطبعة الأولى، بطبعية دار الكتب المصرية

جميع الحقوق محفوظة لدار الكتب المصرية

v. 17

فهرس الجزء التاسع عشر

سورة الجن

صفحة

- تفسير قوله تعالى : « قل أوحى إلى أنه آسمع نفر من الجن ... » الآيات . فيه
مسائل : أوجه القراءات في « أوحى » . هل رأى النبي صلى الله عليه وسلم
الجن في ليتهم أم لم يرهم ؟ الأحاديث الواردة في قصة آسماعهم للقرآن .
حديث النهي عن الاستنجاء بالعظم والبر . اختلاف أهل العلم في أصل
الجن . الكلام على أن الجن يأكلون خلافا للأطباء وال فلاسفه . الجن يتصورون
لنا في صور الحيات الحديث « الموطا » . مشركون مكة لم يدركوا ما أدركته
الجن بتدبرها للقرآن . اختلاف القراء في فتح همزة « أن » وكسرها في السورة .
معنى « جدر بنا » والقراءات فيها ١
- تفسير قوله تعالى : « وأنه كان يقول سفيهنا على الله شططا ... » الآيات . معنى
الشطط وأصله . تعوذ العرب بالجن في الحالية ٨
- تفسير قوله تعالى : « وأنا لستنا السماء فوجدناها ملئت حرسا شديدا ... » الآيات .
الكلام على حراسة السماء من الشياطين . اختلاف السلف في أن الحراسة كانت
قبلبعثة أو بعدها ١٠
- تفسير قوله تعالى : « وأنا من الصالحون ومنا دون ذلك ... » الآيات . الكلام
على أن الجن من هم المؤمن والكافر . لم يبعث الله قط رسولا من الجن ولا من
أهل البدية ولا من النساء ١٤
- تفسير قوله تعالى : « وأن لو آستقاموا على الطريقة لأسبقناهم ماء غدقا ... »
الآلية من قول الله تعالى . أينما كان المال كانت الفتنة . معنى الصعد
في اللغة ١٦

صفحة

تفسير قوله تعالى : « وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لَهُ ... » الآية . فيه مسائل : بيان المراد
بالمساجد . إضافة المساجد لله تشريف . يجوز إضافة المساجد لغير الله تعريفا .

يجوز آتُخاذ المساجد لغير الصلاة ما يمس مصالح المسلمين . لا تخذل المساجد
هزاً ومتجرها ومجلسها . آداب دخول المساجد ١٩

تفسير قوله تعالى : « وَأَنَّهُ لَا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهِ ... » الآيات . « عَبْدُ اللَّهِ »
هنا مدح صلبي الله عليه وسلم . قوله : « لِبَدَا » فيه أربع لغات وقراءات . سبب

نزول قوله تعالى : « قَالَ إِنَّمَا أَدْعُو رَبِّي » ٢١

تفسير قوله تعالى : « قُلْ إِنِّي لَنْ يَحْسِنَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ » الآيات ٢٤

تفسير قوله تعالى : « عَالَمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا ... » الآيات . فيه
مسئلان : معنى الغيب . المراد بالرسول في قوله : « إِلَّا مَنْ أَرَتْنَا مِنْ رَسُولٍ »
جبريل أو الأنبياء عليهم الصلاة والسلام . لا يعلم الغيب أحد سوى الله ومن
أرتكضاه من الرسل . ليس المنجم ومن ضاهاه من أرتكضاه بل هو كافر بآلة
مفتر عليه . رد بعض العلماء على المنجمين . رد الإمام على رضي الله عنه على
أحد المنجمين أيضاً لما أراد لقاء الخوارج ٢٦

سورة المزمل

تفسير قوله تعالى : « يَأَيُّهَا الْمَزْمُلُ . قَمِ اللَّيلَ إِلَّا قَلِيلًا ... » الآيات . فيه مسائل :
أصل « المزمل » والقراءات فيه . « يَأَيُّهَا الْمَزْمُلُ » خطاب للنبي صلبي الله عليه
 وسلم . أقوال العلماء في معنى « المزمل » وحديث السيدة عائشة رضي الله عنها .
ليس المزمل من أسماء النبي صلبي الله عليه وسلم . في خطابه بهذا الاسم فائدتان :
الملاظفة ، والتنييه لكل راقد ليس له . حركة الميم في « قم » الكسر أو الضم
وحكى الفتح . الكلام على حد الليل . اختلاف العلماء في فرضية قيام الليل .
هل كان أمر القيام خاصاً به صلبي الله عليه وسلم أوله وللأنبياء قبله ، أو له

صفحة

- ولأمسه . الأحاديث الواردة في فضل قيام الليل . اختلاف العلماء في النافع
للامر بالقيام . الكلام على معنى ترتيل القرآن وفضل قارئه ٣٠
- ٣٧ تفسير قوله تعالى : « إنا سنلق عليك قولا ثقيلا » . الأقوال في معنى تقل القرآن
تفسير قوله تعالى : « إن ناشئة الليل هي أشد وطأ ... » الآيتين . فيه مسائل :
معنى « ناشئة الليل » . ليس في القرآن ما ليس في لغة العرب . في هذه الآية
دليل على فضل صلاة الليل على صلاة النهار . اختلاف العلماء في وقت ناشئة
الليل . صلاة الليل أثقل على المصلى . رد ابن الأنباري على من قال : من قرأ
بحرف يوافق معنى حرف من القرآن فهو مصيبة . القراءات في « سبحا » وبيان
معناها ٣٨
- ٤٢ تفسير قوله تعالى : « وآذكِرْ أَسْمَ رَبِّكَ ... » الآية . فيه مسائل : بيان الأقوال
في المراد بذكر الله في الآية . الكلام على معنى التبتل ، والتبتل المأمور به والمنهى عنه
٤٤ تفسير قوله تعالى : « رب المشرق والمغارب ... » الآيات . الكلام على نسخ
قوله تعالى : « وأصبر على ما يقولون » بآية القتال . قوله : « وذرني والملذدين »
نزلت في صناديق قريش ٤٤
- ٤٥ تفسير قوله تعالى : « إن لدنيا أنكلا وبحيم ... » الآيات . بيان معنى الأنكل .
بركة الطعام في كيله لحديث النبي صلى الله عليه وسلم ٤٥
- ٤٧ تفسير قوله تعالى : « إنا أرسلنا إلينكم رسولا ... » الآيات . الكلام على تعليق
« يوما » في قوله تعالى : « فكيف تتقوون إن كفترتم يوما يجعل الولدان شيئا »
والفزع في ذلك اليوم ٤٧
- ٥٣ تفسير قوله تعالى : « إن ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلث الليل ... » الآية .
فيه مسائل : هذه الآية ناسخة لفرضية قيام الليل . الكلام على المراد بقراءة
ما تيسر من القرآن . المشهور أن نسخ قيام الليل كان في حق الأمة ، وبقيت

الفرضية في حق النبي صلى الله عليه وسلم . بيان علة تخفيف قيام الليل . كسب المال بمنزلة الجهاد . صلاة الليل نسخت بإيجاب الصلوات الخمس . اختلاف العلماء في قدر ما يلزم أن يقرأ به في الصلاة . بيان معنى القرض الحسن في قوله تعالى : « وأقرضوا الله قرضاً حسناً »

سورة المدثر

تفسير قوله تعالى : « يأيها المدثر . قم فانذر ... » الآيات . فيه مسائل : بيان الأقوال في سبب تدبر النبي صلى الله عليه وسلم . في الخطاب بالمدثر ملاطفة من الكريم إلى الحبيب . قوله تعالى : « وربك فكبر » يقتضى بعمومه تكير الصلاة ، ومراد فيه أيضاً تكبير التزية . في قوله تعالى : « وثيابك فطهر »

تفسير قوله تعالى : « ولا تمن تستكثر » الآية . فيه مسائل : في الآية أحد عشر تأويلاً . ترجيح أحد الأقوال . القراءات في « ولا تمن »

تفسير قوله تعالى : « ذرنى ومن خلقت وحيداً ... » الآيات . « ذرنى » كلمة وعيد . المفسرون على أن الويد هو الوليد بن المغيرة . الأقوال في سبب تسميته بالوحيد . الكلام على مال الوليد وأولاده . « صعوداً » جبل من نار

تفسير قوله تعالى : « إنه فكر وقدر ... » الآيات . وصف الوليد للقرآن بأنه ليس من قول البشر . تعبير قريش له بأنه صباً . تفكيره في وصف النبي صلى الله عليه وسلم بالساحر والقرآن بالسحر

فهرس الجزء التاسع عشر

(ز)

صفحة

75	تفسير قوله تعالى : « سأصليه سقر ... » الآيات تفسير قوله تعالى : « عليها تسعه عشر ... » الآيتين . الكلام على عدد حرنة جهنم وتعذيبهم لأهلها . القراءات في « تسعه عشر »
77	تفسير قوله تعالى : « كلا والقمر ... » الآيات . الكلام على « كلا » وهل يجوز الوقف عليها أولا . يجوز قراءة « أدبر » بالف و « دبر » بغير ألف ، و « أسف » و « سفر » كذلك . « إحدى » بني آبتداء للتأنيث . « رهينة » آسم بمعنى الرهن وليس مؤنثا . اختلاف العلماء في تعين أصحاب الميمين . بيان صحة الشفاعة للذين من أهل التوحيد
82	تفسير قوله تعالى : « فما لهم عن التذكرة معرضين ... » الآيات . المعروضون هم أهل مكة . بيان المراد بالإعراض عن القرآن . اختلاف المفسرين في تفسير القصورة . طلب جماعة من كفار قريش صحفا من الله بر رسالة محمد
87

سورة القيمة

89	تفسير قوله تعالى : « لا أقسم بيوم القيمة ... » الآيات . الكلام على « لا » في الآية . اختلاف المفسرين في المراد بالنفس اللقامة . بيان سبب نزول قوله تعالى : « أیخسب الإنسان أن لن نجتمع عظامه » . الكلام على المراد بتسوية البناء
94	تفسير قوله تعالى : « فإذا برق البصر ... » الآيات . بيان القراءات في « برق » و معناها . الكلام على جمع الشمس والقمر يوم القيمة . أوجه القراءات في « المفر » . معنى الوزر في اللغة . بيان الأعمال التي تنفع الإنسان بعد موته
	تفسير قوله تعالى : « بل الإنسان على نفسه بصيرة ... » الآيتين . بيان المراد بال بصيرة و معنى الهاء فيها . الآية فيها دليل على قبول إقرار المرء على نفسه . حكم

صفحة

إقرار المرء على الغير بوارث أو دين . لا يصح الإقرار إلا من مكلف غير محجور

عليه . الاعتذار بعد الإقرار لا يقبل . حكم إقرار الملوث 98

تفسير قوله تعالى : « لا تحرك به لسانك لتعجل به ... » الآيات 104

تفسير قوله تعالى : « وجوه يومئذ ناضرة ... » الآيات . الكلام على رؤية البارى

جل وعلا يوم القيمة 105

تفسير قوله تعالى : « كلا إذا بلغت الترافق ... » الآيات 109

تفسير قوله تعالى : « فلا صدق ولا صلح ... » الآيات . بيان أن الآية نزلت

في أبي جهل . « أولى لك فأولى » تهديد ووعيد 111

تفسير قوله تعالى : « أيخسب الإنسان أن يترك سدى ... » الآيات 114

سورة الإنسان

تفسير قوله تعالى : « هل أتى على الإنسان حين من الدهر ... » الآيات . الكلام

معنى « هل » في الآية . بيان الأطوار التي مرت على خلق آدم عليه السلام .

أطوار خلق الإنسان . سؤال حبر من اليهود للنبي صلى الله عليه وسلم عن ماء

الرجل وماء المرأة 116

تفسير قوله تعالى : « إنا أعدنا للكافرين سلاسلا ... » الآية . الكلام على معنى

« سلاسلا » واعتراضها 121

تفسير قوله تعالى : « إن الأبرار يشربون من كأس ... » الآيتين . الكلام على

عيون الجنة 122

تفسير قوله تعالى : « يوفون بالنذر ... » الآيات . بيان معنى النذر وما يتدرج فيه .

الأقوال في المراد بالمسكين واليتم والأسير . الكلام على من نزلت فيه الآية .

الرد على من قال إنها نزلت في علي وفاطمة رضي الله عنهما 125

فهرس الجزء التاسع عشر

(ط)

صفحة

- تفسير قوله تعالى : « إنا نخاف من ربنا يوما عبوسا قطريرا ... » الآيات ... ١٣٣
- تفسير قوله تعالى : « ويطاف عليهم بأنية من فضة ... » ١٣٨
- تفسير قوله تعالى : « ويطوف عليهم ولدان مخلدون ... » الآيات . الكلام على نعيم أهل الجنة . بيان إعراب « إستبرق » وأنه معترض . حديث النبي صلى الله عليه وسلم في شأن الرجل الحبشي ١٤١
- تفسير قوله تعالى : « إنا نحن نزلنا عليك القرآن ... » الآيات . الأقوال في سبب نزول قوله تعالى : « ولا تطع منهم آثما أو كفورا » ، ومعنى « أو » في الآية ١٤٦
- تفسير قوله تعالى : « إن هذه تذكرة ... » الآيات ١٥٠

سورة المرسلات

- تفسير قوله تعالى : « والمرسلات عرفا ... » الآيات . أقوال المفسرين في المراد بالمرسلات . الكلام على الهمزة في « أقت » ١٥٢
- تفسير قوله تعالى : « ألم نهلك الأولين ... » الآيات ١٥٧
- تفسير قوله تعالى : « ألم يجعل الأرض كفانا ... » الآيات . فيه مسئلان :
- في الآية دليل على وجوب دفن الميت . الباش تقطع يده ١٥٨
- تفسير قوله تعالى : « أنطلقو إلى ما كنتم به تكذبون ... » الآيات . الأمر للكفار يوم القيمة . الكلام على الظل ذى الشعب الشلاة . جواز آذخار الخطب والنجم والقوت ١٦٠
- تفسير قوله تعالى : « هذا يوم لا ينطقون ... » الآيات . قراءة يوم بالنصب والرفع
- تفسير قوله تعالى : « إن المتقين في ظلال وعيون ... » الآيات . الظلل للؤمنين في مكان الظل ذى الشعب للكفار ١٦٥
- تفسير قوله تعالى : « وإذا قيل لهم أركعوا لا يركعون ... » الآيات . الآية نزلت في تغيف أو يقال ذلك في الآخرة . هذه الآية حجة على أن الركوع ركن في الصلاة ١٦٦

صفحة

سورة عِمَّ

- تفسير قوله تعالى : « عِمٌ يَتْسَاءلُونَ ... » الآيات . الكلام على أصل « عِمٌ »
والأستفهام بها ومعناها . بيان المراد بالبِنَأ العظيم في الآية ١٦٧
- تفسير قوله تعالى : « لَمْ يَجْعَلِ الْأَرْضَ مَهَادًا ... » الآيات ١٦٩
- تفسير قوله تعالى : « إِنْ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا ... » الآيات . حديث النبي صلى الله عليه وسلم في حشر الناس على صور مختلفة ١٧٣
- تفسير قوله تعالى : « إِنْ جَهَنَّمَ كَانَ مِرْصَادًا ... » الآيات . الكلام على معنى الرصد ، وأن على النار رصدا . بيان معنى الأحقياب ومدة الحقب . الأقوال في أن الآية تدل على الخلود أو لا تدل عليه ١٧٤
- تفسير قوله تعالى : « إِنْ لَتَقِينَ مَفَازًا ... » الآيات ١٨٠
- تفسير قوله تعالى : « رَبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ... » الآيات . اختلاف المفسرين في المراد بالروح في الآية . بيان المراد بالكافر في قوله تعالى : « وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تَرَابًا » ١٨٣

سورة النازعات

- تفسير قوله تعالى : « وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا ... » الآيات . أقوال المفسرين في معنى النازعات . بيان معنى تدبير الملائكة للأمر في قوله : « فَالْمَدْبُرَاتُ أَمْرًا » .
الكلام على الحافرة والساهرة في الآية ١٨٨
- تفسير قوله تعالى : « هَلْ أَتَكُ حَدِيثَ مُوسَى ... » الآيات . حديث موسى تسليمة للنبي صلى الله عليه وسلم . في « طوى » ثلاث قراءات ١٩٨
- تفسير قوله تعالى : « أَلَمْ أَشَدْ خَلْقًا أَمْ السَّمَاءَ بَنَاهَا ... » الآيات . معنى الآية التفريع . بيان معنى سُمْك السماء ودُخُول الأرض ٢٠١

فهرس الجزء التاسع عشر

(ك)

صفحة

تفسير قوله تعالى : « فإذا جاءت الطامة الكبرى ... » الآيات ٢٠٤

تفسير قوله تعالى : « فاما من طغى ... » الآيات . بيان سبب نزولها . إيشار
الدنيا على الآنفة سبب في الهالك ٢٠٥

تفسير قوله تعالى : « يسألونك عن الساعة ... » الآيات . بيان سبب نزولها .
تقوم الساعة بغضب الله تعالى على عباده ٢٠٧

سورة عبس

تفسير قوله تعالى : « عبس وتولى . أن جاءه الأعمى ... » الآيات . فيه مسائل :
مارواه أهل التفسير في سبب النزول . الآية عتاب من الله تعالى لنبيه صلى الله
عليه وسلم . المؤمن الفقير خير من الغنى . مافعله ابن أم مكتوم كان فيه نوع
جفاء . الآية لها نظائر من القرآن في عتاب النبي صلى الله عليه وسلم ٢٠٩

تفسير قوله تعالى : « أما من آستغنى . فانت له تصدى ... » الآيات ٢١٢

تفسير قوله تعالى : « قتل الإنسان ما أكفره ... » الآيات . سبب نزول الآية .
دعا النبي صلى الله عليه وسلم على عتبة بن أبي هب وتزييق الأسد له ٢١٥

تفسير قوله تعالى : « فلينظر الإنسان إلى طعامه ... » الآيات . ما يصير إليه طعام
الإنسان مثل للدنيا . الأقوال في معنى الأب ٢١٨

تفسير قوله تعالى : « فإذا جاءت الصاخة ... » الآيات . الصاخة النفحـة الثانية .
الكلام على فرار الإنسان من أهله في المشر ٢٢١

سورة التكوير

تفسير قوله تعالى : « إذا الشمس كورت ... » الآيات . الكلام على أصل
التكوير ومعناه . بيان ما يحدث يوم القيمة من خراب الدنيا . سبب وأد العرب
في الجاهلية للبنات والكلام عليه ٢٢٥

صفحة

تفسير قوله تعالى : «فلا أقسم بالخلنس . الجوار الكنس ...» الآيات . «الخلنس»

الكواكب أو بقر الوحش . الله أن يقسم بما شاء من مخلوقاته . الكلام على

معنى «عسعس» ٢٣٤

تفسير قوله تعالى : «ولقد رأه بالأفق المبين ...» الآيات . أقوال العلماء في رؤية

النبي صلى الله عليه وسلم بجبريل عليه السلام في صورته ٢٣٩

سورة الأنفطار

تفسير قوله تعالى : «إذا السماء أنفطرت ...» الآيات . من أشرطة الساعة أن

تخرج الأرض ذهبها وفضتها ٢٤٢

تفسير قوله تعالى : «يأيها الإنسان ماغرك ربكم الكريم ...» الآيات . الأقوال

في المراد بالإنسان هنا وسبب غروره ٢٤٣

تفسير قوله تعالى : «وإن عليكم حافظين ...» الآيات . فيه مسائل : الآثار

الواردة في إكرام الكرام الكاتبين . اختلاف العلماء في الكفار هل عليهم حفظة

أم لا ؟ كيف تعلم الملائكة أن العبد قد هم بمحسنة أو سيئة ٢٤٥

تفسير قوله تعالى : «إن الأبرار لفی نعيم ...» الآيات ٢٤٧

سورة المطففين

تفسير قوله تعالى : «ويل للطغفين ...» الآيات . فيه مسائل : بيان سبب

التزول . لكل شيء وفاء وتطفيف . أقوال أهل اللغة في مأخذ المطفف .

هل يجوز الوقف على «كالوا» و «وزنوا» أولا ؟ الأحاديث الواردة في شدة

عذاب المطففين ٢٤٨

تفسير قوله تعالى : «كلا إن كاب الفجار لفی سجين ...» الآيات . الكلام على

معنى «سجين» وموضعه . الأحاديث الواردة في خبث أرواح الكفار ورد أعمالهم ٢٥٤

صفحة

تفسير قوله تعالى : « كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون ... » الآيات . بيان

معنى الرين . في قوله تعالى : « إنهم عن ربهم يومئذ لم يحجو بون » دليل رؤية

الله عن وجل يوم القيمة ٢٥٧

تفسير قوله تعالى : « كلام إن كتاب الأبرار لغى علينا ... » الآيات . الكلام على أن

روح المؤمن إذا قبضت نفتها الملائكة بالبشرى . « عليون » آسم موضوع

على صفة الجمع ولا واحد له ٢٦٠

تفسير قوله تعالى : « إن الأبرار لغى نعم ... » الآيات . بيان معنى « رحيم »

في الآية و « مختوم » ٢٦٢

تفسير قوله تعالى : « إن الذين أجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحيون ... » الآيات .

بيان سبب التزول . إن بين الحنة والنار كوى ينظر منها المؤمن إلى عدوه في النار ٢٦٥

سورة الأنساق

تفسير قوله تعالى : « إذا السماء أنشقت ... » الآيات . أنساق السماء من أشرطة

الساعة . أقوال العلماء في جواب « إذا » في الآية . الجمهور على أن قوله :

« إذا السماء أنشقت » خبر وليس بقسم ٢٦٧

تفسير قوله تعالى : « يأيها الإنسان إنك كادح إلى ربك كدحا ... » الآيات .

الأقوال في المراد بالإنسان ومعنى الكدح في كلام العرب . من نقاش الحساب

عذب ٢٦٩

تفسير قوله تعالى : « وأما من أوى كابه وراء ظهره ... » الآيات . الآية نزلت

في الأسود بن عبد الأسد ثم هي عامة . « يحور » كلمة بالخطبانية ومعناها يرجع ٢٧٠

تفسير قوله تعالى : « فلا أقسم بالشفق ... » الآيات . « لا » صلة . اختلاف العلماء

في « الشفق » وهل هو الحمرة أو البياض ؟ معنى الوسق في اللغة وفي الآية .

بيان معنى «لرکن طبقا عن طبق» . تغير أحوال الإنسان دليل على حدوث العالم وإثبات الصداق . هل قوله تعالى: «وإذا قرئ عليهم القرآن لا يسجدون»

من عزائم السجود أولا ؟ ٢٧٢

تفسير قوله تعالى: «بل الذين كفروا يكذبون ...» الآيات . بيان سبب التزول .

«إلا الذين آمنوا» آستثناء منقطع أو هو بمعنى الواو ٢٧٩

سورة البروج

تفسير قوله تعالى: «والسماء ذات البروج ...» الآيات . الأقوال في معنى «البروج» .

آخلاف أهل التأويل في معنى «وشاهد ومشهود» . يشهد المال على صاحبه

والأرض بما عمل عليها ٢٨١

تفسير قوله تعالى: «قتل أصحاب الأخدود ...» الآيات . الكلام على الدين خددوا

الأخدود وقعدوا عليها . قصة الغلام الذي صبر على أذى قومه ولم يرجع عن

دينه . في الآية تأييس للمؤمنين . هل الآية منسوخة أولا ؟ ٢٨٤

تفسير قوله تعالى: «إن الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ...» الآيات ٢٩٣

تفسير قوله تعالى: «هل أتاك حديث الجنود ...» الآيات . في الآية تسلية للنبي

صلى الله عليه وسلم . خص فرعون وثمود لشهرتهما في بلاد العرب ٢٩٥

تفسير قوله تعالى . «ولله من ورائهم محيط ...» الآيات . القرآن به بيان ما بالناس

حاجة إليه من أحكام الدين والدنيا . الكلام على اللوح المحفوظ ٢٩٦

آسـتـدرـاك

ورد في الجزء الخامس عشر من هذا التفسير صفحة ٢٥٩ البيت الآتي مخوفا :

الضاريون عميرا عن بيتهن * بالليل يوم عمير ظالم عادى

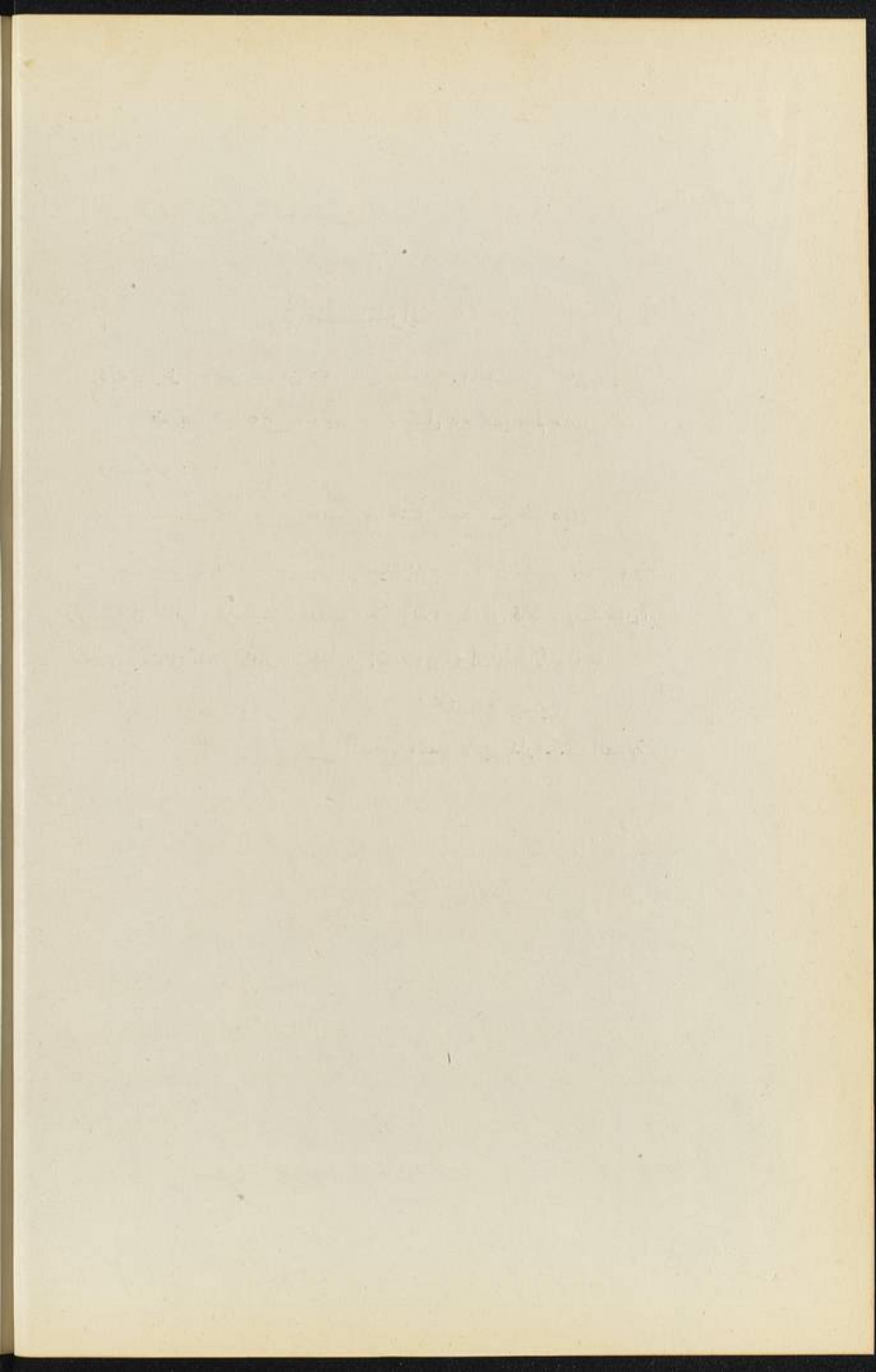
وصوابه :

الضارين عميرا عن بيتهن * بالليل يوم عمير ظالم عادى

والبيت للقطامي وأسمه عمير بن شيم من قصيدة مدح بها زفر بن الحرت الكلابي ؛ وكان زفر أسره في الحرب ، فنُّ عليه ، ووهب لا مائة ناقة ، ورده إلى قومه . وقد ساق ابن الشجيري البيت في كتابه (الأمثال) شاهدا على إضافة « يوم » إلى جملة الابتداء ما

محمد محمد حسين

المصحح بالقسم الأدبي بدار الكتب المصرية



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة الحج

مكية في قول الجميع . وهي ثمان وعشرون آية

قوله تعالى : قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ أَسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا (۱) يَهْدِي إِلَى الْرُّشْدِ فَأَمَّا بِهِ وَلَنْ شُرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا (۲) وَإِنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا مَا أَنْتَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا (۳)

فيه خمس مسائل :

الأولى — قوله تعالى : ((قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ)) أى قل يا محمد لأمتك أوحى الله إلى على لسان جبريل ((أَنَّهُ أَسْمَعَ)) إلى ((تَقْرُئُ مِنَ الْجِنِّ)) وما كان عليه السلام عالما به قبل أن أوحى إليه . هكذا قال ابن عباس وغيره على ما يأتي ، وقرأ ابن أبي عبلة « أَحِي » على الأصل ؛ يقال : أوحى إليه ووحي فقلبت الواو همزة ؛ ومنه قوله تعالى : « وَإِذَا الرُّسُلُ أَفَقُتُ » وهو من القلب المطلق جوازه في كل واو مضبوطة . وقد أطلقه المازني في المكسورة أيضا كلاشاح وإسادة و « إِعَاءَ أَخِيهِ » ونحوه .

الثانية — وآختلف هل رأهم النبي صلى الله عليه وسلم أم لا ؟ فظاهر القرآن يدل على أنه لم يرهم ؛ لقوله تعالى : « أَسْمَعَ » وقوله تعالى : « وَإِذَا صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ (۱) الْقُرْآنَ » وفي صحيح مسلم والترمذى عن ابن عباس قال : ما قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم

(۱) اللفظ لمسلم وأما الترمذى ففي لفظه زيادة .

على الجنة وما رأهم ، آنطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم في طائفة من أصحابه عامدين إلى سوق عكاظ ، وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء ، وأرسلت عليهم الشهب ، فرجعت الشياطين إلى قومهم ؛ فقالوا : ما لكم ؟ قالوا : حيل بيننا وبين خبر السماء ، وأرسلت علينا الشهب ، قالوا : ماذاك إلا من شيء حدث ، فاضربوا مشارق الأرض وغاربها ، فأنظروا ما هذا الذي حال بيننا وبين خبر السماء ؟ فآنطلقوا يضربون مشارق الأرض وغاربها ، فترى النفر الذين أخذوا نحو هامة وهو بخل عامدين إلى سوق عكاظ ، وهو يصلى بأصحابه صلاة الفجر ، فلما سمعوا القرآن آسمعوا له وقالوا : هذا الذي حال بيننا وبين خبر السماء . فرجعوا إلى قومهم فقالوا : يا قومنا « إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا . يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَمَنِ اتَّبَعَهُ وَلَنْ تُشْرِكْ بِرَبِّنَا أَحَدًا » فأنزل الله عن وجل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم « قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ آتَيْتَنِي نَفْرًا مِنَ الْجِنِّ » . رواه الترمذى عن ابن عباس قال : قول الجنة لقومهم « لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِيَدًا » قال : لما رأوه يصلى وأصحابه يصلون بصلاته فيسجدون بسجوده قال : فعجبوا من طوعية أصحابه له قالوا لقومهم « لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِيَدًا » قال : هذا حديث حسن صحيح ؛ ففي هذا الحديث دليل على أنه عليه السلام لم ير الجنة ولكنهم حضروه وسمعوا قراءته . وفيه دليل على أن الجنة كانوا مع الشياطين حين تجسسوا الخبر بسبب الشياطين لما رموا بالتهب . وكان المرميون بالشهب من الجنة أيضا . وقيل لهم شياطين كما قال : « شَيَاطِينَ الْإِنْسَانِ وَالْجِنِّ » فإن الشيطان كل متعد وخارج عن طاعة الله . وفي الترمذى عن ابن عباس قال : كان الجنة يصعدون إلى السماء يستمعون إلى الوحي فإذا سمعوا الكلمة زادوا فيها تسعًا ، فاما الكلمة تكون حقا وأما ما زاد فيكون باطلًا ، فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم مُنِعِوا مقاعدهم ، فذكروا ذلك لإبليس ولم تكن النجوم يرمي بها قبل ذلك ، فقال لهم إبليس : ما هذا إلا من أمر قد حدث في الأرض ! فبعث جنوده فوجدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم قائمًا يصلى بين جبلين — أرأه قال عككة — فأتوه فأخبروه فقال : هذا الذي حدث في الأرض . قال : هذا حديث حسن صحيح . فدل

هذا الحديث على أن الجَنَّ رموا كارميلا الشياطين . وفي رواية السدي : أنهم لما رموا أنوا إبليس فأخبروه بما كان من أمرهم فقال : آيتونى من كل أرض بقبرصية من تراب أشهاها فأتوه فشم فقال : صاحبكم بمكة . فبعث نفرا من الجَنَّ قيل : كانوا سبعة . وقيل : تسعة منهم زوجة . وروى عاصم عن زر قال : قدم رهط زوجة وأصحابه على النبي صلى الله عليه وسلم . وقال تعالى : بلغنى أنهم من بنى الشَّيْصَبَان ، وهم أكثر الجَنَّ عددا ، وأقوام شوكة ، وهم عامة جنود إبليس . وروى أيضا عاصم عن زر أنهم كانوا سبعة نفر ؛ ثلاثة من أهل حَرَان وأربعة من أهل نَصِيبَين . وحتى جوير عن الصحاح أنهم كانوا تسعة من أهل نَصِيبَين ؛ قريبة باليمن غير التي بالعراق . وقيل : إن الجَنَّ الذين أتوا مكة جن نَصِيبَين ، والذين أتوا بخلة جن يَنْبُوَى . وقد مضى بيان هذا في سورة «الأحقاف» . قال عكرمة : والسورة التي كان يقرؤها رسول الله صلى الله عليه وسلم «أَقْرَأَ يَاسِمَ رَبَّكَ» وقد مضى في سورة «الأحقاف» التعريف باسم النفر من الجَنَّ فلا معنى لإعادة ذلك . وقيل : إن النبي صلى الله عليه وسلم رأى الجَنَّ ليلة الجَنَّ وهو أئبٍ ؛ روى عامر الشعبي قال : سألت عَلْقَمَة هل كان ابن مسعود شهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة الجَنَّ ؟ فقال عَلْقَمَة : أنا سألت ابن مسعود فقلت : هل شهد أحد منكم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة الجَنَّ ؟ قال : لا ، ولكل كا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات ليلة فقدناه فالتسناه في الأودية والشعاب ، فقلنا آسْتُطِيرُ أو آغْتَيلُ ، قال : فبتنا بشر ليلة بات بها قوم ، فلما أصبح إذا هو يحيىء من قبل حِراء ، فقلنا : يا رسول الله ! فقدناك وطلبناك فلم نجدك فبتنا بشر ليلة بات بها قوم ؛ فقال : «أتاني داعي الجَنَّ فذهبت معه فقرأت عليهم القرآن» فأنطلق بنا فارانا آثارهم وآثار نيرائهم ، وسألوه الزاد وكانوا من جن الجزيرة ؛ فقال : «لَكُمْ كُلُّ عَظْمٍ ذَكَرَ أَسْمَ اللهُ عَلَيْهِ يَقْعُ في أَيْدِيكُمْ أَوْ فِي مَا يَكُونُ لَهُمْ وَكُلُّ بَرْعَةٍ عَلَفُ لَدُوَابَّكُمْ» فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «فَلَا تَسْتَنْجُوا بِهِمَا فَإِنَّهُمَا طَعَامٌ لِإِخْرَاجِكُمْ الجَنَّ» قال ابن العربي : وأبن مسعود أعرف من ابن عباس ؛ لأنَّه شاهده وأبن عباس سمعه .

(١) راجع ج ١٦ ص ٢١١ فما بعدها .

وليس الخبر كالمعاينة . وقد قيل : إن الحنّ أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم دفتين إحداهما بعكة وهي التي ذكرها ابن مسعود ، والثانية بخلة وهي التي ذكرها ابن عباس . قال البيهقي :

الذى حكاه عبد الله بن عباس إنما هو في أول ما سمعت الحنّ قراءة النبي صلى الله عليه وسلم وعلمت بحاله ، وفي ذلك الوقت لم يقرأ عليهم ولم يفهم كاحكا ، ثم أتاه داعي الحنّ مرة أخرى فذهب معه وقرأ عليهم القرآن كاحكا عبد الله بن مسعود . قال البيهقي : والأحاديث الصحاح تدل على أن ابن مسعود لم يكن مع النبي صلى الله عليه وسلم ليلة الحنّ ، وإنما سار معه حين انطلق به وبغيره يريه آثار الحنّ وآثار نيرائهم . قال : وقد روى من غير وجه أنه كان معه ليلاً ، وقد مضى هذا المعنى في سورة «الأحقاف» والحمد لله . روى عن ابن مسعود أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : «أمرت أن أتلوا القرآن على الحنّ فلن يذهب معى» فسكتوا ، ثم قال الثانية ، ثم قال عبد الله بن مسعود : أنا أذهب معك يا رسول الله ، فانطلق حتى جاء الجنون عند شعب أبي دب خطأ على خطأ فقال : «لاتتجاوزه» ثم مضى إلى الجنون فانحدر عليه أمثال الجحش يحدرون المخارة بأقدامهم ، يمشون يقرعون في دفوفهم كما تقع النساء في دفوفها حتى غشوه فلا أراه ، فقامت فأومى إلى بيده أن أجلس ، فتلا القرآن فلم يزل صوته يرتفع ، ولصقوا بالأرض حتى ما أراهم ، فلما آتني إلى قال : «أردت أن تأتيني» قلت : نعم يا رسول الله . قال : «ما كان ذلك لك هؤلاء الحنّ أتوا يستمعون القرآن ثم ولوا إلى قومهم منذرین فسألوني الإزاد فرقدهم العظم والبر فلا يستطيعن أحدهم بعزم ولا بعر» قال عكرمة : وكانوا آئتين عشر ألفا من جزيرة الموصل . وفي رواية : آنطلق بي عليه السلام حتى إذا جئنا المسجد الذي عند حائط عوف خطأ على خطأ ، فأتاه نفر منهم فقال أصحابنا كأنهم رجال الرُّطْ وَكَانَ وِجْهَهُمُ الْمَكَّى ، فقالوا : ما أنت؟ قال : «أنا نبِيُ الله» قالوا : فنـ

(١) شعب أبي دب يقال فيه مدفن آمنة بنت وهب أم النبي صلى الله عليه وسلم .

(٢) الرُّطْ : جنس من السودان والهند .

(٣) المَكَّى : جمع مَكَّى وهو طاس يشرب فيه أعلاه ضيق وواسع ، ومِكَّال معروف لأهل العراق بهذه الصفة أيضا . ولعله من باب قول العرب : ضرب مَكَّى رأسه على التشبيه .

يشهد لك على ذلك ؟ قال : "هذه الشجرة" ، فقال : "يا شجرة" ، جاءت تجتر عروقها لها
فاعقع حتى أنتصب بين يديه ، فقال : "على ماذا تشهدين" ، قالت : أشهد أنك رسول الله .
فرجعت كما جاءت تجتر بعروقها الجحارة ، لها فعاقع حتى عادت كما كانت . ثم روى أنه عليه
السلام لما فرغ وضع رأسه على حجر ابن مسعود فرقد ثم أستيقظ فقال : "هل من وضوء"
قال : لا ، إلا أن معى إداوة فيها نيد . فقال : "هل هو إلا تم رماء" ، فتوضأ منه .
الثالثة — قد مضى الكلام في الماء في سورة «الحجر» وما يستخرجى به في سورة «براءة»
فلا معنى للإعادة .

الرابعة — وآختلف أهل العلم ، في أصل الجنة ، فروى إسماعيل عن الحسن البصري :
أن الجنة ولد إبليس والإنس ولد آدم ، ومن هؤلاء وهؤلاء مؤمنون وكافرون ، وهم شركاء
في الثواب والعقاب ، فمن كان من هؤلاء وهؤلاء مؤمنا فهو ولـ الله ، ومن كان من هؤلاء
وهو لـ كافرا فهو شيطان . وروى الضحاك عن ابن عباس : أن الجنة هم ولد الجان وليسوا
بشياطين وهم يؤمنون ، ومنهم المؤمن ومنهم الكافر ، والشياطين هم ولد إبليس لا يموتون إلا
مع إبليس . وآختلفوا في دخول مؤمني الجنة على حسب الاختلاف في أصلهم ، فمن زعم
أنهم من الجان لا من ذرية إبليس قال : يدخلون الجنة بلا يمانهم . ومن قال : إنهم من ذرية
إبليس فلهم فيه قولان : أحدهما — وهو قول الحسن يدخلونها . الثاني — وهو روایة مجاهد
لا يدخلونها وإن صرفا عن النار . حكاه الماوردي . وقد مضى في سورة «الرحمن» عند قوله
تعالى : «لَمْ يَطْعُمُهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌ» بيان أنهم يدخلونها .

الخامسة — قال البيهقي في روایته : وسألوه الزاد وكانوا من جن الجزيرة فقال : "لهم كل
عظيم" دليل على أنهم يأكلون ويطعمون . وقد أنكر بجماعة من كفرة الأطباء وال فلاسفة الجنة ،
وقالوا : إنهم بسائط ولا يصح طعامهم . آجزاء على الله وأفتاء القرآن والسنة ترد عليهم ،

(١) راجع ج ١٠ ص ١٥ فما بعدها .

(٢) راجع ج ٨ ص ٤٥٩ فما بعدها .

(٣) راجع ج ١٧ ص ١٨١

وليس في المخلوقات بسيط مركب مزدوج إنما الواحد الواحد سبحانه ، وغيره مركب ليس بوحدة كيما تصرف حاله . وليس يمتنع أن يراهم النبي صلى الله عليه وسلم في صورهم كما يرى الملائكة . وأكثر ما يتتصرون لنا في صور الحيات ؟ ففي الموطن أن رجلاً حديث عهد بعرس آستاذن رسول الله صلى الله عليه وسلم بانصاف النهار أن يرجع إلى أهله . الحديث ، وفيه : فإذا حية عظيمة منطوية على الفراش فاهوئ إليها بالرمح فانتظمها . وذكر الحديث . وفي الصحيح أنه عليه السلام قال : "إن هذه البيوت عوامٌ فإذا رأيت منها شيئاً خرجوا عليها ثلاثة فإن ذهب وإلا فاقتلوه فإنه كافر" وقال : "آذبوا فادفنوا صاحبكم^(١)" وقد مضى هذا المعنى في سورة «البقرة» وبيان التحرير في عليهن . وقد ذهب قوم إلى أن ذلك مخصوص بالمدينة ؟ لقوله في الصحيح : "إن بالمدينة جنًا قد أسلموا" وهذا لفظ مختص بها فيختص بمحكمها . قلنا : هذا يدل على أن غيرها من البيوت مثلها ، لأنه لم يعلل بحرمة المدينة فيكون ذلك الحكم مخصوصاً بها ، وإنما علل بالإسلام ، وذلك عام في غيرها ، ألا ترى قوله في الحديث مخبراً عن الجنة الذي لقى : وكانوا من جنّ الجزيرة ؟ وهذا بين يَعْضُده قوله : "ونهى عن عوامِ البيوت" وهذا عام . وقد مضى في سورة «البقرة» القول في هذا فلا معنى للإعادة .

قوله تعالى : (فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قَرْآنًا عَجِيبًا) أي في فصاحة كلامه . وقيل : عجباً في بلاغة مواعذه . وقيل : عجباً في عظم بركته . وقيل : قرآنًا عن يزا لا يوجد مثله . وقيل : يعنون عظيمًا . (يَهِدِي إِلَى الرُّشْدِ) أي إلى مرشد الأمور . وقيل : إلى معرفة الله تعالى . و «يَهِدِي» في موضع الصفة أي هادياً . (فَأَمَّا يُهِدِّي) أي فاحتدينا به وصدقنا أنه من عند الله (وَلَن تُشْرِكَ بِرِبِّنَا أَحَدًا) أي لا ترجع إلى إبليس ولا نطيعه ، لأنه الذي كان بعثهم ليأتوه بالخبر ثم رمى الجنة بالشتم . وقيل : لا تخذل مع الله إلها آخر ، لأنه المتفرق بالربوبية . وفي هذا تعجب المؤمنين بذهب مشركي قريش بما أدركته الجنة بتذرتها القرآن . وقوله

(١) هذا يعني أن يكون قبل الحديث السابق له كافي ابن العربي .

(٢) راجع ج ١ ص ٣١٥ فـا بعدها طبعة ثانية .

تعالى : « أَسْتَعِنُ تَفْرِيْمَ الْجِنَّةِ » أى آسمعوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم فعلموا أن ما يقرؤه كلام الله . ولم يذكر المستمع إليه لدلالة الحال عليه . والنفر الرهط ؛ قال الخليل : ما بين ثلاثة إلى عشرة . وقرأ عيسى التقى « يَهِيدِي إِلَى الرَّشِيدِ » بفتح الراء والشين .

قوله تعالى : (وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا) كان عَقْمَةً وَيَحِيَّ وَالْأَعْمَشْ وَحَمْزَةُ وَالْكَسَائِيُّ وَأَبْنَ عَاصِ وَخَلْفُ وَحْفَصُ وَالسَّلْمَى يَنْصَبُونَ « أَنْ » في جَمِيعِ السُّورَةِ فِي آثَنِي عَشَرْ مَوْضِعاً وَهُوَ « أَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا » « وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ » « وَأَنَّا ظَنَّنَا » « وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالُ » « وَأَنَّهُمْ ظَنَّوْا » « وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ » « وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ » « وَأَنَّا لَا نَدْرِي » « وَأَنَّا مِنَ الصَّالِحُونَ » « وَأَنَّا ظَنَّنَا أَنَّ لَنَا نُعْجِزَ اللَّهُ فِي الْأَرْضِ » « وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْمُهَدِّى » « وَأَنَّا مِنَ الْمُسْلِمُونَ » عطفاً على قوله : « أَنَّهُ أَسْمَعَ نَفْرُ » و « أَنَّهُ أَسْمَعَ » لا يجوز فيه إلا الفتح ؛ لأنها في موضع آخر فاعل « أَوْيَحَ » فما بعده معطوف عليه . وقيل : هو محول على الهماء في « آمَنَّا بِهِ » أى وبـ « أَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا » وجاز ذلك وهو مضمر مجرور لكتمة حرف الْحَارِ مع « أَنْ » . وقيل : المعنى أى وصدقنا أنه جد ربنا . وقرأ الباقون كلها بالكسر وهو الصواب ، وأختاره أبو عبيدة وأبو حاتم عطفاً على قوله : « فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا » لأنها كله من كلام الجن . وأما أبو جعفر وشيبة فإنهما فتحا ثلاثة مواضع ؛ وهي قوله تعالى : « وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا » « وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ » « وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالُ » قالا : لأنَّه من الوحي وكسر ما بقى ؛ لأنَّه من كلام الجن . وأما قوله تعالى : « وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ » فكلهم فتحوا إلا نافعاً وشيبة وَزِرْ بن حبيش وأبو بكر والمفضل عن عاصم فلنهم كسرروا لا غير . ولا خلاف في فتح همزة « أَنَّهُ أَسْمَعَ نَفْرَ مِنَ الْجِنَّةِ » « وَأَنَّ لَوْ أَسْتَقْمَوْا » « وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ » و « أَنَّ قَدْ أَبْلَغُوا » وكذلك لاختلاف في كسر ما بعد القول ؛ نحو قوله تعالى : « فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا » و « قَالَ إِنَّمَا أَدْعُو رَبِّي » و « قُلْ إِنْ أَدْرِي » و « قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ » وكذلك لاختلاف في كسر ما كان بعد فاء الحزاء ؛ نحو قوله تعالى : « فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ » و « فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ » لأنَّه موضع آبتداء .

(١) كذا في الأصل على فراءة نافع . وقراءة حفص « قل » .

قوله تعالى : « جَدُّ رَبِّنَا » الجَدُّ في اللغة العظمة والحلال ؛ ومنه قول أنس : كان الرجل إذا حفظ البقرة وآل عمران جَدُّ في عيوننا . أى عَظُمْ وجَلْ ؛ فمعنى « جَدُّ رَبِّنَا » أى عظمته وجلاله ؛ قاله عكرمة ومجاهد وفتادة . وعن مجاهد أيضاً : ذِكْرَه . وقال أنس بن مالك والحسن وعكرمة أيضاً : غناه . ومنه قيل للحظ جَدُّ ورجل محدود أى محظوظ ؛ وفي الحديث : « لا ينفع ذا الجَدُّ منك الجَدُّ » قال أبو عبيدة والخليل : أى ذا الغنى ، منك الغنى إنما تنفعه الطاعة . وقال ابن عباس : قدرته . الضحاك : فعله . وقال القرطبي والضحاك أيضاً : آلاوه ونعمه على خلقه . وقال أبو عبيدة والأخفش : ملكه وسلطانه . وقال السدي : أمره . وقال سعيد بن جبير : « وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا » أى تعالى ربنا . وقيل : إنهم عنوا بذلك الجَدُّ الذي هو أب الأب ويكون هذا من قول الجن . وقال محمد بن علي بن الحسين وأبنه جعفر الصادق والربيع : ليس لله تعالى جَدٌ ، وإنما قاله الجن للهالة فلم يؤخذوا به . وقال القشيري : ويجوز إطلاق لفظ الجَدُّ في حق الله تعالى ، إذ لم يجز لما ذكر في القرآن ، غير أنه لفظ موهم فتجنبه أولى . وقراءة عكرمة « جَدٌ » بكسر الجيم على ضد الم Hazel . وكذلك قرأ أبو حَيَّة وَمُحَمَّدُ بْنُ السَّمِيقِ . ويروى عن ابن السَّمِيقِ أيضاً وأبي الأثْهَبِ « جَدًا رَبِّنَا » وهو الجدوى والمنفعة . وقرأ عكرمة أيضاً « جَدًا » بالتنوين « رَبِّنَا » بالرفع على أنه مرفوع بـ « تعالى » و « جَدًا » منصوب على التمييز . وعن عكرمة أيضاً « جَدٌ » بالتنوين والرفع « رَبِّنَا » بالرفع على تقدير : تعالى جَدُّ جَدُّ رَبِّنَا ، بفتح الثاني بدل من الأول وحذف وأقيم المضاف إليه مقامه . ومعنى الآية ؛ وأنه تعالى جلال ربنا أن يخذ صاحبة وولدا لاستئناس بهما وال حاجة إليهما ، والرب يتعالى عن ذلك كا يتعالى عن الأنداد والنظراء .

قوله تعالى : وَإِنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِينَاهُ عَلَى اللَّهِ شَطَطَاهُ (٢٦) وَإِنَّا ظَنَّنَا
أَنَّ لَنَّ تَقُولَ الْإِنْسُ وَأَلْجَنَ عَلَى اللَّهِ دَنْبًا (٢٧) وَإِنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ
الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْإِنْسِ فَزَادُوهُمْ رَهْقًا (٢٨) وَإِنَّهُمْ ظَنَّوا
كَمَا ظَنَنْتُمْ أَنَّ لَنَّ يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا (٢٩)

قوله تعالى : « وَإِنْ كَانَ يَقُولُ سَفِيهِنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا 》 اهاء في « أنه » للأمر أو الحديث ، وفي « كان » أسمها وما بعدها الخبر . ويحوز أن تكون « كان » زائدة . والسفية هنا إبليس في قول مجاهد وآبن جرير وفتادة . ورواه أبو بُردة بن أبي موسى عن أبيه عن النبي صل الله عليه وسلم . وقيل : المشركون من الجهن ؛ قال قتادة : عصاة سفيه الجهن كما عصاة سفيه الإنس . والشطط والاشتطاط الفلو في الكفر . وقال أبو مالك : هو الجور . الكلبي : هو الكذب . وأصله بعد فيعبر به عن الجور لبعده عن العدل ، وعن الكذب لبعده عن الصدق ؛ قال الشاعر :

بِأَيَّةٍ حَالَ حَكَّوْ فِيكَ فَاشْتَطُوا * وَمَا ذَلَكَ إِلَّا حِيثُ يَمْكُرُ الْوَخْطُ^(١)

قوله تعالى : « وَأَنَا ظَنَّنَا 》 أى حسبنا (أن لن تقول الإنس والجهن على الله كذباً) فلذلك صدقناهم في أن الله صاحبة ولدا حتى سمعنا القرآن وتبيينا به الحق . وقرأ يعقوب والبحدري وآبن أبي إسحق « أن لن تقول 》 . وقيل : أنقطع الإخبار عن الجهن ها هنا فقال الله تعالى : « وَإِنْ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ 》 فلنفتح وجعله من قول الجهن ردتها إلى قوله : « أنه آسمع » ومن كسر جعلها مبتدأ من قول الله تعالى . والمراد به ما كانوا يفعلونه من قول الرجل إذا نزل بوادي : أعود بسيئ هذا الوادي من شر سفهاء قومه ؛ فيبيت في جواره حتى يصبح ؛ قاله الحسن وآبن زيد وغيرهما . قال مقاتل : كان أول من تعود بالجهن قوم من أهل اليمن ، ثم من بني حنيفة ، ثم فشا ذلك في العرب ، فلما جاء الإسلام عاذوا بالله وتركوه . وقال كردم بن أبي السائب : خرجت مع أبي إلى المدينة أول ما ذكر النبي صلى الله عليه وسلم ، فأوانا المبيت إلى راعي غنم ، فلما آتى صنف الدليل جاء الذنب فحمل حملا من الغنم ، فقال الراعي : يا عامر الوادي [أنا] جارك . فنادى مناد ياسر حان أرسله ، فأتى الحمـلـ^(٢) يشتـدـ . وأنزل الله تعالى على رسوله بحـكـةـ (« وَإِنْ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ

(١) يمك قصدك . والوخط الطعن بالزعـجـ ، ومن معانيه أيضا الشيب .

(٢) قال الأولي : « تقول » أصله تقول بتأمين خذلت إحداهما ، فكذا مصدر مؤكـدـ لأن الكذب هو التقول .

(٣) الزيادة من الدر المثور للسيوطـيـ . (٤) يشتـدـ : يهدـوـ .

إِنَّ فَرَادُهُمْ رَهْقًا) أى زاد الجن الإِنْسَ «رهقاً» أى خطيئة وإنما قاله آبَن عباس ومجاهد وقتادة . والرهق الإِثم في كلام العرب وغشيان المحارم ؛ ورجل رهق إذا كان كذلك . ومنه قوله تعالى : « وَرَهْقُهُمْ ذِلَّةٌ » وقال الأعشى :

لَا شَيْءٌ يَنْفَعُنِي مِنْ دُونِ رَوْبِهَا * هَلْ يَشْتَفِي وَامْقُ مَا لَمْ يُصْبِ رَهْقًا
يعني إنما ، وأضيفت الزيادة إلى الجن إذ كانوا سببا لها . وقال مجاهد أيضا : « فَرَادُهُمْ » أى
إن الإِنس زادوا الجن طغيانا بهذا التعوذ ، حتى قالت الجن سدنا الإِنس والجن . وقال قتادة
أيضا وأبو العالية والرابع وأبن زيد : آزاد الإِنس بهذا فرقا وخوفا من الجن . وقال سعيد
آبَن جبير : كفرا . ولا خفاء أن الاستعاذه بالجن دون الاستعاذه بالله كفر وشرك . وقيل :
لا يطلق لفظ الرجال على الجن ؛ فالمعنى : وأنه كان رجال من الإنس يعودون من شر الجن
برجال من الإنس ، وكان الرجل من الإنس يقول مثلا : أعود بجذيفنة بن بدر من جن هذا
الوادي . قال القشيري : وفي هذا تحكم إذ لا يبعد إطلاق لفظ الرجال على الجن .

قوله تعالى : (وَانْهُمْ ظَنَّوْا كَمَا ظَنَّنْتُمْ أَنَّ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا) هذا من قول الله تعالى
للإِنس ، أى وأن الجن ظنوا أن لن يبعث الله الخلق كما ظنتم . الكافي : المعنى ظنت الجن كما
ظننت الإنس أن لن يبعث الله رسولا إلى خلقه يقيم به الجنة عليهم . وكل هذا توكيده للحجية
على قريش ؛ أى إذا آمن هؤلاء الجن بمحمد فأنت أحق بذلك .

قوله تعالى : وَأَنَا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلَيْتَ حَرَسًا شَدِيدًا
وَشَهِبَا (٢٩) وَأَنَا كَمَا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقْعُدًا لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْتِمْعُ إِلَيْنَا يَجِدْ
لَهُ شَهَابًا رَصَدًا (٣٠) وَأَنَا لَا نَدْرِي أَشَرُّ أَرِيدَ بِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَمْ
أَرَادَ بِرَبِّهِمْ رَشَدًا (٣١)

قوله تعالى : (وَأَنَا لَمَسْنَا السَّمَاءَ) هذا من قول الجن أى طلبنا خبرها كما بحثت عادتنا
(فَوَجَدْنَاهَا) قد (مُلَيْتَ حَرَسًا شَدِيدًا) أى حفظة يعني الملائكة والحرس جمع حارس

(وَشَهِيْبًا) جمع شهاب وهو آنقاض الكواكب المحرقة لهم عن آستراق السمع . وقد مضى القول فيه في سورة «الحجر» «والصفات» و «وجد» يجوز أن يقدر متعديا إلى مفعولين فالأول أهاء والألف ، و «مُلِّثْتُ» في موضع المفعول الثاني . ويجوز أن يتعدى إلى مفعول واحد ويكون «مُلِّثْتُ» في موضع الحال على إضمار قد و «حَرَسًا» نصب على المفعول الثاني بـ «مُلِّثْتُ» و «شديدا» من نعت الحرس أى ملث ملائكة شدادة . ووحد الشديد على لفظ الحرس ؛ وهو كما يقال : السَّلَفُ الصَّالِحُ بِمَعْنَى الصَّالِحِينَ ، وجمع السَّلَفُ أَسْلَافُ وجمع الحرس أحراس ؛ قال :

«تجاوَزْتُ أحراسًا وأهواَلَ مَعْشِيرَ»

ويجوز أن يكون «حَرَسًا» مصدرًا على معنى حُرِست حِرَاسةً شديدة .

قوله تعالى : (وَإِنَّ كَانَ نَقْدُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَنَّ يَسْتَمِعُ الْآنَ يَجِدُ لَهُ شِهَابًا رَصَدًا) «منها» أى من السماء و «مقاعد» مواضع يقعده في مثلها لاستماع الأخبار من السماء ؛ يعني أن مردة الجنة كانوا يفعلون ذلك ليستمعوا من الملائكة أخبار السماء حتى يلقوها إلى الكهنة على ما تقدم بيانه ، فرسها الله تعالى حين بعث رسوله بالشَّهَابِ المحرقة ، فقالت الجنة حينئذ : «فَنَّ يَسْتَمِعُ الْآنَ يَجِدُ لَهُ شِهَابًا رَصَدًا» يعني بالشَّهَابِ الكوكب المحرقة؛ وقد تقدم بيان ذلك . ويقال : لم يكن آنقاض الكواكب إلا بعد ببعث النبي صلى الله عليه وسلم وهو آية من آياته . وأختلف السَّلَفُ هل كانت الشياطين تُقْذَفُ قبل المبعث ، أو كان ذلك أمراً حدث لبعث النبي صلى الله عليه وسلم ؟ فقال الكلبي : وقال قوم لم تكن تحرس السماء في الفترة بين عيسى ومحمد صلوات الله عليهما وسلامه خمسة وعشرين عاماً ، وإنما كان من أجل بعثة النبي صلى الله عليه وسلم ، فلما بعث محمد صلى الله عليه وسلم منعوا من السموات كلها وحرست بالملائكة والشَّهَابِ .

(١) راجع ج ١٠ ص ١٠ فـ بعدها . (٢) راجع ج ١٥ ص ٦٦ فـ بعدها .

(٣) هو أمير القيس ويروى : * تجاوزت أحراسًا إليها ومعشرًا * و تمام البيت وهو من معلقته : * على حراسًا لو يشرون بقتلي *

قلت : ورواه عطية العوف عن أبي عباس ؛ ذكره البهق . وقال عبد الله بن عمر : لما كان اليوم الذي نبأ رسول الله صلى الله عليه وسلم مُنْعِت الشياطين ورموا بالشَّهَب . وقال عبد الملك بن سابور : لم تكن السماء تخرس في الفترة بين عيسى ومحمد عليهمما الصلاة والسلام ، فلما بُعثَ محمد صلى الله عليه وسلم حُرست السماء ، ورميَت الشياطين بالشَّهَب ، وَمُنْعِت عن الدُّنْوِ مِنَ السَّمَاءِ . وقال نافع بن جبير : كانت الشياطين في الفترة تسمع فلا تُرْجَعُ ، فلما بُعثَ رسول الله صلى الله عليه وسلم رُميَت بالشَّهَب . ونحوه عن أبي بن كعب قال : لم يُرِمَ بضمِّهِ بضمِّهِ منْدَ رُفْعَ عِيسَى حَتَّى نَبَأَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيهَا . وقيل : كان ذلك قبل المبعث ، وإنما زادت بمعناه بمعناه رسول الله صلى الله عليه وسلم إنذاراً بحاله ، وهو معنى قوله تعالى : « مُلِئَتْ » أى زيد في حرمها ، وقال أوس بن حجر وهو جاهلي :

فَآنَقَضَ كَالْدَرَى يَتَبَعَّهُ * نَقَعُ يَشُورُ تَخَالَهُ طَبَّهُ

وهذا قول الأكثرين . وقد أنكر الحافظ هذا البيت وقال : كل شعر روى فيه فهو مصنوع ، وأن الرمي لم يكن قبل المبعث . والقول بالرمي أصح ، لقوله تعالى : « فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشَهَبًا » . وهذا إخبار عن الجهن ، أنه زيد في حرس السماء حتى آمتلات منها ومنهم ، ولما روى عن أبي عباس قال : بينما النبي صلى الله عليه وسلم جالس في نفر من أصحابه إذ رُمي بضمِّهِ بضمِّهِ فقال : « ما كنتم تقولون في مثل هذا في الباھلية » قالوا : كما تقول يوم عظيم أو يولد عظيم . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « إِنَّهَا لَا تُرْمَى مَوْتُ أَحَدٍ وَلَا لَحْيَاتِهِ وَلَكِنْ رَبَّنَا سَبَحَانَهُ وَتَعَالَى إِذَا قَضَى أَمْرًا فِي السَّمَاءِ سَبَحَ حَلَةُ الْعَرْشِ ثُمَّ سَبَحَ أَهْلُ كُلِّ سَمَاءٍ حَتَّى يَتَهَى التَّسْبِيحَ إِلَى هَذِهِ السَّمَاءِ وَيَسْتَخْبِرَ أَهْلَ السَّمَاءِ حَلَةُ الْعَرْشِ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ فَيَخْبُرُهُمْ وَيَخْبُرُ أَهْلَ كُلِّ سَمَاءٍ حَتَّى يَتَهَى الْخَبْرُ إِلَى هَذِهِ فَتَخَطَّفُ الْجَنُّ فِيهِمْ فَإِنْ جَاءُوكَمْ بِهِ فَهُوَ حَقٌّ وَلَكُمْ يَزِيدُونَ فِيهِ » وهذا يدل على أن الرجم كان قبل المبعث ، وروى الزهرى نحوه عن علي بن الحسين عن علي بن أبي طالب عن أبي عباس . وفي آخره قيل للزهرى : أكان يُرمى في الباھلية ؟ قال : نعم . قلت : أفرأيت قوله سبحانه « وَأَنَا كَانَ قَوْدَ

مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلْسَّمْعِ فَنَّ يَسْتَمِعُ الْآنَ يَحْمِدُهُ شَهَابًا رَصَدًا» قال : غُلظت وشدد أمرها حين بُعث النبي صلى الله عليه وسلم . ونحوه قال القمي . قال ابن قتيبة : كان ولكن آشتدت الحراسة بعد المبعث ، وكانوا من قبل يسترقون ويُرِمون في بعض الأحوال ، فلما بعث مهد صلى الله عليه وسلم منعت من ذلك أصلًا . وقد تقدم بيان هذا في سورة « والصفات » عند قوله : « وَيَقْدِفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ دُحُورًا وَهُمْ عَذَابٌ وَأَصْبَحُ » قال الحافظ : فلو قال قائل كيف يتعرض الجن لإحرار نفسمها بسبب استماع خبر بعد أن صار ذلك معلوما لهم ؟ فالجواب أن الله تعالى ينسهم ذلك حتى تعظم المخنة ، كما ينسى إبليس في كل وقت أنه لا يسلم ، وأن الله تعالى قال له : « وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ » ولو لا هذا لما تحقق التكاليف . والرَّصَد قيل من الملائكة ؛ أى ورصدًا من الملائكة . والرَّصَد الحافظ للشيء والجمع أرصاد ، وفي غير هذا الموضع يجوز أن يكون جمعا كالحرس والواحد راصد . وقيل : الرَّصَد هو الشهاب أى شهابا قد أرصد له ليترجم به ؛ فهو فعل بمعنى مفعول كالخطب والنَّفْض .

قوله تعالى : « وَإِنَّ لَانْدَرِي أَشَرَّ أَرِيدَ بِمَنْ فِي الْأَرْضِ » أى هذا الحرس الذي حرست بهم السماء (أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبِّهِمْ رَشَدًا) أى خيرا . قال ابن زيد : قال إبليس لا ندرى هل أراد الله بهذا المنع أن ينزل على أهل الأرض عذابا أو يرسل إليهم رسولا . وقيل : هو من قول الجن فيما بينهم قبل أن يسمعوا قراءة النبي صلى الله عليه وسلم . أى لاندرى أشر أريد بمن في الأرض بيارسال محمد إليهم ، فإنهم يكذبونه ويهلكون بتكتنيه كما هلك من كذب من الأمم ، أم أراد أن يؤمنوا فيهتدوا ؟ فالشر والرشد على هذا الكفر والإيمان ؛ وعلى هذا كان عندهم علم ببعث النبي صلى الله عليه وسلم ، ولما سمعوا قراءته علموا أنهم منعوا من السماء حراسة للوحى . وقيل : لا ؛ بل هذا قول قالوه لقومهم بعد أن أنصرفوا إليهم مندرين ؛ أى لما آمنوا أشفقوا ألا يؤمن كثير من أهل الأرض فقالوا : إنا لا ندرى أي كفر أهل الأرض بما آمنا به أو يؤمنون .

قوله تعالى : وَأَنَا مِنَ الصَّالِحُونَ وَمِنَ دُونَ ذَلِكَ كُنَّا
 طَرَآئِقَ قِدَادًا (٢٩) وَإِنَّا ظَبَّنَا أَنْ لَنْ نُعِجزَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ وَلَنْ
 نُعِجزَهُ هَرَبًا (٣٠)

قوله تعالى : (وَأَنَا مِنَ الصَّالِحُونَ وَمِنَ دُونَ ذَلِكَ) هذا من قول الحنف ، أى قال بعضهم لبعض لما دعوا أصحابهم إلى الإيمان بمحمد صل الله عليه وسلم ، وإنما كما قبل آسماع القرآن من الصالحون ومن الكافرون . وقيل : « وَمِنَ دُونَ ذَلِكَ » أى ومن دون الصالحين في الصلاح ، وهو أشبهه من حمله على الإيمان والشرك . (كُنَّا طَرَائِقَ قِدَادًا) أى فرقاً شتى ؛ قاله السدي . الضحاك : أديانا مختلفة . قتادة : أهواء متباينة ، ومنه قول الشاعر :

القَابِضُ الْبَاسِطُ الْهَادِي بِطَاعَتِهِ * فِي فِتْنَةِ النَّاسِ إِذْ أَهْوَ أُهُمْ قِدَادُ

والمعنى : أى لم يكن كل الحنف كفاراً بل كانوا مختلفين ، منهم كفاراً و منهم مؤمنون صالحة ، ومنهم مؤمنون غير صالحة . وقال المسبـب : كما مسلمين ويهود ونصارى ومجوس . وقال السدي في قوله تعالى : « طَرَائِقَ قِدَادًا » قال : في الحنف مثلكم قدرية ومرجئة وخوارج ورافضة وشيعة وسنية . وقال قوم : أى وأنا بعد آسماع القرآن مختلفون من المؤمنون ومن الكافرون . أى ومن الصالحون ومنا مؤمنون لم يتناهوا في الصلاح . والأول أحسن ؛ لأنـه كان في الحنف من آمن بموسى وعيسى وقد أخبر الله عنهم أنـهم قالوا : « إِنَّا سَمِعْنَا كَاتِبًا أُنزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ » وهذا يدل على إيمان قوم منهم بالتوراة ، وكان هذا مبالغة منهم في دعاء من دعوهـم إلى الإيمان . وأيضاً لا فائدة في قولهـم : نحن الآن منقسمون إلى مؤمن وإلى كافر . والطـرائق جمع الطـريقـة وهي مذهبـ الرجل ؛ أى كـا فرقـاً مـختلفـة . ويـقال : الـقوم طـرائقـ أـى على مـذاهـبـ شـتـى . والـقـدـدـ نحوـ مـنـ الـطـرـائـقـ وـهـوـ توـكـيدـ لهاـ واحدـهاـ قـدـةـ . يـقال : لـكـلـ طـرـيقـ قـدـةـ وأـصـلـهاـ مـنـ قـدـ السـيـورـ وـهـوـ قـطـعـهاـ ؛ قالـ لـبـيدـ يـرـثـيـ أـخـاهـ أـرـبـدـ :

لَمْ تَبْلُغِ الْعَيْنُ كُلَّ نَهْمَتَها * لِيَلَةَ مُتْسَى الْحِيَادُ كَالْقِدْدِ^(١)

وقال آخر :

وَلَقَدْ قُلْتُ وَزَيْدُ حَاسِرٌ * يَوْمَ وَلَتْ خَيْلٌ عَمَّرِي وَقِدَّا
وَالْقِدَّ بِالْكَسْرِ سِيرٌ قِدَّا مِنْ جَلْدٍ غَيْرِ مَدْبُوغٍ ؛ وَيَقُولُ : مَا لِهِ قِدَّ وَلَا تِحْفَ فَالْقِدَّ إِنَاءُ مِنْ
جَلْدٍ وَالْقِحْفُ مِنْ خَشْبٍ .

قوله تعالى : (وَإِنَّا أَظَنَّا أَنَّ لَنْ نُعِجزَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ) (الظن هنا بمعنى العلم واليقين وهو خلاف الظن في قوله تعالى : « وَإِنَّا أَظَنَّا أَنَّ لَنْ تَقُولَ » « وَأَنْهُمْ ظَنَوا » أى علمنا بالاستدلال والتفكير في آيات الله أثنا في قبضته وسلطانه ان نفوته بهرب ولا غيره . و (هَرَبَا) مصدر في موضع الحال أى هاربين .

قوله تعالى : وَإِنَّا لَمَّا سَمِعْنَا أَهْدَى أَمَنَّا بِهِ فَنَّ يُؤْمِنُ بِرَبِّهِ فَلَا يَحَافُ بِحَسَّا وَلَا رَهَقًا وَإِنَّا مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَمِنَ الْقُسْطِطُونَ فَنَّ أَسْلَمَ فَأَوْلَئِكَ تَحْرُوا رَشَدًا وَأَمَّا الْقُسْطِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا

قوله تعالى : (وَإِنَّا لَمَّا سَمِعْنَا أَهْدَى) يعني القرآن (آمَنَّا بِهِ) وبالله وصدىقنا مهدا صلي الله عليه وسلم على رسالته . وكان صلي الله عليه وسلم مبعوثنا إلى الإنسان والجن . قال الحسن : بعث الله مهدا صلي عليه وسلم إلى الإنسان والجن ، ولم يبعث الله تعالى قط رسولا من الجن ولا من أهل البادية ولا من النساء؛ وذلك قوله تعالى : « وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا يُوحَى إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقَرْيَةِ » وقد تقدم هذا المعنى . وفي الصحيح : « وَبَعَثْتُ إِلَى الْأَحْرَقِ وَالْأَسْوَدِ »

(١) يقول : لم يبلغ العين من البكاء على أربد كل ما تردد في هذه المبللة التي فيها الحيل كالجدد من شدة السير

والإنصاف . (٢) راجع ج ٩ ص ٢٧٤

أى الإنسان والجتن . (فَمَنْ يُؤْمِنُ بِرَبِّهِ فَلَا يَحْافَظُ بَخْسًا وَلَا رَهْقًا) قال ابن عباس : لا يحافظ أن ينقص من حسناته ولا أن يزداد في سيئاته ؛ لأن البخس التقصان والرهق العدوان وغضيان المحرم ؛ قال الأعشى :

لَا شَيْءَ يَنْفَعُ فِي مِنْ دُونِ رُؤْيَا تِهَا * هَلْ يَسْتَغْفِرُ وَامْقُ مَالَمْ يُصْبِطْ رَهْقا
الوَامْقُ الْحَبْ ؛ وَقَدْ وَمَقَهْ يَمْقَهْ بِالْكَسْرِ أَيْ أَحْبَهْ فَهُوَ وَامْقُ . وَهَذَا قَوْلُ حَكَاهُ اللَّهُ تَعَالَى
عَنِ اِلْحَنْ ؛ لِقَوْلِ إِيمَانْهُمْ وَصَحَّةِ إِسْلَامِهِمْ . وَقِرَاءَةُ الْعَامَةِ « فَلَا يَخَافُ » رُفَعًا عَلَى تَقْدِيرِ فَإِنَهْ
لَا يَخَافُ . وَقِرَأَا الْأَعْمَشْ وَيَحْيَى وَإِبْرَاهِيمْ « فَلَا يَخَفُ » جَزْمًا عَلَى جَوابِ الشَّرْطِ وَإِلَغَاءِ
الْفَاءِ .

قوله تعالى : « وَأَنَّا مِنَ الْمُسْلِمُونَ وَمِنَ الْقَاسِطُونَ » أى وأنا بعد آسماع القرآن مختلفون
فنا من أسلم ومتنا من كفر . والقاسط الحائر ، لأنَّه عادل عن الحق والمقيسط العادل ، لأنَّه
عادل إلى الحق ؛ [يقال :] قسط أى جار وأقسط إذا عدل ؛ قال الشاعر :
قومٌ هم قتلوا ابنَ هنْدِ عنوةَ * عَمَّرَا وهم قَسْطُوا على النَّعْمَانِ
« فَنَّ أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ تَحْرُوْ رَشَدًا » أى قصدوا طريق الحق وتوخوه ومنه تحزى القبلة (وَأَمَا
الْقَاسِطُونَ) أى الحائرون عن طريق الحق والإيمان (فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا) أى وقودا .
وقوله : « فَكَانُوا » أى في علم الله تعالى .

قوله تعالى : وَالْوَآسْتَقْنُوا عَلَى الْطَّرِيقَةِ لَا سَقَيَنَاهُمْ مَاءً غَدَقًا ﴿١٦﴾
لِنَفْتَنَهُمْ فِيهِ وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكُهُ عَذَابًا صَعِدًا ﴿١٧﴾

قوله تعالى : «وَأَنَّ لَوْ أَسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ» هذا من قول الله تعالى . أى لو آمن من هؤلاء الكفار لوسائلنا عليهم في الدنيا وبسطنا لهم في الرزق . وهذا مجمل على الوحي ؛ أى أوحى إلى أن لو آستقاموا . ذكر ابن بحر : كل ما في هذه السورة من «إن» المكسورة المتقلبة فهي حكاية لقول الحق الذين آسمعوا القرآن فرجعوا إلى قومهم منذرين ، وكل ما فيها من

أن المفتوحة المخففة فهي وحى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقال ابن الأثباري : ومن كسر الحروف وفتح « وَأَنْ لَوْ آسْتَقَامُوا » أضمر بعثنا تماماً تأويلاً : والله أن لو آستقاموا على الطريقة ؛ كما يقال في الكلام : والله أن قمت لقمت ووالله لو قلت قلت ؛ قال الشاعر :

أَمَا وَاللَّهِ أَنْ لَوْكَنْتَ حُرًّا * وَمَا يَالْحَزَرَ أَنْتَ وَلَا الْعَتِيقَ

ومن فتح ما قبل المخففة نسقاها -أعني الخفيفة - على «أُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ» «وَإِنَّ لَوْا سَتَقَامُوا»
(١)

أو على «آمنا به» وبيان لو آستقاموا . ويحوز ملن كسر الحروف كلها إلى «أن» المخففة أن يعطف المخففة على «أوحى إلى» أو على «آمنا به» ويستغنى عن إضمار المين . وقراءة العامة

بكسر الواو من «لو» لالقاء الساكنين . وقرأ ابن وَتَاب والأعمش بضم الواو . و(ماءً غَدْقاً)

إذا كثُر مأْوَاهَا . وقيل : المراد بالخلق كلهم أى « لَوْ أَسْتَقَامُوا عَلَى الظَّرِيقَةِ » طريقة الحق

والإيمان والهدى وكانوا مؤمنين مطعمين « لَأَسْقِنَا هُمْ مَاءً غَدَقاً » أى كثيراً (لِنَفْتَنَهُمْ فِيهِ)

المال وأينما كان المال كانت الفتنة . فمعنى «**لَأَسْقِيَنَا هُمْ**» لوسعنا عليهم في الدنيا ، وضرب

الباء الغدق الكثير لذلك مثلاً؛ لأن الخير والرزق كله بالمطري يكون فاقيم مقامه؛ كقوله تعالى: «وَلَمْ يَأْتِ أَهْلُ الْقُرْبَىٰ أَمْنًا وَآتَقُوا الْفَتَحَنَا عَلَيْهِ بَكَارٍ مِّنَ السَّاعَةِ وَالْأَرْضِ»، وقوله

تعالى : « وَلَوْ أَنَّهُمْ أَفَامُوا التُّورَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَا كُلُّهُمْ لَأَكُلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ

ووالضحاك وقادة ومقاتل وعطيه وعبيد بن عمير والحسن : كان والله أصحاب النبي صل الله

عليه وسلم سامعين مطاعين ، ففتحت عليهم كنوز كسرى وقيصر والمقوص والنجاشي ففتنتوا

(١) وفي حاشية الحمل نقلًا عن القرطبي «قال ابن الأثير : ومن قرأ بالكسر فيها تقدم وفتح «وأن لو أستقاموا» صدر فيما تقديره : والله «أن لو أستقاموا على الطريقة ، أو عطفه على «أنه آسمع» أو على «آمنا به» وعلى هذا يكون جيم ما تقدم متردداً بين المطوف والمطوف عليه ٠

لَوْ آسْتَقَامُوا عَلَى الْطَّرِيقَةِ » التي هم عليها من الكفر فكانوا كلهم كفاراً لوسعنَا أَرْزاقَهُم مكراً بهم وأستدرجوا لهم ، حتى يفتتنوا بها فنعتذبهم بها في الدنيا والآخرة . وهذا قول قاله الربع ابن أنس وزيد بن أسلم وأبيه والكلي والمثالي ويمان بن رباب وابن كيسان وأبو مجلز ؛ وأستدلوا بقوله تعالى : « فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِرُوا بِهِ فَتَحَنَّا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ » الآية ؛ وقوله تعالى : « وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةٌ وَاحِدَةٌ لَجَعَلْنَا مِنْ يَكْفُرُ بِالرِّحْمَنِ لِيُبُوِّهُمْ سُقُفًا مِنْ فِضْيَةٍ » الآية ؛ والأقوال أشبهه ؛ لأن الطريقة معرفة بالألف واللام فالأوجب أن تكون طريقتها طريقة المهدى ؛ ولأن الاستقامة لا تكون إلا مع المهدى . وفي صحيح مسلم عن أبي سعيد الخدري رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « أخوف ما أخاف عليكم ما يخرج الله لكم من زهرة الدنيا » قالوا : وما زهرة الدنيا ؟ قال : « بركات الأرض » . وذكر الحديث . وقال عليه السلام : « فو ألم ما الفقر أخشى عليكم وإنما أخشى عليكم أن تُبسط عليكم الدنيا [كما بُسطت على من قبلكم] فتنافسوها كما تنافسوها فتملككم كما أهلكم » .

قوله تعالى : « (وَمَنْ يُعِرضُ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ) يعني القرآن ؛ قاله ابن زيد . وفي إعرابه عنه وجهاً : أحدهما عن القبول إن قيل إنها في أهل الكفر . الثاني عن العمل إن قيل إنها في المؤمنين . وقيل : « (وَمَنْ يُعِرضُ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ) أى لم يشكر نعمه (يَسْلُكُهُ عَذَابًا صَعَدًا) » قرأ الكوفيون وعياش عن أبي عمرو « يَسْلُكُهُ » بالياء وآخراه أبو عبيد وأبو حاتم ؛ لذكر اسم الله أولاً فقال : « (وَمَنْ يُعِرضُ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ) . الباقيون « يَسْلُكُهُ » بالنون . وروى عن مسلم بن جنديب ضم النون وكسر اللام . وكذلك قرأ طحة والأعرج وهما لغتان سلکه وأسلکه بمعنى أى ندخله . « عَذَابًا صَعَدًا » أى شafa شديدة . قال ابن عباس : هو جبل في جهنم كلما جعلوا أيديهم عليه ذات . وعن ابن عباس : أن المعنى مشقة من العذاب . وذلك معلوم في اللغة أن الصعد المشقة ، تقول : تصعدني الأمور إذا شق عليك ؛ ومنه قول عمر : ما تصعدني شيء ما تصعدني خطبة النكاح . أى ما شق على .

(١) از يادة من صحيح الترمذى .

وعذاب صَعْدُ أى شديد . والصَّعْد مصدر صَعِد ؛ يقال : صَعِد صَعَداً وصَعُوداً فوصف به العذاب ؛ لأنَّه يتضمن العذاب أى يعلوه ويغله فلا يطيقه . وقال أبو عبيدة : الصَّعْد مصدر أى عذاباً ذَا صَعِد ، والمشى في الصَّعْد يشق . والصَّعْد العقبة الكثيرة . وقال عكرمة : هو حفرة ملساء في جهنم يُكَفَّ صعودها فإذا آتته إلى أعلىها حُدِرَ إلى جهنم . وقال الكلبي : يكفل الوليد بن المغيرة أن يصعد جبلاً في النار من حفرة ملساء ، يحذب من أمامه بسلاسل ، ويضرب من خلفه بمقامع حتى يبلغ أعلىها ، ولا يبلغ في أربعين سنة ، فإذا بلغ أعلىها أحدر إلى أسفلها ، ثم يكفل أيضاً صعودها ، فذلك دأبه أبداً ، وهو قوله تعالى : « سَارِهِهِ صَعُوداً » .

قوله تعالى : وَإِنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴿٢٨﴾

فيه ست مسائل :

الأولى — قوله تعالى : (وَإِنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ) « إِنَّ » بالفتح قيل : هو مردود إلى قوله تعالى : « قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ » أى قل أُوحى إلى أن المساجد لله . وقال الخليل : أى ولأنَّ المساجد لله . والمراد البيوت التي تبنيها أهل الملل للعبادة . وقال سعيد بن جبير : قالت الجن كيف لنا أن نأتي المساجد ونشهد معك الصلاة ونحن ناءون عنك ؟ فنزلت « وَإِنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ » أى بنيت لذكر الله وطاعته . وقال الحسن : أراد بها كل البقاع ؛ لأن الأرض كلها مسجد للنبي صلى الله عليه وسلم ، يقول : « أَيْمَنَا كُنْتُمْ فَصَلَوْا » "فَأَيْمَنَا صَلَيْتُمْ فَهُوَ مسجد" وفي الصحيح : « وَجَعَلْتُ لِلأَرْضِ مسجداً وَطَهُوراً » . وقال سعيد بن المسيب وطلق ابن حبيب : أراد بالمساجد الأعضاء التي يسجد عليها العبد ، وهي القدمان والركبتان واليدان والوجه ؛ يقول : هذه الأعضاء أنعم الله بها عليك فلا تسجد لغيرها فتجحد نعمة الله . قال عطاء : مساجدك أعضاؤك التي أمرت أن تسجد عليها لا تذللها لغير خالقها . وفي الصحيح عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « أَمْرَتُ أَنْ أُسْجِدَ عَلَى سَبْعَةِ أَعْظَمِ الْجَهَةِ — وَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى أَنفِهِ — وَالْيَدَيْنِ وَالرَّكْبَتَيْنِ وَأَطْرَافِ الْقَدَمَيْنِ » . وقال العباس قال النبي

صلى الله عليه وسلم : "إذا سجد العبد سجد معه سبعة آراب"^(١) . وقيل : المساجد هي الصلوات : أى لأن السجود لله . قاله الحسن أيضا ، فإن جعلت المساجد المواقع فواحدتها مسجد بكسر الجيم ، ويقال بالفتح ؛ حكاه الفراء . وإن جعلتها الأعضاء فواحدتها مسجد بفتح الجيم . وقيل : هو جمع مسجد وهو السجود ، يقال : سجدت سجوداً ومسجداً ؛ كما تقول : ضربت في الأرض ضرباً ومضرباً بالفتح إذا سرت في آيتغاء الرزق . وقال ابن عباس : المساجد هنا مكة التي هي القبلة وسميت مكة المساجد ، لأن كل أحد يسجد إليها . والقول الأول أظهر هذه الأقوال إن شاء الله ، وهو مروي عن ابن عباس رحمة الله .

الثانية — قوله تعالى : «للّهِ إضافة تشريف وتكرير ، ثم خص بالذكر منها البيت العتيق فقال : «وطَهَرَ بَيْتِي» وقال عليه السلام : "لا تُعمل المطى إلا إلى ثلاثة مساجد"^(٢) الحديث خرجه الأئمّة . وقد مضى الكلام فيه . وقال عليه السلام : "صلاة في مسجدي هذا خير من ألف صلاة فيها سواه إلا المسجد الحرام" قال ابن العربي : وقد روی من طريق لا يأس بها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : "صلاة في مسجدي هذا خير من ألف صلاة فيها سواه إلا المسجد الحرام فإن صلاة فيه خير من مائة صلاة في مسجدي" ولو صح هذا لكان نصاً .

قلت : هو صحيح بنقل العدل عن العدل حسب ما يتبناه في سورة «ابراهيم» .^(٣)

الثالثة — المساجد وإن كانت لله ملكاً وتشريفاً فإنها قد تنسب إلى غيره تعريفاً فيقال : مسجد فلان . وفي صحيح الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم سابق بين الخيل التي أضمرت من الحيفاء وأمدها ثنية الوداع ، وسابق بين الخيل التي لم تضمر من الثنية إلى مسجد بني زريق . وتكون هذه الإضافة بحكم محلية كأنها في قبليهم ، وقد تكون بتحييسهم ، ولا خلاف بين الأمة في تحييس المساجد والقناطر والمقابر وإن آختلفوا في تحييس غير ذلك .

(١) آراب : أعضاء واحداً «أرب» بالكسر والسكون .

(٢) راجع ج ١٠ ص ٢١١ والرواية المشهورة في الصحاح "لا تشد الرحال" كما مر للقرطبي .

(٣) راجع ج ٩ ص ٣٧١ فما بعدها .

الرابعة - مع أن المساجد لله لا يذكر فيها إلا الله فإنه تجوز القسمة فيها للأموال .
ويجوز وضع الصدقات فيها على رسم الاشتراك بين المساكين وكل من جاء أكل . ويجوز
حبس الغريم فيها ، وربط الأسير والنوم فيها ، وسكنى المريض فيها ، وفتح الباب للغار إليها ،
وإنشاد الشعر فيها إذا عـرى عن الباطل . وقد مضى هذا كله مبينا في سورة « براءة »
« والنور » وغيرهما .^(١)

الخامسة - قوله تعالى : (فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا) هذا توبیخ للشركـنـ فـ دعـاهـمـ
مع الله غيره في المسجد الحرام . وقال مجاهـدـ : كانت اليهود والنصارـى إذا دخلـوا كـاسـمـهمـ
وبيـعـهمـ أـشـرـكـوا بالـلهـ ، فأـمـرـ اللهـ نـبـيـهـ وـالـمـؤـمـنـينـ أـنـ يـخـلـصـواـ اللهـ الدـعـوـةـ إـذـاـ دـخـلـواـ المسـاجـدـ كـلـهاـ .
يـقـولـ : فلا تـشـرـكـواـ فـيهـ صـفـاـ وـغـيرـهـ مـاـ يـعـبـدـ . وـقـيـلـ : المـعـنىـ أـفـرـدـواـ المسـاجـدـ لـذـكـرـ اللهـ ،
وـلـأـتـخـذـوهـ هـنـزـاـ وـمـتـجـرـاـ وـمـجـلـسـاـ ، وـلـأـطـرـقـاـ ، وـلـأـتـجـعـلـواـ لـغـيرـ اللهـ فـيهـ نـصـيـباـ . وـفـيـ الصـحـيـحـ :
”مـنـ نـشـدـ ضـالـةـ فـيـ المسـجـدـ فـقـولـواـ لـأـرـدـهـ اللهـ عـلـيـكـ فـإـنـ المسـاجـدـ لـمـ تـبـنـ لـهـذـاـ“ وـقـدـ مـضـىـ
فـ سـوـرـةـ «ـ النـورـ »ـ ماـ فـيـهـ كـفـاـيـةـ مـنـ أـحـكـامـ المسـاجـدـ وـالـحمدـ للـهـ .

السادسة - روـيـ الضـحـاكـ عـنـ آـبـنـ عـبـاسـ عـنـ النـبـيـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ : كـانـ إـذـاـ
دـخـلـ المسـجـدـ قـدـمـ رـجـلـ الـيـمنـ . وـقـالـ : وـأـنـ الـمـسـاجـدـ لـلـهـ فـلـاـ تـدـعـواـ مـعـ اللـهـ أـحـدـاـ «ـ اللـهـمـ
أـنـ أـعـبـدـكـ وـزـائـرـكـ وـعـلـىـ كـلـ مـزـورـ حـقـ وـأـنـتـ خـيـرـ مـزـورـ فـأـسـأـلـكـ بـرـحـمـتـكـ أـنـ تـنـكـ رـبـيـ مـنـ النـارـ»ـ
فـإـذـاـ خـرـجـ مـنـ المسـجـدـ قـدـمـ رـجـلـ الـيـسرـىـ ؛ وـقـالـ : اللـهـمـ صـبـ علىـ الـخـيـرـ صـبـاـ وـلـأـتـنـزـعـ عـنـ
صـالـحـ مـاـ أـعـطـيـتـ أـبـداـ وـلـأـتـجـعـلـ مـعـيـشـتـ كـدـاـ وـأـجـعـلـ لـىـ فـيـ الـأـرـضـ جـدـاـ“ـ أـىـ غـنـىـ .

قولـهـ تـعـالـىـ : وـأـنـهـ لـمـاـ قـامـ عـبـدـ اللـهـ يـدـعـوـهـ كـادـواـ يـكـوـنـونـ
عـلـيـهـ لـبـدـاـ (٢١)ـ قـلـ إـنـمـاـ أـدـعـواـ رـبـيـ وـلـأـشـرـكـ يـهـ أـحـدـاـ (٢٢)
قـلـ إـنـيـ لـأـمـلـكـ لـكـمـ صـرـاـ وـلـأـرـشـدـاـ (٢٣)

(١) راجـعـ جـ ٨ـ صـ ١٠٤ـ فـاـ بـعـدـهـ . (٢) راجـعـ جـ ١٢ـ صـ ٢٦٥ـ فـاـ بـعـدـهـ .

قوله تعالى : « وَإِنْ لَمْ قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ » يجوز الفتح أى أو حى الله إليه أنه . ويجوز الكسر على الاستئناف . و « عبد الله » هنا مهد صلى الله عليه وسلم حين كان يصلى ببطن نخلة ويقرأ القرآن ، حسب ما تقدم أول السورة . « يَدْعُوهُ » أى يعبده . وقال ابن جرير : « يَدْعُوهُ » أى قام إليهم داعيا إلى الله تعالى . « كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا » قال الزبير بن العوام : هم الجن حين استمعوا القرآن من النبي صلى الله عليه وسلم . أى كاد يركب بعضهم بعضاً أزدحاماً ويسقطون حرصاً على سماع القرآن . وقيل : كادوا يركبونه حرصاً ؛ قاله الضحاك . ابن عباس : رغبة في سماع الذكر . وروى بُرُد عن مكحول : إن الجن بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذه الليلة وكانوا سبعين ألفاً ، وفرغوا من بيعته عند آنسقاق الفجر . وعن ابن عباس أيضاً : إن هذا من قول الجن لما رجعوا إلى قومهم أخبروهم بما رأوا من طاعة أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وآتتهم به في الركوع والسجود . وقيل : المعنى كاد المشركون يركب بعضهم بعضاً حرجاً على النبي صلى الله عليه وسلم . وقال الحسن وقتادة وأبن زيد : يعني « لما قام عبد الله » مهد بالدعوة تلبدت الإنس والجن على هذا الأمر ليطقوه وأبى الله إلا أن ينصره ويتم نوره . وأختار الطبرى أن يكون المعنى : كادت العرب يجتمعون على النبي صلى الله عليه وسلم ويتظاهرون على إطفاء النور الذى جاء به . وقال مجاهد : قوله « لِبَدًا » جمادات وهو من تلبد الشيء على الشيء أى تجتمع ، ومنه اللبد الذى يفرض لتراتك صوفه ، وكل شيء أصقته الصفا شديداً فقد لبدته ، وجمع البدة لبد مثل قربة وقرب . ويفقال للشعر الذى على ظهر الأسد لبدة وجمعها ليد ؟ قال زهير :

لَدَى أَسَدِ شَاكِي السَّلاجِ مُقْدِفٌ * لَهُ لِبَدٌ أَظْفَارُهُ لَمْ تُقْلِمْ

ويقال للجراد الكبير ليد . وفيه أربع لغات وقراءات ؛ ففتح الباء وكسر اللام ، وهى قراءة العامة . وضم اللام وفتح الباء ، وهى قراءة مجاهد وأبن محيصن وهشام عن أهل الشام واحدتها لبَدَة . وبضم اللام والباء ، وهى قراءة أبي حبيبة ومحمد بن السميق وأبى الأشمب العقيل

والبَحْدُرِي وَاحِدَهَا لَبْدٌ مِثْل سَقِيفٍ وَسُقِيفٍ وَرُهْنٍ وَرُهْنٍ . وبضم اللام وشدة الباء وفتحها ، وهي قراءة الحسن وأبي العالية والأعرج والبَحْدُرِي أيضاً واحدها لابد مثل راكع ورُكْعَ وساجد وسُجَّد . وقيل : الْبَدْ بضم اللام وفتح الباء الشيء الدائم ؛ ومنه قيل لنَسْرَ لَهَانَ لَبْدَ لدوامه وبقائه ؛ قال النابغة :

* آخْنَى عَلَيْهَا الَّذِي آخْنَى عَلَى لَبِدَ *

القشيري : وقرئ «لَبِداً» بضم اللام والباء وهو جمع لَبِد وهو الْحُوَاق الصغير . وفي الصحاح : [قوله تعالى] « أَهْلَكْتُ مَالًا لَبِدًا » أَي حَمَّا . ويقال أيضاً : الناس لَبَدُ أَي مجتمعون ،
وَاللَّبِدُ أَيضاً الَّذِي لَا يَسْافِرُ وَلَا يَرْجِعُ [منزله] . قال الشاعر :

مِنْ آمِرِيَّ ذِي سَماج لَا تَرَأَلْ لَهُ * بِزَلَاءٍ يَعِيْسَا يَهَا الْجَنَّاتِ الْلَّبِدُ

ويروى الْلَّبِدُ . قال أبو عبيد : وهو أشباهه . والزلاء ذو الرأي الجيد وفلان نهاض بيزلاء إذا كان

من يقوم بالأمور العظام ؛ قال الشاعر :

إِنِّي إِذَا شَغَلتُ قَوْمًا فُرُوجَهُمْ * رَحِبُّ الْمَسَالِكِ نَهَاضُ بِبِزَلَاءِ

وَلَبَدَ آخر نسور لهان وهو ينصرف ؛ لأنَّه ليس بمعدول . وتزعم العرب أنَّ لهان هو الذي
بعثته عاد في وفدها إلى الحرم يستنقى لها ، فلما أهلوكوا خير لهان بين بقاء سبع بعرات
سُمْرُ من أَظْيَفُ عُفْرِ في جبل وَعَرِ لَا يَمْسِها القَطْرُ أو بقاء سبعة أَنْسَرَ كَمَا هَلَكَ نَسْرَ خَلْفَ
بعده نَسْرَ فَاخْتَارَ النُّسُورَ ، وكان آخر نسوره يسمى لَبِدًا ، وقد ذكرته الشعراً ؛ قال النابغة :

اصْحَّتْ خَلَاءً وَأَمْسَى أَهْلَهَا آتَحَّمَلُوا * آخْنَى عَلَيْهَا الَّذِي آخْنَى عَلَى لَبِدِ

وَاللَّبِدُ الْحُوَاقُ الصَّغِيرُ ؛ يقال : الْبَدْتُ الْقِرْبَةَ جَعَلَهَا فِي لَبِدِ . وَلَبِدَ أَسْمَ شَاعِرٍ مِنْ بَنِي عَامِرٍ .

قوله تعالى : ((قَالَ إِنَّمَا أَدْعُو رَبِّي)) أَي قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِنَّمَا أَدْعُو رَبِّي »
((وَلَا أُشِيرُكُ بِهِ أَحَدًا)) وكذا قرأ أكثر القراء « قَالَ » على الخبر . وقرأ حمزة وعاصم « قُلْ » على

(١) الزيادة من اللسان مادة « لَبِدَ ». (٢) هو الراعي : والزلاء أيضاً الحاجة التي أحكم أمرها ،
والجناتة الذي لا يرجح من محله وبنته . (٣) قال شارح القاموس : هو بالمعنى المهملة ، ويوجد في بعض نسخ
الصحاح « بُهْرَاتٍ » بالقاف والذى في نسخ القاموس هو الأشباه إذ لا تولد البقر من الفلباء .

الأمر . وسبب تزويها أن كفار قريش قالوا له : إنك جئت بأمر عظيم وقد عاديت الناس كلهم فارجع عن هذا فنحن نجيرك فنزلت .

قوله تعالى : (قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا) أى لا أقدر أن أدفع عنكم ضرا ولا أسوق لكم خيرا . وقيل : « لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا » أى كفرا « وَلَا رَشَدًا » أى هدى أى إنما على التبليغ . وقيل : الضر العذاب والرشد النعم . وهو الأول بعيته . وقيل : الضر الموت والرشد الحياة .

قوله تعالى : قُلْ إِنِّي لَنْ يُحِيرَنِي مِنْ آللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحِدًا ۝ إِلَّا بَلَاغًا مِنْ آللَّهِ وَرِسَالَتِهِ وَمَنْ يَعْصِ آللَّهَ وَرَسُولَهُ، فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَلِيلِينَ فِيهَا أَبَدًا ۝ حَتَّى إِذَا رَأَوُا مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ مِنْ أَضْعَافُ نَاصِرًا وَأَقْلُ عَدَدًا ۝ قُلْ إِنْ أَدْرِي - أَقْرِيبٌ مَا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبُّكَ أَمَدًا ۝

قوله تعالى : (قُلْ إِنِّي لَنْ يُحِيرَنِي مِنْ آللَّهِ أَحَدٌ) أى لا يدفع عذابه عن أحد إن آسفت حفظه ; وهذا لأنهم قالوا آترك ما تدعوه إليه ونحن نجيرك . وروى أبو الجوزاء عن ابن سعوود قال : آنطلقت مع النبي صلى الله عليه وسلم ليلة القدر حتى أتي الجحون خطط على خطها ، ثم تقدم إليهم فآزاد حموا عليه فقال سيد لهم يقال له وردان : أنا أزجلهم عنك ؛ فقال : « إِنِّي لَنْ يُحِيرَنِي مِنْ آللَّهِ أَحَدٌ » ذكره الماوردي . قال : ويحمل معنيين أحدهما لـ نـ يـ حـ يـ رـ فـ مع إجازة الله لـ أحد ، الثاني لـ نـ يـ حـ يـ فـ مـاـ قـ دـ رـهـ اللهـ تـ عـ الـ عـ لـ لـ أـ حـ دـ . (وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحِدًا) أى ملتجأ أبداً إليه ؛ قاله قتادة . وعنـهـ : نـ صـ يـ رـ وـ مـوـ لـيـ . السـ دـيـ : حـ رـ زـ اـ . الـ كـ لـ بـيـ : مـ دـ خـ لـ اـ فـ الـ أـرـضـ مـ ثـ لـ السـ رـ بـ . وـ قـ يـ لـ : وـ لـ يـ لـ اـ وـ لـ مـوـ لـيـ . وـ قـ يـ لـ : مـ ذـ هـ بـاـ وـ لـ اـ مـ سـ لـ كـاـ . حـ كـاهـ آـ بـنـ شـ بـرـةـ وـ الـ مـعـنـيـ وـاحـدـ ؛ وـ مـنـهـ قولـ الشـاعـرـ :

(١) أزجلهم أى أدفعهم وفي نسخة أزحلهم بالحاء أى أخفيهم .

يَا هَنْفَ نَفْسِي وَهُنْفِي غَيْرُ مَجِدِيَّةُ * عَنِّي وَمَا مِنْ قَضَاءِ اللَّهِ مُلْتَحِدٌ
) إِلَّا بَلَاغًا مِنَ اللَّهِ وَرِسَالَاتِهِ (فَإِنْ فِيهِ الْأَمَانُ وَالنَّجَاةُ ، قَالَهُ الْحَسْنُ . وَقَالَ قَنْدَادَةُ : « إِلَّا
 بَلَاغًا مِنَ اللَّهِ » فَذَلِكَ الَّذِي أَمْلَكَهُ بِتُوفِيقِ اللَّهِ ، فَإِنَّمَا الْكُفَرُ وَالْإِيمَانَ فَلَا أَمْلَكُهُمَا . فَعَلِيُّ هَذَا
 يَكُونُ مَرْدُودًا إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى : « قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشْدًا » أَيْ لَا أَمْلِكُ لَكُمْ إِلَّا
 أَنْ أُبَلِّغُكُمْ . وَقَيْلُوهُ أَنْ أَسْتَثْنَأَهُ مِنْ قَطْعِهِ : « لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشْدًا » أَيْ إِلَّا أَنْ
 أُبَلِّغُكُمْ أَيْ لَكُنْ أُبَلِّغُكُمْ مَا أَرْسَلْتُ بِهِ ؛ قَالَهُ الْفَرَاءُ . وَقَالَ الزَّجَاجُ : هُوَ مَنْصُوبٌ عَلَى الْبَدْلِ
 مِنْ قَوْلِهِ : « مُلْتَحِدًا » أَيْ « وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحِدًا » إِلَّا أَنْ أُبَلِّغَ مَا يَأْتِيَنِي مِنَ اللَّهِ
 وَرِسَالَاتِهِ ؛ أَيْ وَمِنْ رِسَالَاتِهِ الَّتِي أَمْرَنِي بِتَبْلِيغِهَا . أَوْ إِلَّا أَنْ أُبَلِّغَ عَنِ اللَّهِ وَأَعْمَلَ بِرِسَالَتِهِ
 فَأَخْذَ نَفْسِي بِمَا آمَرَ بِهِ غَيْرِي . وَقَيْلُوهُ أَنْ مَصْدِرُهُ « لَا » بِمَعْنَى لَمْ وَ« إِنْ » لِلشَّرْطِ وَالْمَعْنَى
 لِنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحِدًا أَيْ إِنْ لَمْ أُبَلِّغَ رِسَالَاتِ رَبِّي بِبَلَاغًا .

قَوْلُهُ تَعَالَى : (وَمَنْ يَعْصِي اللَّهَ وَرَسُولَهُ) فِي التَّوْحِيدِ وَالْعِبَادَةِ . (فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ) كَسْرَتْ إِنْ ؛ لِأَنَّ مَا بَعْدَ فَاءِ الْجَزَاءِ مَوْضِعُ آبْتِدَاءِ وَقَدْ تَقَدَّمَ . (خَالِدِينَ فِيهَا) نَصْبٌ عَلَى
 الْحَالِ ، وَجَمْعُ « خَالِدِينَ » لِأَنَّ الْمَعْنَى لِكُلِّ مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ ، فَوَحْدَ أَوْلَا لِلْفَظِ « مَنْ » ثُمَّ جَمْع
 لِلْمَعْنَى . وَقَوْلُهُ (أَبَدًا) دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الْعَصِيَّانَ هُنَّ شَرِكَ . وَقَيْلُوهُ أَنَّهُمْ هُوَ الْمُعَاصِيُّونَ غَيْرُ الشَّرِكِ ،
 وَيَكُونُ مَعْنَى « خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا » إِلَّا أَنْ أَعْفُوا وَلَا تَحْقِّمُ شَفَاعَةً وَلَا مَحَالَةً إِذَا نَرْجُوا مِنَ الدُّنْيَا
 عَلَى إِلَيَّانِ يَلْحِقُهُمُ الْعَفْوُ . وَقَدْ مَضِيَ هَذَا الْمَعْنَى مِنْ بَيْنِ أَيْمَانِهِ فِي سُورَةِ « النَّسَاءِ » وَغَيْرِهَا .^(١)

قَوْلُهُ تَعَالَى : (حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ) « حَتَّىٰ » هُنَّ مُبْتَدَأٌ أَيْ « حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا
 مَا يُوعَدُونَ » مِنْ عَذَابِ الْآتِرَةِ أَوْ مَا يَوْعَدُونَ مِنْ عَذَابِ الدُّنْيَا ، وَهُوَ القَتْلُ بِبَدْرِ
 (فَسِيَّعَلُّمُونَ) حِينَئِذٍ (مَنْ أَضْعَفَ نَاصِرًا) أَهْمَمُ أَمَّ الْمُؤْمِنُونَ . (وَأَقْلَ عَدَدًا) مَعْطُوفٌ .

(١) راجع ج ٥ ص ٣٣٣ فَيَعْدُهَا .

قوله تعالى : « قُلْ إِنَّ أَدْرِي أَقَرِيبٌ مَا تُوعَدُونَ » يعني قيام الساعة . وقيل : عذاب الدنيا أى لا أدرى فـ « إِنْ » بمعنى « ما » أو « لا » ، أى لا يعرف وقت نزول العذاب ووقت قيام الساعة إلا الله ، فهو غيب لا أعلم منه إلا ما يعرفنيه الله . و « ما » في قوله « مَا يُوعَدُونَ » يجوز أن تكون بمعنى الذي ويقتدر حرف العائد . « أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّي أَمْدًا » أى غاية وأجلاء . وقرأ العامة بإسكان الياء من ربى . وقرأ الحرميان وأبو عمرو بالفتح .

قوله تعالى : عَالَمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا ۝ إِلَّا مَنِ آرَتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْكُنُ مِنْ بَيْنِ يَدِيهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا ۝

فيه مسئلان :

الأولى — قوله تعالى : « عَالَمُ الْغَيْبِ » « عَالَمُ » رفعنا نعتا لقوله « رَبِّي » . وقيل : (١) أى هو « عَالَمُ الْغَيْبِ » والغيب ما غاب عن العباد . وقد تقدم بيانه في أول سورة « البقرة ») فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَجَدًا . إِلَّا مَنِ آرَتَضَى مِنْ رَسُولٍ (فإنه يظهره على ما يشاء من غيبه ؛ (٢) لأن الرسل مؤيدون بالمعجزات ، ومنها الإخبار عن بعض الغائبات ؛ وفي التنزيل « وَأَنْبَثْمُ بَمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْرِحُونَ فِي بُوْتِكُمْ » . وقال ابن جبرير : « إِلَّا مَنِ آرَتَضَى مِنْ رَسُولٍ » هو جبريل عليه السلام . وفيه بعد والأولى أن يكون المعنى ؛ أى لا يظهر على غيبه إلا من آرضاً أى آصطفى للنبوة فإنه يطلع على ما يشاء من غيبه ؛ ليكون ذلك دالاً على نبوته .

الثانية — قال العلماء رحمة الله عليهم : لما تدرج سبحانه بعلم الغيب وأستأثر به دون خلقه ، كان فيه دليل على أنه لا يعلم الغيب أحد سواه ، ثم آتى من آرضاً من آرضاً من الرسل ، فأودعهم ما شاء من غيبه بطريق الوحي إليهم ، وجعله معجزة لهم ودلالة صادقة على نبوتهم . وليس المنجم ومن ضاهاه من يضرب بالمحض وينظر في الكتب ويزجر بالطير من آرضاً من

(١) رابع ج ١ ص ١٦٣ فـ بعدها طبعة ثانية أو ثلاثة .

(٢) رابع ج ٤ ص ٩٥

رسول فيطلعه على ما يشاء من غيبة ، بل هو كافر بالله مفتر عليه بمحضه وكتابه . قال بعض العلماء : وليت شعرى ما يقول المنجم في سفينته ركب فيها ألف إنسان على اختلاف أحواهم ، وتبين رتبهم ، فيهم الملك والسوقة ، والعالم والجاهل ، والغنى والفقير ، والكبير والصغير ، مع اختلاف طوالهم ، وتبين مواليدتهم ، ودرجات نجومهم ، فعمهم حكم الغرق في ساعة واحدة ؟ فإن قال المنجم قبحه الله : إنما أغرقهم الطالع الذي ركبوا فيه ، فيكون على مقتضى ذلك أن هذا الطالع أبطل أحكام تلك الطوافع كلها على اختلافها عند ولادة كل واحد منهم ، وما يتضمنه طالعه المخصوص به فلا فائدة أبداً في عمل المواليد ، ولا دلالة فيها على شيء . ولا سعيد ، ولم يبق إلا معاندة القرآن العظيم . وفيه استحلال دمه على هذا النجم ، ولقد أحسن الشاعر حيث قال :

حَكْمُ الْمَنْجُومِ أَنَّ طَالَعَ مُولِّدِي * يَقْبِضُ عَلَى عِيَّتَةِ الْفَرَقِ
قُلْ لِلْمَنْجُومِ صَبَحَةَ الطُّوفَانِ هَلْ * وُلِّدَ الْجَمِيعُ بِكَوْكِ الْفَرَقِ

وقيل لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه لما أراد لقاء الخوارج : ألقاهم والقمر في العقرب ؟ فقال رضي الله عنه : فain قبرهم ؟ وكان ذلك في آخر الشهر . فأنظر إلى هذه الكلمة التي أجاب بها ، وما فيها من المبالغة في الرد على من يقول بالتنجيم ، والإخاف ل بكل جاهل يتحقق أحكام النجوم . وقال له مسافر بن عوف : يا أمير المؤمنين ! لا تسرف في هذه الساعة وسرف في ثلاثة ساعات يمضين من النهار . فقال له على رضي الله عنه : ولم ؟ قال : إنك إن سرت في هذه الساعة أصحابك وأصحاب أصحابك بلاه وضر شديد ، وإن سرت في الساعة التي أمرتك بها ظفرت وظهرت وأصببت ما طلبت . فقال على رضي الله عنه : ما كان لحمد صل الله عليه وسلم منجم ولا لنا من بعده — في كلام طويل يحتاج فيه بآيات من التزيل — فلن صدقك في هذا القول لم آمن عليه أن يكون كمن آتنيه من دون الله ندا أو ضدًا ، اللهم لا طير إلا طيرك ولا خير إلا خيرك . ثم قال للتكلم : نكذبك ونخالفك ونسير في الساعة التي تهانا عنها . ثم أقبل على الناس فقال : يا أيها الناس إياكم وتعلم النجوم إلا ما تهتدون

بـه في ظلمات البر والبحر ، وإنما المنجم كالساحر والساـحر كالكافر والكافر في النار ، والله لئن بلغـي أنك تنظر في النجوم وتعـمل بها لأخـلـدـنـكـ فـي الـحـبـسـ ماـ بـقـيـتـ وـبـقـيـتـ ، ولاـ حـرـمـكـ العـطـاءـ ماـ كـانـ لـىـ سـلـطـانـ . ثمـ سـافـرـ فـي السـاعـةـ الـتـىـ نـهـاـهـ عـنـهـ ، وـلـقـيـتـ الـقـوـمـ فـقـتـلـهـمـ وـهـيـ وـقـعـةـ النـهـرـوـانـ الثـابـتـةـ فـي الصـحـيـحـ مـسـلـمـ . ثمـ قـالـ : لوـ سـرـنـاـ فـي السـاعـةـ الـتـىـ أـمـرـنـاـ بـهـاـ وـظـفـرـنـاـ وـظـهـرـنـاـ لـقـالـ قـائـلـ سـارـ فـي السـاعـةـ الـتـىـ أـمـرـ بـهـاـ المـنـجـمـ ، مـاـ كـانـ لـمـحـمـدـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ مـنـجـمـ وـلـاـ لـنـاـ مـنـ بـعـدـ ، فـتـحـ اللـهـ عـلـيـنـاـ بـلـادـ كـسـرـىـ وـقـيـصـرـ وـسـأـرـ الـبـلـدـانـ . ثمـ قـالـ : يـأـيـهـاـ النـاسـ ! توـكـلـوـاـ عـلـىـ اللـهـ وـتـقـوـاـ بـهـ ؛ فـإـنـهـ يـكـفـيـ مـنـ سـوـاهـ . ((فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا)) يـعـنىـ مـلـائـكـةـ يـحـفـظـونـهـ عـنـ أـنـ يـقـرـبـ مـنـ شـيـطـانـ ، فـيـحـفـظـ الـوـحـىـ مـنـ آـسـتـرـاقـ الشـيـاطـينـ وـالـإـلـقاءـ إـلـىـ الـكـهـنـةـ . قـالـ الصـحـاحـ : مـاـ بـعـثـ اللـهـ نـبـيـاـ إـلـاـ وـمـعـهـ مـلـائـكـةـ يـحـرسـونـهـ مـنـ الشـيـاطـينـ عـنـ أـنـ يـتـشـبـهـاـ بـصـورـةـ الـمـلـكـ ، فـإـذـاـ جـاءـهـ شـيـطـانـ فـيـ صـورـةـ الـمـلـكـ قـالـواـ : هـذـاـ شـيـطـانـ فـاحـذـرـهـ . وـإـنـ جـاءـهـ الـمـلـكـ قـالـواـ : هـذـاـ رـسـولـ رـبـكـ . وـقـالـ آـبـنـ عـبـاسـ وـآـبـنـ زـيـدـ : «ـ رـصـدـاـ »ـ أـىـ حـفـظـةـ يـحـفـظـونـ النـبـيـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ مـنـ أـمـامـهـ وـوـرـائـهـ مـنـ إـلـحـنـ وـالـشـيـاطـينـ . قـالـ قـاتـادـةـ وـسـعـيدـ بـنـ الـمـسـيـبـ : هـمـ أـرـبـعـةـ مـنـ الـمـلـائـكـةـ حـفـظـةـ . وـقـالـ الـفـرـاءـ : الـمـرـادـ جـبـرـيـلـ ؟ـ كـانـ إـذـاـ نـزـلـ بـالـرـسـالـةـ نـزـلـتـ مـعـهـ مـلـائـكـةـ يـحـفـظـونـهـ مـنـ أـنـ تـسـتـمعـ إـلـىـ الـجـنـ الـوـحـىـ فـيـلـقـوـهـ إـلـىـ كـهـنـتـهـمـ فـيـسـبـقـوـاـ بـهـ الرـسـولـ . وـقـالـ السـدـىـ : «ـ رـصـدـاـ »ـ أـىـ حـفـظـةـ يـحـفـظـونـ الـوـحـىـ ، فـاـ جـاءـ مـنـ عـنـ اللـهـ قـالـواـ إـنـهـ مـنـ عـنـ اللـهـ ، وـمـاـ أـلـقـاهـ الشـيـطـانـ قـالـواـ إـنـهـ مـنـ الشـيـطـانـ . وـ «ـ رـصـدـاـ »ـ (١) نـصـبـ عـلـىـ الـمـفـعـولـ . وـفـيـ الصـحـاحـ : وـالـرـصـدـ الـقـوـمـ يـرـصـدـونـ كـالـحـرـسـ يـسـتـوـيـ فـيـهـ الـوـاحـدـ وـالـجـمـعـ وـالـمـذـكـرـ وـالـمـؤـنـثـ وـرـبـاـ قـالـواـ أـرـصـادـاـ وـالـرـاصـدـ لـلـشـيـءـ الـرـاقـبـ لـهـ ؟ـ يـقـالـ : رـصـدـهـ يـرـصـدـهـ رـصـدـاـ وـرـصـدـاـ . وـالـرـصـدـ التـرـقـبـ وـالـمـرـصـدـ مـوـضـعـ الرـصـدـ .

(١) هذا الكلام يـنـافـيـ قولـهـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ : «ـ إـنـ اللـهـ قـدـ عـصـمـيـ مـنـ الـإـنـسـ وـالـجـنـ »ـ (الـحـدـيـثـ جـ ٦ صـ ٤٤) وـأـنـ الشـيـاطـينـ لاـ يـمـكـنـ أـنـ يـتـالـوـاـ مـنـ عـلـيـهـ السـلـامـ ، فـكـيفـ يـلـقـونـ إـلـيـهـ حقـ لـاـ يـفـرـقـ بـيـنـ مـاـ يـلـقـونـهـ وـبـيـنـ الـوـحـىـ إـلـىـ تـبـيـهـ لـهـ الـمـلـائـكـةـ .

قوله تعالى : **لَيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالَتِ رَبِّهِمْ وَاحْاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ**
وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا ﴿٢٨﴾

قوله تعالى : **(لَيَعْلَمَ)** قال قتادة ومقاتل : أى ليعلم محمد أن الرسل قبله قد أبلغوا
 الرسالة كالمخالفة هو الرسالة . وفيه حذف يتعلق به اللام ؛ أى أخبرناه بحفظنا الوحي ليعلم أن
 الرسل قبله كانوا على مثل حالته من التبليغ بالحق والصدق . وقيل : ليعلم محمد أن قد أبلغ
 جبريل ومن معه إليه رسالة ربه ؛ قاله ابن جبير . قال : ولم ينزل الوحي إلا ومعه أربعة
 حفظة من الملائكة عليهم السلام . وقيل : ليعلم الرسل أن الملائكة بلغوا رسالات ربهم .
 وقيل : ليعلم الرسول أى رسول كان أن الرسل سواه بلغوا . وقيل : أى ليعلم إبليس أن
 الرسل قد أبلغوا رسالات ربهم سليمة من تخلطيه وأستراق أصحابه . وقال ابن قتيبة : أى
 ليعلم الحق أن الرسل قد بلغوا ما أنزل عليهم ولم يكونوا هم المبلغين بأستراق السمع عليهم .
 وقال مجاهد : ليعلم من كذب الرسل أن المرسلين قد بلغوا رسالات ربهم . وقراءة الجماعة
 «**لَيَعْلَمَ**» بفتح الياء وتأويله ما ذكرناه . وقرأ ابن عباس ومجاهد وحميد ويعقوب بضم
 الياء أى **لَيُعْلَمَ النَّاسُ** أَنَّ الرَّسُولَ قد أَبْلَغَهُوا . وقال الزجاج : أى **لَيَعْلَمَ اللَّهُ أَنَّ رَسُولَهُ قد أَبْلَغَهُوا**
 رسالاته بفتح الياء ، كقوله تعالى : **وَلَمَّا يَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ** «
 المعنى ؛ ليعلم الله ذلك علم مشاهدة كما علمه غيبا . **(وَاحْاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ)** أى أحاط علمه
 بما عندهم ؛ أى بما عند الرسل وما عند الملائكة . وقال ابن جبير : المعنى ؛ ليعلم الرسل أن
 ربهم قد أحاط علمه بما لديهم فيبلغوا رسالاته . **(وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا)** أى أحاط بعدد
 كل شيء وعرفه وعلمه فلم يخف عليه منه شيء . و «**عددا**» نصب على الحال ؛ أى أحصى
 كل شيء في حال العدد ، وإن شئت على المصدر ؛ أى أحصى وعد كل شيء عددا ، فيكون
 مصدر الفعل المدحوف . فهو سبحانه المحصى المحيط العالم الحافظ لكل شيء . وقد بينا جميعه
 في الكتاب الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى . والحمد لله وحده .

سورة المزمل

وهي سبع وعشرون آية مكية كلها في قول الحسن وعكرمة وعطاء وجابر .

وقال ابن عباس وقتادة : إلا آيتين منها « وَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ » والى تلها ، ذكره الماوردي . وقال الثعلبي : قوله تعالى « إِن رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُولُ أَدْقَى » إلى آخر السورة فإنه نزل بالمدينة .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قوله تعالى : يَأَيُّهَا الْمُزَمِّلُ قُمْ أَلَيْلَ إِلَّا قَلِيلًا نِصْفَهُ^(١)
أَوْ أَنْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا^(٢) أَوْ زَدْ عَلَيْهِ وَرَتِيلَ أَلْقُرْنَةَ أَنْ تَرِيلًا

فيه ثمان مسائل :

الأولى — قوله تعالى : (يَأَيُّهَا الْمُزَمِّلُ) قال الأخفش سعيد : « المزمل » أصله المترمل فادغمت الناء في الزاي وكذلك « المذتر » . وقرأ أبي بن كعب على الأصل « المترمل » و « المذتر » . وسعيد « المزمل » . وفي أصل « المزمل » قوله : أحدهما أنه المتحمل^(١) يقال : زَمَلَ الشَّيْءَ إِذَا حَلَّهُ ، ومنه الزاملة ؛ لأنها تحمل القماش . الثاني أن المزمل هو المترافق ؛ يقال : تزمل وتذتر بشو به إذا تغطى وزمل غيره إذا غطاه ، وكل شيء لفف فقد زَمَلَ وَذَرَ ، قال أمرو القيس^(٢) :

* كَيْرُ أَنَّاسٍ فِي بَحَاجَةٍ مُزَمِّلٍ *

(١) لعل هذا ما أراده بعض المفسرين بقولهم : قرأ بعض السلف « المزمل » بفتح الزاي وتحقيقها وفتح الميم

وشدتها . (٢) قاش البيت مناعه .

(٣) صدر البيت : * كأن أباها في أفالين ودقة *

الثانية — قوله تعالى : «يَا يَهُا الْمُزَمْلُ» هذا خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وفيه ثلاثة أقوال : الأول قول عكرمة «يَا يَهُا الْمُزَمْلُ» بالنبوة والملتم للرسالة . وعنه أيضاً : يأيها الذي زَمَلَ هذا الأمر أى حمله ثم فتر ، وكان يقرأ «يَا يَهُا الْمُزَمْلُ» بتففيف الزاي وفتح الميم وتشديدها على حذف المفعول ، وكذلك «الْمَدْرُّ» والمعنى المزمول نفسه والمدتر نفسه ، أو الذى زَمَلَ غيره . الثاني «يَا يَهُا الْمُزَمْلُ» بالقرآن ؛ قاله ابن عباس . الثالث المزمول بثيابه ؛ قاله قتادة وغيره . قال النخعي : كان متربلاً بقطيفة . عائشة : يمْرِط طوله أربعة عشر ذراعاً ، نصفه على وأنا نائمة ، ونصفه على النبي صلى الله عليه وسلم وهو يصلى ، والله ما كان حَرَّاً ولا قَزَّاً ولا مِرِعنَاءَ ولا إِبْرِيسَاءَ ولا صوفاً ؛ كان سَدَاه شعراً وحُجْته وَبَرَاءَ ذَكْرَه الثعلبي .

قلت : وهذا القول من عائشة يدل على أن السورة مدنية ؛ فإن النبي صلى الله عليه وسلم لم يبن بها إلا في المدينة . وما ذكر من أنها مكية لا يصح . والله أعلم . وقال الضحاك : تزمل بثيابه لمنامه . وقيل : بلغه من المشركين سوء قوله فيه ، فأشتد عليه فتزمل في ثيابه وتذرث فنزلت : «يَا يَهُا الْمُزَمْلُ» و «يَا يَهُا الْمَدْرُّ» . وقيل : كان هذا في آبتداء ما أوحى إليه ، فإنه لما سمع قول الملك ونظر إليه أخذته الرعدة فأتى أهله فقال : «زَقْلُونِي دَرْوَنِي» روى معناه عن ابن عباس . وقالت الحكاء : إنما خاطبه بالمزمول والمدتر في أول الأمر ؛ لأنه لم يكن بعد آذثر شيئاً من تبلیغ الرسالة . قال ابن العربي : وأختلف في تأويل «يَا يَهُا المزمل» فنهم من حمله على حقيقته ، قيل له : يامن تلفف في ثيابه أو في قطفيته قم ؛ قاله إبراهيم وقتادة . ومنهم من حمله على المجاز كأنه قيل له : يامن تزمل بالنبوة ؛ قاله عكرمة . وإنما يسوغ هذا التفسير لو كانت الميم مفتوحة مشددة بصيغة المفعول الذى لم يتم فاعله ، وأما وهو بلفظ الفاعل فهو باطل .

قلت : وقد بینا أنها على حذف المفعول ، وقد قرئ بها فهی صحيحة المعنى . قال : وأما من قال إنه زمل القرآن فهو صحيح في المجاز لكنه قد قدمنا أنه لا يحتاج إليه .

(١) المرعَاء بكسر الميم والعين : الرغب الذى تحث شعر العز .

الثالثة — قال السميلى : ليس المزقل بأسم من أسماء النبي صلى الله عليه وسلم ، ولم يعرف به كاذب إليه بعض الناس وعده في أسمائه ، وإنما المزقل أسم مشتق من حالته التي كان عليها حين الخطاب ، وكذلك المذتر . وفي خطابه بهذا الأسم فائدةتان : إحداهما الملاطفة فإن العرب إذا قصدت ملاطفة المخاطب وترك المعاتبة سموه بأسم مشتق من حالته التي هو عليها ؛ كقول النبي صلى الله عليه وسلم لعل حين غاضب فاطمة رضي الله عنها ، فاتاه وهو نائم وقد لصق بجنبه التراب فقال له : « قم يا أبا تراب » إشعارا له أنه غير عاتب عليه ولطفة له . وكذلك قوله عليه السلام لحذيفة : « قم يانومان » وكان ناماً ملاطفة له وإشعارا لترك العتب والتأنيب . فقول الله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم : « يَا إِيمَانَ الْمَزْقُلْ . قُمْ » فيه تأنيس ولطفة ؛ ليستشعر أنه غير عاتب عليه . والفائدة الثانية التنبيه لكل متزمل راقد ليلاً ليتنبه إلى قيام الليل وذكر الله تعالى فيه ؛ لأن الأسم المشتق من الفعل يشترك فيه مع المخاطب كل من عمل ذلك العمل وأتصف بتلك الصفة .

الرابعة — قوله تعالى : « قُمِ اللَّيْلَ » قراءة العامة بكسر الميم لأنقاء الساكين . وقرأ أبو السمال بضم الميم إتباعا لضمة القاف . وحكي الفتح لخلفه . قال عثمان بن جنكي : الغرض بهذه الحركة التبليغ بها هريرا من أنقاء الساكين ، فإيا حرقة تحركت فقد وقع الغرض . وهو من الأفعال القاصرة غير المتدنية إلى مفعول ، فاما ظرف الزمان والمكان فسائع فيه إلا أن ظرف المكان لا يتعذر إليه إلا بواسطة ؛ لانقول : قمت الدار حتى تقول قمت وسط الدار وخارج الدار . وقد قيل : إن « قم » هنا معناه صل ؛ عبر به عنه واستعير له حتى صار عرساً بكثره الاستعمال .

الخامسة — « الْلَّيْلَ » حد الليل من غروب الشمس إلى طلوع الفجر . وقد تقدم بيانه في سورة « البقرة » وأختلف هل كان قيامه فرضاً وحثاً ، أو كان ندباً وغضباً ، والدلائل تقوى أن قيامه كان حثاً وفرض ، وذلك أن الندب والغضب لا يقع على بعض الليل

(١) راجع ج ٢ ص ١٩٢ طبعة ثانية .

دون بعض ، لأن قيامه ليس مخصوصاً به وقتاً دون وقت . وأيضاً فقد جاء التوفيق بذلك عن عائشة وغيرها على ما يأتي . وآختلف أيضاً هل كان فرضاً على النبي " صلى الله عليه وسلم وحده ، أو عليه وعلى من كان قبله من الأنبياء ، أو عليه وعلى أمته ؟ ثلاثة أقوال : الأول قول سعيد بن جبير لتوجه الخطاب إلى خاصة . الثاني قول ابن عباس ، قال : كان قيام الليل فريضة على النبي " صلى الله عليه وسلم وعلى الأنبياء قبله . الثالث قول عائشة وابن عباس أيضاً وهو الصحيح ؛ كاف في صحيح مسلم عن زراة بن أوفى أن سعد بن هشام بن عامر أراد أن يغزو في سبيل الله ؛ الحديث . وفيه فقلت لعائشة : أبنتيني عن قيام رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقالت : ألسْتَ تقرأ « يَا يَهُوا الْمَزْمُلُ » قلت : بلى ! قالت : فإن الله عن وجل آفترض قيام الليل في أقل هذه السورة فقام صلى الله عليه وسلم وأصحابه حولاً ، وأمسك الله عن وجل خاتمتها آثني عشر شهراً في السماء ، حتى أنزل الله عن وجل في آخر هذه السورة التخفيف ، فصار قيام الليل تطوعاً بعد فريضة . وذكر الحديث . وذكر وكيع ويعلق قالاً : حدثنا مسعود عن سماعة الحنفي قال : سمعت ابن عباس يقول لما أنزل أول « يَا يَهُوا الْمَزْمُلُ » كانوا يقومون نحووا من قيامهم في شهر رمضان حتى نزل آخرها ، وكان بين أوقاتها وآخرها نحو من سنة . وقال سعيد بن جبير : مكث النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه عشر سنين يقومون الليل فنزل بعد عشر سنين « إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكُمْ تَقُومُ أَدْنَى مِنْ ثُلُثَيِ اللَّيْلِ » نفف الله عنهم .

ال السادسة — قوله تعالى : « إِلَّا قَلِيلًا 》 آستثناء من الليل ، أى صل الليل كله إلا يسيراً منه ؛ لأن قيام بجيده على الدوام غير ممكن ، فأستثنى منه القليل لراحة الجسد . والقليل من الشيء ما دون النصف ؛ فخكي عن وهب بن منبه أنه قال : القليل مادون المشار والسدس . وقال الكابي ومقاتل : الثالث . ثم قال تعالى : « نِصْفَهُ أَوْ أَنْفُصَ مِنْهُ قَلِيلًا 》 فكان ذلك تخفيفاً إذ لم يكن زمان القيام محدوداً ، فقام الناس حتى ورمت أقدامهم ، ثم نسخ ذلك بقوله تعالى : « عَلِمَ أَنَّ لَنْ تُحْصُوْهُ 》 . وقال الأخفش : « نِصْفَهُ أَوْ نِصْفَهُ ؟ يقال : أعطه درهماً درهرين ثلاثة يريد أو درهرين أو ثلاثة . وقال الزجاج : « نِصْفَهُ 》 بدل من الليل

و «إِلَّا قَلِيلًا» آستثناء من النصف . والضمير في «منه» و «عليه» للنصف . المعنى : قم نصف الليل أو أقصى من النصف قليلا إلى الثالث أو زد عليه قليلا إلى الثلثين ؛ فكأنه قال : قم ثالث الليل أو نصفه أو ثلثه . وقيل : إن «نصفه» بدل من قوله «قليلًا» وكان مخيرا بين ثلاث : بين قيام النصف بقابمه ، وبين الناقص منه ، وبين قيام الزائد عليه ، كأن تقدير الكلام : قم الليل إلا نصفه ، أو أقل من نصفه ، أو أكثر من نصفه . وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "ينزل الله عن وجہ إلى سماء الدنيا كل ليلة حين يمضى ثلث الليل الأول فيقول أنا الملك أنا الملك من ذا الذي يدعوني فأستجيب له من ذا الذي يسألني فأعطيه من ذا الذي يستغفرني فأغفر له فلا يزال كذلك حتى يضيء الفجر" . ونحوه عن أبي هريرة وأبي سعيد جيعا وهو يدل على ترغيب قيام ثالث الليل . وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "إذا مضى شطر الليل — أو ثلاثة — ينزل الله" الحديث . رواه من طريقين عن أبي هريرة هكذا على الشك . وقد جاء في كتاب النساء عن أبي هريرة وأبي سعيد رضي الله عنهما قالا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "إن الله عن وجہ يمهد حتى يمضي شطر الليل الأول ثم يأمر مناديا يقول هل من داع يستجاب له هل من مستغفر يغفر له هل من سائل يعطى" صحيحه أبو محمد عبد الحق فيين هذا الحديث مع صحته معنى التزول ، وأن ذلك يكون عند نصف الليل . وخرج ابن ماجه من حديث ابن شهاب ، عن أبي سلمة وأبي عبدالله الأغر ، عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "ينزل ربنا تبارك وتعالى حين يبقي ثلث الليل الآخر كل ليلة فيقول من يسألني فأعطيه من يدعوني فأستجيب له من يستغفرني فأغفر له حتى يطلع الفجر" . فكانوا يستحبون صلاة آخر الليل على قوله . قال علامونا : وبهذا الترتيب آتنظم الحديث والقرآن فإنما يبصران من مشكاة واحدة . وفي الموطأ وغيره من حديث ابن عباس : بـث عند خاتي ميمونة حتى إذا آتى نصف الليل أو قبله بقليل أو بعده بقليل آتيقظ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقام إلى شئ معلق فتوضاً وضوءاً خفيفاً . وذكر الحديث .

السابعة — آختلف العلماء في الناسخ للأمر بقيام الليل ؟ فعن ابن عباس وعائشة أن الناسخ للأمر بقيام الليل قوله تعالى : « إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِنْ ثُلُثَيِ اللَّيْلِ » إلى آخر السورة . وقيل قوله تعالى : « عَلِمَ أَنَّهُ مُحَصُّوهُ » . وعن ابن عباس أيضاً : هو منسوخ بقوله تعالى : « عَلِمَ أَنَّ سَيْكُونُ مِنْكُمْ مَرْضٌ » . وعن عائشة أيضاً والشافعي ومقاتل وأبن كيسان : هو منسوخ بالصلوات الخمس . وقيل الناسخ لذلك قوله تعالى : « فَاقْرُءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ » . قال أبو عبدالرحمن السلمي : لما نزلت « يَا يَاهَا الْمَزْمُولَ » فامواحتى ورمت أقدامهم وسُوقهم ، ثم نزل قوله تعالى : « فَاقْرُءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ » . قال بعض العلماء : وهو فرض نسخ به فرض ؛ كان على النبي صلى الله عليه وسلم خاصة لفضلة ؛ كما قال تعالى : « وَمِنَ الَّيْلِ قَمَدْ يَهْ تَأْفَلَهَ لَكَ » .

قلت : القول الأول يعم جميع هذه الأقوال ، وقد قال تعالى : « وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ » فدخل فيها قول من قال إن الناسخ الصلوات الخمس . وقد ذهب الحسن وأبن سيرين إلى أن صلاة الليل فريضة على كل مسلم ولو على قدر حلب شاة . وعن الحسن أيضاً أنه قال في هذه الآية : الحمد لله تطوع بعد الفريضة . وهو الصحيح إن شاء الله تعالى ؛ لما جاء في قيامه من الترغيب والفضل في القرآن والسنة . وعن عائشة رضي الله عنها قالت : كنت أجعل للنبي صلى الله عليه وسلم حصيراً يصلى عليه من الليل ، فدخل البيت كالمغضوب ، بفعلوا جماعتهم كره ذلك ، وخشي أن يكتب عليهم قيام الليل ، فدخل البيت كالمغضوب ، بفعلوا يتحنحرون ويتفلون نخرج إليهم فقال : « أَيُّهَا النَّاسُ أَكْلَفْنَا مِنَ الْأَعْمَالِ مَا تُطِيقُونَ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ مِنَ الثَّوَابِ حَتَّى تَمَلُّوْا مِنَ الْعَمَلِ وَإِنْ خَيْرُ الْعَمَلِ أَدْوَمُهُ وَإِنْ قَلَ » فنزلت « يَا يَاهَا الْمَزْمُولَ » فكتب عليهم ، فأنزل بمنزلة الفريضة حتى أن كان أحدهم ليربط الحبل فيتعلق به ، فنكحوا ثمانية أشهر فرحمهم الله وأنزل « إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِنْ ثُلُثَيِ اللَّيْلِ » فردهم الله إلى الفريضة ، ووضع عنهم قيام الليل إلا ما تطوعوا به .

(١) أَكْلَفْنَا : هو من كلفت بالأمر إذا أرلعت به وأجبيته .

قلت : حديث عائشة هذا ذكره الثعلبي ، ومعناه ثابت في الصحيح إلى قوله : « وإن قل » وباقيه يدل على أن قوله تعالى : « يَا يَاهَا الْمَزْمُلُ » نزل بالمدينة وأنهم مكثوا ثانية أشهر يقومون . وقد تقدم عنها في صحيح مسلم : حولا . وحكي الماوردي عنها قولًا ثالثا وهو ستة عشر شهرا لم يذكر غيره عنها . وذكر عن ابن عباس أنه كان بين أول المزمل وآخرها سنة ؛ قال : فأما رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد كان فرضا عليه ؛ وفي نسخه عنه قولان : أحدهما — أنه كان فرضه عليه إلى أن قبضه الله تعالى . الثاني — أنه نسخ عنه كما نسخ عن أمته . وفي مدة فرضه إلى أن نسخ قولان : أحدهما — المدة المفروضة على أمته في القولين الماضيين يريد قول ابن عباس حولا وقول عائشة ستة عشر شهرا . الثاني — أنها عشر سنين إلى أن خفف عنه بالنسخ زيادة في التكليف ليجزئ بفعل الرسالة ؛ قاله ابن جبير .

قلت : هذا خلاف ما ذكره الثعلبي عن سعيد بن جبير حسب ما تقدم فتأمله . وسيأتي لهذه المسألة زيادة بيان في آخر السورة إن شاء الله تعالى .

الثامنة — قوله تعالى : « وَرَتَّلَ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا » أى لا تتعجل بقراءة القرآن بل أقرأه في مهل وبيان مع تدبر المعاني . وقال الضحاك : أقرأه حرفا حرفا . وقال مجاهد : أحب الناس في القراءة إلى الله أعقلهم عنه . والترتيب التنضيد والتنسيق وحسن النظم ؛ ومنه ثغر رَتَّل ورَتَّل بكسر العين وفتحها إذا كان حسن التنضيد . وقد تقدم بيانه في مقدمة الكتاب .
 وروى الحسن أن النبي صلى الله عليه وسلم مر بمن يقرأ آية وييأس فقال : « ألم تسمعوا إلى قول الله عن وجل « وَرَتَّلَ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا » هذا الترتيل » . وسمع عَلَقْمَة رجلا يقرأ قراءة حسنة فقال : لقد رَتَّلَ القرآن فداء أبي وأمي . وقال أبو بكر بن طاهر : تدبر في لطائف خطابه ، وطالب نفسك بالقيام بأحكامه ، وقلبك بفهم معانيه ، وسرك بالإقبال عليه . وروى عبد الله بن عمرو قال قال النبي صلى الله عليه وسلم : « يُؤْتَى بقارئ القرآن يوم القيمة فيوقف في أول درج الجنة ويقال له أَقْرَأْ وَأَرْتَ كَمْ كنْتْ ترَتَّلْ فِي الدُّنْيَا فَإِنْ مَنْزَلَكْ عِنْدَ آخِر

(١) راجع ج ١ ص ١٧ طبعة ثانية أو ثلاثة .

آية تقرؤها ”خرجه أبو داود وقد تقدم في أول الكتاب^(١). وروى أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يمد صوته بالقراءة مداً.

قوله تعالى : إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴿٩﴾

قوله تعالى : (إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا) هو متصل بما فرض من قيام الليل أى سناق عليك بافتراض صلاة الليل قوله ثقيلة يشتمل حمله ، لأن الليل للنام ، فمن أمر بقيام أكثره لم يتهمأ له ذلك إلا بحمل شديد على النفس ومجاهدة للشيطان ، فهو أمر يشتمل على العبد . وقيل : إن سنوحى إليك القرآن وهو قول ثقيل يشتمل العمل بشرائمه . قال قنادة : ثقيل والله فرائضه وحدوده . مجاهد : حلاله وحرامه . الحسن : العمل به . أبو العالية : ثقيلاً بالوعد والوعيد والحلال والحرام . محمد بن كعب : ثقيلاً على المنافقين . وقيل : على الكفار ، لما فيه من الاحتياج عليهم ، والبيان لصلاتهم وسب آلهتهم ، والكشف عما حرفة أهل الكتاب . السدي : ثقيل بمعنى كريم ؛ مأخذ من قوله : فلان ثقيل على أى يكرم على . الفراء : « ثقيلاً » رزينا ليس بالخفيف السفاسف لأنه كلام ربنا . وقال الحسين بن الفضل : ثقيل لا يحمله إلا قلب مؤيد بالتوفيق ، ونفس مزينة بالتوحيد . وقال ابن زيد : هو والله ثقيل مبارك كما ثقل في الدنيا يشتمل في الميزان يوم القيمة . وقيل « ثقيلاً » أى ثابت اكتنبوت الثقيل في محله ، ويكون معناه أنه ثابت الإعجاز لا يزول إعجازه أبداً . وقيل : هو القرآن نفسه ، كما جاء في الخبر أأن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا أوحى إليه وهو على نافته وضعت حرامها — يعني صدرها — على الأرض مما تستطيع أن تحرك حتى يُسرى عنه . وفي الموطأ وغيره أنه عليه السلام سئل كيف يأتيك الوحي ؟ فقال : ”أحياناً يأتيني مثل صلصلة الحرس وهو أشدك على فيفِصِمْ عَنِي“ وقد وعيت ما قال وأحياناً يتشمل لي الملك رجلًا فيكلمني فأعنى ما يقول ” . قالت عائشة رضي الله عنها : ولقد رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفِصِمْ عنه وإن جبئنه لَيَتَفَصَّدَ عَرَقاً . قال ابن العربي : وهذا أولى ، لأن الحقيقة ، وقد جاء

(١) رابع ج ١ ص ٨ طبعة ثانية أو ثلاثة . (٢) أى الوحي .

« وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ » وقال عليه السلام : « بُعْثَتْ بِالْحِسْبَانِ السَّمْحَةُ » وقيل : القول في هذه السورة هو قول لا إله إلا الله، إذ في الخبر : خفيفة على اللسان ثقيلة في الميزان؛ ذكره الفشيري .

قوله تعالى : إِنَّ نَاسِئَةَ الْلَّيلِ هِيَ أَشَدُ وَطْعًا وَأَقْوَمُ قِيلًا
إِنَّ لَكَ فِي الْنَّهَارِ سَبِيعًا طَوِيلًا

فيه خمس مسائل :

الأولى — قوله تعالى : (إِنَّ نَاسِئَةَ الْلَّيلِ) قال العلماء: ناشئة الليل أى أوقاته وساعاته لأن أوقاته تنشأ أولاً، يقال: نشا الشيء إذا أبتدأ وأقبل شيئاً بعد شيء فهو ناشيء وأنشأ الله فنشأ ، ومنه نشأت السحابة إذا بدأت وأنشأها الله ، فناشئة فاعلة من نشأت تنشأ فهي ناشئة ، ومنه قوله تعالى: « أوَ مَنْ يَنْشَأُ فِي الْخَلِيلِ وَهُوَ فِي الْحُصَامِ غَيْرِ مَيِّنِ » والمراد أن ساعات الليل الناشئة ، فـ كتفى بالوصف عن الأسم فالتأنيث للفظ ساعة ، لأن كل ساعة تحدث . وقيل: الناشئة مصدر بمعنى [قيام الليل] كأنها شائعة في كلام الحبشة غالبة عليهم ، وإلا فليس أشد وطا . وقيل : إن ناشئة الليل قيام الليل . قال ابن مسعود : الحبشة يقولون نشا أى قام . فعلمه أراد أن الكلمة عربية ولكنها شائعة في كلام الحبشة غالبة عليهم ، وإلا فليس في القرآن ما ليس في لغة العرب . وقد تقدم بيان هذا في مقدمة الكتاب مستوفى .

الثانية — بين تعالى في هذه الآية فضل صلاة الليل على صلاة النهار، وأن الاستئثار من صلاة الليل بالقراءة فيها ما يمكن أعظم للأجر ، وأجلب للثواب .

وأختلف العلماء في المراد بناشئة الليل ؟ فقال ابن عمر وأنس بن مالك : هو ما بين المغرب والعشاء ، تمسكاً بأن لفظ نشا يعطى الابتداء فكان بالأولية أحق ؛ ومنه قول الشاعر :

(١) زيادة تقتضي العبرة ؟ وهي كذلك في كتب التفسير .

(٢) راجع ج ١ ص ٦٨ فما بعدها طبعة ثانية أو ثلاثة .

ولولا أن يُقال صَبَّا نصِيبُ * لَقَلْتُ بِنَفْسِي النَّشَأُ الصَّغَارُ

وكان علي بن الحسين يصلى بين المغرب والعشاء ويقول : هذا ناشئة الليل . وقال عطاء وعكرمة : إنه بدء الليل . وقال آبن عباس ومجاهد وغيرهما : هي الليل كله ؛ لأنَّه ينشأ بعد النهار وهو الذي اختاره مالك بن أنس . قال آبن العربي : وهو الذي يعطيه اللفظ وتقتضيه اللغة . وقالت عائشة وأبن عباس أيضاً ومجاهد : إنما الناشئة القيام بالليل بعد النوم . ومن قام أول الليل قبل النوم فما قام ناشئة . فقال يمان وأبن كيسان : هو القيام من آخر الليل . وقال آبن عباس : كانت صلاتهم أول الليل . وذلك أنَّ الإنسان إذا نام لا يدرى متى يستيقظ . وفي الصبح : وناشئة الليل أول ساعاته . وقال القمي : إنه ساعات الليل ؛ لأنَّها تنشأ ساعة بعد ساعة . وعن الحسن ومجاهد : هي ما بعد العشاء الآخرة إلى الصبح . وعن الحسن أيضاً : ما كان بعد العشاء فهو ناشئة . ويقال : ما ينشأ في الليل من الطاعات ؛ حكاية الجوهري .

الثالثة — قوله تعالى : ((هِيَ أَشَدُّ وَطَأً)) قرأ أبو العالية وأبو عمرو وأبن أبي إسحق ومجاهد وحميد وأبن محيصن وأبن عامر والمغيرة وأبو حمزة «وطاء» بكسر الواو وفتح الطاء والمد ، وأختاره أبو عبيد . الباقيون «وطأ» بفتح الواو وسكون الطاء مقصورة ، وأختاره أبو حاتم ؛ من قوله : آشتدت على القوم وطأة سلطانهم . أى نقل عليهم ما حملهم من المؤن ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم : «اللهم أشدد وطأتك على مضر» فالمعنى أنها أُنقل على المصلى من ساعات النهار . وذلك أنَّ الليل وقت منام وتودع وإجماع ، فلن شغله بالعبادة فقد تحمل المشقة العظيمة . ومن مدْفهُو مصدر واطات وطاء ومواطأة أى وافقته . آبن زيد : واطأته على الأمر مواطأة إذا وافقته من الوفاق ، وفلان يواطئ آسمه آسمى ، وتواطئوا عليه أى توافقوا ؛ فالمعنى أشد موافقة بين القلب والبصر والسمع واللسان ؛ لأنَّقطاع الأصوات والحركات ؛ قال مجاهد وأبن أبي مليكة وغيرهما . وقال آبن عباس بمعناه أى يواطئ السمع القلب ؛ قال الله تعالى : «لِيُواطِئُ عِدَّةً مَا حَمَّ اللَّهُ» أى ليوافقوا . وقيل : المعنى أشد مهادا للتصرف في التفكير والتدبر . والوطاء خلاف الغطاء . وقيل : «أشد وطأ» بسكون الطاء وفتح

الواو أى أشد ثباتا من النهار ؛ فإن الليل يخلو فيه الإنسان بما يعمله فيكون ذلك أثبت للعمل وأتفى لما يلهمي ويشغل القلب . والوطء الثبات تقول : وطشت الأرض بقدمي . وقال الأخفش : أشد قياما . الفراء : أثبت قراءة وقياما . وعنده : «أشدَّ وَطْأً» أى أثبت للعمل وأدوم من أراد الاستئثار من العبادة ، والليل وقت فراغ عن آشغال المعاش ، فعبادته تدوم ولا تنقطع . وقال الكلبي : «أشدَّ وَطْأً» أى أشد نشاطا للصلوة لأنه في زمان راحته . وقال عبادة : «أشدَّ وَطْأً» أى نشاطا للصلوة وأخف ، وأثبت للقراءة .

الرابعة — قوله تعالى : «وَقَوْمٌ قِيلَ» أى القراءة بالليل أقوم منها بالنهار ، أى أشد استقامة وأسترارا على الصواب ، لأن الأصوات هادئة ، والدنيا ساكنة ، فلا يضطرب على المصلى ما يقرؤه . قال قتادة ومجاهد : أى أصوب للقراءة وأثبت للقول ، لأنه زمان التفهم . وقال أبو علي : «أَقْوَمُ قِيلًا» أى أشد استقامة لفراغ البال بالليل . وقيل : أى أجعل إجابة للدعاء . حكاه ابن شجرة . وقال عكرمة : عبادة الليل أتم نشاطا ، وأتم إخلاصا ، وأكثر بركة . وعن زيد بن أسلم : أجدر أن يتဖقه في القرآن . وعن الأعمش قال : قرأ أنس بن مالك «إِن نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْأً وَأَصْوَبُ قِيلًا» فقيل له : «وَقَوْمٌ قِيلَ» فقال : أقوم وأصوب وأهيا سواء . قال أبو بكر الأنباري : وقد تراى بعض هؤلاء الزائرين إلى أن قال : من قرأ بحرف يوافق معنى حرف من القرآن فهو مصيبة إذا لم يخالف معنى ولم يأت بغير ما أراد الله وقصد له ، واحتجوا بقول أنس هذا ، وهو قول لا يخرج عليه ولا يلتفت إلى قائله ، لأنه لو قرأ باللفاظ تختلف ألفاظ القرآن إذا قاربت معانها وآشئت على عامتها لخاز أن يقرأ في موضع «الْحَمْدُ لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ» الشكر للباري ملك المخلوقين ، ويتسع الأمر في هذا حتى يبطل لفظ جميع القرآن ، ويكون التالى له مفتريا على الله عن وجىل ، كاذبا على رسوله صلى الله عليه وسلم ، ولا حجة لهم في قول ابن مسعود : نزل القرآن على سبعة أحرف ، إنما هو كقول أحدكم : هُمْ وَتَعَالَ وَأَقِيل ، لأن هذا الحديث يوجب أن القراءات المأثورة المنقوله بالأسانيد

(١) فـ نسخة : وأتفى .

الصحاح عن النبي صلى الله عليه وسلم إذا آختلفت ألفاظها، وآتفقت معانيها، كان ذلك فيها منزلة الخلاف في هلم وتعال وأقبل، فاما ما لم يقرأ به النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه وتابعوه رضى الله عنهم فإنه من أورد حرفًا منه في القرآن بهت وما وخرج عن مذهب الصواب .
قال أبو بكر : والحديث الذي جعلوه قاعدهم في هذه الضلاله حديث لا يصح عن أحد من أهل العلم ، لأنَّه مبني على رواية الأعمش عن أنس ، فهو مقطوع ليس بمتصل فيؤخذ به من قبل أن الأعمش رأى أنسا ولم يسمع منه .

الخامسة — قوله تعالى : « إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحَانًا طَوِيلًا » قراءة العامة بالخاء غير معجمة أى تصرفاً في حوانجك ، وإقبالاً وإدباراً وذهاباً ومجيناً . والسبحان الجرى والدوران ، ومنه السابع في الماء؛ لتقبليه بيديه ورجليه . وفرس ساجح شديد الجرى ؛ قال أمير المؤمنين :

(١) مسح إذا ما السائحات على الوفى * أثرن الغبار بالكيد المركل
وقيل : السبع الفراغ ، أى إن لك فراغاً لل حاجات بالنهار . وقيل : « إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحَانًا » أى نوماً والتسبح المتعدد ؛ ذكره الخليل . وعن ابن عباس وعطاء : « سَبْحَانًا طَوِيلًا » يعني فراغاً طويلاً لنومك وراحةك ، فأجعل ناشئة الليل لعبادتك . وقال الزجاج : إن فاتك في الليل شيء فلك في النهار فراغ الاستدراك .

وقرأ يحيى بن عمرو وأئل « سَبْحَانًا » بالخاء المعجمة . قال المهدوى : ومعناه النوم ؛ روى ذلك عن القارئين بهذه القراءة . وقيل : معناه الخفة والسرعة والاستراحة ؛ ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم لعائشة وقد دعت على سارق ردائها : « لَا تُسْبِحْنِي عَنْه بِدُعَائِكَ عَلَيْهِ » أى لا تخفني عنه إثنين ؛ قال الشاعر :

(١) مسح : معناه يصب الجرى صبا . والوفى : الفتور والكلال . والكيد : الموضع الغليظ . والمركل : الذى يركل بالأرجل . ومعنى البيت : إن الخليل السريعة إذا فترت فأثارت الغبار بأرجلها من التعب جرى هذا الفرس جرياً سهلاً كما يسبح السحاب المطر .

فَسَبِّحْ عَلَيْكَ الْهُمَّ وَأَعْلَمْ بِإِلَهٍ * إِذَا قَدِرَ الرَّحْمَنُ شَيْئًا فَكَائِنٌ
 الأصمعي : يقال سَبَّحَ اللَّهُ عَنْكَ الْجُنُّ أَيْ خَفَّهَا . وَسَبَّحَ الْحَرَقُتْرُونْخَفْ . وَالسَّبِّحُ
 النَّوْمُ الشَّدِيدُ . وَالسَّبِّحُ أَيْضًا توسيع القطن والكتان والصوف وتنفيشها ؛ يقال للرأة :
 سَبِّحْ قَطْنَكُ . وَالسَّبِّحُ مِنَ الْقَطْنِ مَا يَسْبِحُ بَعْدَ النَّدْفِ أَيْ يُلْفُ لِتَغْزِلَهُ الْمَرْأَةُ ، وَالقطعة
 مِنْهُ سَبِّيْخَةُ ، وَكَذَلِكَ مِنَ الصَّوْفِ وَالْوَبْرِ ، وَيُقَالُ لِقَطْعَ الْقَطْنِ سَبَّانْجُ ؛ قَالَ الْأَخْطَلُ يَصِفُ
 الْقُنَاصُ وَالْكَلَابُ :

فَأَرَسَلَوْهُنَّ يَدْرِينَ التَّرَابَ كَمَا * يَدْرِي سَبَّانْجَ قُطْنِ نَدْفُ أَوْتَارِ
 وَقَالَ ثَلْبُ : السَّبِّحُ بِالْحَاءِ التَّرَدُّدُ وَالْأَضْطَرَابُ ، وَالسَّبِّحُ أَيْضًا السَّكُونُ ، وَمِنْهُ قَوْلُ
 النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « الْجُنُّ مِنْ فَيْحَ جَهَنَّمَ فَسَبَّخُوهَا بِالْمَاءِ » أَيْ سَكَنُوهَا ؛ وَقَالَ
 أَبُو عُمَرْ : السَّبِّحُ النَّوْمُ وَالْفَرَاغُ .

قَلْتَ : فَعَلِيْ هَذَا يَكُونُ مِنَ الْأَضْدَادِ ، وَتَكُونُ بِمَعْنَى السَّبِّحُ بِالْحَاءِ غَيْرُ الْمَعْجَمَةِ .

قَوْلُهُ تَعَالَى : وَآذْكُرْ أَسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبَتِّيلًا ﴿٨﴾

فِيهِ ثَلَاثُ مَسَائِلُ :

الْأُولَى — قَوْلُهُ تَعَالَى : (وَآذْكُرْ أَسْمَ رَبِّكَ) أَيْ آدِعُهُ بِاسْمَهُ الْحَسَنِي لِيَحْصُلَ لِكَ
 مَعَ الصَّلَاةِ مُحَمَّدُ الْعَاقِبَةِ . وَقَبِيلٌ : أَيْ آفَصَدُ بِعَمَلِكَ وَجْهَ رَبِّكَ . وَقَالَ سَهْلٌ : أَقْرَأْ بِاسْمِ
 اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ فِي آبْتَدَاءِ صَلَاتِكَ تَوَصِّلُكَ بِرَبَّكَ قِرَاءَتِهِ إِلَيْ رَبِّكَ ، وَتَقْطَعُكَ عَمَّا سَوَاهُ .
 وَقَبِيلٌ : آذْكُرْ أَسْمَ رَبِّكَ فِي وَعْدِهِ وَوَعِيْدِهِ ، لِتَوَفَّرْ عَلَيْ طَاعَتِهِ وَتَعْدُلَ عَنْ مَعْصِيَتِهِ . وَقَالَ الْكَلَبِيُّ :
 صَلَّ لِرَبِّكَ أَيْ بِالنَّهَارِ .

قَلْتَ : وَهَذَا حَسَنٌ فَإِنَّهُ لَمَّا ذَكَرَ اللَّيْلَ ذَكَرَ النَّهَارَ ؛ إِذْ هُوَ قَسِيمُهُ ؛ وَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى :

« وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَكَّرَ » عَلَى مَا تَقْدِمُ .

(١) راجع ج ١٣ ص ٦٥ فَما بَعْدَهَا .

الثانية — قوله تعالى : « وَتَبَتَّلَ إِلَيْهِ تَبَتَّلًا » التبتل الانقطاع إلى عبادة الله عن وجله . أى انقطع بعبادتك إليه ولا تشرك به غيره . ويقال : بنت الشيء أى قطعه ، ومنه قوله : طلقها بتة بتلة ، وهذه صدقة بتة بتلة ؛ أى بائنة منقطعة عن صاحبها ، أى قطع ملكه عنها بالكلية ؛ ومنه مريم البتول لأنقطاعها إلى الله تعالى ، ويقال للراهب متبتل ؛ لأنقطاعه عن الناس وأنفراده بالعبادة . قال :

ٌضيُّ الظلام بالعشاء كأنهَا * مَنَارَةٌ مُمُسى راهِيٌّ مُتَبَّلٌ^(١)

وفي الحديث النبوي عن التبتل وهو الانقطاع عن الناس والجماعات . وقيل : إن أصله عند العرب التفرد ؛ قاله ابن عرفة . والأول أقوى لما ذكرنا . ويقال : كيف قال « تبتلا » ولم يقل تبتلا ؟ قيل له : لأن معنى تبتل بتل نفسه ، بمعنى أنه على معناه مراعاة لحق الفوائل .

الثالثة — قد مضى في « المائدة » في تفسير قوله تعالى : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحْرِمُوا طَيَّبَاتِ مَا أَحَلَ اللَّهُ لَكُمْ » [حال الدين في الكراهة] لمن تبتل وأنقطع وسلك سبيل الرهبة بما فيه كفاية . قال ابن العربي : وأما اليوم وقد مررت عهود الناس ، وخفت أمانتهم ، وأستولى الحرام على الحطام ، فالعزلة خير من الخلطة ، والعزبة أفضل من التأهل ، ولكن معنى الآية : أنقطع عن الأوثان والأصنام وعن عبادة غير الله ، وكذلك قال مجاهد : معناه أخلص له العبادة ، ولم يرد التبتل فصار التبتل مأمورا به في القرآن منها عنه في السنة ، ومتعلق الأمر غير متعلق النهي فلا يتناقضان ، وإنما بعث ليبين للناس ما نزل إليهم ؛ فالتبتل المأمور به الانقطاع إلى الله بإخلاص العبادة كما قال تعالى : « وَمَا أَمْرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لِهِ الدِّين » والتبتل المنهى عنه هو سلوك مسلك النصارى

(١) البيت من معلقة أمير القيس ومعناه : إذاً بشئت بالليل رأيت لثا يابها بريقا وضوحا ، وإذا بزرت في الظلام أسترار وجهها حتى يغلب ظلمة الليل . وممسي راهب أى إمساكه .

(٢) راجع ج ٦ ص ٢٦١ فما بعدها . (٣) الزيادة من ابن العربي .

(٤) في نسخة : الحكام .

فِي تَرْكِ النِّكَاحِ وَالتَّرْهِبِ فِي الصَّوَامِعِ، لَكُنْ عِنْدَ فَسَادِ الزَّمَانِ يَكُونُ خَيْرُ مَا مُسْلِمٌ غَنِيًّا يَتَبعُ
بِهَا شَعْفَ الْجَبَالِ وَمَوَاقِعَ الْقَطْرِ، يَغْزِي بَدِينَهُ مِنَ الْفَتْنِ.

قوله تعالى : **رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَيَكِلا**
وَآصِرِزْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَآهْجُرُهُمْ هَجْرًا جَيْلًا وَذَرِنِي
وَالْمُكَذِّبِينَ أُولَى النَّعَمَةِ وَمَهَلْهُمْ قَلِيلًا

قوله تعالى : **(رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ)** فرأى أهل الحرمين وأبن ميسن وبمحاذد
وأبو عمرو وأبن أبي إسحق وحفص « رب » بالرفع على الابتداء والخبر **(لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ)**.
وقيل : على إضمار « هو » . الباقيون « رب » بالنفع على نعت الرب تعالى في قوله تعالى :
وَآذْكُرْ أَسْمَ رَبِّكَ **« رَبُّ الْمَشْرِقِ »** ومن علم أنه رب المشارق والمغارب أنقطع بعمله
وأمله إليه . **(فَاتَّخِذْهُ وَيَكِلا**) أي قائمًا بأمرك . وقيل : كفيلا بما وعدك .

قوله تعالى : **(وَآصِرِزْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ)** أي من الأذى والسب والاستهزاء ، ولا تجزع
من قوته ولا تتعنت من دعائهم . **(وَآهْجُرُهُمْ هَجْرًا جَيْلًا)** أي لا تتعرض لهم ، ولا تستغل
بكافتهم ، فإن في ذلك ترك الدعاء إلى الله . وكان هذا قبل الأمر بالقتال ، ثم أمر بعد بقتالهم
وقتلهم ، فنسخت آية القتال ما كان قبلها من الترك ؛ قاله قتادة وغيره . وقال أبو الدرداء :
إنا لنكشر في وجوه [أقوام] ونضحك إليهم وإن قلوبنا لتقليلهم أو لتعلمنهم .
^(١)

قوله تعالى : **(وَذَرِنِي وَالْمُكَذِّبِينَ)** أي أرض بي لمقابهم . نزلت في صناديق قريش
ورؤساء مكة من المستهزئين . وقال مقاتل : نزلت في المطعمين يوم بدر وهم عشرة . وقد
تقسم ذكرهم في **« الأنفال »** . وقال يحيى بن سلام : إنهم بنو المغيرة . وقال سعيد بن جبير
أخبرت أنهم آثنا عشر رجلا . **(أُولَى النَّعَمَةِ)** أولى الغنى والترفة واللذة في الدنيا . **(وَمَهَلْهُمْ**

(١) الزيادة من نهاية ابن الأنبار .

(٢) راجع ج ٨ ص ٥٣ .

قَلِيلًا) يعني إلى مدة آجالهم . قالت عائشة رضي الله عنها : لما نزلت هذه الآية لم يكن إلا يسيرا حتى وقعت وقعة بدر . وقيل : « ومَهْلُوكُمْ قَلِيلًا » يعني إلى مدة الدنيا .

قوله تعالى : إِنَّ لَدَنِنَا أَنْكَالًا وَجَحِيمًا ﴿١٢﴾ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةً وَعَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣﴾ يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجَبَالُ وَكَانَتِ الْجَبَالُ كَثِيرًا مَهِيلًا ﴿١٤﴾

قوله تعالى : (إِنَّ لَدَنِنَا أَنْكَالًا وَجَحِيمًا) الأنفال القيد، عن الحسن وبمأهود وغيرهما واحدتها نكل وهو ما منع الإنسان من الحركة . وقيل سمي نكل؛ لأنَّه ينكُل به . قال الشعبي أترون أنَّ الله تعالى جعل الأنفال في أرجل أهل النار خشية أن يهربوا ؟ لا والله ولكنهم إذا أرادوا أن يرتفعوا استنقَلت بهم . وقال الكلبي : الأنفال الأغلال . والأول أعرف في اللغة ؛ ومنه قول الخنساء :

دَعَالَكَ فَقَطَعْتَ أَنْكَالَهُ * وَقَدْ كُنْتَ قَبْلَكَ لَا تُقْطَعُ^(١)

وَقَيلَ : إِنَّهُ أَنْواعُ الْعَذَابِ الشَّدِيدِ ؛ قَالَهُ مَقَاتِلُ . وَقَدْ جَاءَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « إِنَّ اللَّهَ يَحِبُّ النَّكَلَ عَلَى النَّكَلِ » بِالْتَّحْرِيكِ ، قَالَهُ الْجَوَهْرِيُّ . قَيلَ : وَمَا النَّكَلُ ؟ قَالَ : « الرَّجُلُ الْقَوِيُّ » الْمُحْرَبُ عَلَى الْفَرْسِ الْقَوِيِّ « الْجَهَبُ » ، ذِكْرُ الْمَاوِرِدِ . قَالَ : وَمَنْ ذَلِكَ سَمِّيَ الْقِيدَ نِكْلًا لِقُوَّتِهِ ، وَكَذَلِكَ الْغُلُّ وَكُلُّ عَذَابٍ قَوِيٍّ فَأَشْتَدَ . وَالْجَحِيمُ النَّارُ الْمُؤْجَمَةُ . (وَطَعَامًا ذَا غُصَّةً) أَيْ غِرْسَانَعٌ ؛ يَأْخُذُ بِالْحَلْقِ لَا هُوَ نَازِلٌ وَلَا هُوَ خَارِجٌ ، وَهُوَ الْغِسْلَيْنُ وَالْزَّقْوَمُ وَالضَّرِيعُ ؛ قَالَهُ أَبْنَ عَبَّاسٍ . وَعَنْهُ أَيْضًا : أَنَّ شُوكَ يَدْخُلُ الْحَلْقَ فَلَا يَنْزَلُ وَلَا يَخْرُجُ . وَقَالَ الزَّجَاجُ : أَيْ طَعَامُهُمُ الضَّرِيعُ ؛ كَمَا قَالَ : « لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ » وَهُوَ شُوكٌ كَالْعَوْسِيجِ . وَقَالَ مَهَادِهُ : هُوَ الْزَّقْوَمُ ، كَمَا قَالَ : « إِنَّ شَجَرَةَ الْزَّقْوَمِ طَعَامُ الْأَنْجَمِ » . وَالْمَعْنَى وَاحِدٌ وَقَالَ حُمَّرَانَ بْنَ أَعْيَنَ : قَرَأَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « إِنَّ لَدَنِنَا أَنْكَالًا وَجَحِيمًا . وَطَعَامًا ذَا غُصَّةً »

(١) فِي دِيْوَانِ الْخَنْسَاءِ : ظَنْ .

فصعق . وقال خليد بن حسان : أسمى الحسن عندنا صائمًا ، فأيتها بطعم ففرضت له هذه الآية « إِنَّ لَدِينَا أَنْكَالًا وَجَهِيًّا . وَطَعَامًا » فقال : آرفع طعامك . فلما كانت الثانية أيتها بطعم ففرضت له هذه الآية ، فقال : آرفعوه . ومثله في الثالثة ، فأنطلق آبنته إلى ثابت البناني ويزيد الصبي ويحيى البكاء فخذلهم بفأوهه فلم يزالوا به حتى شرب شربة من سويف . والفصمة الشجاع وهو ما ينشب في الحلق من عظم أو غيره وجمعها غصص . والغضص بالفتح مصدر قوله : غصصت يا رجل تغص فأنت غاص بالطعام وغضان ، وأغصصته أنا ، والمنزل غاص بالقوم أى مقتلهم .

قوله تعالى : (يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجَبَالُ) أى تتعزز وتضطرب بمن عليها . وانتصب « يَوْمٌ » على الظرف أى ينكل بهم ويعذبون « يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ » . وقيل : ينزع الخافض يعني هذه العقوبة في يوم ترجم الأرض والجبال . وقيل : العامل « ذرني » أى وذرني والمكذبين يوم ترجم الأرض والجبال . (وَكَانَتِ الْجَبَالُ كَثِيرًا مَهْيَلًا) أى وتكون والكتيب الرمل المجتمع ؛ قال حسان :

(١) عَرَفْتُ دِيَارَ زَيْنَبَ بِالْكَتِيبِ * نَكَطَ الْوَحْيِ فِي الْوَرَقِ الْقَشِيبِ

والمهيل الذي يترنح تحت الأرجل . قال الضحاك والكتبي : المهيل هو الذي إذا وطئه بالقدم زل من تحتها ، وإذا أخذت أسفله أنهال . وقال ابن عباس : « مَهِيلًا » أى رمل سائل متناثرا . وأصله مهيل وهو مفعول من قوله : هلت عليه التراب أهيله هيلا إذا صبته .

(٢) يقال : مهيل ومهيل ، ومكيل ومكيل ، ومدين ومدين ، ومعين ومعيون ؛ قال الشاعر :

قد كان قومك يحسبونك سيدا * وإخال أنك سيد معيون

وفي حديث النبي صلى الله عليه وسلم أنهم شكروا إليه الجدوبة ، فقال : « أَنْكِلُونَ أَمْ تَهْلِلُونَ »

(١) ويروى في الرق . والوحى هنا الكتابة . والقشيب : الجديد . شبه حسان رضى الله عنه آثار الديار بالسطور .

(٢) هو عباس بن مرداوس .

قالوا : نَبِيلٌ . قال : " يُكْلِو طَعَامَكُمْ يُبَارِكُ لَكُمْ فِيهِ " . وَأَهْلَتِ الدِّفَقَ لِغَةً فِي هِلْتٍ فَهُوَ مُهَالٌ وَمَهِيلٌ . وَإِنَّا حَذَفْتُ الْوَاءَ ، لِأَنَّ الْيَاءَ تَقْلِيلٌ فِيهَا الضَّمْمَةُ خَذَفْتُ فَسْكَنَتْ هِيَ وَالْوَاءُ خَذَفْتُ الْوَاءَ وَلَا تَقْنَاءُ السَّاكِنَيْنِ .

قوله تعالى : إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَهِدَهَا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولًا (٢٠) فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخْذَنَاهُ أَخْذًا وَبِسْلَامٍ فَكَيْفَ تَتَقْوَنَ إِنْ كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شَيْبًا (٢١) أَلَسْمَاءَ مُنَفَّطِرٍ بِهِ كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولًا (٢٢) إِنَّ هَذِهِ تَذَكُّرَةٌ فَمَنْ شَاءَ آتَحْدَدْ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلًا (٢٣)

قوله تعالى : (إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا) يريد النبي صلى الله عليه وسلم أرسله إلى قريش (كما أرسلنا إلى فرعون رسولاً) وهو موسى (فعصى فرعون الرسول) أي كذب به ولم يؤمن . قال مقاتل : ذكر موسى وفرعون ، لأن أهل مكة آزدواجها صلى الله عليه وسلم واستخفوا به ، لأنهم ولد فيهم كأن فرعون آزردى موسى ، لأنهم رباء ونشأ فيما بينهم ، كما قال تعالى : « أَلَمْ نَرِبْكَ فِينَا وَلِيْدًا » . قال المهدوى : ودخلت الألف واللام في الرسول لتقدم ذكره ، ولذلك اختير في أول الكتب سلام عليكم وفي آخرها السلام عليكم . (وَبِسْلَامٍ) أي ثقيلاً شديداً وضريراً وبيل وعذاب وبيل أي شديد ، قاله ابن عباس ومجاهد . ومنه مطر وأبابل أي شديد ، قاله الأخفش . وقال الزجاج : أي ثقيلاً غليظاً . ومنه قيل للظر وابل . وقيل : مهلكاً [والمعنى عاقبناه عقوبة غليظة] قال :

أَكْلَتِ بَنِيكَ أَكْلَ الضَّبَّ حَتَّى * وَجَدَتِ مَرَادَةَ الْكَلَاءِ الْوَيْلَ
وَآسْتَوْبَلَ فَلَانَ كَذَا أَى لَمْ يَمْهَدْ عَاقِبَتِهِ . وَمَاءَ وَبِيلَ بِأَى وَحْيٍ غَيْرِ مَرِيءٍ ، وَكَلَّاً مُسْتَوَبَلَ
وَطَعَامَ وَبِيلَ وَمُسْتَوَبَلَ إِذَا لَمْ يَمْرِئْ وَلَمْ يَسْتَمِرَ ؛ قال زهير :

(١) الزيادة من حاشية الجل نقل عن القرطبي ونص بأنها عبارته .

فَقَضُوا مَا يَأْتُهُمْ ثُمَّ أَصْدَرُوا * إِلَى كَلَّا مُسْتَوَيَّلَ مُتَوَخِّمَ

وقالت النساء :

لَقَدْ أَكَتْ بَجِيلَةً يَوْمَ لَاقَتْ * فَوَارَسَ مَالِكَ أَكْلَادَ وَبِلَادَ

والوَيْلُ أَيْضًا العَصَمَ الضَّخْمَةُ ؛ قَالَ :

لَوْ أَصْبَحَ فِي يَمْنَى يَدَ زِمَاهَهَا * وَفِي كَفَى الْأَثْرَى وَبِلَلْ تُحَاذِرَهُ

وَكَذَلِكَ الْمَوَيْلُ بِكَسْرِ الْبَاءِ ، وَالْمَوَيْلُ أَيْضًا الْحُزْمَةُ مِنَ الْحَطْبِ ، وَكَذَلِكَ الْوَيْلُ ؛

قال طرفة :

* عَقِيلَةُ شَيْخِ كَالْوَيْلِ يَلَنْدِي^(١)

قوله تعالى : (فَكَيْفَ تَتَقَوَّنَ إِنْ كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَعْجَلُ الْوِلْدَانَ شَيْبًا) هو توبيخ وتقرير .

أى كيف تتقوّن العذاب إن كفرتم . وفيه تقديم وتأخير ؛ أى كيف تتقوّن يوماً يجعل

الولدان شيئاً إن كفرتم . وكذا قراءة عبد الله وعطيه . قال الحسن : أى بأى صلاة تتقوّن

العذاب ؟ بأى صوم تتقوّن العذاب ؟ . وفيه إضمار ؛ أى كيف تتقوّن عذاب يوم .

وقال قتادة : والله ما يتحقق من كفر بالله ذلك اليوم بشيء . و « يوماً » مفعول به « ستقوّن »

على هذه القراءة وليس بظرف ، وإن قدر الكفر بمعنى المحدود كان اليوم مفعول « كفرتم » .

وقال بعض المفسرين : وقف التمام على قوله « كفرتم » والأبتداء « يوماً » يذهب إلى أن اليوم

مفعول « يجعل » والفعل لله عن وجّل ، وكأنه قال : يجعل الله الولدان شيئاً في يوم . قال

أَبْنَ الْأَنْبَارِيَّ : وهذا لا يصلح ، لأن اليوم هو الذي يفعل هذا من شدة هوله . المهدوى :

والضمير في « يجعل » يجوز أن يكون لله عن وجّل ، ويجوز أن يكون لله ، وإذا كان لله

صلح أن يكون صفة له ، ولا يصلح ذلك إذا كان الضمير لله عن وجّل إلا مع تقدير حذف ؟

كأنه قال : يوماً يجعل الله الولدان فيه شيئاً . أَبْنَ الْأَنْبَارِيَّ : ومنهم من نصب اليوم

(١) يلند شديد الخصومة . وصدر البيت :

* فرت كهأة ذات خيف جاللة *

بـ «كفرتم» وهذا قبيح؛ لأن اليوم إذا علق بـ «كفرتم» أحتاج إلى صفة. أى كفرتم يوم. فإن أحتاج محتاج بأن الصفة قد تمحف وينصب ما بعدها، أحتاج جتنا عليه بقراءة عبد الله «فَكَيْفَ تَتَقُونَ يَوْمًا».

قلت: هذه القراءة ليست متواترة، وإنما جاءت على وجه التفسير. وإذا كان الكفر يعني الجحود فـ «يوماً» مفعول صريح من غير صفة ولا حذفها؛ أى فكيف تتقون الله وتخشونه إن جحدتم يوم القيمة والجزاء. وقرأ أبو السمال ^{قَعْنَب} «فكيف تتقون» بكسر النون على الإضافة. وـ «الْوَلْدَانَ» الصبيان. وقال السدى: هم أولاد الزنى. وقيل: أولاد المشركين. والعموم أصح، أى يشيب فيه الصغير من غير كبر. وذلك حين يقال: «يَا آدَمَ قُمْ فَآبَثْ بَعْثَ النَّارِ». على ما تقدم في أول سورة «الحج»^(١). قال القشيري: ثم إن أهل الجنة بغير الله أحواهم وأوصافهم على ما يريد. وقيل: هذا ضرب مثل لشدة ذلك اليوم وهو مجاز؛ لأن يوم القيمة لا يكون فيه ولدان، ولكن معناه أن هيبة ذلك اليوم بحال لو كان فيه هناك صبي لشاب رأسه من الهيبة. ويقال: هذا وقت الفزع، وقبل أن ينفع في الصور نفحة الصعق؛ فالله أعلم. الرمخنري: وقد مر بي في بعض الكتب أن رجلاً أمسى فاحم الشعر كذلك الغراب، فأصبح وهو أبيض الرأس واللحية كالغامة، فقال: أریت القيمة والجنة والنار في المنام، ورأيت الناس يقادون في السلسل إلى النار، فن هو ذلك أصبحت كما ترون. ويجوز أن يوصف اليوم بالطول، وأن الأطفال يبلغون فيه أوان الشيخوخة والشيخوخة والشيخ.

قوله تعالى: «السَّمَاءُ مُنْفَطَرٌ ^{بِهِ}» أى متشقة لشنته. ومعنى «بِهِ» أى فيه؛ أى في ذلك اليوم لهوله. هذا أحسن ما قيل فيه. ويقال: متعلقة به إنقاذاً يؤدى إلى انفطارها لعظمتها عليها وخشيتها من وقوعه؛ كقوله تعالى: «تَنْكَلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ».

وقيل «بِهِ» أى له أى لذلك اليوم؛ يقال: فعلت كذا بحرملك ولحرملك والباء واللام وفي مقابلة في مثل هذا الموضع؛ قال الله تعالى: «وَنَصَعُ الْمُوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ» أى في يوم القيمة. وقيل: «بِهِ» أى بالأمر أى السماء منفطر بما يجعل الولدان شيئاً.

(١) راجع ج ١٢ ص ٢ فما بعدها.

وَقِيلَ : مِنْفَطَرَ بِاللَّهِ أَيْ بِأَمْرِهِ . وَقَالَ أَبُو عُمَرْ بْنُ الْعَلَاءَ : لَمْ يَقُلْ مِنْفَطَرَةٌ ؛ لَأَنَّ مَجَازَهَا السَّقْفُ ؛ تَقُولُ : هَذَا سَمَاءُ الْبَيْتِ ؛ قَالَ الشَّاعِرُ :

فَلَوْ رَفَعَ السَّمَاءَ إِلَيْهِ قَوْمًا * لِخَفَنَا بِالسَّمَاءِ وَبِالسَّحَابِ

وَفِي التَّزْيِيلِ : « وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُظًا » . وَقَالَ الْفَرَاءُ : السَّمَاءُ يَذْكُرُ وَيُؤْتَى . وَقَالَ أَبُو عَلَى : هُوَ مِنْ بَابِ الْحَرَادِ الْمُنْتَشَرِ ، وَالشَّجَرِ الْأَخْضَرِ ، وَ« أَنْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَبِرٍ » . وَقَالَ أَبُو عَلَى أَيْضًا : أَيْ السَّمَاءُ ذَاتُ آنْفَطَارٍ ؛ كَقُولُهُمْ : أَمْرَأَةٌ مَرْضَعُ أَيْ ذَاتٍ إِرْضَاعٍ بَخْرَى عَلَى طَرِيقِ النَّسْبِ . (كَانَ وَعْدُهُ) أَيْ بِالْقِيَامَةِ وَالْحِسَابِ وَالْحِزَاءِ (مَفْعُولاً) كَائِنًا لَا شَكَ فِيهِ وَلَا خَلْفَ . وَقَالَ مَقَاتِلُ : كَانَ وَعْدُهُ بَأْنَ يَظْهَرُ دِينَهُ عَلَى الدِّينِ كَلَهُ .

قَوْلُهُ تَعَالَى : (إِنَّ هَذِهِ تَذَكِّرَةٌ) يَرِيدُ هَذِهِ السُّورَةُ أَوِ الْآيَاتُ عَظِيمَةٌ . وَقِيلَ : آيَاتُ الْقُرْآنِ إِذَا هُوَ كَالسُّورَةِ الْوَاحِدَةِ . (فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ) أَيْ مَنْ أَرَادَ أَنْ يَؤْمِنْ وَيَتَخَذَ بِذَلِكَ إِلَى رَبِّهِ (سَبِيلًا) أَيْ طَرِيقًا إِلَى رِضَاهُ وَرِحْمَتِهِ فَلَيَرْغَبْ فَقَدْ أَمْكَنَ لَهُ لَا إِنْهُ أَظْهَرَ لَهُ الْجُحْجَ وَالدَّلَائِلَ . ثُمَّ قِيلَ : نَسْخَتْ بِآيَةِ السَّيفِ ، وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى : « فَمَنْ شَاءَ ذَكَرَهُ » قَالَ النَّعْلَبِيُّ : وَالْأَشْبَهُ أَنَّهُ غَيْرَ مَنْسُوخٌ .

قَوْلُهُ تَعَالَى : إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِنْ ثُلُثَيْ أَلَيْلٍ
وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَاطِيقَةٌ مِنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللَّهُ يُقْدِرُ أَلَيْلَ وَالنَّهَارَ
عَلَيْهِ أَنَّ نُحُصُّهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ عَلَمَ
أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضَى وَأَنْرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَتَعَسَّفُونَ
مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَأَنْرُونَ يُقْتَلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ
مِنْهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَأَتُوا الزَّكَوةَ وَأَقْرِبُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا
وَمَا تُقْدِمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَحْدُدُهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ
أَجْرًا وَأَسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٣٦)

فيه ثلاثة عشرة مسألة :

الأولى — قوله تعالى : **(إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ)** هذه الآية تفسير لقوله تعالى : **« قُمُ الظَّلَلَ إِلَّا قَلِيلًا . نِصْفَهُ أَوْ أَنْقُصُ مِنْهُ قَلِيلًا . أَوْ زِدْ عَلَيْهِ »** كَا تَقْدِيم ، وَهِيَ النَّاسِخَةُ لِفَرَضِيَّةِ قِيامِ الظَّلَلَ كَا تَقْدِيم . **« تَقُومُ** » مَعْنَاهُ تَصْلِي و **« أَدْنَى »** أَقْلَى . وَقَرَا أَبْنَ السَّمَيْقَعَ وَأَبْوَ حَيْوَةَ وَهَشَامَ عَنْ أَهْلِ الشَّامِ **(ثُلَاثَةَ)** بِإِسْكَانِ الْلَّامِ . **« وَنِصْفِهِ وَثُلَاثِهِ »** بِالنَّحْفَضِ قِرَاءَةُ الْعَامَةِ عَطْفًا عَلَى **« ثُلَاثَةَ »** ؛ الْمَعْنَى : تَقُومُ أَدْنَى مِنْ ثُلَاثَةِ الظَّلَلِ وَمِنْ نِصْفِهِ وَثُلَاثِهِ . وَآخْتَارَهُ أَبُو عَيْدَ وَأَبُو حَاتَمٍ ؛ كَقُولَهُ تَعَالَى : **« عَلِمَ أَنَّ لَنْ تُحْصُوهُ »** فَكِيفَ يَقُومُونَ نِصْفَهُ أَوْ ثُلَاثَهُ وَهُمْ لَا يُحْصُونَهُ . وَقَرَا أَبْنَ كَثِيرَ وَالْكَوْفِيْنَ **« وَنِصْفَهُ وَثُلَاثَهُ »** بِالنَّصْبِ عَطْفًا عَلَى **« أَدْنَى »** التَّقْدِيرِ : تَقُومُ أَدْنَى مِنْ ثُلَاثَةِ الظَّلَلِ وَتَقُومُ نِصْفَهُ وَثُلَاثَهُ . قَالَ الْفَرَاءُ : وَهُوَ أَشْبَهُ بِالصَّوَابِ ؛ لِأَنَّهُ قَالَ أَقْلَى مِنَ الثَّلَاثَيْنِ ، ثُمَّ ذَكَرَ نَفْسَ الْقِلَّةِ لَا أَقْلَى مِنَ الْقِلَّةِ . الْقَشِيرِيُّ : وَعَلَى هَذِهِ الْقِرَاءَةِ يَحْتَمِلُ أَنَّهُمْ كَانُوا يَصْبِيُونَ الثَّلَاثَ وَالنِّصْفَ ؛ نَحْفَةُ الْقِيَامِ عَلَيْهِمْ بِذَلِكِ الْقَدْرِ ، وَكَانُوا يَزِيدُونَ وَفِي الْزِيَادَةِ إِصَابَةَ الْمَقْصُودِ ، فَأَمَّا الثَّلَاثَانِ فَكَانَ يَتَقَلَّبُ عَلَيْهِمْ قِيَامَهُ فَلَا يَصْبِيُونَهُ وَيَنْقُصُونَ مِنْهُ . وَيَحْتَمِلُ أَنَّهُمْ أَمْرُوا بِقِيامِ نِصْفِ الظَّلَلِ ، وَرَحْصَهُمْ فِي الْزِيَادَةِ وَالنِّقْصَانِ ، فَكَانُوا يَتَهَوَّنُونَ فِي الْزِيَادَةِ إِلَى قَرِيبِ مِنَ الثَّلَاثَيْنِ وَفِي النِّصْفِ إِلَى الثَّلَاثَةِ . وَيَحْتَمِلُ أَنَّهُمْ قَدْرُهُمُ الْنِصْفُ وَأَنْقُصُهُ إِلَى الثَّلَاثَةِ وَالْزِيَادَةِ إِلَى الثَّلَاثَيْنِ ، وَكَانَ فِيهِمْ مَنْ يَفِي بِذَلِكَ ، وَفِيهِمْ مَنْ يَتَرَكُ ذَلِكَ إِلَى أَنْ نَسْخَهُمْ . وَقَالَ قَوْمٌ : إِنَّمَا أَفْتَرَضَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الرِّبْعَ وَكَانُوا يَنْقُصُونَ مِنَ الرِّبْعِ . وَهَذَا القَوْلُ تَحْكُمُ .

الثانية — قوله تعالى : **(وَاللَّهُ يُقْدِرُ الظَّلَلَ وَالنَّهَارَ)** أَيْ يَعْلَمُ مَقَادِيرَ الظَّلَلِ وَالنَّهَارِ عَلَى حَقَائِقِهَا ، وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ بِالْتَّحْرِيزِ وَالْاجْتِهادِ الَّذِي يَقُعُ فِيهِ الْخُطْطُ . **(عَلِمَ أَنَّ لَنْ تُحْصُوهُ)** أَيْ لَنْ تَطْبِقُوا مَعْرِفَةَ حَقَائِقِ ذَلِكَ وَالْقِيَامِ بِهِ . وَقِيلَ : أَيْ لَنْ تَطْبِقُوا قِيَامَ الظَّلَلِ . وَالْأَقْلَى أَصْحَى ^(١) فَإِنْ قِيامَ الظَّلَلِ مَا فَرَضَ كَلَهُ قَطُّ . قَالَ مُقاَتِلٌ وَغَيْرُهُ : لَمَّا زَلَّتْ **« قُمُ الظَّلَلَ إِلَّا قَلِيلًا . نِصْفَهُ**

(١) فِي نَسْخَةٍ : قَالَ النَّقَاشُ .

أَوْ أَنْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا . أَوْ زِدْ عَلَيْهِ » شَقْ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ ، وَكَانَ الرَّجُلُ لَا يَدْرِي مَتى نَصْفُ اللَّيْلِ مِنْ ثَلَاثَةِ ، فَيَقُولُ حَتَّى يَصْبِعَ مَخَافَةُ أَنْ يَخْطُطَ ، فَأَنْتَفَخْتُ أَقْدَامَهُمْ ، وَأَنْتَقَعْتُ أَلْوَانَهُمْ ، فَرَجَمْهُمْ اللَّهُ وَخَفَقَ عَنْهُمْ ؛ فَقَالَ تَعَالَى : « عَلِمْ أَنْ لَنْ تُحَصُّوهُ » وَ« أَنْ » مَخْفَفَةُ مِنَ الْعَقِيلَةِ ؟ أَيْ عَلِمْ أَنْكُمْ لَنْ تُحَصُّوهُ ؛ لَأَنْكُمْ إِنْ زَدْتُمْ نَقْلًا عَلَيْكُمْ ، وَأَحْتَجْتُمْ إِلَى تَكْلِيفٍ مَا لَيْسَ فَرْضًا ، وَإِنْ نَقْصَتُمْ شَقْ ذَلِكَ عَلَيْكُمْ .

الثَّالِثَةُ — قَوْلُهُ تَعَالَى : (« قَاتَابَ عَلَيْكُمْ ») أَيْ فَعَادَ عَلَيْكُمْ بِالْعَفْوِ ، وَهَذَا يَدْلِيلٌ عَلَى أَنَّهُ كَانَ فِيهِمْ مِنْ تَرْكٍ بَعْضٍ مَا أَمْرَ بِهِ . وَقَوْلٌ : أَيْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ مِنْ فَرْضِ الْقِيَامِ إِذْ عَزَّزْتُمْ . وَأَصْلُ التَّوْبَةِ الرَّجُوعُ كَمَا تَقْسَدْتُمْ ؛ فَالْمَعْنَى رَجْعُكُمْ مِنْ تَشْقِيلٍ إِلَى تَخْفِيفٍ ، وَمِنْ عَسْرٍ إِلَى يَسِيرٍ . إِنَّمَا أَمْرَوْا بِحَفْظِ الْأَوْقَاتِ عَلَى طَرِيقِ التَّحْرِزِ ، نَفَفَ عَنْهُمْ ذَلِكَ التَّحْرِزُ . وَقَوْلٌ : مَعْنَى (« وَاللَّهُ يَقْدِرُ الْلَّيْلَ وَالنَّهَارَ ») يَخْلُقُهُمَا مَقْدِرَتِينَ ؟ كَقَوْلِهِ تَعَالَى : (« وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا ») . أَبْنُ الْعَرَبِ : تَقْدِيرُ الْخَلْقَةِ لَا يَتَعَلَّقُ بِهِ حَكْمٌ ، وَإِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ بِهِ مَا يَشَاءُ مِنْ وَظَائِفِ التَّكْلِيفِ .

الرَّابِعَةُ — قَوْلُهُ تَعَالَى : (« فَاقْرُءُوا مَا تَيْسَرَ مِنَ الْقُرْآنِ ») فِيهِ قَوْلَانِ : أَحَدُهُمَا أَنَّ الْمَرَادَ نَفْسُ الْقِرَاءَةِ ؛ أَيْ فَاقْرُءُوا فِيمَا تَصْبِلُونَهُ بِاللَّيْلِ مَا خَفَ عَلَيْكُمْ . قَالَ السَّدِيْدُ : مائَةُ آيَةٍ . الْحَسَنُ : مِنْ قَرَأَ مائَةً آيَةً فِي لَيْلَةٍ لَمْ يَحاجِهِ الْقُرْآنُ . وَقَالَ كَعْبٌ : مِنْ قَرَأَ فِي لَيْلَةٍ مائَةً آيَةً كَتَبَ مِنَ الْقَانِتَنِينِ . وَقَالَ سَعِيدٌ : نَحْسُونَ آيَةً .

قَلْتُ : قَوْلُ كَعْبٍ أَصْحَحُ ؛ لِقَوْلِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ : « مِنْ قَامَ بِعَشْرِ آيَاتٍ لَمْ يَكْتُبْ مِنَ الْغَافِلِينَ وَمِنْ قَامَ بِمائَةٍ آيَةٍ كَتَبَ مِنَ الْقَانِتَنِينِ وَمِنْ قَامَ بِالْأَلْفِ آيَةٍ كَتَبَ مِنَ الْمَقْنِطِرِينَ »^(١) نَحْرَجَهُ أَبُو دَاوُدُ الطَّيَالِسِيُّ فِي مَسْنَدِهِ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ . وَقَدْ ذُكِرَتِهِ فِي مُقْتَدِمِ الْكِتَابِ وَالْمَحْمَدِ اللَّهُ . الْقَوْلُ الثَّانِيُّ : (« فَاقْرُءُوا مَا تَيْسَرَ مِنْهُ ») أَيْ فَصَلُّوا مَا تَيْسَرَ عَلَيْكُمْ وَالصَّلَاةُ تَسْمَى قُرْآنًا ؛ كَقَوْلِهِ تَعَالَى : (« وَقُرْآنَ الْفَجْرِ ») أَيْ صَلَاةُ الْفَجْرِ . أَبْنُ الْعَرَبِ : وَهُوَ الأَصْحَاحُ ؛ لَأَنَّهُ عَنِ الصَّلَاةِ أَخْبَرَ وَإِلَيْهَا يُرْجِعُ الْقَوْلَ .

(٢) راجع ج ١ ص ٩ طبعة ثانية أو ثلاثة .

(١) أَيْ أُعْطَى مِنَ الْأَجْرِ قَنْطَارًا .

قلت : الأول أصح حلا للخطاب على ظاهر النقوض ، والقول الثاني مجاز فإنه من تسمية الشيء بعض ما هو من أعماله .

الخامسة — قال بعض العلماء قوله تعالى : « فَاقْرُءُوا مَا تَسْرِيْ مِنْهُ » نسخ قيام الليل ونصفه والتقصان من النصف والزيادة عليه . ثم أحتمل قول الله عز وجل : « فَاقْرُءُوا مَا تَسْرِيْ مِنْهُ » معنيين أحدهما أن يكون فرضا ثانيا ، لأنه أزيل به فرض غيره . والآخر أن يكون فرضا منسوحا أزيل بغيره كما أزيل به غيره ، وذلك لقوله تعالى : « وَمِنَ الْلَّيْلِ فَتَهَجَّدُ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَعْثَثَ رَبُّكَ مَقَاماً تَحْمُودًا » فاحتمل قوله تعالى : « وَمِنَ الْلَّيْلِ قَهَّاجَدُ بِهِ نَافِلَةً لَكَ » أى يتهجد بغير الذى فرض عليه مما تيسر منه . قال الشافعى : فكان الواجب طلب الأستدلال بالسنة على أحد المعنىين ، فوجدنا سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم تدل على أن لا واجب من الصلاة إلا الخمس .

ال السادسة — قال القشيرى أبو نصر : والمشهور أن نسخ قيام الليل كان في حق الأمة ، وبقيت الفريضة في حق النبي صلى الله عليه وسلم . وقيل : نسخ التقدير بمقدار وبقى أصل الوجوب ؟ كقوله تعالى : « فَمَا أَسْتِسْرِيْ مِنَ الْمَهْدِيِّ » فالهداى لا بد منه ، كذلك لم يكن بد من صلاة الليل ، ولكن فوض قدره إلى اختيار المصلى ، وعلى هذا فقد قال قوم : فرض قيام الليل بالقليل باق . وهو مذهب الحسن . وقال قوم : نسخ بالكلية فلا تجب صلاة الليل أصلا . وهو مذهب الشافعى . ولعل الفريضة التي بقيت في حق النبي صلى الله عليه وسلم هي هذا ، وهو قيامه ومقداره مفوض إلى خيرته . وإذا ثبت أن القيام ليس فرضا فقوله تعالى : « فَاقْرُءُوا مَا تَسْرِيْ مِنْهُ » معناه أقرءوا إن تيسر عليكم ذلك وصلوا إن شئتم . وصار قوم إلى أن النسخ بالكلية تقرر في حق النبي صلى الله عليه وسلم أيضا ، فا كانت صلاة الليل واجبة عليه . وقوله : « نَافِلَةً لَكَ » محو على حقيقة التفل . ومن قال : نسخ المقدار وبقى أصل وجوب قيام الليل ثم نسخ ، فهذا النسخ الثاني وقع ببيان مواقيت الصلاة ؟ كقوله تعالى : « أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ » وقوله : « فَسَبِّحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ

تُصْبِحُونَ » وما في الخبر من أن الزيادة على الصلوات الخمس تطوع . وقيل : وقع النسخ بقوله تعالى : « وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدُ إِذِ نَافِلَةً لَكَ » والخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وللامة ، كما أن فرضية الصلاة وإن خطب بها النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى : « يَا أَيُّهَا الْمُزْمُلُ . قُمِ الظَّلَلَ » كانت عامة له ولغيره . وقد قيل : إن فريضة الليل آمنت إلى ما بعد الهجرة ونسخت بالمدينة ؛ لقوله تعالى : « عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضَى وَآخَرُونَ يَضِيرُونَ فِي الْأَرْضِ يَتَغَوَّنُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يَقْاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ » وإنما فرض القتال بالمدينة ؛ فعلى هذا بيان المواقف جرى بمكة فقيام الليل نسخ بقوله تعالى : « وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدُ إِذِ نَافِلَةً لَكَ » . وقال ابن عباس : لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم نسخ قول الله تعالى : « إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكُمْ تَقُومُ » وجوب صلاة الليل .

السابعة — قول الله تعالى : « (عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضَى) الآية ؛ بين سبحانه أن علة تخفيف قيام الليل ، فإن الخلق منهم المريض ويشق عليهم قيام الليل ، ويشق عليهم أن تفوتهم الصلاة ، والمسافر في التجارات قد لا يطيق قيام الليل ، والمجاهد كذلك تخفف الله عن الكل لأجل هؤلاء . و « أَنْ » في « أَنْ سَيَكُونُ » مخففة من الثقلة ؛ أى علم أنه سيكون .

الثامنة — سُوَى الله تعالى في هذه الآية بين درجة المجاهدين والمكتسين المال الحلال للنفقة على نفسه وعياله والإحسان والإفضال ، فكان هذا دليلا على أن كسب المال منزلة الجهاد ؛ لأنه جمعه مع الجهاد في سبيل الله . وروى إبراهيم عن علقة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ” ما من جالب يجلب طعاما من بلد إلى بلد فيبيعه بسعر يومه إلا كانت منزلته عند الله منزلة الشهداء ” ثمقرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم « وَآخَرُونَ يَضِيرُونَ فِي الْأَرْضِ يَتَغَوَّنُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يَقْاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ » وقال ابن مسعود : أيعا رجال جلب شيئا إلى مدينة من مدن المسلمين صبرا محتسبا ، فباعه بسعر يومه كان له عند الله منزلة الشهداء . وقرأ « وَآخَرُونَ يَضِيرُونَ فِي الْأَرْضِ » الآية . وقال ابن عمر : ما خلق الله موتة أموتها بعد الموت في سبيل الله أحب إلى من الموت بين شعبتي رحْلٍ أبغى من

فضل الله ضاربا في الأرض . وقال طاوس : الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله . وعن بعض السلف أنه كان بواسطه ، بفهز سفينته حنطة إلى البصرة ، وكتب إلى وكيله : يسع الطعام يوم تدخل البصرة ، ولا تؤخره إلى غد ، فوافق سعة في السعر ؛ فقال التجار للوكيل : إن أخرته جمعة ربحت فيه أضعافه ، فأنخره جمعة فربح فيه أمثاله ، فكتب إلى صاحبه بذلك ، فكتب إليه صاحب الطعام : يا هذا ! إنما كانا قنعتنا بربح يسير مع سلامه ديننا ، وقد جنحت علينا جنائية ، فإذا أثاك كتابي هذا نخذ المال وتصدق به على فقراء البصرة ، وليتني أنجو من الاحتكار كفافا لا على ولا لى . ويروى أن غلاما من أهل مكة كان ملازما للمسجد ، فافتقده ابن عمر ، فشى إلى بيته فقالت أمه : هو على طعام له يبعده ؟ فلقيه فقال له : يا بني ! مالك وللطعم ؟ فهلا إيلا ، فهلا بقرا ، فهلا غنا : إن صاحب الطعام يحب الحُلُل ، وصاحب الماشية يحب الغيث .

الناسـعـة — قوله تعالى : « فَأَفْرِءُوا مَا تَيْسَرُ مِنْهُ » أي صلوا ما أمكن ، فأوجب الله من صلاة الليل ما يسر ، ثم نسخ ذلك بإيجاب الصلوات الخمس على ما تقدم . قال ابن العربي : وقد قال قوم إن فرض قيام الليل سُنّ في ركتين من هذه الآية ؛ قاله البخاري وغيره ، وعقد بابا ذكر فيه حديث « يَعِدُ الشَّيْطَانُ عَلَى قَافِيَةِ رَأْسِهِ أَحَدَكُمْ إِذَا هُوَ نَامَ ثَلَاثَ عُقْدَةً يُضْرِبُ عَلَى كُلِّ عُقْدَةٍ مَكَانَهَا عَلَيْكَ لَيْلَ طَوِيلَ فَإِنْ أَسْتَيقِظَ فَذَكَرَ اللَّهُ أَنْهَلَتْ عُقْدَةً فَإِنْ تَوْضَأَ أَنْهَلَتْ عُقْدَةً فَإِنْ صَلَى أَنْهَلَتْ عُقْدَهُ كَلَاهَا فَأَصْبَحَ نَشِيطًا طَيْبَ النَّفْسِ وَلَا أَصْبَحَ خَبِيثَ النَّفْسِ كَسْلَانًا » وذكر حديث شِعْرَةَ بْنَ جُنْدَبَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الرَّؤْيَا قَالَ : « أَمَا الَّذِي يُتَلَغَّ رَأْسُهُ بِالْجَنَّرِ فَإِنَّهُ يَأْخُذُ الْقُرْآنَ فَيُرِفِّضُهُ وَيَنْأِمُ عَنِ الصَّلَاةِ الْمَكْتُوبَةِ » وحديث عبد الله بن مسعود قال : ذكر عند النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلٌ يَنْامُ اللَّيْلَ كَلَاهُ فَقَالَ : « ذَلِكَ رَجُلٌ يَالِ الشَّيْطَانَ فِي أَذْنِيهِ » فَقَالَ آبَنُ الْعَرَبِيِّ : فَهَذِهِ أَحَادِيثٌ مُقْتَضِيَةٌ حَلْ مَطْلَقَ الصَّلَاةِ عَلَى الْمَكْتُوبَةِ فَيُحَمَّلُ الْمَطْلَقُ عَلَى الْمَقْيَدِ ؛ لَا حَمَالَهُ لَهُ ، وَتَسْقُطُ الدَّعْوَى مِنْ عَيْنِهِ

(١) قافية الرأس مؤخره ، وقيل : وسطه ، أراد تقبيله في النوم وإطالته .

(٢) اللخ : وهو ضربك الشيء ، الرطب بالشيء ، اليابس حتى يتشدد .

(٣) يرفضه : يتركه .

لقيام الليل . وفي الصحيح واللفظ للبخاري : قال عبد الله بن عمرو ، قال لـ رسول الله صلى الله عليه وسلم : " يا عبد الله لا تكن مثلَ فلانَ كان يقوم الليل فترك قيام الليل " ولو كان فرضاً ما أقه النبي صلى الله عليه وسلم عليه ، ولا أخبر بمثل هذا الخبر عنه ، بل كان يدنهه غاية الذم . وفي الصحيح عن عبد الله بن عمر قال : كان الرجل في حياة النبي صلى الله عليه وسلم إذا رأى رؤيا قصها على النبي صلى الله عليه وسلم ، وكانت غلاماً شاباً عَزَّزاً ، وكانت أنام في المسجد على عهد رسول الله صلى عليه وسلم ، فرأيت في النوم كأن ملائكة أخذاني فذهبنا إلى النار ، فإذا هي مطوية كطيّ البتر ، وإذا لها قرنان ، وإذا فيها ناس قد عرقهم ، بخعت أقول : أَعُوذ بالله من النار . قال : ولقينا ملَكَ آخر ، فقال لـي : لم تُرْعَ^(١) . فقصصتها على حفصة ، فقصصتها حفصة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : " نَعَمُ الرَّجُلُ عَبْدُ اللهِ لَوْ كَانَ يَصْلِي مِنَ الْلَّيْلِ " فكان بعد لا ينام من الليل إلا قليلاً ، ولو كان ترك القيام معصية لما قال له الملك : لم تُرْعَ^(٢) . والله أعلم .

العاشرة — إذا ثبت أن قيام الليل ليس بفرض ، وأن قوله : « فَاقْرُءُوا مَا تَسْرِيْ مِنَ الْقُرْآنِ » . « فَاقْرُءُوا مَا تَسْرِيْ مِنْهُ » محوول على ظاهره من القراءة في الصلاة ، فاختلَفَ العلَمَاءُ في قدر ما يلزمَه أن يقرأ به في الصلاة ، فقال مالك والشافعي : فاتحة الكتاب لا يجزئ العدول عنها ولا الأقصاص على بعضها ، وقدرَه أبو حنيفة بآية واحدة من آيات القرآن كانت . وعنه ثلاثة آيات ؛ لأنَّها أقل سورة . ذكر القول الأول الماوردي والثاني ابن العربي . وال الصحيح ما ذهب إليه مالك والشافعي على ما بيناه في سورة « الفاتحة » أول الكتاب والحمد لله . وقيل : إن المراد به قراءة القرآن في غير الصلاة ، قال الماوردي : فعلَيْه هذا يكون مطلق هذا الأمر محوولاً على الوجوب ، أو على الاستحباب دون الوجوب . وهذا قول الأكثرين ، لأنَّه لو وجب عليه أن يقرأه لوجب عليه أن يحفظه . الثاني أنه محوول على الوجوب ، ليقف بقراءاته على إعجازه ، وما فيه من دلائل التوحيد وبعث الرسل ، ولا يلزمَه إذا قرأه وعرف إعجازه ودلائل

(١) لم تُرْعَ : لاروع ولا حروف عليك بعد ذلك .

(٢)

رَاجِعٌ

ج ١ ص ١٢٣

طبعة ثانية أو ثالثة .

التوحيد منه أن يحفظه؛ لأن حفظ القرآن من القرب المستحبة دون الواجبة . وفي قدر ما تضمنه هذا الأمر من القراءة خمسة أقوال : أحدها جميع القرآن؛ لأن الله تعالى يسره على عباده ؛ قاله الضحاك . الثاني ثلث القرآن ؛ حكاه جوينر . الثالث مائتا آية ؛ قاله السدي . الرابع مائة آية ؛ قاله ابن عباس . الخامس ثلاث آيات كأقصر سورة ؛ قاله أبو خالد البكري . السادسة عشرة - قوله تعالى : **(وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ)** يعني المفروضة وهي الخمس لوقتها . **(وَأَتُوا الزَّكَةَ)** الواجبة في أموالكم ؛ قاله عكرمة وقتادة . وقال الحضر العنكبي : صدقة الفطر لأن زكاة الأموال وجبت بعد ذلك . وقيل : صدقة التطوع . وقيل : كل أفعال الخير . وقال ابن عباس : طاعة الله والإخلاص له .

الثانية عشرة - قوله تعالى : **(وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا)** القرض الحسن ما قصد به وجه الله تعالى خالصا من المال الطيب . وقد مضى في سورة «ال الحديد» بيانه . وقال زيد ابن أسلم : القرض الحسن النفقة على الأهل . وقال عمر بن الخطاب : هو النفقة في سبيل الله .

الثالثة عشرة - **(وَمَا تُقدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ)** تقدم في سورة «البقرة» . وروى عن عمر بن الخطاب أنه أخذ حيسا - يعني تمرا بلبن - بخاءه مسكون فأخذه ودفعه إليه . فقال بعضهم : ما يدرى هذا المسكون ما هذا؟ فقال عمر : لكن رب المسكون يدرى ما هو . وكأنه تأول **(وَمَا تُقدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا)** أي ما تركتم وخلفتم ، ومن الشجاع والتقصير . **(وَأَعْظَمُ أَجْرًا)** قال أبو هريرة : الجنة ؛ ويحتمل أن يكون أعظم أجراء لإعطائه بالحسنة عشرة . ونصب **«خَيْرًا وأَعْظَمَ»** على المفعول الثاني لـ **«تَجِدُوهُ»** و **«هُوَ»** فصل عند البصريين ، وعماد في قول الكوفيين لا محل له من الإعراب . و **«أَجْرًا** تميز . **(وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ)** أي سلوا المغفرة لذنبكم **(إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ)** لما كان قبل التوبة **(رَحِيمٌ)** لكم بعدها ؛ قاله سعيد بن جبير . ختمت السورة .

(١) راجع ج ١٧ ص ٢٥٢

(٢) راجع ٢ ص ٧٣ طبعة ثانية .

سورة المدثر

مكية في قول الجميع وهي ست وخمسون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قوله تعالى : يَأَيُّهَا الْمُدْثُرُ ۝ قُمْ فَأَنذِرْ ۝ وَرَبُّكَ فَكَبِيرٌ ۝
وَثِيَابَكَ فَطَهِرْ ۝

فيه ست مسائل :

الأولى — قوله تعالى ؛ (يَأَيُّهَا الْمُدْثُرُ) أى يا ذى قد تدثر بثيابه ، أى تخشى بها ونام ، وأصله المدثر فأدغمت التاء في الدال لتجانسهما ، وقرأ أبى «المُدْثُر» على الأصل .
وقال مقاتل : معظم هذه السورة في الوليد بن المغيرة . وفي صحيح مسلم عن جابر بن عبد الله وكان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يُحدث — قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يحدث عن فترة الوحي — قال في حديثه : «فَبَيْنَا أَنَا أَمْشَى سَمِعْت صوتاً مِنَ السَّمَاوَاتِ فَرَفِعْت رَأْسِي فَإِذَا الْمَلَكُ الَّذِي جَاءَنِي بِحَرَاءَ جَالِسًا عَلَى كَرْبَلَى بَيْنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ»
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «بَقَيْثَتْ مِنْهُ فَرَقًا فَرَجَعْتْ فَقَلْتْ زَمْلَوْنِي زَمْلَوْنِي فَدَرْتُونِي فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى » (يَأَيُّهَا الْمُدْثُرُ . قُمْ فَأَنذِرْ . وَرَبُّكَ فَكَبِيرٌ . وَثِيَابَكَ فَطَهِرْ . وَالرِّحْمَنُ فَأَهْبِرْ) في رواية — قبل أن تفرض الصلاة — وهى الأوثان قال : «ثُمَّ تَابَعَ الْوَحْيَ»
نرجحه الترمذى أيضاً وقال : حديث حسن صحيح . قال مسلم : وحدثنا زهير بن حرب ،
قال : حدثنا الوليد بن مسلم ، قال : حدثنا الأوزاعى قال : سمعت يحيى يقول : سالت
أبا سلمة أى القرآن أُنْزَل قَبْلُ ؟ قال : «يَأَيُّهَا الْمُدْثُرُ» فقلت : أو «آقْرَأْ» فقال :

(١) بحثت أى فزع وخفت وفي رواية بحثت باءين بمعناه .

سألت جابر بن عبد الله أى القرآن أُنزل قبل؟ قال : «*يَأَيْهَا الْمُدْرَسُ*» فقلت : أو «آقرأ» فقال جابر : أخذتم ما حذثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : «جاورت بحرا شمرا فلما قضيت جواري نزلت فأستبطفت بطن الوادي فنوديت فنظرت أمامي وخلفي وعن يميني وعن شمالي فلم أر أحدا ثم نوديت فنظرت فلم أر أحدا ثم نوديت فرفعت رأسي فإذا هو على العرش في الهواء — يعني جبريل صلى الله عليه وسلم — فأخذتني رجفة شديدة فأتيت خديجة فقلت دُرُونِي فدُرُونِي فصبووا علي ما نزل الله عن وجلي «*يَأَيْهَا الْمُدْرَسُ* قم فاندر . وربك فـَكـَبـَرـَ . وـَيـَابـَكـَ فـَطـَهـَرـَ» خرجه البخاري وقال فيه : «فأتىت خديجة فقلت دُرُونِي وصـَبـَوـَا عـَلـِيـَّ ما بـَارـَدا فـَنـَزـَلـَتـَ «*يَأَيْهَا الْمُدْرَسُ* قم فاندر . وربك فـَكـَبـَرـَ . وـَيـَابـَكـَ فـَطـَهـَرـَ» (١) . آبن العربي : وقد قال بعض المفسرين إنه جرى على النبي صلى الله عليه وسلم من عقبة [بن ربيعة] أمر فرجع إلى منزله مغموما ، فقلق وأضطجع فنرا : «*يَأَيْهَا الْمُدْرَسُ* وهذا باطل . وقال القشيري أبونصر : وقيل بلغه قول كفار مكة أنت ساحر ووجد من ذلك غمّاً وحُمّاً فتدبر بياباه ، فقال الله تعالى : «قـَمـَ فـَانـَدـَرـَ» أى لا تفكري قوله وبلغهم الرسالة . وقيل : آجتمع أبو لهب وأبو سفيان والوليد بن المغيرة والنضر بن الحمر وأمية بن خلف والعاص بن وائل ومطعم بن عدى وقالوا : قد آجتمع وفود العرب في أيام الحج ، وهم يتساءلون عن أمر محمد وقد آختلفوا في الإخبار عنه ؟ فمن قائل يقول مجعون ، وآخر يقول كاهن ، وآخر يقول شاعر ، وتعلم العرب أن هذا كله لا يجتمع في رجل واحد ، فسموا مهذا باسم واحد يجتمعون عليه وتسميه العرب به ، فقام منهم رجل فقال : شاعر ؟ فقال الوليد : سمعت كلام آبن الأبرص وأمية بن أبي الصلت ، وما يشبه كلام محمد كلام واحد منها ، فقالوا : كاهن . فقال : الكاهن يصدق ويکذب وما کذب محمد فقط ، فقام آخر فقال : مجعون ؟ فقال الوليد : المجون يخنق الناس وما خنق محمد فقط . وأنصرف الوليد إلى بيته فقالوا : صبا الوليد بن المغيرة ؟ فدخل عليه أبو جهل وقال : مالك يا أبا عبد شمس !

(١) الزيادة من آبن العربي .

هذه قريش تجتمع لك شيئاً يعطونك ، زعموا أنك قد أاحتقت وصيّات . فقال الوليد : مالي إلى ذلك حاجة ، ولكنني فكرت في مهد ، فقلت : ما يكون من الساحر؟ فقيل : يفرق بين الأب وأبنته ، وبين الأخ وأخيه ، وبين المرأة وزوجها ، فقلت : إنه ساحر . شاع هذا في الناس وصاحبوا يقولون : إن مهداً ساحر . ورجح رسول الله صلى عليه وسلم إلى بيته مخزوناً فتدبر بقطيعة ، ونزلت : «*يَأَيُّهَا الْمُدْرِرُ*» . وقال عكرمة : معنى «*يَأَيُّهَا الْمُدْرِرُ*» أى المدثر بالنبوة وأتقلاها . آبن العربي : وهذا مجاز بعيد ، لأنّه لم يكن تنبأ بعد . وعلى أنها أقول القرآن لم يكن تكن منها بعد أن كانت ثانى ما نزل .

الثانية — قوله تعالى : «*يَأَيُّهَا الْمُدْرِرُ*» ملاحظة في الخطاب من الكريم إلى الحبيب إذا ناداه بحاله ، وعبر عنه بصفته ، ولم يقل يا مهداً ويا فلان ليستشعر اللين والملاحظة من ربه كما تقدم في سورة «المزمول» . ومثله قول النبي صلى الله عليه وسلم لعلى إذ نام في المسجد : «قُمْ أبا تراب» وكان خرج مغاضباً لفاطمة رضي الله عنها فسقط رداءه وأصاباه ترابه ، خرجه مسلم . ومثله قوله عليه الصلاة والسلام لخديفة ليلة الخندق : «قُمْ يانومان» وقد تقدم .

الثالثة — قوله تعالى : («*قُمْ فَانِدِرُ*») أى خوف أهل مكة وحدّرهم العذاب إن لم يسلّموا . وقيل : الإنذار هنا إعلامهم بنبوته ، لأنّه مقدمة الرسالة . وقيل : هو دعاؤهم إلى التوحيد ، لأنّه المقصود بها . وقال الفراء : قم فصل وأمر بالصلة .

الرابعة — قوله تعالى : («*وَرَبَّكَ فَكَبَرُ*») أى سيدك وما لك ومصلح أمرك فعظم ، وصفه بأنه أكبر من أن يكون له صاحبة أو ولد . وفي حديث أنهم قالوا : يمْ ثُفْتَحَ الصلة؟ فترات «*وَرَبَّكَ فَكَبَرُ*» أى وصفه بأنه أكبر . قال آبن العربي : وهذا القول وإن كان يقتضي بعمومه تكبير الصلاة ، فإنه مراد فيه تكبير التقديس والتزييه بخلع الأنداد والأصنام دونه ، ولا تتحذ ولها غيره ، ولا تعبد سواه ، ولا ترى لغيره فعلاً إلا له ، ولا نعمة إلا منه . وقد روى أن آبا سفيان قال يوم أحد : أعلُّ هُبَلْ ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : «قولوا الله أعلى وأجل» وقد صار هذا اللفظ بعرف الشرع في تكبير العبادات كلها أذاناً

وصلة وذكرا بقوله : « الله أكبير » وحمل عليه لفظ النبي صلى الله عليه وسلم الوارد على الإطلاق في مواردها ؛ منها قوله : « تحريمها التكبير وتحليلها التسليم » والشرع يقتضي بعرفه ما يقتضي بعمومه ، ومن موارده أوقات الإهلال بالذبائح للخلاص من الشرك ، وإعلانا باسمه في النسك ، وإنفادا لما شرع منه لأمره بالسقك .

قلت : قد تقدم في أول سورة « البقرة » ^(١) أن هذا اللفظ « الله أكبير » هو المتعبد به في الصلاة ، المتنقول عن النبي صلى الله عليه وسلم . وفي التفسير : إنه لما نزل قوله تعالى « وَرَبُّكَ فَكَبَرْ » قام رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : « الله أكبير » فكبّرت خديجة وعلمت أنه الوحي من الله تعالى ؟ ذكره القشيري .

الخامسة — الفاء في قوله تعالى : « وَرَبُّكَ فَكَبَرْ » دخلت على معنى جواب الجزاء كما دخلت في « فَانْذِرْ » أي قم فانذر وقم فكّر ربك ؛ قاله الزجاج . وقال ابن جنی : هو كقولك زيدا فاضرب ؛ أي زيدا أضرب ، فالفاء زائدة .

ال السادسة — قوله تعالى : « وَنَبَّأَكَ فَطَهَرْ » فيه ثمانية أقوال : أحدها أن المراد بالثياب العمل . الثاني القلب . الثالث النفس . الرابع الجسم . الخامس الأهل . السادس الخلق . السابع الدين . الثامن الثياب الملبوسات على الظاهر . فمن ذهب إلى القول الأول قال : تأويل الآية وعملك فأصلاح ؛ قال مجاهد وآبن زيد . وروى منصور عن أبي زرين قال : يقول و عملك فأصلاح ؛ قال : وإذا كان الرجل خبيث العمل قالوا إن فلانا خبيث الثياب ، وإذا كان حسن العمل قالوا إن فلانا طاهر الثياب ؛ ونحوه عن السدي . ومنه قول الشاعر :

(٢)
لَا هُمْ إِنْ عَامِرَ بْنَ جَهَنَّمْ * أَوْذِمْ حَمَّا فِي ثِيَابِ دُسْمِ

(١) راجع ج ١ ص ١٧٥ .

(٢) ثياب دسم : وسخنة ؛ ومعنى البيت : أنه حرج وهو متذمّن بالذنب . وأوذم الحرج أوجبه .

ومنه ما روی عن النبي صلی الله علیه وسلم أنه قال : ”يُحشر المرء في ثوبيه اللذين مات عليهمما“ يعني عمله الصالح والطاطع ؛ ذكره الماوردي . ومن ذهب إلى القول الثاني قال : إن تأویل الآية وقلبك فظهر ، قاله آبن عباس وسعيد بن جبیر ؛ دليله قول أمروی القيس :

* فَسُلِّي شَيْابِي مِنْ شَيْابِكَ تَسْلِي *

أى قلبك . قال الماوردي : ولهـم في تأویل الآية وجهان ؛ أحدهما — معناه وقلبك فظهر من الإثم والمعاصي ؛ قاله آبن عباس وقتادة . الثاني — وقلبك فظهر من الغدر ؛ أى لا تغدر ف تكون دنس الثياب . وهذا مروی عن آبن عباس ، واستشهد بقول عيلان بن سالمـة الثقـفـي :

فَإِنِّي بِمَحْمَدِ اللَّهِ لَا ثُوبَ فَاجِرٌ * لَيْسَتْ وَلَا مِنْ غَدَرَةٍ أَنْقَعْ

ومن ذهب إلى القول الثالث قال : تأویل الآية ونفسك فظهر ؛ أى من الذنب .

والعرب تکنی عن النفس بالثياب ؛ قاله آبن عباس . ومنه قول عنترة :

فَشَكَّنْتُ بِالرُّغْبَ الْطَّوَيْلِ شَيْابَهُ * لَيْسَ الْكَرِيمُ عَلَى الْقَنَاءِ بَحْرَمَ

وقال أمروی القيس :

* فَسُلِّي شَيْابِي مِنْ شَيْابِكَ تَسْلِي *

(٢) وقال :

ثِيَابُ بَنِي عَوْفٍ طَهَارَى نَقِيَّةً * وَأَوْجَهُهُمْ بِيَضِّ الْمَسَافِرِ غُرَّانُ

أى نفس بنى عوف . ومن ذهب إلى القول الرابع قال : تأویل الآية وجسمك فظهر ؛ أى عن المعاصي الظاهرة . وما جاء عن العرب في الكافية عن الجسم بالثياب قول ليسى ، وذكرت إبلـا :

رَمَوْهَا بِأَثْيَابٍ خَفَافٍ فَلَا تَرَى * لَهَا شَبَهًا إِلَّا النَّعَامَ الْمُنَفَّرَ

(١) صدر البيت : * وإن كنت قد سألك من خلقة *

(٢) نسب المؤلف لهذا البيت فيما سبأني لأبن أبي كبشة مرة ولأمـريـ القـيسـ مـرةـ أخرىـ ،ـ وفيـ «ـالـسانـ»ـ وـ «ـشـرحـ القـامـوسـ»ـ أـنهـ لـأمـريـ القـيسـ وـلمـ نـعـثرـ عـلـيهـ فـيـ دـيوـانـهـ ،ـ وـقدـ نـسـبهـ آـبـنـ العـربـيـ لـأـبـيـ كـبـشـةـ .ـ

أى ركبواها فرموها بأنفسهم . ومن ذهب إلى القول الخامس قال : تأويل الآية وأهلك فظاهرهم من الخطايا بالوعظ والتأديب ؛ والعرب تسمى الأهل ثوباً ولباساً وإزاراً ؛ قال الله تعالى : «هُنَّ لِيَسٌ لَكُمْ وَأَنْتُ لِيَسٌ لَهُنَّ» . الماوردي : وله في تأويل الآية وجهان ؛ أحدهما — معناه ونساءك فظاهر باختيار المؤمنات العفائف . الثاني — الاستثناء بهنـ في القبيل دون الدبر ، في الطهر لا في الحيض . حكاه ابن بحر . ومن ذهب إلى القول السادس قال : تأويل الآية وخلقك خسن . قاله الحسن والقرطبي ؛ لأن خلق الإنسان مشتمل على أحواله آشتمال ثيابه على نفسه . وقال الشاعر :

وَيَحْيَى لَا يُلَامُ بِسُوءِ خُلُقٍ * وَيَحْيَى طَاهِرٌ الْأَثْوَابُ حُرٌّ

أى حسن الأخلاق . ومن ذهب إلى القول السابع قال : تأويل الآية ودينك فظاهر . وفي الصحيحين عنه عليه السلام قال : "ورأيت الناس وعليهم ثياب منها ما يبلغ الثدى ومنها ما دون ذلك ورأيت عمر بن الخطاب وعليه إزار يجزه" . قالوا : يا رسول الله فما أؤلت ذلك ؟ قال : الدين . وروى ابن وهب عن مالك أنه قال : ما يعجبني أن أقرأ القرآن إلا في الصلاة والمساجد لا في الطرق ، قال الله تعالى : «وَثِيَابَكَ فَطَهَرْ» يريد مالك أنه كفى سن الثياب بالدين . وقد روى عبد الله بن نافع عن أبي بكر بن عبد العزيز بن عبد الله آن عمر بن الخطاب عن مالك بن أنس في قوله تعالى : «وَثِيَابَكَ فَطَهَرْ» أى لا تلبسها على غدرة ؛ ومنه قول أبي كبشة :

ثِيَابُ بْنِ عَوْفٍ طَهَارَى تَقِيَّةً * وَأَوْجَهُهُمْ بِيَضِّ الْمَسَافِرِ غَرَانُ

يعنى بطهارة ثيابهم سلامتهم من الذناءات ، ويعنى بغرة وجوههم تنزيتهم عن المحرمات ، أو جمالهم في الخلقة أو كلئهما ؛ قاله آن العربي . وقال سفيان بن عيينة : لا تلبس ثيابك على كذب ولا جور ولا غدر ولا إثم ؛ قاله عكرمة . ومنه قول الشاعر :

* أَوْدَمَ حَجَّاً فِي ثِيَابِ دُسِيمٍ *

أى قد دنسها بالمعاصي . وقال النابغة :

^(١) رِقَاقُ النَّعَالِ طَيْبٌ وَجِزَاتُهُمْ * يُحِبُّونَ بِالرَّيْحَانِ يَوْمَ السَّبَابِ

ومن ذهب إلى القول الثامن قال : إن المراد بها الثياب الملبوسات فلهم في تأويله أربعة أوجه ، أحدهما — معناه وثيابك فأنتي ، ومنه قول أمير القيس :

* ثِيَابُ بْنِ عَوْفٍ طَهَارَى نَقِيَّةً *

الثاني — وثيابك فشمر وقصر ، فإن تقصير الثياب أبعد من النجاسة ، فإذا آنجرت على الأرض لم يؤمن أن يصيغها ما ينبع منها ، قاله الزجاج وطاوس . الثالث — « وَثِيَابَكَ فَطَهَرَ » من النجاسة بالماء ، قاله محمد بن سيرين وأبن زيد والفقهاء . الرابع — لا تلبس ثيابك إلا من كسب حلال تكون مطهرة من الحرام . وعن أبي عباس : لا تكن ثيابك التي تلبس من مكسب غير طاهر . أبي العربى وذى بعض ما ذكرناه : ليس بممتنع أن تحمل الآية على عموم المراد فيها بالحقيقة والمجاز ، وإذا حملناها على الثياب المعلومة الطاهرة فهي تتناول معندين : أحدهما — تقصير الأذياں ؛ لأنها إذا أرسلت تدنست ، وهذا قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه لغلام من الأنصار وقد رأى ذيله مسترخيا : أرفع إزارك فإنه أنتي وأبيك . وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم : ^(٢) « إِزْرَةُ الْمُؤْمِنِ إِلَى أَنْصَافِ سَاقِيهِ لَا جُنَاحَ عَلَيْهِ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْكَعْبَيْنِ وَمَا كَانَ أَسْفَلَ مِنْ ذَلِكَ فِي النَّارِ » فقد جعل النبي صلى الله عليه وسلم الغاية في لباس الإزار الكعب وتوعد ما تحته بالنار ، فما بال رجال يرسلون أذياهم ويطبلون ثيابهم ، ثم يتکلفون رفعها بأيديهم ، وهذه حالة الكبر ، وقادمة العجب ، [وأشد ما في الأمر أنهم يعصون وينجسون ويتحققون أنفسهم] ^(٣) بن لم يجعل الله معه غيره ولا أحق به سواه . قال النبي صلى الله عليه وسلم : « لَا يَنْظَرُ اللَّهُ إِلَى مَنْ جَرَّ ثُوبَهُ خِلَاءً » ولفظ الصحيح : « مَنْ جَرَ إِزارَهُ خِلَاءً لَمْ يَنْظَرْ اللَّهُ إِلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » . قال أبو بكر : يا رسول الله ! إن أحد

(١) البيت من قصيدة مدح بها عمرو بن العاص . وأراد برفاقة العمال أنهم ملوك لا يخصنون نعالم ، وبطيب جزائهم عفتهم . والسباب يوم « السعainen » وهو يوم عبد عند النصارى وكان المدوح نصانينا .

(٢) الإزار بالكسر : الحالة وهيءة الإزار .

(٣) الزيادة من أبي العربى .

شقى إزارى يسترخى إلا أنى أتعاهد ذلك منه . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ”لست من يصنعه خيلاء“ فعم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالنهى وأستثنى الصديق ، فأراد الأدنى إلهاق أنفسهم بالرفعاء ، وليس ذلك لهم . والمعنى الثانى — غسلها من النجاسة وهو ظاهر منها صحيح فيها . المهدوى : وبه استدل بعض العلماء على وجوب طهارة التوب ؛ قال ابن سيرين وابن زيد : لا تصل إلا في ثوب ظاهر . وأاحتج بها الشافعى على وجوب طهارة التوب . وليست عند مالك وأهل المدينة بفرض ، وكذلك طهارة البدن ، ويدل على ذلك الإجماع على جواز الصلاة بالاستعمال من غير غسل . وقد مضى هذا القول في سورة براءة ^(٢) مستوفى .

قوله تعالى : وَالْرِّجْزَ فَآهَبْرُ ﴿٤﴾

قوله تعالى : (وَالْرِّجْزَ فَآهَبْرُ) قال مجاهد وعكرمة : يعني الأوثان ، دليله قوله تعالى : « فَاجْتَنِبُوا الرِّجْزَ مِنَ الْأَوْثَانِ » وقاله ابن عباس وابن زيد . وعن ابن عباس أيضاً : والمأثم فآهبر ، أى فترك . وكذا روى مغيرة عن إبراهيم التخخي قال : الرجز الإثم . وقال قتادة : الرجز إساف ونائله صنان كانوا عند البيت . وقيل : الرجز العذاب على تقدير حذف المضاف ، المعنى وعمل الرجز فآهبر ، أو العمل المؤدى إلى العذاب . وأصل الرجز العذاب ، قال الله تعالى : « لَئِنْ كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لِتُؤْتَنَّ لَكَ » وقال تعالى : « فَارْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ » فسميت الأوثان رجزا ، لأنها تؤدى إلى العذاب . وقراءة العامة « الرِّجْزَ » بكسر الراء . وقرأ الحسن وعكرمة ومجاهد وابن حمدين وحفص عن عاصم . « والرجز » بضم الراء وهو لغتان مثل الذكر والذكر . وقال أبو العالية والربيع والكسائى : الرجز بالضم الصنم وبالكسر النجاسة والمعصية . وقال الكسائى أيضاً : بالضم الوثن وبالكسر العذاب . وقال السدى : الرجز بمنصب الراء الوعيد .

(١) في ابن العربي : بالأقصباء . (٢) راجع بحث ص ٢٦١ فما بعدها .

(٣) قوله بمنصب الراء ... كما في نسخ الأصل ولم يظفر به في المراجع التي بأيدينا .

قوله تعالى : **وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ** (١٠)

فيه ثلاثة مسائل :

الأولى — قوله تعالى : **(وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ)** فيه أحد عشر تأويلاً ، الأول — لا تمن على ربك بما يتحمله من أثقال النبوة ، كالذى يستكثر ما يتحمله بسبب الغير . الثاني — لا تعط عطية تلمس بها أفضل منها ، قاله آبن عباس وعكرمة وقتادة . قال الصبحان : هذا حرمه الله على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لأنه مأمور بأشرف الآداب وأجل الأخلاق ، وأباحه لأمته ، وقاله مجاهد . الثالث — عن مجاهد أيضاً : لا تضعف أن تستكثر من الخير ؟ من قولك حيل متين إذا كان ضعيفاً ، ودليله قراءة آبن مسعود « **وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ مِنَ الْخَيْرِ** » .
الرابع — عن مجاهد أيضاً والرابع : لا تعظم عملك في عينك أن تستكثر من الخير فإنه مما أنعم الله عليك . قال آبن كيسان : لا تستكثر عملك فقراء من نفسك ، إنما عملك منه من الله عليك ؟ إذ جعل الله لك سبيلاً إلى عبادته . **الخامس** — قال الحسن : لا تمن على الله بعملك فستكثره . **ال السادس** — لا تمن بالنبوة والقرآن على الناس فتأخذ منهم أجراً تستكثر به .
السابع — قال القرظي : لا تعط مالك مصانعة . **الثامن** — قال زيد بن أسلم : إذا أعطيت عطية فأعطيها لربك . **التاسع** — لا تقل دعوت فلم يستجب لي . **العاشر** — لا تعمل طاعة وتطلب ثوابها ، ولكن أصبر حتى يكون الله هو الذي يثنيك عليها . **الحادي عشر** — لا تفعل الخير لترأسي به الناس .

الثانية — هذه الأقوال وإن كانت مراده فأظهرها قول آبن عباس : لا تعط لتأخذ أكثر مما أعطيت من المال ؟ يقال : مننت فلاناً كذا أوى أعطيته . ويقال للعطية المنة ؛ فكانه أمر بأن تكون عطاياه لا لارتقاب ثواب من الخلق عليها ؛ لأنه عليه السلام ما كان يجمع الدنيا ، ولهذا قال : « ما لى ما أفاء الله عليكم إلا الخمس والخمس مردود علىكم » وكان ما يفضل من نفقة عياله مصروفاً إلى مصالح المسلمين ؛ ولهذا لم يورث ، لأنه كان لا يملك لنفسه الأذخار والاقتناء ، وقد عصمه الله تعالى عن الرغبة في شيء من

الدنيا ؛ ولذلك حرمت عليه الصدقة وأبيحت له المهدية ، فكان يقبلها ويثيب عليها . وقال : « لو دعيت إلى كُرَاع لأجبت ولو أهدي إلى ذراع لقلبت » ^(١) ابن العربي : وكان يقبلها سُنَّة ولا يستكثرها شرعاً ، وإذا كان لا يعطى عطية يستكثر بها فالأغنياء أولى بالأجتناب ، لأنها باب من أبواب المذلة ، وكذلك قول من قال : إن معناها لا تعطي عطية تنتظر ثوابها ، فإن الانتظار تعلق بالأطماع ، وذلك في حيزه بحكم الامتناع ، وقد قال الله تعالى له : « وَلَا تَمْدُنْ عَيْنِيكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِفَتْنَتِهِمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْيَقُ » ^(٢) وذلك جائز لسائر الخلق ؛ لأنها من متاع الدنيا ، وطلب الكسب والتکاثر بها . وأما من قال أراد به العمل أى لا تمن بعملك على الله فتستكثره فهو صحيح ؛ فإن ابن آدم لو أطاع الله عمره من غير فتور لما بلغ لنعم الله بعض الشكر .

الثالثة — قوله تعالى : « وَلَا تَمْنُنْ » قراءة العامة بإظهار التضعيف . وقرأ أبو السمال العدوى وأشهب العقيل والحسن « وَلَا تَمْنُنْ » مدغمة مفتوحة . « تَسْتَكْثِرُ » قراءة العامة بالفتح وهو في معنى الحال ، تقول : جاء زيد يرفض أى را��ضا ، أى لا تعط شيئاً مقدراً أن تأخذ بدلها ما هو أكثر منه . وقرأ الحسن بالحزم على جواب النهي وهو ردٍ ؛ لأنه ليس بجواب . ويجوز أن يكون بدلًا من « تَمْنُنْ » كأنه قال : لا تستكثر . وأنكره أبو حاتم وقال : لأن المتن ليس بالاستكثار فيبدل منه . ويحتمل أن يكون سكن تخفيفاً كعسد . أو أن يعتبر حال الوقف . وقرأ الأعمش ويحيى « تَسْتَكْثِرَ » بالنصب توهم لام كـ كأنه قال : ولا تمن لستكثـر . وقيل : هو بإضمار « أـن » كقوله :

« أَلَا أَئْهَمَا الزَّاهِرِيَّ أَحْسِرُ الْوَاعِيَّ »

ويؤيده قراءة ابن مسعود « وَلَا تَمْنُنْ أَنْ تَسْتَكْثِرُ » . قال الكسائي : فإذا حذف « أـن » رفع وكان المعنى واحداً . وقد يكون المتن بمعنى التعداد على المنعم عليه بالنعم ، فيرجع إلى

(١) الكراـع بوزان غـراب وهو مستند الساق من الرجل . وهو من البقر والغنم بمنزلة الوظيف من الفرس والبعير .

(٢) البيت لطرفة بن العبد من معلمته وتمامه :

* وأن أأشهد الذـات هل أنت مخلـدـي *

القول [الثاني] ، ويقصده قوله تعالى : « لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمُنَّ وَالْأَذَى » وقد يكون مرادا
في هذه الآية . والله أعلم .

قوله تعالى : **وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ** (١)

قوله تعالى : « وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ » أى ولربك ومالك فاصبر على أداء فرائضه وعبادته .
وقال مجاهد : على ما أوذيت . وقال ابن زيد : حلت أمرًا عظيمًا ، مغاربة العرب والجم
فاصبر عليه الله . وقيل : فاصبر تحت موارد القضاء لأجل الله تعالى . وقيل : فاصبر على
البلوى ؛ لأنّه يمتحن أولياءه وأصفياءه . وقيل : على أوامره ونواهيه . وقيل : على فراق
الأهل والأوطان .

قوله تعالى : **فَإِذَا نُقِرَ فِي الْنَّاقُورِ** (٢) **فَذَلِكَ يَوْمَئِذِ يَوْمٌ**
عَسِيرٌ (٣) **عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ** (٤)

قوله تعالى : « فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ » إذا نفع في الصور . والناقور فاعول من النقر ؟
كانه الذي من شأنه أن ينقر فيه للتصوير ، والنقر في كلام العرب الصوت ؟ ومنه قول
أمرى القيس :

أَخْفَضُهُ بِالنَّقْرِ لَمَّا عَلَوْتُهُ * **وَيَرْفَعُ طَرْفًا غَيْرَ خَافِ غَصِيبِ**

وهم يقولون : نقر باسم الرجل إذا دعا به مختصا له بدعائه . وقال مجاهد وغيره : هو
كهيئة البوق يعني به النفخة الثانية . وقيل : الأولى ؛ لأنها أول الشدة المائلة العامة .
وقد مضى الكلام في هذا مستوف في « المل » و « الأنعم » وفي كتاب « التذكرة » والحمد لله .
وعن أبي حبان قال : أمنا زرارة بن أوفى فلما بلغ « فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ » خرّ مينا .
« فَذَلِكَ يَوْمَئِذِ يَوْمٌ عَسِيرٌ » أى كذلك اليوم يوم شديد (على الكافرين) أى على من كفر

(١) زيادة يقتضيها المعنى . (٢) راجع ج ١٣ ص ٢٣٩ فما بعدها . (٣) راجع ج ٧ ص ٢٠

بأنه وبأنياته صلى الله عليهم (غَيْرِ سَيِّرٍ) أى غير سهل ولا هين؛ وذلك أن عقدهم لا تخل إلا إلى عقدة أشد منها ، بخلاف المؤمنين الموحدين المذنبين فإنها تخل إلى ما هو أخف منها حتى يدخلوا الجنة برحمه الله تعالى . و «يَوْمَئِذٍ» نصب على تقدير فذلك يوم عسير يومئذ . وقيل : حرّ بتقدير حرف حرّ، مجازه : فذلك في يومئذ . وقيل : يجوز أن يكون رفعا إلا أنه بني على الفتح لإضافته إلى غير متken .

قوله تعالى : ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١﴾ وَجَعَلْتُ لَهُ مَا لَمْ يَمْدُودَا ﴿٢﴾ وَبَنِينَ شُهُودًا ﴿٣﴾ وَمَهَدْتُ لَهُ تَمَهِيدًا ﴿٤﴾ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ﴿٥﴾ كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لَا يَتَنَّا عَنِيدًا ﴿٦﴾ سَارِهُقُهُ صَعُودًا ﴿٧﴾

قوله تعالى : («ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا») «ذَرْنِي» أى دعنى ؛ وهى كلمة وعيد وتهديد . «وَمَنْ خَلَقْتُ» أى دعنى والذى خلقته وحيدا ؛ فـ «وَحِيدًا» على هذا حال من ضمير المفعول المخدوف ؛ أى خلقته وحده لا مال له ولا ولد، ثم أعطيته بعد ذلك ما أعطيته . والمفسرون على أنه الوليد بن المغيرة المخزومى ، وإن كان الناس خلقوا مثل خلقه . وإنما خص بالذكر لاختصاصه بكفر النعمة وإيذاء الرسول عليه السلام ، وكان يسمى الوحيد فى قومه .

قال ابن عباس : كان الوليد يقول أنا الوحيد بن الوحيد ليس لي فى العرب نظير ، ولا لأبى المغيرة نظير ، وكان يسمى الوحيد ؛ فقال الله تعالى : «ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ» بزعمه «وَحِيدًا» لا أن الله تعالى صدقه بأنه وحيد . وقال قوم : إن قوله تعالى «وَحِيدًا» يرجع إلى الرب تعالى على معينين ؛ أحدهما - ذرنى وحدي معه فأنا أجزيك فى الانتقام منه عن كل متنقم . والثانى - أنى آنفردت بخلقته ولم يشركنى فيه أحد ، فأنا أهلكه ولا أحتاج إلى ناصر فى إهلاكه ؛ فـ «وَحِيدًا» على هذا حال من ضمير الفاعل وهو التاء فى «خَلَقْتُ» والأول قول مجاهد ؛ أى خلقته وحيدا فى بطن أمه لامال له ولا ولد فأنعتت عليه فكfer ؛ فقوله «وَحِيدًا» على هذا يرجع إلى الوليد ؛ أى لم يكن له شيء فلكلته . وقيل : أراد بذلك ليidleه على أنه يبعث وحيدا

كما خلق وحيدا . وقيل : الوحد الذي لا يُعرف أبوه وكان الوليد معروفا بأنه دعى ؛ كما ذكرنا في قوله تعالى : « عُتَّلَ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٌ » وهو في صفة الوليد أيضا .^(١)

قوله تعالى : « وَجَعَلْتُ لَهُ مَا لَا مَدُودًا » أي خولته وأعطيته مالاً ممدوداً ، وهو ما كان للوليد بين مكة والطائف من الإبل والجحور والنعم والحنان والعبيد والجواري ؛ كذا كان ابن عباس يقول . وقال مجاهد : غلة ألف دينار ؛ وقاله سعيد بن جبير وابن عباس أيضا . وقال قتادة : ستة آلاف دينار . وقال سفيان الثوري وقتادة : أربعة آلاف دينار . الثوري أيضا : ألف ألف دينار . مقاتل : كان له بستان لا ينقطع خيره شتاء ولا صيفا . وقال عمر رضي الله عنه : « وَجَعَلْتُ لَهُ مَا لَا مَدُودًا » غلة شهر بشهر . النعan بن سالم : أرضها يزرع فيها . القشيري : والأظاهر أنه إشارة إلى ما لا ينقطع رزقه ، بل يتواتي كالزرع والضرع والتجارة .

قوله تعالى : « وَبَنَنَ شَهُودًا » أي حضورا لا يغيبون عنه في تصرف . قال مجاهد وقتادة : كانوا عشرة . وقيل : آثنا عشر ؛ قاله السدي والضحاك . قال الضحاك : سبعة ولدوا بمكة وخمسة ولدوا بالطائف . وقال سعيد بن جبير : كانوا ثلاثة عشر ولدا . مقاتل : كانوا سبعة كلهم رجال ؛ أسلم منهم ثلاثة ؛ خالد وهشام والوليد بن الوليد . قال : فما زال الوليد بعد نزول هذه الآية في نقصان من ماله وولده حتى هلك . وقيل : شهودا ؛ أي إذا ذكروا معه ؛ قاله ابن عباس . وقيل : شهودا ؛ أي قد صاروا مثله في شهود ما كان يشهد له ، والقيام بما كان يبشره . والأقل قول السدي ؛ أي حاضرين مكة لا يظعنون عنه في تجارة ولا يغيبون .

قوله تعالى : « وَمَهَدْتُ لَهُ تَمَهِيدًا » أي بسطت له في العيش بسطاً حتى أقام بيته مطمئناً متوفهاً يرجع إلى رأيه . والتمهيد عند العرب التوطئة والتبيئة ومنه مهد الصبي . وقال ابن عباس : « وَمَهَدْتُ لَهُ تَمَهِيدًا » أي وسعت له ما بين اليمن والشام ؛ وقاله مجاهد . وعن مجاهد أيضاً في « مَهَدْتُ لَهُ تَمَهِيدًا » أنه المال بعضه فوق بعض كما يهد الفراش .

(١) في نسخة : لا يتبين .

قوله تعالى : «**ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ**» أى ثم إن الوليد يطمع بعد هذا كله أن أزيده في المال والولد . «**كَلَّا**» أى ليس يكون ذلك مع كفره بالنعم . وقال الحسن وغيره : أى ثم يطمع أن أدخله الجنة ، وكان الوليد يقول : إن كان مهد صادقاً فما خلقت الجنة إلا لـ ؟ فقال الله تعالى رداً عليه وتذكير له «**كَلَّا**» أى لست أزيده ، فلم يزل يرى النقصان في ماله وولده حتى هلك . و «**ثُمَّ**» في قوله تعالى : «**ثُمَّ يَطْمَعُ**» ليست بهم التي للنسق ولكنها تعجب ؛ وهي كقوله تعالى : «وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدُونَ» وذلك كما تقول : أعطيتك ثم أنت تجفوني كالمتعجب من ذلك . وقيل : يطمع أن أترك ذلك في عقبه ؛ وذلك أنه كان يقول : إن مهداً مبتور أى أبتر وينقطع ذكره بمorte . وكان يظن أن ما رزق لا ينقطع بمorte . وقيل : أى ثم يطمع أن أنصره على كفره . و «**كَلَّا**» قطع للرجاء عمما كان يطمع فيه من الزيادة ؛ فيكون متصلاً بالكلام الأول . وقيل : «**كَلَّا**» بمعنى حقاً ويكون آبتداء . «**إِنَّهُ يَعْنِي الْوَلِيدَ**» (كان لا يأتنا عنيناً) أى معانداً للنبي صلى الله عليه وسلم وما جاء به ؛ يقال : عاند فهو عنيد مثل جالس فهو جليس ؛ قاله مجاهد . وعند يعند بالكسر أى خالف ورد الحق وهو يعرفه فهو عنيد وعائد . والعائد البعير الذي يحور عن الطريق ويعدل عن القصد والجمع عند مثل راكع ورَكْعَهُ (١) وأنشد أبو عبيدة قول الحارثي :

إِذَا رَكِبْتُ فَآجْعَلْنِي وَسَطَا * إِنِّي كَبِيرٌ لَا أُطِيقُ الْعُنْدَا

وقال أبو صالح : «**عَنِيدًا**» معناه مباغداً ، قال الشاعر :

أَرَانَا عَلَى حَالٍ تُفَرَّقُ بَيْنَا * نَوْيَ غَرْبَةٌ إِنَّ الفِرَاقَ عَنُودٌ

قتادة : جاحداً . مقاتل : معرضاً . ابن عباس : بخوداً . وقيل : إنه المجاهر بعدوانه . وعن مجاهد أيضاً قال : مجانباً للحق معانداً له معرضاً عنه . والمعنى كله متقارب . والعرب تقول : **عَنَدَ الرَّجُلِ إِذَا عَنَا وَجَازَ قَدْرَهُ . وَالْعَنُودُ مِنَ الْإِبْلِ الَّذِي لَا يَخَالِطُ الْإِبْلَ إِنَّمَا هُوَ فِي نَاحِيَةٍ . وَرَجُلٌ عَنُودٌ إِذَا كَانَ يَحْلِّ وَحْدَهُ لَا يَخَالِطُ النَّاسَ . وَالْعَنِيدُ مِنَ التَّجْبَرِ . وَعَرْقِ**

(١) رواية لسان العرب : * إذا رحلت فأجعلوني وسطاً

(٢) نوى غربة : بعيدة .

عَانِدٌ إِذَا لَمْ يُرِقْ دَمَهُ، كُلُّ هَذَا قِيَاسٍ وَاحِدٌ وَقَدْ مُضِيَ فِي سُورَةٍ «إِبْرَاهِيمٌ» . وجُمِعَ الْعَنْدِ
عُنْدُ مَثْلِ رِغْيفٍ وَرُغْفَةٍ .

قوله تعالى : (سَأَرَهِقْهُ) أى سأكفله . وكان ابن عباس يقول : سألهُه بِوَالْإِرْهَاقِ
في كلام العرب أن يُحمل الإنسان على الشيء . (صَعُودًا) " الصَّعُود جبل من نار يتَصَعَّدُ فيه
سبعين خريفاً يَهُوي به كذلك فيه أبداً " رواه أبو سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم ،
خرجه الترمذى وقال فيه حديث غريب . وروى عطية عن أبي سعيد قال : صخرة في جهنم إذا
وضعوا عليها أيديهم ذابت فإذا رفعوها عادت ، قال : فيبلغ أعلاها في أربعين سنة يجذب
أمامه بسلاسل ويضرب من خلفه بمقامع ، حتى إذا بلغ أعلاها رمى به إلى أسفلها ، كذلك
دأبه أبداً . وقد مضى هذا المعنى في سورة «قُلْ أُوحِيَ» . وفي التفسير : إنه صخرة ملساء
يكافِ صَعُودُهَا فإذا صارَ فِي أَعْلَاهَا حُدْرِفَ فِي جَهَنَّمَ، فَيَقُومُ يَهُوي أَلْفَ هَامَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَلْبِغَ قَرَارَ
جَهَنَّمَ، يَحْتَرِقُ فِي كُلِّ يَوْمٍ سَبْعِينَ مَرَّةً ثُمَّ يَعُادُ خَلْقَاهُ جَدِيداً . وقال ابن عباس : المعنى سأكفله
مشقة من العذاب لا راحة له فيه . ونحوه عن الحسن وقتادة . وقيل : إنه تصاعد نفسه
للزعزع وإن لم يتعقبه موت ، ليعدب من داخل جسده كما يعدب من خارجه .

قوله تعالى : إِنَّهُ فَكَرَ وَقَدَرَ ١٨ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَرَ ١٩ ثُمَّ قُتِلَ
كَيْفَ قَدَرَ ٢٠ ثُمَّ نَظَرَ ٢١ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ٢٢ ثُمَّ ادْبَرَ وَأَسْتَكَبَرَ ٢٣
فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا سِرْ يُؤْثِرُ ٢٤ إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ آنْبَشِرِ ٢٥

قوله تعالى : (إِنَّهُ فَكَرَ وَقَدَرَ) يعني الوليد فكر في شأن النبي صلى الله عليه وسلم والقرآن .
و «قدَرَ» أى هيأ الكلام في نفسه ، والعرب تقول : قدرت الشيء إذا هيأته ، وذلك
أنه لما نزل «حَمَ . تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ» إلى قوله «إِلَيْهِ الْمَصِيرُ» سمعه
الوليد يقرأها فقال : والله لقد سمعت منه كلاماً ما هو من كلام الإنس ولا من كلام الجن ،

(٢) راجع ج ٩ ص ١٨ فما بعدها من هذا الجزء .

(١) ٣٤٩

وإن له حلاوة ، وإن عليه لطلاوة ، وإن أحلاه لمثير ، وإن أسفله ملحدق ، وإنه ليعلو ولا يعل عليه ، وما يقول هذا بشر . فقلت قريش : صبا الوليد لتصبون قريش كلها . وكان يقال للوليد ريحانة قريش ؟ فقال أبو جهل : أنا أكيفكوه فضى إلينه حزينا ؟ فقال له : مال أراك حزينا . فقال له : وما لاحزن وهذه قريش يجتمعون لك نفقة يعینونك بها على كبر سنك ، ويزعمون أنك زينت كلام محمد ، وتدخل على آبن أبي كبشة وآبن أبي خاففة لتناول من فضل طعامهما ، فغضب الوليد وتكبر وقال : أنا أحتاج إلى كسر محمد وصاحبـه ، فأتم تعرفون قدر مالي ، واللات والعزى ما بي حاجة إلى ذلك ، وإنما أنت تزعمون أن محمداً مجنون ، فهـل رأيـتوهـ قـط يـخـنـق ؟ . قالـوا : لا والله . قالـوا : وترـمعـونـ أنهـ شـاعـرـ ، فـهـلـ رـأـيـتوـهـ نـطـقـ بـشـعـرـ قـطـ ؟ . قالـوا : لا والله . قالـوا : فـتـرـعـمـونـ أنهـ كـذـابـ فـهـلـ جـرـبـ عـلـيـهـ كـذـبـاـ قـطـ ؟ . قالـوا : لا والله . قالـوا : فـتـرـعـمـونـ أنهـ كـاهـنـ فـهـلـ رـأـيـتوـهـ تـكـهـنـ قـطـ ، ولـقـدـ رـأـيـناـ لـلـكـهـنـةـ أـسـجـاعـاـ وـتـخـابـلـاـ فـهـلـ رـأـيـتوـهـ كـذـلـكـ ؟ . قالـوا : لا والله . وكان النبي صلى الله عليه وسلم يسمى الصادق الأمين من كثرة صدقـهـ . فـقـلـتـ قـرـيـشـ لـلـوـلـيدـ : فـمـاـ هـوـ ؟ فـفـكـرـ فـيـ نـفـسـهـ ، ثـمـ نـظـرـ ، ثـمـ عـبـسـ ، فـقـالـ : ماـ هـوـ إـلـاـ سـاحـرـ أـمـاـ رـأـيـتوـهـ يـفـرـقـ بـيـنـ الرـجـلـ وـأـهـلـهـ وـوـلـدـهـ وـمـوـالـيـهـ ؟ ! فـذـلـكـ قـوـلـهـ تعـالـىـ : «إـنـهـ فـكـرـ» أـيـ فـيـ أـمـرـ مـحـمـدـ وـالـقـرـآنـ «وـقـدـرـ» فـيـ نـفـسـهـ مـاـذـاـ يـعـكـنـهـ أـنـ يـقـولـ فـيـهـماـ . (فـقـتـلـ) (١)

أـيـ لـعـنـ . وـكـانـ بـعـضـ أـهـلـ التـأـوـيلـ يـقـولـ : معـناـهـاـ فـقـهـرـ وـغـلـبـ ، وـكـلـ مـذـلـلـ مـُقـتـلـ ؛ قـالـ الشـاعـرـ :

وـمـاـ ذـرـفـتـ عـيـنـاـكـ إـلـاـ لـتـقـدـحـيـ * بـسـمـيـكـ فـيـ أـعـشـارـ قـلـبـ مـُقـتـلـ

وقـالـ الزـهـرـىـ : عـدـبـ ؛ وـهـوـ مـنـ بـابـ الدـعـاءـ . (كـيـفـ قـدـرـ) قـالـ نـاسـ : «كـيـفـ» تعـجـيبـ ؛ كـماـ يـقـالـ لـلـرـجـلـ تعـجـيبـ مـنـ صـنـيـعـهـ : كـيـفـ فـعـلـتـ هـذـاـ ؟ وـذـلـكـ كـوـلـهـ : «أـنـظـرـ كـيـفـ ضـرـبـ بـوـالـكـ الـأـمـثـالـ» . (ثـمـ قـتـلـ) أـيـ لـعـنـ لـعـنـ بـعـدـ لـعـنـ . وـقـيـلـ : فـقـتـلـ بـضـرـبـ مـنـ الـعـقـوبـةـ ، ثـمـ قـتـلـ بـضـرـبـ آخـرـ مـنـ الـعـقـوبـةـ (كـيـفـ قـدـرـ) أـيـ عـلـىـ أـيـ حـالـ قـدـرـ . (ثـمـ نـظـرـ) بـأـيـ شـيـءـ يـرـدـ الـحـقـ وـيـدـفـعـهـ . (ثـمـ عـبـسـ) أـيـ قـطـبـ بـيـنـ عـيـنـيـهـ فـيـ وـجـوـهـ الـمـؤـمـنـيـنـ ؛ وـذـلـكـ

(١) هو أمر القيس .

أنه لما حمل قريشاً على ما حملهم عليه من القول في محمد صلى الله عليه وسلم بأنه ساحر من على جماعة من المسلمين فدعوه إلى الإسلام فعبس في وجوههم . وقيل : عبس وبسر على النبي صلى الله عليه وسلم حين دعاه . والعبس مصدر عبس يَعْبِسُ عَبْسًا وَعَبْوْسًا إذا قطَّبَ . والعبس ما يتعلق بأذناب الإبل من أبعارها وأبوالها ؛ قال أبو النجم :

كَانَ فِي أَذْنَابِنَ الشَّوَّلِ * مِنْ عَبَّسِ الصَّيْفِ قُرُونَ الْأَيَّلِ

(وبسر) أى كلح وجهه وتغير لونه ؛ قاله قتادة والسدى ؛ ومنه قول بشربن أبي خازم :

صَبَحْنَا تَمِيمًا غَدَةَ الْجَفَارِ * شَهِيَاءَ مَلْمُومَةَ بَاشَرَةَ

(٢) وقال آخر :

وَقَدْ رَأَيْنِي مِنْهَا صُدُودَ رَأْيَتِهِ * وَإِغْرِاضُهَا عَنْ حَاجَتِي وَبُسُورُهَا

وقيل : إن ظهور العبوس في الوجه بعد المعاورة ، وظهور البسور في الوجه قبل المعاورة .

وقال قوم : بسر وقف لا يتقدم ولا يتاخر . قالوا : وكذلك يقول أهل اليمن إذا وقف المركب

فلم يحيى ولم يذهب قد بسر المركب وأيسر أى وقف وقد أبسنا . والعرب تقول : وجه باسر

بین البسور إذا تغير وأسود . (ثم ادبر) أى ول وأعرض ذاهبا إلى أهله . (واستكبر)

أى تعظم عن أن يؤمن . وقيل : أدبر عن الإيمان واستكبر حين دعى إليه . (فقال إن

هذا) أى ما هذا الذي أتي به محمد صلى الله عليه وسلم (إلا سحر يوث) أى يأثره عن غيره .

والسحر الخديعة وقد تقدم بيانه في سورة « البقرة » . وقال قوم : السحر إظهار الباطل

في صورة الحق . والأثر مصدر قوله : أثرت الحديث آثره إذا ذكرته عن غيرك ؛ ومنه قيل :

الحديث مأثور أى ينقله خلف عن سلف ؛ قال أمرو الفيس :

(١) الجفار : موضع . وقيل هو ماء نبي تم . (٢) هو توبه بن الحير . وزاد بعض النسخ بعد هذا

البيت ما يأتي تكاشية : « قوله بشيء أراد بكيبة شيئاً ومنه قول عترة :

وكيبة لبستها بكيبة * شيئاً بالله يخاف رداها

وينقال : كيبة ململة وملمولة أيضاً أى مجتمعة مضمومة بعضها إلى بعض . ومحنة ململة ومملمة أى مستدركة

صلبة ، قاله الجوهري . (٣) رابع ج ٢ ص ٤٣ فا بعدها .

ولوَعْنَ نَثَا غَيْرِهِ جَاءَنِي * وَجُوحُ الْلَّسَانِ بَكْرُحُ الْيَدِ
 لَقْلَتْ مِنَ الْقَوْلِ مَا لَا يَرَى * لُبُؤْثُرُ عَنِ يَدَ الْمُسْنَدِ
 يَرِيدُ آخِرَ الدَّهْرِ . وَقَالَ الْأَعْشَى :

^(١)
 إِنَّ الَّذِي فِيهِ تَمَارِيْنَا * بَيْنَ لِلْسَّامِعِ وَالْأَنْتِرِ

وَيَرُوِيْ يَبْنَ . ((إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ)) أَيْ مَا هَذَا إِلَّا كَلَامُ الْمُخْلُوقِينَ يَخْتَدِعُ بِهِ الْقُلُوبُ كَمَا
 تَخْتَدِعُ بِالسُّحْرِ . قَالَ السَّدِيْرُ : يَعْنِي أَنَّهُ مِنْ قَوْلِ سِيَارِ عَبْدِ لَبْنِ الْحَضْرَمِيِّ ، كَانَ يَحَالُّ النَّبِيِّ
 صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَنَسَبَوهُ إِلَيْهِ أَنَّهُ تَعْلَمَ مِنْهُ ذَلِكَ . وَقَيْلُ : أَرَادَ أَنَّهُ تَلَقَّنَهُ مِنْ أَهْلِ بَابِلِ . وَقَيْلُ :
 عَنْ مُسِيلَمَةِ . وَقَيْلُ : عَنْ عَدَىِ الْحَضْرَمِيِّ الْكَاهِنِ . وَقَيْلُ : إِنَّمَا تَلَقَّنَهُ مِنْ أَدْعَى النَّبُوَّةِ قَبْلَهُ
 فَنَسَحَ عَلَى مُنَوَّلِهِمْ . قَالَ أَبُو سَعِيدِ الْضَّرِيرِ : إِنْ هَذَا إِلَّا سُحْرٌ يَؤْثِرُ أَيْ يُورِثُ .

قَوْلُهُ تَعَالَى : سَأَصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٧﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرَ ﴿٢٨﴾ لَا تُبْقِي
 وَلَا تَذَرُ ﴿٢٩﴾ لَوَاحَةً لِلْبَشَرِ ﴿٣٠﴾

قَوْلُهُ تَعَالَى : ((سَأَصْلِيهِ سَقَرَ)) أَيْ سَادِخَلَهُ سَقَرَ كَيْ يَصْلِي حَرَّهَا . وَإِنَّمَا سَمِيتَ سَقَرَ مِنْ
 سَقَرَتَهُ الشَّمْسُ إِذَا أَذَابَتْهُ وَلَوْحَتْهُ وَأَحْرَقَتْ جَلَدَهُ وَجْهَهُ . وَلَا يَنْصَرِفُ لِلتَّعْرِيفِ وَالتَّأْنِيْثِ .
 قَالَ أَبْنَ عَبَّاسٍ : هِيَ الطَّبَقُ السَّادِسُ مِنْ جَهَنَّمْ ، وَرَوَى أَبُو هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
 وَسَلَّمَ قَالَ : «سَأَلَ مُوسَى رَبَّهُ فَقَالَ أَيْ رَبَّ أَيْ عَبْدَكَ أَفَقَرْفَقَالْ صَاحِبَ سَقَرَ» ذَكَرَهُ التَّعْلِيَّ :
 ((وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرَ)) هَذِهِ مِبَالَغَةٌ فِي وَصْفِهِا ، أَيْ وَمَا أَعْلَمُكَ أَيْ شَيْءًا هِيَ ، وَهِيَ كَلْمَةٌ
 تَعْظِيمٌ ، ثُمَّ فَسَرَ حَالَهَا فَقَالَ : ((لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ)) أَيْ لَا تَرْكِلْهُمْ عَظَماً وَلَا لَحْماً وَلَا دَمَا إِلَّا أَحْرَقْتَهُ .

(١) يَقُولُ : لَوْ أَتَانِي هَذَا النَّبِيُّ أَعْنَ حَدِيثٍ غَيْرِهِ لَقْلَتْ قَوْلًا يُشَعِّي فِي النَّاسِ وَيُؤْثِرُ عَنِ آخِرِ الدَّهْرِ . وَالثَّالِثُ مَا يَحْدُثُ بِهِ مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ وَالْمُسْنَدُ الدَّهْرُ .

(٢) الَّذِي فِي دِيْوَانِ الْأَعْشَى طَبَعَ أُورَبَا : تَدَارِيْنَا .

(٣) فِي بَعْضِ النَّسْخِ : مِنْ قَوْلِ أَبِي الْيَسِّرِ سِيَارٍ .

وذكر اللفظ تأكيداً . وقيل : لا تبقي منهم شيئاً ، ثم يعادون خلقاً جديداً ، فلا تذر أن تعاود إحرافهم هكذا أبداً . وقال مجاهد : لا تبقي من فيها حياً ولا تذره ميتاً تحرفهم كلما جددوا . وقال السدى : لا تبقي لهم لحماً ولا تذر لهم عظاماً . (لَوَاحَةٌ لِّبَشَرٍ) أي مغيرة من لاحه إذا غيره . وقراءة العامة « لَوَاحَةٌ » بالرفع نعت لـ« سقر » في قوله تعالى : « وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ » . وقرأ عطيية العوفي ونصر بن عاصم وعيسى بن عمر « لَوَاحَةٌ » بالنصب على الاختصاص للتهوييل . وقال أبو رزين : تلفح وجوههم لفحة تدعها أشد سواداً من الليل ؛ وقال مجاهد . والعرب تقول : لاحه البرد والحر والسمق والحزن إذا غيره ؛ ومنه قول الشاعر :

تَقُولُ مَا لَاحَكَ يَا مُسَافِرُ * يَابْنَةَ عَمِّي لَاحَنِ الْمَوَاجِرِ

وقال آخر :

وَتَعْجِبُ هِنْدٌ أَنْ رَأَتِي شَاحِبًا * تَقُولُ لَشَيْءٍ لَوْحَتِهِ السَّامِ

وقال رؤبة بن العجاج :

لَوَحَ مِنْهُ بَعْدَ بُدْنٍ وَسَقَنْ * تَلْوِيَحَ الصَّاصِمَرَ يُطُوِّي لِلْسَّبِقِ

وقيل : إن اللوح شدة العطش ؛ يقال : لاحه العطش ولوحه أى غيره . والمعنى أنها معطشة

للبشر أى لأهلها ؛ قاله الأخفش ، وأنشد :

سَقَنَتِي عَلَى لَوْحِ مَنْ مَاءَ شَرَبَةً * سَقَاهَا بَهَا الرَّهَامُ الْغَوَادِيَا

يعني باللوح شدة العطش ، والتاح أى عطش . والرهام جمع رهمة بالكسر وهي المطرة الضعيفة ، وأرهمت السحابة أنت بالرهام . وقال ابن عباس : « لَوَاحَةٌ » أي تلوح للبشر من مسيرة خمسة أيام . الحسن وابن كيسان : تلوح لهم جهنم حتى يروها عياناً ؛ نظيره : « وَبُرْزَتِ الْجَحِيمُ لِلْقَوْيِينَ »

(١) الْهَوَاجِرُ جمع هاجرة وهي شدة الحر عند منتصف النهار .

(٢) السَّامِ جمع سوم وهي الريح الحارة .

(٣) لوجه السفر غيره وأصبهن والبدن السمن واكتثار الحم ، والستق الشبيع حتى يكون كالنخمة . الصامر : الفرس . يطوي يجوع لأجل السباق .

وفي البشر وجهان : أحدهما - أنه الإنسان من أهل النار ، قاله الأخفش والأكثرون .
الثاني - أنه جم بشرة وهي جلدة الإنسان الظاهر ؛ قاله مجاهد وفتادة . وجمع البشر أبشر
وهذا على التفسير الأول ، وأما على تفسير ابن عباس فلا يستقيم فيه إلا الناس لا الجلود ؛
لأنه من لاح الشيء يلوح إذا لمع .

قوله تعالى : **عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ** { } **وَمَا جَعَلْنَا أَخْبَارَ النَّارِ**
إِلَّا مَلَائِكَةً **وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً** **لِلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيْقِنَ**
أَلَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ **وَيَزَّدَادُ الَّذِينَ لَمْ آمَنُوا إِيمَنًا** **وَلَا يَرْتَابُ الَّذِينَ**
أَوْتُوا الْكِتَابَ **وَالْمُؤْمِنُونَ** **وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ**
وَالْكَافِرُونَ **مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ** **بِهَذَا** **مَثَلًا** **كَذِيلَكَ يُضِلُ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ**
وَيَهْدِي **مَنْ يَشَاءُ** **وَمَا يَعْلَمُ** **جُنُودَ رَبِّكَ** **إِلَّا هُوَ** **وَمَا هِيَ** **إِلَّا ذِكْرٌ**
لِلْبَشَرِ { } ٣١

قوله تعالى : **(عليها تسعه عشر)** أي على سقر تسعه عشر من الملائكة يلقون فيها أهلها .
ثم قيل : على جملة النار تسعه عشر من الملائكة هم خرتها ؛ مالك وثمانية عشر ملائكة .
ويحتمل أن تكون التسعه عشر نقبيا ، ويحتمل أن يكون تسعه عشر ملائكة بأعيانهم .
وعلى هذا أكثر المفسرين . الشعبي : ولا ينكر هذا ، فإذا كان ملك واحد يقبض أرواح
جميع الخلائق كان أخرى أن يكون تسعه عشر على عذاب بعض الخلائق . وقال ابن جرير :
نعم النبي صلى الله عليه وسلم خرفة جهنم . فقال : " فكأن أعينهم البرق وكأن أفواهمهم
الصياصي يحيزنون أشعارهم لأحدهم من القوة مثل قوة الثقلين يسوق أحدهم الأمة وعلى رقبته
جبل فيرميهم في النار ويرمى فوقهم الجبل " .

قلت : وذكر ابن المبارك قال حدثنا حماد بن سلمة ، عن الأزرق بن قيس ، عن رجل من بني تميم قال : كما عند أبي العوام فقرأ هذه الآية « وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ . لَا تُنِيبُ وَلَا تَدْرُ . لَوَاحَةٌ لِّلْبَشِرِ . عَلَيْهَا تِسْعَةُ عَشَرَ » فقال ما تسعه عشر ؟ تسعه عشر ألف ملك أو تسعه عشر ملائكة ؟ قال قلت : لا بل تسعه عشر ملائكة . فقال : وأنت تعلم ذلك ؟ فقلت : لقول الله عن وجل : « وَمَا جَعَلْنَا عَذَابَهُ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا » قال : صدقتم هم تسعه عشر ملائكة بيد كل ملك منهم مِرْزَبَةٌ لها شُعبتان فيضرب الضربة فيهم بها في النار سبعين ألفا . وعن عمرو بن دينار : كل واحد منهم يدفع بالدفعه الواحدة في جهنم أكثر من ربعة ومضر . وخرج الترمذى عن جابر بن عبد الله قال : قال ناس من اليهود لأناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم : هل يعلم نبيكم عدد حرنة جهنم ؟ قالوا : لا ندرى حتى نسأل نبينا . فإاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا محمد غلب أصحابك اليوم ؟ فقال : « وَبِمْ غَلِبُوا » قال : سألهم يهود هل يعلم نبيكم عدد حرنة جهنم قال : « فَإِذَا قَالُوا » قال : قالوا لا ندرى حتى نسأل نبينا . قال : « أَفَغَلَبَ قَوْمٌ سَلَوْا عَمَّا لَا يَعْلَمُونَ فَقَالُوا لَا نَعْلَمُ حَتَّى نَسْأَلَنَا لِكُنْهِمْ قَدْ سَأَلُوا نَبِيَّنَا فَقَالُوا أَرَنَا اللَّهَ جَهَرَةً عَلَىٰ » بأداء الله إن سائلهم عن تربة الجنة وهي الدَّرْمَكُ ^(١) فلما جاءوا قالوا : يا أبا القاسم كم عدد حرنة جهنم ؟ قال : « هَكُذا وَهَكُذا » في مررة عشرة وفي مررة تسعه . قالوا : نعم . قال لهم النبي صلى الله عليه وسلم : « مَا تُرْبَةُ الْجَنَّةِ » قال : فسكتوا هنئيه ثم قالوا : أخباره يا أبا القاسم ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اخْبِرْ مِنَ الدَّرْمَكَ » قال أبو عيسى : هذا حديث غريب إنما نعرفه من هذا الوجه من حديث مجالد عن الشعبي عن جابر . وذكر ابن وهب قال : حدثنا عبد الرحمن بن زيد ، قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في حرنة جهنم : « مَا بَيْنَ مَنَبِّي أَحَدُهُمْ كَمَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ » . وقال ابن عباس : ما بين منببي الواحد منهم مسيرة سنة ، وقوته الواحد منهم أن يضرب بالمقطوع فيدفع بذلك الضربة سبعين ألف إنسان في قعر جهنم .

(١) المرببة عصبة من حديد والمطرقة الكبيرة التي للخداد .

قلت: وال الصحيح إن شاء الله أن هؤلاء التسعة عشرهم الرؤساء والتقباء، وأما بحثهم فالعبارة تعجز عنها كما قال الله تعالى : « وَمَا يَعْلَمُ جِنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ » . وقد ثبت في الصحيح عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله صلى عليه وسلم : ” يُؤْتَى بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لَهَا سَبْعُونَ أَلْفَ زَمَامٍ مَعَ كُلِّ زَمَامٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلِكٍ يَجْزِيُونَهَا ” . وقال ابن عباس وقتادة والضحاك : لما تزل « عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ » قال أبو جهل لقريش : ثُكْلَمْ أَمْهَانَكُمْ ! أَسْمَعْ أَبْنَ أَبِي كَبْشَةَ يَخْبُرُكُمْ أَنْ نَزَنَةَ جَهَنَّمَ تِسْعَةَ عَشَرَ ، وَأَنَّ الدَّهْمَ – أَيُّ الْعَدَدَ – وَالشَّجَاعَانَ ، فَيَعْجِزُ كُلُّ عَشْرٍ مِنْكُمْ أَنْ يَطْشُوا بِوَاحِدِهِمْ ! قال السدي : فقال أبو الأشد بن كلدة الجمحي لابنولنكم التسعة عشر، أنا أدفع بمنكبي الأئمَّةِ عشرةً من الملائكة، وبمنكبي الأيسِرِ التسعة، ثم تمورون إلى الجنة . يقولها مستهزئاً . في رواية : إن الحارث بن كلدة قال أنا أكيفكم سبعة عشر وأكفواني أنتَ آثَيْنِ . وقيل : إن أبا جهل قال أفيعجز كل مائةٍ منكم أن يطشووا بواحدٍ منهم ثم تخرجون من النار ؟ فنزل قوله تعالى : (وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً) أَيْ لم يجعلهم رجالاً فتعاطون مغايضهم . وقيل : جعلهم ملائكة لأنهم خلاف جنس المعذبين من الجن والإنس ، فلا يأخذهم ما يأخذ الجناس من الرأفة والرقابة ولا يستروحون إليهم ، ولأنهم أقوام خلق الله بحق الله وبالغضب له فتؤمن هواهاتهم ، ولأنهم أشد خلق الله بأساً وأقواماً بطشاً . (وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً) أَيْ بلية . وروى عن ابن عباس من غير وجه قال : ضلاله للذين كفروا يريد أبا جهل وذويه . وقيل : إلا عذاباً ، كما قال تعالى : « يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ . ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ » أَيْ جعلنا ذلك سبب كفرهم وسبب العذاب .
 وفي « تِسْعَةَ عَشَرَ » سبع قراءات : قراءة العامة « تِسْعَةَ عَشَرَ ». وقرأ أبو جعفر بن القمّاع
 وطلحة بن سليمان « تِسْعَةَ عَشَرَ » بإسكان العين . وعن ابن عباس « تِسْعَةَ عَشَرَ » بضم الماء .

(١) ورد في الأصول ست قراءات فقط ولعل السابعة قراءة سليمان بن قنة « تِسْعَةَ عَشَرَ » بضم الناء ومهزة مفتوحة وسكون العين وضم الشين وجز الراء . وتعقب السفين هذه القراءات فقال : « في هذه الكلمة قراءات شاذة وتوجيهات تشاكلها » .

وعن أنس بن مالك « تِسْعَةُ وَعَشْرُ » وعن أبيه أيضاً « تِسْعَةُ وَعَشْرُ » . وعن أبيه أيضاً « تِسْعَةُ وَعَشْرُ » ذكرها المهدوي وقال : من قرأ « تِسْعَةُ عَشَرَ » أسكن العين لتوالي الحركات . ومن قرأ « تِسْعَةُ وَعَشْرُ » جاء به على الأصل قبل التركيب ، وعطف عشرًا على تسعة ، وحذف التثنين لكتلة الأستعمال ، وأسكن الراء من عشر على نية السكوت عليهما . ومن قرأ « تِسْعَةُ عَشَرَ » فكأنه من التداخل ؛ كأنه أراد العطف وترك التركيب فرفع هاء التأنيث ثم راجع البناء وأسكن . وأما « تِسْعَةُ أَعْشَرَ » فغير معروف ، وقد أنكرها أبو حاتم . وكذلك « تِسْعَةُ وَعَشْرُ » لأنها محملة على « تِسْعَةُ أَعْشَرَ » والواو بدل من الهمزة وليس كذلك وجه عند النحوين . الزمخشري : وقرئ « تِسْعَةُ أَعْشَرَ » جمع عَشِيرَ مثل يَمِينَ وَيَمِينُ .

قوله تعالى : « لِيَسْتَقِنَ الَّذِينَ أَتُوا الْكِتَابَ » أى ليوقن الذين أعطوا التوراة والإنجيل أن عدد خزنة جهنم موافقة لما عندهم ؛ قاله ابن عباس وقتادة والضحاك ومجاهد وغيرهم . ثم يحتمل أنه يريد الذين آمنوا منهم كعبد الله بن سلام . ويحتمل أنه يريد الكل . « وَيَزَادَ الدِّينَ آمِنَا إِيمَانًا » بذلك ؛ لأنهم كلما صدقوا بما في كتاب الله آمنوا ، ثم آزاددوا إيماناً لتصديقهم بعد خزنة جهنم . « وَلَا يَرَنَّابَ » أى ولا يشك « الَّذِينَ أَتُوا الْكِتَابَ » أى أعطوا الكتاب « وَالْمُؤْمِنُونَ » أى المصدقون من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم في أن عدد خزنة جهنم تسعة عشر . « وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ » أى في صدورهم شك ونفاق من منافق أهل المدينة ، الذين يجتمعون في مستقبل الزمان بعد الهجرة ، ولم يكن بمكة نفاق وإنما تجتمع بالمدينة . وقيل : المعنى ؛ أى ول يقول المنافقون الذين يجتمعون في مستقبل الزمان بعد الهجرة . « وَالْكَافِرُونَ » أى اليهود والنصارى « مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مُثْلًا » يعني بعد خزنة جهنم . وقال الحسين بن الفضل : السورة مكية ولم يكن بمكة نفاق ؛ فالمرض في هذه الآية الخلاف و « الْكَافُرُونَ » أى مشركون العرب . وعلى القول الأول أكثر المفسرين . ويجوز أن يراد بالمرض الشك والأرتياخ ؛ لأن أهل مكة كان أكثرهم شاكين وبعضهم

قاطعين بالكذب ، وقوله تعالى إخبارا عنهم : «مَاًذَا أَرَادَ اللَّهُ» أي ما أراد الله «سِهْدَأ» العدد الذي ذكره حديثاً أى ما هذا من الحديث ؟ قال الليث : المثل الحديث ، ومنه «مَثْلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَقْوِنَ» أى حديثها والخبر عنها (كَذِيلَكَ) أى كلام ضلال الله أبا جهل وأصحابه المنكرين لخزنة جهنم (يُضْلِلُ اللَّهُ) أى يخزي ويعمى (مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي) أى ويرشد (مَنْ يَشَاءُ) كإرشاد أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم . وقيل : «كَذِيلَكَ يُضْلِلُ اللَّهُ» عن الجنة «مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي» إليها «مَنْ يَشَاءُ» . (وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ) أى وما يدرك عدد ملائكة ربك الذين خلقهم لتعذيب أهل النار «إِلَّا هُوَ» أى إلا الله جل ثناؤه . وهذا جواب لأبي جهل حين قال : أما محمد من الجنود إلا تسعه عشر ؟ وعن أبي عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقسم غنائم حنين ، فأتاه جبريل بخلس عنده ، فأتى ملك فقال : إن ربك يأمرك بكتنا وكذا ، نخشى النبي صلى الله عليه وسلم أن يكون شيطانا ، فقال : «يا جبريل أتعرفه » فقال : هو ملك وما كل ملائكة ربك أتعرف . وقال الأوزاعي قال موسى : «يا رب من في السماء قال ملائكتي قال كم عدتهم يا رب قال آثني عشر سبطا قال كم عدة كل سبط قال عدد التراب » . ذكرها الثعلبي . وفي الترمذى عن النبي صلى الله عليه وسلم : «أَطَّتِ السَّمَاءُ وَحْقَهُ لَمَّا أَنْ تَيَّسَطَ مَا فِيهَا مَوْضِعٌ أَرْبَعُ أَصْبَابٍ إِلَّا وَمَلَكٌ وَاضْعُ جَهَنَّمَ لَهُ ساجدا » .

قوله تعالى : (وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْبَشَرِ) يعني الدلائل والمحجج والقرآن . وقيل : «وَمَا هِيَ» أى وما هذه النار التي هي سقر «إِلَّا ذِكْرٌ» أى عظة «لِلْبَشَرِ» أى للخلق . وقيل : نار الدنيا تذكرة ل النار الآخرة . قاله الزجاج . وقيل : أى ما هذه العدة «إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْبَشَرِ» أى ليتذكروا ويزعموا كمال قدرة الله تعالى ، وأنه لا يحتاج إلى أعون وأنصار ؛ فالكافية على هذا في قوله تعالى : «وَمَا هِيَ» ترجع إلى الجنود ؛ لأنه أقرب مذكور .

قوله تعالى : كَلَّا وَالْقَمَرِ ۝ وَاللَّيْلِ إِذَا دَبَرَ ۝ وَالصُّبْحِ
إِذَا أَسْفَرَ ۝ إِنَّهَا لِأَحَدِ الْكُبُرِ ۝ نَذِيرًا لِلْبَشَرِ ۝ لِمَن شَاءَ
مِنْكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ ۝ كُلُّ نَفْسٍ يَمَّا كَسَبَتْ رَهِينَةً ۝
إِلَّا أَصْحَابُ الْيَمِينِ ۝ فِي جَنَّتِ يَتَسَاءَلُونَ ۝ عَنِ الْمُجْرِمِينَ ۝
مَا سَلَكُوكُمْ فِي سَقَرَ ۝ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلَّيْنَ ۝ وَلَمْ نَكُ
نُطْعَمُ الْمِسْكِينَ ۝ وَكَمَا نَحْوُضُ مَعَ الْخَانِيْبِيْضِينَ ۝ وَكَمَا نُكَدِّبُ
رِبْيَوْمَ الْدِيْنِ ۝ حَتَّىٰ أَتَنَا الْيَقِيْنَ ۝ فَمَا تَنَفَّعُهُمْ شَفَعَةُ الْشَّافِعِيْنَ ۝

قوله تعالى : (كَلَّا وَالْقَمَرِ) قال الفراء : « كَلَّا » صلة للقسم ، التقدير أي والقمر .
وقيل : المعنى ؛ حَقًا والقمر فلا يوقف على هذين التقديرتين على « كَلَّا » وأجاز الطبرى الوقف
عليها ، وجعلها ردا للذين زعموا أنهم يقاومون حرنة جهنم ؛ أى ليس الأمر كما يقول من زعم
أنه يقاوم حرنة النار . ثم أقسم على ذلك جل وعن بالقمر و بما بعده فقال : (وَاللَّيْلِ إِذَا دَبَرَ)
أى ولَى وكذاك « دَبَرَ » . وقرأ نافع وحمزة وحفص « إِذَا دَبَرَ » الباقيون « إذا » بـالـفـ وـ« دَبَرَ »
بغير ألف وهو لغتان بمعنى ؛ يقال : دَبَرْأَدَبَرْ ، وكذلك قبل الليل وأقبل . وقد قالوا أمس
الدابر والمدبر ، قال مخرب بن عمرو بن الشريـد السـلـمـيـ :

وَلَقَدْ قَاتَلَنَا كُمْ شَاءَ وَمَوْهَدًا * وَتَرَكْتُ مَرْأَةً مِثْلَ أُمِّيْسِ الدَّارِ

ويروى المدبر . وهذا قول الفراء والأخفش . وقال بعض أهل اللغة : دَبَرْاللَيْلِ إِذَا مضى
وأَدَبَرْأَخْذَفِ الإِدَبَارِ . وقال مجاهد : سأله ابن عباس عن قوله تعالى « وَاللَّيْلِ إِذَا دَبَرَ »
فسكت حتى إذا دَبَرَ قال : يا مجاهد ! هذا حين دَبَرْاللَيْلِ . وقرأ محمد بن السميق « وَاللَّيْلِ
إِذَا دَبَرَ » بـالـفـين ، وكذلك في مصحف عبد الله وأبي بـالـفـين . وقال قطرب من قرأ « دَبَرَ »
فيـنـيـ أـقـبـلـ ، من قول العرب دَبَرْفـلـانـ إـذـاـ جاءـ منـ خـلفـ . قال أبو عمرو : وهـيـ لـغـةـ قـرـيـشـ .

وقال ابن عباس في رواية عنه : الصواب « أَدْبَرَ » إنما يدبر ظهر البعير . وأختار أبو عبيد « إِذَا أَدْبَرَ » قال : لأنها أكثر موافقة للحروف التي تليه ، ألا تراه يقول (وَالصُّبْحُ إِذَا أَسْفَرَ) فكيف يكون أحدهما « إذ » والآخر « إذا » وليس في القرآن قسم تعقيبه « إذ » وإنما يتعقيبه « إذا » . ومعنى « أَسْفَرَ » أضاء . وقراءة العامة « أَسْفَرَ » بالألف . وقرأ ابن السَّمِيق « سَفَرَ » . وهذا الغتان . يقال : سَفَرَ وجْهُ فلان وأسفل إذا أضاء . وفي الحديث : « أَسْفِرُوا بِالْفَجْرِ فَإِنَّهُ أَعْظَمُ لِلأَجْرِ » أى صلوا صلاة الصبح مُسْفِرِين ، ويقال : طَوَّلُوهَا إِلَى الْإِسْفَارِ وَالْإِسْفَارِ الْإِنَارَةِ . وأسفل وجهه حسناً أى أشرق ، وسفرت المرأة كشفت عن وجهها فهي سافر . ويحيوز أن يكون [من] سَفَرَ الظَّلَامَ أى كنسه كَمَا يُسْفَرُ الْبَيْتُ أَى يُكَنِّسُ ، ومنه السَّفِيرُ لِمَا سقط من ورق الشجر وتحاثَتْ ؛ يقال : إنما سمي سفيراً لأن الرحيم سفيره أى تكنسه . والمِسْفَرَةُ المِكْنَسَةُ . قوله تعالى : (إِنَّمَا لِإِحْدَى الْكُبُرِ) جواب القسم ، أى إن هذه النار « لِإِحْدَى الْكُبُرِ » أى لإحدى الدواهي . وفي تفسير مقاتل « الْكُبُرِ » أسم من أسماء النار . وروى عن ابن عباس « إِنَّمَا » أى إن تكذبهم محمد صلى الله عليه وسلم « لِإِحْدَى الْكُبُرِ » أى لكبيرة من الكبائر . وقيل : أى إن قيام الساعة لإحدى الْكُبُرِ . والْكُبُرُ هى العظام من العقوبات ؛ قال الراجز :

يَا بْنَ الْمُعْلَمِ نَزَلْتُ إِحْدَى الْكُبُرِ * دَاهِيَةُ الْدَّهْرِ وَصَمَاءُ الْغَيْرِ

ووحدة « الْكُبُرِ » كُبُرٌ مثل الصُّغْرَى والصُّفَرَ والعُظْمَى والعُظَمَ . وقرأ العامة « لِإِحْدَى » وهو أسم بني آبتداء للتأنيث وليس مبنياً على المذكر ، نحو عقبى وأخري وألفه ألفه قطع لا تذهب في الوصل . وروى جرير بن حازم عن ابن كثير « إِنَّمَا لَهُدَى الْكُبُرِ » بحذف المهمزة . (نَذِيرًا لِلْبَشَرِ) يزيد النار أى إن هذه النار الموصوفة « نَذِيرًا لِلْبَشَرِ » فهو نصب على الحال من المضمون في « إِنَّمَا » قاله الزجاج . وذُكر ، لأن معناه معنى العذاب ، أو أراد ذات إنذار على معنى النسب ؛ كقولهم أمرأة طالق وطاهر . وقال الخليل : النذير مصدر كالنذير ولذلك يوصف به المؤنة . وقال الحسن : والله ما أنذر الخلاق بشيء أدهى منها . وقيل : المراد بالنذير محمد صلى الله عليه وسلم ؛ أى قم نذيراً للبشر أى مخوفاً لهم

فـ «نذيرا» حال من «قُمْ» في أول السورة حين قال : «قُمْ فَانذِرْ» قاله أبو علي الفارسي وأبن زيد، وروى عن أبن عباس وأنكهة الفراء . أبن الأنباري : وقال بعض المفسرين معناه «يأيها المدثر قم نذيرا للبشر . وهذا قبيح ؛ لأن الكلام قد طال فيما بينهما . وقيل : هو من صفة الله تعالى . روى أبو معاوية الضريري : حدثنا إسماعيل بن سبيع عن أبي رزين «نذيرا للبشر» قال يقول الله عن جل : أنا لكم منها نذير فاتقوها . و «نذيرا» على هذا نصب على الحال ؛ أى «وَمَا جَعَلْنَا أَخْتَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً» منذرا بذلك البشر . وقيل : هو حال من «هو» في قوله تعالى : «وَمَا يَعْلَمُ جِنُودُ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ» . وقيل : هو في موضع المصدر كأنه قال : إنذارا للبشر . قال الفراء : يجوز أن يكون النذير بمعنى الإنذار أى إنذر إنذارا؛ فهو كقوله تعالى : «فَكَيْفَ كَانَ نَذِيرًا» أى إنذاري ؟ فعلى هذا يكون راجعا إلى أول السورة أى «قم فاذر» أى إنذارا . وقيل : هو منصوب بإضمار فعل . وقرأ أبن أبي عبلة «نذير» بالرفع على إضمار هو . وقيل : أى إن القرآن نذير للبشر لما تضمنه من الوعد والوعيد .

قوله تعالى : «(لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ) اللام متعلقة بـ «نذيرا» ؛ أى نذيرا لمن شاء منكم أَنْ يتقدم إلى الخير والطاعة ، أو يتاخر إلى الشر والمعصية ؛ نظيره : «ولَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ» أى في الخير «ولَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ» عنه . قال الحسن : هذا وعيد وتهديد وإن خرج مخرج الخبر، كقوله تعالى : «فَنَّ شَاءَ فَلَئِمُونَ وَمَنْ شَاءَ فَإِسْكُفُرْ» . وقال بعض أهل التأويل : معناه لمن شاء الله أَنْ يتقدم أو يتاخر ؛ فالمشيئة متصلة بالله جل شلؤه ، والتقديم والإيمان والتأخير الكفر . وكان أبن عباس يقول : هذا تهديد وإعلام أَنْ من تقدم إلى الطاعة والإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم جوزى بثواب لا ينقطع ، ومن تأخر عن الطاعة وكذب مهدا صلى الله عليه وسلم عوقب عقابا لا ينقطع . وقال السدي : «لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَقَدَّمَ» إلى النار المتقدم ذكرها «أَوْ يَتَأَخَّرَ» عنها إلى الجنة .

قوله تعالى : «**كُلُّ نَفْسٍ يَمَا كَسَبَتْ رَهِينَةً**» أى مرتئنة بكسبها ، مأخوذة بعملها ، إما حلّصها وإما أبقيها وليست «رهينة» تأنيث رهين في قوله تعالى : «**كُلُّ أُمَرَىءٍ يَمَا كَسَبَ رَهِينَ**» لتأنيث النفس ؛ لأنّه لو قُصدت الصفة لقيل رهين ؛ لأنّ فعلاً بمعنى مفعول يستوي فيه المذكر والممؤنث . وإنما هو آسم بمعنى الرهن كالشتمة بمعنى الشتم ؛ كأنه قيل : كل نفس بما كسبت رهين ؛ ومنه بيت الحماسة :

أَبْعَدَ الدُّنْيَا بِالْتَّعْفِ نَعْفِ كُوَّيْكِ * رَهِينَةُ رَمِيسٍ ذِي تُرَابٍ وَجَنَدِيلٍ^(١)

كأنه قال رهن رميس . والمعنى : كل نفس رهن بكسبها عند الله غير مفكوكة (إلا أصحابَ اليمين) فإنهم لا يرهنون بذنوبهم . وأختلف في تعينهم ؛ فقال ابن عباس : الملائكة . على بن أبي طالب : أولاد المسلمين لم يكتسبوا فيرتهنوا بكسبهم . الضحاك : الذين سبقت لهم من الله الحسنة ، ونحوه عن ابن جريج ؛ قال : كل نفس بعملها محاسبة «إلا أصحابَ اليمين» وهم أهل الجنة فإنهم لا يحاسبون . وكذا قال مقاتل أيضاً : هم أصحاب الجنة الذين كانوا عن يمين آدم يوم الميثاق حين قال الله لهم : هؤلاء في الجنة ولا أبالي . وقال الحسن وأبن كيسان : هم المسلمون الخالصون ليسوا بمرتهنون ؛ لأنهم أدوا ما كان عليهم . وعن أبي طبيان عن ابن عباس قال : هم المسلمون . وقيل : إلا أصحاب الحق وأهل الإيمان . وقيل : هم الذين يعطون كتبهم بأيمانهم . وقال أبو جعفر الباقر : نحن وشييعتنا أصحاب اليمين ، وكل من أبغضنا أهل البيت فهو مرتهنون . وقال الحكم : هم الذين اختارهم الله لخدمته فلم يدخلوا في الرهن ؛ لأنهم خدام الله وصفوتهم وكسبهم لم يضرهم . وقال القاسم : كل نفس مأخوذة بكسبها من خير أو شر إلا من آعتمد على الفضل والرحمة دون الكسب والخدمة ، فكل من آعتمد على الكسب فهو مرهون ، وكل من آعتمد على الفضل فهو غير مأخوذ به . **(في جناتٍ)** أى في بستانين (**يَسْأَلُونَ**) أى يسألون (**عَنِ الْمُجْرِمِينَ**) أى المشركين

(١) النعف من الأرض المكان المرتفع في اعتراض . والبيت من قول عبد الرحمن بن زيد العذري وقد قتل أحدهما وعرضت عليه الديمة فأبى أن يأخذها وأخذ بناره .

(مَا سَلَكُوكُمْ) أى دخلتم (في سَقَرَ) كما تقول : سلكت الخيط فى كذا أى دخلته فيه . قال الكابي : فيسأل الرجل من أهل الجنة الرجل من أهل النار باسمه ، فيقول له : يا فلان . وفي قراءة عبد الله بن الزبير «يا فلان مَا سَلَكَكَ فِي سَقَرَ» . وعنه قال : فرأى عمر بن الخطاب «يا فلان مَا سَلَكُوكُمْ فِي سَقَرَ» وهى قراءة على التفسير لا أنها قرآن كما زعم من طعن فى القرآن ؛ قاله أبو بكر بن الأنبارى . وقيل : إن المؤمنين يسائلون الملائكة عن أقربائهم فسائل الملائكة المشركين فيقولون لهم «مَا سَلَكُوكُمْ فِي سَقَرَ» . قال الفراء : في هذا ما يقوى أن أصحاب اليمين الولدان ، لأنهم لا يعرفون الذنوب . (قالوا) يعني أهل النار (لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلَّيْنَ) أى المؤمنين الذين يصلون . (وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِيْنَ) أى لم نك نتصدق . (وَكَانُوكُمْ نَحْوُضُ مَعَ الْخَائِيْضِيْنَ) أى كانوا يختلط أهل الباطل في باطلهم . وقال ابن ريد : نحوهم مع الخائضين في أمر محمد صلى الله عليه وسلم ، وهو قوله - لعنهم الله - كاهن مجانون شاعر ساحر . وقال السدى : أى وكأنكم نكذب مع المكذبين . وقال قتادة : كلما غوى غاوينا معه . وقيل معناه : وكأنكم نكذب ولم نكن متبعين . (وَكَانُوكُمْ نَكَدِبُ بِيَوْمِ الدِّيْنِ) أى لم نك نتصدق بيوم القيمة يوم الجزاء والحكم . قوله تعالى : (حَقِّيْ أَتَانَا الْيَقِيْنُ) أى جاءنا ونزل بنا الموت ؟ ومنه قوله تعالى : «وَأَعْبُدُ رَبَّكَ حَقَّيْ أَتَيْتَكَ الْيَقِيْنُ» .

قوله تعالى : (فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِيْنَ) هذا دليل على صحة الشفاعة للذينيin ، وذلك أن قوماً من أهل التوحيد عذبوا بذنوبهم ثم شفيع لهم فرحمهم الله بتوحيدهم والشفاعة فأخرجوا من النار ، وليس للكفار شفيع يشفع لهم . وقال عبد الله بن مسعود رضى الله عنه : يشفع نبيكم صلى الله عليه وسلم رابع أربعة ؛ جبريل ثم إبراهيم ثم موسى أو عيسى ثم نبيكم صلى الله عليه وسلم ثم الملائكة ثم النبيون ثم الصديقون ثم الشهداء ، ويبيق قوم في جهنم فيقال لهم : «مَا سَلَكُوكُمْ فِي سَقَرَ . قَاتَلُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلَّيْنَ . وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِيْنَ» إلى قوله : «فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِيْنَ» قال عبد الله بن مسعود : فهولاء هم الذين يقونون في جهنم . وقد ذكرنا إسناده في كتاب «الذكرة» .

قوله تعالى : **فَقَاتَ لَهُمْ عَنِ التَّذِكَرَةِ مُعْرِضِينَ** **كَانُوهُمْ حُمُرٌ**
مُسْتَنْفِرَةٌ فَرَتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ **بَلْ يُرِيدُ كُلُّ أَفْرِيِّيٍّ مِنْهُمْ أَنْ**
يُؤْتَى صُحْفًا مُنْشَرَةً **كَلَّا بَلْ لَا يَخَافُونَ آلَاهِرَةً**

قوله تعالى : **(فَقَاتَ لَهُمْ عَنِ التَّذِكَرَةِ مُعْرِضِينَ)** أى فـا لأهل مكة قد أعرضوا ولو اعما
جئهم به . وفي تفسير مقاتل : الإعراض عن القرآن من وجهين ؛ أحدهما الجحود والإنكار ،
والوجه الآخر ترك العمل بما فيه . و « **مُعْرِضِينَ** » نصب على الحال من الماء والميم في « **لَهُمْ** »
وفـاللام معنى الفعل ؛ فأنتصاب الحال على معنى الفعل . **(كَانُوهُمْ)** أى كـأن هؤلاء الكفار
في فرارهم من محمد صلى الله عليه وسلم **(حُمُرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ)** قال ابن عباس : أراد الحمر الوحشية .
وقرأ نافع وآبن عامر بفتح الفاء أى **مُنْفَرَة** مذعورة ؛ وأختاره أبو عبيد وأبو حاتم . الباقيون
بالكسر أى نافرة . يقال : **نَفَرَتْ وَأَسْتَنْفَرَتْ** بمعنى ؛ مثل **عَجَبَتْ** و**أَسْتَعْجَبَتْ** و**سَغَرَتْ**
و**أَسْتَسْخَرَتْ** ؛ وأنشد الفراء :

(١) أَمْسِكْ حِمَارَكَ إِنَّهُ مُسْتَنْفِرٌ * فِي إِثْرِ آهِرَةِ عَمَدَنْ لِغُزِيبِ

قوله تعالى : **(فَرَتْ)** أى نفرت وهربت **(مِنْ قَسْوَرَةٍ)** أى من رماة يرمونها .
وقال بعض أهل اللغة : إن القسور الراعي وبجمعه القسوره . وكذا قال سعيد بن جبير وعكرمة
ومجاهد وقنادة والضحاك وآبن كيسان : القسوره هم الزماة والصيادون ، ورواه عطاء عن آبن
عباس وأبو [ظبيان] عن أبي موسى الأشعري . وقيل : إنه الأسد . قاله أبو هريرة وآبن عباس
أيضا . آبن عرفة : من القسر بمعنى القهر أى إنه يقهر السباع والحمـر الوحشية تهرب من
السباع . وروى أبو جمرة عن آبن عباس قال : ما أعلم القسوره الأسد في لغة أحد من العرب
ولكنها عصب الرجال ، قال : فالقسوره جمع الرجال وأنشد :

(١) غرب كـنـكـأسـمـ مـوـضـ وجـلـ دونـ الشـامـ فـيـ بلـادـ بـنـيـ كلـابـ .

(٢) فـالأـصـولـ : أـبـوـ حـيـانـ وـهـوـ تـحـرـيفـ وـالتـصـحـيـحـ مـنـ تـفـسـيرـ الفـعلـ «ـ وـالـتـذـيـبـ »ـ .

يَا بَنْتُ كُوئِيْ خَيْرَةً لِّخَيْرَةٍ * أَخْوَاهُمُ الْجَنْ وَأَهْلُ الْقَسْوَرَةِ

وعنه : رُوِيَ الناس أَى حَسْبِهِمْ وَأَصْوَاتِهِمْ . وَعَنْهُ أَيْضًا : « فَرَتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ » أَى مِنْ حَبَالِ الصَّيَادِينَ . وَعَنْهُ أَيْضًا الْقَسْوَرَةُ بِلِسَانِ الْعَرَبِ الْأَسْدِ ، وَبِلِسَانِ الْحَبَشَةِ الرَّمَادِ ، وَبِلِسَانِ فَارِسِ شَيْرِ ، وَبِلِسَانِ الْبَنْبَطِ أَرِيَا . وَقَالَ أَبْنُ الْأَعْرَابِيِّ : الْقَسْوَرَةُ أَوْلُ الْلَّيلِ ؛ أَى فَرَتْ مِنْ ظَلْمَةِ الْلَّيلِ . وَقَالَهُ عِكْرَمَةُ أَيْضًا . وَقَيْلُ : هُوَ أَوْلُ سَوَادِ الْلَّيلِ ، وَلَا يُقَالُ لَآخْرِ سَوَادِ الْلَّيلِ قَسْوَرَةٌ . وَقَالَ زَيْدُ بْنُ أَسْلَمَ : مِنْ رِجَالِ أَقْوَيَا ، وَكُلُّ شَدِيدٍ عِنْدَ الْعَرَبِ فَهُوَ قَسْوَرَةٌ وَقَسْوَرٌ . وَقَالَ لَبِيدُ بْنُ رَبِيعَةَ :

إِذَا مَا هَتَفْنَا هَتَفَةً فِي نَدِيَّا * أَتَانَا الرِّجَالُ الْمَائِدُونَ الْقَسَّاوِرُ

قوله تعالى : ((بَلْ يُرِيدُ كُلُّ أَمْرِيْرٍ مِّنْهُمْ أَنْ يُؤْتَى حُكْمًا مُّنْشَرَةً)) أَى يُعْطَى كُتُبًا مُفْتَوَحَةً ؛ وَذَلِكَ أَنْ أَبَا جَهَلَ وَجَمَاعَةَ مِنْ قُرَيْشٍ قَالُوا : يَا مُحَمَّدَ ! أَيْتَنَا بِكِتَبٍ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ مَكْتُوبٍ فِيهَا أَنِّي قَدْ أَرْسَلْتُ إِلَيْكُمْ مُحَمَّداً ؛ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ نَظِيرُهُ : « وَلَنْ تُؤْمِنَ لِرُقِيقَ حَتَّى تُنْزَلَ عَلَيْنَا كَاتِبًا نَقْرُؤُهُ » . وَقَالَ أَبْنُ عَبَّاسٍ : كَانُوا يَقُولُونَ إِنْ كَانَ مُحَمَّدٌ صَادِقًا فَلَيَصُبِّحَ عِنْدَ كُلِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ صَحِيفَةٌ فِيهَا بِرَاءَتُهُ وَأَمْنَهُ مِنَ النَّارِ . قَالَ مَطْرُ الْوَرَاقِ : أَرَادُوا أَنْ يُعْطُوا بِغَيْرِ عَمَلٍ . وَقَالَ الْكَلْبِيُّ : قَالَ الْمُشْرِكُونَ بِلْغَنَا أَنَّ الرَّجُلَ مِنْ بَنِ إِسْرَائِيلَ كَانَ يَصْبِحُ عِنْدَ رَأْسِهِ مَكْتُوبًا ذَنْبَهُ وَكُفَّارَتَهُ فَأَتَنَا بِمَثْلِ ذَلِكَ . وَقَالَ مَجَاهِدٌ : أَرَادُوا أَنْ يَنْزَلَ عَلَى كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ كَابِ فِيهِ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ إِلَى فَلَانَ بْنَ فَلَانَ . وَقَيْلُ : الْمَعْنَى أَنْ يَذَكُرَ بِذَكْرِ جَمِيلٍ ؛ بِفَعْلَتِ الصَّحِيفَ مَوْضِعَ الذِّكْرِ مَجَازًا . وَقَالُوا : إِذَا كَانَ ذُنُوبُ الْإِنْسَانِ تَكْتُبُ عَلَيْهِ فَمَا بِالنَا لَا نَرِيْ ذَلِكَ . ((كَلَّا)) أَى لَيْسَ يَكُونُ ذَلِكَ . وَقَيْلُ : حَقًا . وَالْأَوْلُ أَجْوَدُ ، لَا أَنَّهُ رَدُّ لِقَوْلِهِمْ . ((بَلْ لَا يَخَافُونَ الْآتِرَةَ)) أَى لَا يُعْطِيهِمْ مَا يَتَمَنَّوْنَ لَا يَخَافُونَ الْآتِرَةَ آغْتَرَارًا بِالْدُّنْيَا . وَقَرَأَ سَعِيدُ بْنُ جَيْرَةَ « حُكْمًا مُّنْشَرَةً » بِسَكُونِ الْحَاءِ وَالْنُونِ ؛ فَأَمَّا تَسْكِينُ الْحَاءِ فَتَخْفِيفُ ، وَأَمَّا النُّونُ فَشَادَ . إِنَّمَا يُقَالُ : نَشَرَتِ الثَّوْبُ وَشَبَهُهُ وَلَا يُقَالُ أَنْشَرَتْ . وَيَحْمُوزُ أَنْ يَكُونَ شَبَهُ الصَّحِيفَةِ بِالْمَيْتِ كَأَنَّهَا مِيَةٌ بِطِيمَهَا ، فَإِذَا نَشَرَتْ حِيَاتُهُ ، بَخَاءٌ عَلَى أَنْشَرَ اللَّهِ الْمَيْتَ كَمَا شَبَهَ إِحْيَاءَ الْمَيْتِ بِنَشَرِ الثَّوْبِ ؛ فَقَيْلُ فِيهِ نَشَرَ اللَّهِ الْمَيْتَ فَهُوَ لُغَةُ فِيهِ .

قوله تعالى : ﴿كَلَّا إِنَّهُ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ ذَكَرَهُ وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ هُوَ أَهْلُ الْتَّقْوَىٰ وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ﴾
 قوله تعالى : ﴿كَلَّا إِنَّهُ تَذْكِرَةٌ﴾ أى حقاً إن القرآن عظة . ﴿فَمَنْ شَاءَ ذَكَرَهُ﴾ أى آتى عظة
 به . ﴿وَمَا يَذْكُرُونَ﴾ أى وما يتعظون ﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ أى ليس يقدرون على الاتزان
 والذكرة إلا بمشيئة الله ذلك لهم . وقراءة العامة « يَذْكُرُونَ » بالياء وآخباره أبو عبيد ، لقوله
 تعالى : « كَلَّا بَلْ لَا يَخَافُونَ الْآخِرَةَ ». وقرأ نافع ويعقوب بالباء ، وآخباره أبو حاتم لأنه أعم
 وآتقواعلى تحفيتها . ﴿هُوَ أَهْلُ التَّقْوَىٰ وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ﴾ في الترمذى وسنن أبي ماجة عن أنس
 ابن مالك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال في هذه الآية « هُوَ أَهْلُ التَّقْوَىٰ وَأَهْلُ
 الْمَغْفِرَةِ » قال : « قال الله تبارك وتعالى أنا أهل أن أتقى فلن أتقى فلم يجعل معى إلها فأنا
 أهل أن أغفر له » لفظ الترمذى وقال فيه : حديث حسن غريب . وفي بعض التفسير : هو
 أهل المغفرة من تاب إليه من الذنوب الكبار ، وأهل المغفرة أيضاً للذنوب الصغار باجتناب
 الذنوب الكبار . وقال محمد بن نصر : أنا أهل أن يتقيني عبدي ، فإن لم يفعل كنت أهلاً
 أن أغفر له وأرحمه ، وأنا الغفور الرحيم .

سورة القيمة

مكية وهي تسعة وثلاثون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قوله تعالى : لَا أَقِيمُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَلَا أَقِيمُ بِالنَّفْسِ الْلَّوَامَةِ
 أَيْحَسَبُ الْإِنْسَنُ أَنَّنَجْمَعَ عِظَامَهُ بَلَ قَدِيرٌ عَلَيَّ أَنْ تُسَوَى
 بَنَاهُ بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسَنُ لِيَفْجُرَ أَمَاهُ يَسْعَلُ أَيَّانَ يَوْمَ
 الْقِيَمَةِ

قوله تعالى : (لَا أَقِيمُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) قيل : إن « لا » صلة وجاز وقوعها في أول السورة ؛ لأن القرآن متصل بعضه ببعض فهو في حكم كلام واحد ؛ وهذا قد يذكر الشيء في سورة ويحيى جوابه في سورة أخرى ؛ كقوله تعالى : « وَقَالُوا يَا هَذَا الَّذِي نَزَّلَ عَلَيْهِ الدُّرُجُونَ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ » وجوابه في سورة أخرى : « مَا أَنْتَ بِيَنْعَمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ » ومعنى الكلام أقسم بيوم القيامة ؛ قاله ابن عباس وأبن حمير وأبو عبيدة ؛ ومثله قول الشاعر :

تَذَكَّرْتُ لَيْلَ فَاعْتَرَقْتِي صَبَابَةً * فَكَادَ صَيْمُ الْقَلِيبِ لَا يَتَقْطَعُ

وحكى أبو الليث السمرقندى : أجمع المفسرون أن معنى « لَا أَقِيمُ » أقسم ، وآختلفوا في تفسير « لا » قال بعضهم : « لا » زيادة في الكلام للزيينة ويحرى في كلام العرب زيادة « لا » كما قال في آية أخرى : « قَالَ مَا مَنَعَكَ أَنْ لَا تَسْجُدَ » يعني أن تسجد ، وقال بعضهم : « لا » رد لكلامهم حيث أنكروا البعث فقال : ليس الأمر كما زعمتم .

قلت : وهذا قول الفراء ؛ قال الفراء : وكثير من التحويين يقولون « لا » صلة ولا يجوز أن يبدأ بمحض ثم يجعل صلة ؛ لأن هذا لو كان كذلك لم يعرف خبر فيه بحد من خبر لا بحد فيه ، ولكن القرآن جاء بالرد على الذين أنكروا البعث والحلنة والنار ، فإنه الإقسام بالردة عليهم [فـ كثيـرـ مـنـ الـكـلـامـ الـمـبـدـأـ مـنـهـ وـغـيرـ الـمـبـدـأـ] وذلك كقولهم لا والله لا أفعل فـ « لا » رد لكلام قد مضى ، وذلك كقولك : لا والله إن القيمة لحق ، كأنك أكذب قوماً أنكروه . وأنشد غير الفراء لأمرئ القيس :

فَلَا وَأَيْسِكَ أَبْنَةَ الْعَامِرِيِّ * لَا يَدْعُ الْقَوْمُ أَنْ أَفْرَ

وقال غوية بن سلمى :

أَلَا نادت أَمَامَةُ بِأَحْتَالِهِ * لِتُحَزِّنَنِي فَلَا يَكَ مَا أَبَالِي

وفائدتها توكيـدـ الـقـسـمـ فـ الرـدـ . قال الفراء : وكان من لا يعرف هذه الحجة يقرأ « لـأـقـيمـ »

بـغـيرـ أـلـفـ ؛ كـأـنـهـ لـامـ تـأـكـيدـ دـخـلتـ عـلـيـ أـقـيمـ وـهـ صـوـابـ ؛ لأنـ الـعـربـ تـقـولـ : لـأـقـيمـ بـالـلـهـ

(١) الزيادة من تفسير الفراء .

وهي قراءة الحسن وآبن كثير والزهري وآبن هُرْمن . («يَوْمُ الْقِيَامَةِ») أى بيوم يقوم الناس فيه لربهم ، والله عن وجل أن يقسم بما شاء . («وَلَا أَقْسُمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَامَةِ») لا خلاف في هذا بين القراء وهو أنه أقسم سبحانه بيوم القيمة تعظياً لشأنه [ولم يقسم بالنفس] . وعلى قراءة آبن كثير أقسم بالأولى ولم يقسم بالثانية . وقيل : «وَلَا أَقْسُمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَامَةِ» رد آخر وأبتداء قسم بالنفس اللوامة . قال الثعلبي : والصحيح أنه أقسم بهما جميعاً . ومعنى «بالنَّفْسِ اللَّوَامَةِ» أى بنفس المؤمن الذي لا تراه إلا يوم نفسه ، يقول : ما أردتُ بكذا ؟ فلا تراه إلا وهو يعاتب نفسه ؛ قاله آبن عباس ومجاهد والحسن وغيرهم . قال الحسن : هي والله نفس المؤمن ما يرى المؤمن إلا يوم نفسه : ما أردتُ بكلامي ؟ ما أردتُ بأكلني ؟ ما أردتُ بحديث نفسي ؟ والفاجر لا يحاسب نفسه . وقال مجاهد : هي التي تلوم على مافات وتندم ، فتلوم نفسها على الشر لم فعلته ، وعلى الخير لم لاستكثر منه . وقيل : إنها ذات اللوم . وقيل : إنها تلوم نفسها بما تلوم عليه غيرها ؛ فعل هذه الوجوه تكون اللوامة بمعنى اللائمة وهو صفة مدح ؛ وعلى هذا يجيء القسم بها سائغاً حسناً . وفي بعض التفسير أنه آدم عليه السلام لم يزل لأنما لنفسه على معصيته التي أخرج بها من الجنة . وقيل : اللوامة بمعنى الملوومة المذمومة — عن آبن عباس أيضاً — فهي صفة ذم وهو قول من نهى أن يكون قيمها ؛ إذ ليس للعاصي خطري قسم به ، فهي كثيرة اللوم . وقال مقاتل : هي نفس الكافر يوم نفسه ، ويختسر في الآخرة على ما فرط في جنب الله . وقال الفراء : ليس من نفس محسنة أو مسيئة إلا وهي تلوم نفسها ، فالمحسن يوم نفسه أن لو كان آزاداد إحساناً ، والمسيء يوم نفسه إلا يكون أرعوي عن إساءته .

قوله تعالى : («أَيْخَسِبُ الْإِنْسَانُ أَنَّ لَنْ تَجْمَعَ عِظَامَهُ») فنعيدها خلقاً جديداً بعد أن صارت رفاتاً . قال الزجاج : أقسم بيوم القيمة وبالنفس اللوامة ليجمع عن العظام للبعث ، فهو هذا جواب القسم . وقال النحاس : جواب القسم مهدوف أى لتبعثن ، ودل عليه قوله تعالى : («أَيْخَسِبُ الْإِنْسَانُ أَنَّ لَنْ تَجْمَعَ عِظَامَهُ») لإحياء والبعث . والإنسان هنا الكافر

(١) الزيادة من تفسير آبن عطية وغيره .

المكذب للبعث . والآية نزلت في عدّي بن ربيعة قال للنبي صلى الله عليه وسلم : حدثني عن يوم القيمة متى تكون ، وكيف أمرها وحالها ؟ فأخبره النبي صلى الله عليه وسلم بذلك ؛ فقال : لو عاينت ذلك اليوم لم أصدقك يا محمد ولم أؤمن به ، أو يجمع الله العظام ؟ ! ولهذا كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول : «اللهم آكفني جاري السوء عدّي بن ربيعة والأخنس بن شرريق» . وقيل نزلت في عدّة الله أبي جهل حين أنكر البعث بعد الموت . وذكر العظام والمراد نفسه كلها ، لأن العظام قالب الخلق . (بَلْ) وقف حسن ثم تبتدئ (قادِرِينَ) . قال سيبويه : على معنى تجمعها قادرٌ في «قادِرِينَ» حال من الفاعل المضمر في الفعل المذوف على ما ذكرناه من التقدير . وقيل : المعنى بل نقدر قادرين . قال الفزاء : «قادِرِينَ» نصب على الخروج من «تَجْمَعَ» أي نقدر ونقوى «قادِرِينَ» على أكثر من ذلك . وقال أيضاً : يصلح نصبه على التكثير أي «بَلْ» فليحسبنا قادرين . وقيل : المضمر كما أي كما قادرٌ في الابتداء ، وقد اعترف به المشركون . وقرأ ابن أبي عبّلة وأبن السمعيق «بَلْ قادِرُونَ» بتاءٍ ويل نحن قادرون . (عَلَى أَنْ تُسْوَى بَنَانَهُ) البُنَانُ عند العرب الأصابع واحداً بناة ؛ قال النابغة :

بِعَضَصِبِ رَخِصِ كَأْنَ بَنَانَهُ * عَمْ يَكَادُ مِنَ الْأَطَافِةِ يُعَدُّ

وقال عنترة :

وَأَنَّ الْمَوْتَ طَوْعَ يَدِي إِذَا مَا * وَصَلَتْ بَنَانَهَا يَاهِنْدُواني

فنبه بالبيان على بقية الأعضاء . وأيضاً فإنها أصغر العظام فنصلها بالذكر لذلك . قال القمي والزجاج : وزعموا أن الله لا يبعث الموتى ولا يقدر على جمع العظام ؛ فقال الله تعالى : بل قادرين على أن نعيد السلاميات على صغرها ، ونؤلف بينها حتى تستوى ، ومن قدر على هذا فهو على جمع البكار أقدر . وقال ابن عباس وعامة المفسرين : المعنى «عَلَى أَنْ تُسْوَى بَنَانَهُ» أي نجعل أصابع يديه ورجليه شيئاً واحداً تخفف البعير أو كافر الحمار أو كظلف الخنزير ، ولا يمكنه أنت يعمل به شيئاً ، ولما فرقنا أصابعه حتى يأخذ بها ما شاء . وكان الحسن

يقول : جعل لك أصابع فانت تبسطهن ، وتقبض بهن ، ولو شاء الله جمعهن فلم تنق الأرض إلا بكفيك . وقيل : أى نقدر أن نعيد الإنسان في هيئة البهائم ، فكيف في صورته التي كان عليها ؟ وهو كقوله تعالى : « وَمَا نَحْنُ بِمُسْبُوقِينَ . عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ وَنُنَشِّئَكُمْ فِيهَا لَا تَعْلَمُونَ » .

قلت : والتأويل الأول أشبه بمساق الآية . والله أعلم .

قوله تعالى : « بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ » قال ابن عباس : يعني الكافر يكذب بما أمامه منبعث والحساب . وقاله عبد الرحمن بن زيد ، ودليله (يسأله أباً يوم القيمة) أى يسأل متى يكون ؟ على وجه الإنكار والتکذيب . فهو لا يقنع بما هو فيه من التکذيب ، ولكن يأثم لما بين يديه . وما يدل على أن الفجور التکذيب ما ذكره القتبى وغيره : أن أعرابياً قصد عمر بن الخطاب رضى الله عنه وشكا إليه نقبح إبله ودبها ، وسألة أن يحمله على غيرها فلم يحمله ، فقال الأعرابى :

أَقْسَمَ بِاللَّهِ أَبُو حَفْصٍ عُمَرْ * مَا مَسَّهَا مِنْ نَقْبٍ وَلَا دَبْرَ
* فَاغْفِرْ لَهُ اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ بَغْرَ *

يعنى إن كان كذبى فيما ذكرت . وعن ابن عباس أيضاً : يجعل المعصية ويسوف التوبة . وفي بعض الحديث قال : يقول سوف أتوب ولا يتوب ؟ فهو قد أخلف فكذب . وهذا قول مجاهد والحسن وعكرمة والسدى " وسعيد بن جبير يقول : سوف أتوب ، سوف أتوب حتى يأتيه الموت على أشرأ أحواله . وقال الضحاك : هو الأمل يقول سوف أعيش وأصيب من الدنيا ولا يذكر الموت . وقيل : أى يعزم على المعصية أبداً وإن كان لا يعيش إلا مدة قليلة . فالهاء على هذه الأقوال للإنسان . وقيل : الهاء ليوم القيمة . والمعنى بل يريد الإنسان ليكفر بالحق بين يدي يوم القيمة . والفحجور أصله الميل عن الحق . « يسأله أباً يوم القيمة » أى متى يوم القيمة .

قوله تعالى : فَإِذَا بَرَقَ الْبَصَرُ ۝ وَخَسَفَ الْقَمَرَ ۝ وَجُمِعَ
 الْشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ۝ يَقُولُ إِلَيْنَا يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفْرُ ۝ كَلَّا
 لَا وَزَرَ ۝ إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ أَمْسَتَرُ ۝ يُنَبِّئُ إِلَيْنَا يَوْمَئِذٍ
 إِمَّا قَدَمَ وَأَخْرَ ۝

قوله تعالى : (فَإِذَا بَرَقَ الْبَصَرُ) قرأ نافع وأبان عن عاصم «برق» بفتح الراء معناه لمع
 بصره من شدة شعوشه فتراه لا يطير . قال مجاهد وغيره : هذا عند الموت . وقال الحسن :
 هذا يوم القيمة . وقال فيه معنى الجواب عما سأله عنه الإنسان كأنه يوم القيمة «إذا برق
 البصر . وَخَسَفَ الْقَمَرُ » . والباقيون بالكسر «برق» ومعناه تحير فلم يطير ؛ قاله أبو عمرو
 والزجاج وغيرهما . قال ذو الرقة :

ولو أَنْ لُقْمَاتَ الْحَكِيمَ تَعَرَّضَتْ * لِعِينِيهِ مَمْ سَافِرًا كَادَ يَسْبِرُ
 الفراء والخليل : «برق» بالكسر فرع وبهت . والعرب تقول للإنسان المتحير المبهوت :
 قد برق فهو برق ، وأنشد الفراء :

(١) فَنَفَسَكَ فَآنَعَ وَلَا تَنْعَنِي * وَدَأْوَ الْكُلُومَ وَلَا تَبْرِقَ

أى لا تفزع من كثرة الكلوم التي بك . وقيل : برق يبرق بالفتح شق عينيه وفتحهما . قاله
 أبو عبيدة ، وأنشد قول الكلابي :

(٢) لَمَّا أَتَانِي أَبْنُ عَمَّيْرٍ رَاغِبًا * أَعْطَيْتُهُ عِسَّاً صَهَابًا فَسِرَقَ

أى فتح عينيه . وقيل : إن كسر الراء وفتحها لقتان بمعنى .

(١) قائله طرفة .

(٢) في غير القرطبي : لما أتاني ابن صبيح . والعيس الصهاب هي الإبل التي حالت بينها حربة وهي تبعد عند العرب من أشرفها .

قوله تعالى : « وَخَسَفَ الْقَمَرُ » أى ذهب ضوءه . والخشوف في الدنيا إلى آنجلاء بخلاف الآخرة فإنه لا يعود ضوءه . ويحتمل أن يكون بمعنى غاب ، ومنه قوله تعالى : « نَفَسَنَا إِلَيْهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ » وقرأ ابن أبي الحسن ويعسى والأعرج . « وَخَسَفَ الْقَمَرُ » بضم الخاء وكسر السين يدل عليه « وَجْمَعَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ » . وقال أبو حاتم محمد بن إدريس : إذا ذهب بعضاً فهو الكسوف ، وإذا ذهب كله فهو الخسوف . « وَجْمَعَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرُ » أى جمع بينهما في ذهاب ضوئهما فلا ضوء للشمس كما لا ضوء للقمر بعد خسوفه ، قاله الفراء والزجاج . قال الفراء : ولم يقل جمعت ، لأن المعنى جمع بينهما . وقال أبو عبيدة : هو على تغليب المذكر . وقال الكسائي : هو محول على المعنى كأنه قال الضوءان . المبرد : التأنيث غير حقيقة . وقال ابن عباس وأبن مسعود : جمع بينهما أى قرن بينهما في طلوعهما من المغرب أسودين مكورين مظالمين مقررين كأنهما ثوران عقيران . وقد مضى الحديث بهذا المعنى في آخر سورة « الأنعام » . وفي قراءة عبد الله « وَجْمَعَ بَيْنَ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ » وقال عطاء بن يسار : يجمع بينهما يوم القيمة ثم يقذفان في البحر فيكون نار الله الكبرى . وقال علي وأبن عباس : يجعلان في [نور] الجب . وقد يجتمعان في نار جهنم ؛ لأنهما قد عيدا من دون الله ولا تكون النار عذابا لهما لأنهما جاد ، وإنما يفعل ذلك بهما زيادة في تبكيت الكافرين وحسنتهم . وفي مسند أبي داود الطيالسي ، عن يزيد الرقاشي ، عن أنس بن مالك يرفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم قال قال رسول الله صلى عليه وسلم : « إن الشمس والقمر ثوران عقiran في النار » وقيل : هذا الجمع أنهما يجتمعان ولا يفترقان ، ويقربان من الناس فيلتحقهم العرق لشدة الحر ، فكان المعنى يجمع حرهما عليهم . وقيل : يجمع الشمس والقمر فلا يكون ثم تعاقب ليل ولا نهار .

قوله تعالى : « يَقُولُ إِلَيْهِ ابْنُ آدَمَ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَقْرَبُ » أى يقول ابن آدم ، ويقال أبو جهل ؛ أى أين المهرب . قال الشاعر :

(١) راجع ج ٧ ص ١٤٦ فما بعدها . (٢) الزيادة من كتب التفسير .

أَيْنَ الْمَفْرُ وَالْكِبَاشُ تَنْتَطِحُ * وَأَيْ كَبِشٌ حَادٌ عَنْهَا يَقْتَضِيْنَ

الماءوري : ويحتمل وجهين ؛ أحدهما « أَيْنَ الْمَفْرُ » من الله أستحياء منه . الثاني « أَيْنَ الْمَفْرُ » من جهنم حذرا منها . ويحتمل هذا القول من الإنسان وجهين : أحدهما — أن يكون من الكافر خاصة في عَرْضة القيامة دون المؤمن ؛ لنفقة المؤمن بشري ربه . الثاني — أن يكون من قول المؤمن والكافر عند قيام الساعة هلو ما شاهدوا منها . وقراءة العامة « المفر » بفتح الفاء وآخذه أبو عبيد وأبو حاتم ؛ لأنَّه مصدر . وقرأ ابن عباس وبماه وحسن وقتادة بكسر الفاء مع فتح الميم ؛ قال الكسائي : هما لغتان مثل مدبب ومدبب ومصحح ومصحح . وعن الزهرى بكسر الميم وفتح الفاء . المهدوى : من فتح الميم والفاء من « المفر » فهو مصدر بمعنى الفرار ، ومن فتح الميم وكسر الفاء فهو الموضع الذى يفر إليه . ومن كسر الميم وفتح الفاء فهو الإنسان الجيد الفرار ؛ فالمعنى أين الإنسان الجيد الفرار ولن ينجو مع ذلك .

قلت : ومنه قول أمير القيس :

* مِكْتَرٌ مِفَرٌ مُقْبِلٌ مُدِرٌ مَعًا *

يريد أنه حسن الكثرة والفترجية . (كلا) أى لا مفترج . ردّ وهو من قول الله تعالى ، ثم فسر هذا الرد فقال : (لا وزر) أى لا ملجا من النار . وكان ابن مسعود يقول : لا حصن . وكان الحسن يقول : لا جبل . وأبن عباس يقول : لا ملجا . وأبن جبير : لا ميخص ولا منعة . والمعنى في ذلك كله واحد . والوزر في اللغة ما يلتجأ إليه من حصن أو جبل أو غيرهما ، قال الشاعر :

لَعْمَرَى مَا لِلْفَتِى مِنْ وَزْرٍ * مِنَ الْمَوْتِ يُذْرِكُهُ وَالْكِبَرُ

قال السدى : كانوا في الدنيا إذا فزعوا تحصنوا في الجبال ، فقال الله لهم : لا وزر يعصمكم يومئذ مني ؛ قال طرفة :

وَلَقَدْ تَعْلَمَ بَكْرٌ أَنْتَ * فَاضْلُوا الرَّأْيَ وَفِي الرَّوْعِ وَزَرْ

* بخلود صخر حطه السيل من عل *

(١) تمام البيت :

أى ملجاً للخائف . ويروى : **وَقُرْبَةُ** . **(إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقْرُ)** أى المتنهى ؛ قاله قتادة . ونظيره : **وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهَى** . وقال ابن مسعود : إلى رب المصير والمرجع . وقيل : أى المستقر في الآخرة حيث يقرره الله تعالى ؛ إذ هو الحكم بينهم . وقيل : إن « كَلَّا » من قول الإنسان لنفسه إذا علم أنه ليس له مفتر قال لنفسه : **« كَلَّا لَا وَزَرَ . إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقْرُ »** .

قوله تعالى : **(يَنْبَأُ الْإِنْسَانُ)** أى يخبر ابن آدم بما كان أو فاجرا **(إِمَّا قَدَّمَ وَآخَرَ)** أى بما أسلف من عمل سيء أو صالح، أو أخر من سنة سيئة أو صالحة يُعمل بها بعده ؛ قاله ابن عباس وأبن مسعود . وروى منصور عن مجاهد قال ينبا بأقوال عمله وآخره . وقاله التخمي . وقال ابن عباس أيضاً : أى بما قدم من المعصية وأخر من الطاعة . وهو قول قتادة . وقال ابن زيد : **« إِمَّا قَدَّمَ »** من أمواله لنفسه **« وَآخَرَ »** خلف للورثة . وقال الضحاك : ينبا بما قدم من فرض وأخر من فرض . قال القشيري : وهذا الإناء يكون في القيمة عند وزن الأعمال . ويجوز أن يكون عند الموت .

قلت : والأول أظهره، لما نخرجه ابن ماجه في سننه من حديث الزهرى ؛ حدثني أبو عبد الله الأغرى عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن مما يلحق المؤمن من عمله وحسنته بعد موته علماً علمه ونشره ولذا صاحا تركه أو مصحفاً وزنة أو مسجداً بناء أو بيتاً لابن السبيل بناء أو نهراً أجراه أو صدقة أخرجها من ماله في صحنه وحياته تلحقه من بعد موته »، ونخرجه أبو نعيم الحافظ بمعناه من حديث قتادة عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « سبع يجري أجرهن للعبد بعد موته وهو في قبره من علم علماً أو أجرى نهراً أو حفر بئراً أو غرس نخلاً أو بني مسجداً أو ورث مصحفاً أو ترك ولداً يستغفر له بعد موته »، فقوله : « بعد موته وهو في قبره » نص على أن ذلك لا يكون عند الموت ، وإنما يخبر بجميع ذلك عند وزن عمله ، وإن كان يبشر بذلك في قبره . ودل على هذا أيضاً قوله الحق : **« وَلَيَحْمِلُنَّ أَنْقَالَهُمْ وَأَنْقَالًا مَعَ أَنْقَالِهِمْ »** وقوله تعالى : **« وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضْلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ »** وهذا لا يكون إلا في الآخرة بعد وزن الأعمال . والله أعلم .

وفي الصحيح : ”من سن في الإسلام سنة حسنة كان له أجرها وأجر من عمل بها بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء ومن سن في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيء“ .

قوله تعالى : **بَلِ الْإِنْسَنُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ** ﴿١٤﴾ **وَلَوْلَا**
مَعَادِيرُهُ (بَيْنَ)

قوله تعالى : **(بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ)** قال الأخفش : جعله هو البصيرة ، كما تقول للرجل أنت حجة على نفسك . وقال ابن عباس : **«بَصِيرَةٌ»** أى شاهد وهو شهود جوارحه عليه : يداه بما بطش بهما ، ورجلاته بما مشى عليهما ، وعيناه بما أبصر بهما . وال بصيرة الشاهد ، وأنشد الفراء :

كَأَنَّ عَلَى ذِي الْعُقْلِ عَيْنًا بَصِيرَةٌ * يَعْقِدِهُ أَوْ مَنْظَرِهُ هُوَ نَاظِرٌ
يُحَاذِرُ حَتَّى يَحْسَبَ النَّاسَ كُلُّهُمْ * مِنَ الْخَوْفِ لَا تَخْفَى عَلَيْهِمْ سَرَاءُهُ

ودليل هذا التأويل من التزيل قوله تعالى : **«يَوْمَ تَشَهُّدُ عَلَيْهِمْ أَسْتِهِمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلَهُمْ**
إِمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ» . وجاء تأييث البصيرة لأن المراد بالإنسان هاهنا الجوارح ، لأنها شاهدة على نفس الإنسان ، فكانه قال : بل الجوارح على نفس الإنسان بصيرة ؛ قال معناه القبي وغيره . وناس يقولون هذه الماء في قوله : **«بَصِيرَةٌ»** هي التي يسمى بها أهل الإعراب هاء المبالغة كلهاء في قوله : داهية وعلامة وراوية . وهو قول أبي عبيد . وفي المراد بال بصيرة الكاتبان اللذان يكتبان ما يكون منه من خير أو شر ؛ يدل عليه قوله تعالى : **«وَلَوْلَا**
مَعَادِيرُهُ» فيمن جعل المعاذير ستور . وهو قول السدي والضحاك . وقال بعض أهل التفسير : المعنى بل على الإنسان من نفسه بصيرة ؛ أى شاهد خذف حرف البحر . ويجوز أن يكون بصيرة نعتا لاسم مؤنث فيكون تقديره : بل الإنسان على نفسه عين بصيرة ؛ وأنشد الفراء :

* كَأَنَّ عَلَى ذِي الْعُقْلِ عَيْنًا بَصِيرَةٌ *

وقال الحسن في قوله تعالى : « بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرٌ » يعني بصير بعيوب غيره جاهل بعيوب نفسه . ((وَلَوْ أَلْقَى مَعَذِيرَةً)) أى ولو أرخي ستوره . والستر بلغة أهل اليمن معدار؛ قاله الضحاك؛ وقال الشاعر :

ولكنها ضَنْتْ يَمْزِيلْ سَاعَةً * عَلَيْنَا وَأَطْتَ فَوْقَهَا بِالْمَعَادِيرِ

قال الزجاج : المعادر المستور والواحد معدار ؛ أى وإن أرخي ستوره ؛ يريد أن يخفى عمله فنفسه شاهدة عليه . وقيل : أى ولو اعتذر فقال لم أفعل شيئاً لكان عليه من نفسه من يتهمه عليه من جوارحه ، فهو وإن اعتذر آعتذر وجادل عن نفسه فعليه شاهد يكذب عذرها ؛ قاله مجاهد وقتادة وسعيد بن جبير وعبد الرحمن بن زيد وأبو العالية وعطاء والقراء والسدي . أيضاً ومقاتل . قال مقاتل : أى لو أدل بيذر أو حجة لم ينفعه ذلك ، نظيره قوله تعالى : « يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعَذِيرَتِهِمْ » وقوله : « وَلَا يُؤْذِنُ لَهُمْ فِي عِذْرَوْنَ » فالمعادير على هذا مأخذ من العذر ؛ قال الشاعر :

وَإِيَّاكَ وَالْأَمْرِ الَّذِي إِنْ تَوَسَّعْتُ * مَوَارِدُهُ ضَاقَتْ عَلَيْكَ الْمَصَادِرُ
فَإِنَّ حَسْنَ أَنْ يَعْذِرَ الْمُرْءُ نَفْسَهُ * وَلَيْسَ لَهُ مِنْ سَائِرِ النَّاسِ عَذِيرٌ

واعتذر رجل إلى إبراهيم النجاشي فقال له : قد عذرتك غير معتذر ، إن المعادير يشوهها الكذب . وقال ابن عباس : « وَلَوْ أَلْقَى مَعَذِيرَةً » أى لو تجذذب من ثيابه . حكاه الماوردي .

قلت : والأظهر أنه الإدلاء بالجنة والاعتذار من الذنب ؛ ومنه قول النابغة :

هَا إِنَّ ذِي عِذْرَةٍ إِلَّا تَكُنْ نَفْعَتْ * فَإِنْ صَاحِبَهَا مُشَارِكُ النَّكِيرِ

والدليل على هذا قوله تعالى في الكفار : « وَاللَّهُ رَبُّنَا مَا كَانَ مُشَرِّكِينَ » وقوله تعالى في المنافقين : « يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ » . وفي الصحيح أنه يقول : « يَا رَبَّ أَمْتُكَ وَبِكَابُكَ وَبِرَسُولِكَ وَصَلَيْتُ وَصَمَتُ وَنَصَدَقْتُ وَيَثْنَيْ بَخِير

ما آسْطَاعَ ” الحديث . وقد تقدم في « حَمَ السجدة » وغيرها ، والمعاذير والمعاذر جمع مَعَذِرَة ؛
ويقال : عَدْرَتْهُ فِيهَا صَنَعَ أَعْدِرَهُ عُدْرًا وَعُدْرًا وَالْأَسْمَاءُ الْمَعَذِرَةُ وَالْمَعَذِرِيُّ ؛ قال الشاعر :

* إِنِّي حَدَّدْتُ وَلَا عُدْرِي لِمَحْدُودٍ *

وَكَذَلِكَ الْعِدْرَةُ وَهِيَ مِثْلُ الرَّكْبَةِ وَالْخَلْسَةِ ؛ قال النابغة :

هَإِنَّ تَأْعِذْرَةً إِلَّا تَكُونْ نَفَعَتْ * فَإِنْ صَاحِبَهَا قَدْ تَاهَ فِي الْبَلْدِ

وتضمنـت هذه الآية نفس مسائل :

الأولى — قال القاضي أبو بكر بن العربي قوله تعالى : « بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ، وَلَوْ أَتْقَنَ مَعَاذِرَهُ » : فيها دليل على قبول إقرار المرء على نفسه ، لأنها شهادة منه عليها ؛
قال الله سبحانه وتعالى : « يَوْمَ تَشَهَّدُ عَلَيْهِمْ أَسْلَمُوا وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ إِمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ »
ولا خلاف فيه ، لأن إخبار على وجه تنفي التهمة عنه ، لأن العاقل لا يكذب على نفسه ،
وهي المسئلة :

الثانية — وقد قال سبحانه في كتابه الكريم : « وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِنَّا مِنَّا آتَيْتُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةً ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مَصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لِتَوْمَنَ بِهِ وَلِتَنْصُرَنَهُ قَالَ الْأَقْرَبُتُمْ وَالْأَخْدُمُ
عَلَى ذَلِكُمْ إِنْصَرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَأَشْهَدُوا وَإِنَّا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ » ثم قال تعالى : « وَآتَرُونَ
أَعْتَرُوا يَدُنُوِّيْمَ خَلَطُوا عَمَّا صَالِحًا وَأَنْزَلُوا سَيِّئًا » وهو في الآثار كثير ؛ قال النبي صلى الله عليه
وسلم : « أَغْدُ يَا أَنْتِسَ عَلَى أَمْرَأَهُ هَذَا فَإِنْ أَعْرَفْتَ فَأَرْجِمْهَا » . فَإِنْما إقرار الغير على الغير
بوارث أو دين فقال مالك : الأُمُّ المُجتَمِعُ عَلَيْهِ عِنْدَنَا فِي الرَّجُلِ يَهْلِكُ وَلِهِ بَنُونَ ، فيقول
أحدُهُمْ : إِنَّ أَبِي قَدْ أَقْرَأَنَا فَلَا نَأْبِنْهُ أَنْ ذَلِكَ النَّسْبُ لَا يُشَبَّهُ بِشَهَادَةِ إِنْسَانٍ وَاحِدٍ ،

(١) راجع ج ٥ ص ٣٥٠ ففيه معنى ما أشار إليه القرطبي وأما الحديث فقد أورده في سورة الأنعام ج ٦ ص ٤٢

(٢) قاله الجروح الظفرى . وقيل : هو راشد بن عبد الله . وعذرى مقصور . وفي اللسان : صواب إنشاده ؛ لولا
حددت ، على إرادة أن ، تقديره : لولا أن حددت لأن لولا التي معناها أمتان الشىء لوجود غيره هي مخصوصة بالأسماء
وقد تقع بعدها الأفعال على تقدير أن . (٣) تقدم البيت برواية : ها إن ذى — مشارك الكمد . وهو روايتان .

ولا يجوز إقرار الذى أقر إلا على نفسه في حصته من مال أبيه، يعطى الذى شهد له قدر الذى يصيبه من المال الذى في يده . قال مالك : وتفسیر ذلك أن يملك الرجل ويترك أبنين ويترك ستمائة دينار، ثم يشهد أحدهما بأن أباه المالك أقر أن فلاناً أبنته، فيكون على الذى شهد للذى آستلتحق مائة دينار، وذلك نصف ميراث المستحق لو حق ، وإن أقر له الآخرأخذ المائة الأخرى فاستكمل حقه وثبت نسبة . وهو أيضاً بمنزلة المرأة تفتر بالدين على أبيها أو على زوجها وينكر ذلك الورثة ، فعليها أن تدفع إلى الذى أقرت له قدر الذى يصيبه من ذلك الدين لو ثبتت على الورثة كلهم ، إن كانت أمراً فورثت الثمن دفعت إلى الغريم من دينه ، وإن كانت أبناء ورثت النصف دفعت إلى الغريم نصف دينه ، على حساب هذا يدفع إليه من أقر له من النساء .

الثالثة — لا يصبح الإقرار إلا من مكْلَف لكن بشرط ألا يكون محجوراً عليه، لأن الجر يسقط قوله إن كان لحق نفسه، فإن كان لحق غيره كالمريض كان منه ساقط ومنه جائز، وبيانه في مسائل الفقه . وللعبد حالثان في الإقرار إحداهما في آبتدائه ولا خلاف فيه على الوجه المتقدم . والثانية في آنتهائه وذلك مثل إيهام الإقرار، وله صور كثيرة وأمهاتها ست :

الصورة الأولى — أن يقول له عندي شيء؛ قال الشافعى : لو فسره بثرة أو كسرة قيل منه . والذى تقتضيه أصولنا أنه لا يقبل إلا فيما له قدر ، فإذا فسره به قيل منه وحلف عليه .

الصورة الثانية — أن يفسر هذا بخمر أو خنزير أو مالاً يكون مالاً في الشريعة لم يقبل بأتفاق ولو ساعده عليه المقر له . الصورة الثالثة — أن يفسره بخنث في مثل جلد الميتة أو سرقين أو كلب ، فإن رده لم يحكم عليه حاكم آخر غيره بشيء؛ لأن الحكم قد نفذ بباطله . وقال بعض أصحاب الشافعى : يلزم الخمر والخنزير وهو قول باطل . وقال أبو حنيفة : إذا قال له على شيء لم يقبل تفسيره إلا بمكيل أو موزون؛ لأنه لا يثبت في الذمة بنفسه إلا هما . وهذا ضعيف فإن غيرهما يثبت في الذمة إذا وجب ذلك إجمالاً . الصورة الرابعة — إذا قال له : عندي مال قيل تفسيره بما لا يكون مالاً في العادة كالدرهم والدرهمين ما لم يجيئ من قرينة

الحال ما يحكم عليه بأكثري منه . الصورة الخامسة — أَن يقول له : عندى مال كثير أو عظيم ؛ فقال الشافعى : يقبل في الْبَة . وقال أبو حنيفة : لا يقبل إلا في نصاب الزكاة . وقال علماونا في ذلك أقوالاً مختلفة ؛ منها نصاب السرقة والزكاة والمدينة وأفله عندى نصاب السرقة ؛ لأنَّه لا يُسَان عُضُوُ المسلم إلا في مال عظيم . وبه قال أكثر الحنفية . ومن يعجب فيتعجب لقول الليث بن سعد : إنه لا يقبل في أقل من آثنين وسبعين درهما . فقيل له : ومن أين تقول ذلك ؟ قال ؛ لأنَّ الله تعالى قال : «لَقَدْ نَصَرْتُكُمُ اللَّهِ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ» وغزا واته وسراياه كانت آثنين وسبعين . وهذا لا يصح ؛ لأنَّه أخرج حُنَيْنًا منها ، وكان حقه أن يقول يُقبل في أحد وسبعين ، وقد قال الله تعالى : «أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا» وقال : «لَا خَيْرٌ فِي كَثِيرٍ مِّنْ نَجْوَاهُمْ» وقال : «وَلَعِنُوهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا» . الصورة السادسة — إذا قال له عندى عشرة أو مائة أو ألف فإنه يفسرها بما شاء ويقبل منه . وبه قال الشافعى . وقال أبو حنيفة : إنَّ عطف على العدد المبهم مكلاً أو موزوناً كان تفسيراً ، كقوله : مائة وخمسون درهماً ؛ لأنَّ الدرهم تفسير للخمسين ، والخمسين تفسير للمائة . وقال ابن خيران الأصطخرى من أصحاب الشافعى : الدرهم لا يكون تفسيراً في المائة والخمسين إلا للخمسين خاصة ويُفسَّر هو المائة بما شاء .

المسئلة الرابعة — قوله تعالى : «وَلَوْ أَلْقَى مَعَادِيرَهُ» ومعناه لو أعتذر بعد الإقرار لم يقبل منه . وقد آختلف العلماء فيمن رجع بعد ما أفترى الحدود التي هي خالص حق الله ؛ فقال أكثراً منهم الشافعى وأبو حنيفة : يقبل رجوعه بعد الإقرار . وقال به مالك في أحد قوله ، وقال في القول الآخر : لا يقبل إلا أن يذكر لرجوعه وجهاً صحيحاً . والصحيح جواز الرجوع مطلقاً لما روى الأئمة منهم البخارى ومسلم أنَّ النبي صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أربع كل مرة يعرض عنه ، ولما شهد على نفسه أربع مرات دعاه النبي صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقال : «أَبَكَ جنون» قال : لا . قال : «أَحْصَنْتَ» قال : نَعَمْ . وفي حديث البخارى : «لَعَلَّكَ قَبَلتَ أَوْ غَمَزْتَ أَوْ نَظَرْتَ» . وفي النسائي وأبي داود : حتى قال له في الخامسة

(١) ”أجامتها“ قال : نعم . قال : ”حتى غاب ذلك منك في ذلك منها“ قال : نعم . قال : ”كما يغيب المرود في المكحولة والرثاء في البئر“ . قال : نعم . ثم قال : ”هل تدرى ما الزنى“ قال : نعم ؟ أتيت منها حراما مثل ما يأتي الرجل من أهله حلالا . قال : ”فما تريده مني“ قال : أريد أن تطهرني . قال : فأمر به فرجم . قال الترمذى وأبو داود : فلما وجد مس الجحارة فَرَأَى شِنْدَرَ فَضَرَّ بِهِ رَجُلٌ بَلْحَى جَمِيلٌ وَضَرَّ بِهِ النَّاسُ حَتَّى مَاتَ . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : ”هَلَا تَرْكَتْمُوهُ“ وقال : أبو داود والنَّسائِي ؟ ليتبَثِّت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاما لترك حد فلا . وهذا كله طريق للرجوع وتصريح بقوله . وفي قوله عليه السلام : ”لعلكَ قَبَلْتَ أَوْ عَمِزْتَ“ إشارة إلى قول مالك : إنه يقبل رجوعه إذا ذكر وجها .

الخامسة - وهذا في الحر الم المالك لأمر نفسه ، فأما العبد فإن إقراره لا يخلو من أحد قسمين : إما أن يقر على بَدَنه ، أو على ما في يده وذمته ، فإن أقر على بَدَنه فيما فيه عقوبة من القتل فـا دونه نفذ ذلك عليه . وقال محمد بن الحسن : لا يقبل ذلك منه ؛ لأن بَدَنه مستغرق لحق السيد ، وفي إقراره إتلاف حقوق السيد في بَدَنه ؛ ودليلنا قوله صلى الله عليه وسلم : ”من أصاب من هذه القاذورات شيئاً فليستتر بستر الله فإن من يُبَدِّلَنَا صفحته نُقْمِ علىه الحَدَّ“^(٢) المعنى أن محل العقوبة أصل الخلقة وهي [الدمية] في الآدمية ولا حق للسيد فيها ، وإنما حقه في الوصف والتبع وهي المالية الطارئة عليه ، ألا ترى أنه لو أفتر بمال لم يقبل حتى قال أبو حنيفة : إنه لو قال سرقت هذه السُّلْعَةَ أنه لم تقطع يده وياخذها المقتله . وقال علماً : السُّلْعَةَ للسيد ويُتَبع العبد بقيمتها إذا عَتَقَ ؛ لأن مال العبد للسيد إجماعا ، فلا يقبل قوله فيه ولا إقراره عليه ، لا سيما وأبو حنيفة يقول : إن العبد لا ملك له . ولا يصح أن يملِك ولا يملك ، ونحن وإن قلنا إنه يصح تملِكه ، ولكن جميع ما في يده لسيده بإجماع على القولين . والله أعلم .

(١) المفظ في رواية لأبي داود . (٢) يشتند : يعدون .

(٢) التصحيح من آبن العربي وفي الأصول «الذمة» .

قوله تعالى : لَا تُحْرِكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ إِنَّ عَلَيْنَا جَمِيعُهُ^{٢٩}
وَقُرْءَانَهُ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَآتَيْنَاهُ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ^{٣٠}
كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ (٣١) وَتَدْرُونَ الْآتِحَةَ^{٣٢}

قوله تعالى : (لَا تُحْرِكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ) في الترمذى عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : كان رسول الله صلى عليه وسلم إذا نزل عليه القرآن يحرك به لسانه ، يريد أن يحفظه ، فأنزل الله تبارك وتعالى : « لَا تُحْرِكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ » قال : فكان يحرك به شفتيه . وحرك سفيان شفتيه . قال أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح . ولفظ مسلم عن ابن جبير عن أبي عبد الله عليه السلام يحكي أن النبي صلى الله عليه وسلم يعالج من التزيل شدة ، كان يحرك شفتيه ، فقال له أبو عبد الله عليه السلام : أنا أحركهما كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحركهما ، فقال سعيد : أنا أحركهما كما كان أبي عبد الله عليه وسلم يحركهما خذل شفتيه ، فأنزل الله عن وجل (لَا تُحْرِكْ
بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ . إِنَّ عَلَيْنَا جَمِيعَهُ وَقُرْءَانَهُ) قال جمهور في صدره ثم تقرأه (فَإِذَا قَرَأْنَاهُ
فَآتَيْنَاهُ) قال فآتى مسلم له وأنصت . ثم إن علينا أن تقرأه ، قال : فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك إذا أتاه جبريل عليه السلام آتى به ، وإذا أنطلق جبريل عليه السلام
قرأه النبي صلى الله عليه وسلم كما أقرأه ، خرجه البخارى أيضا . ونظير هذه الآية قوله تعالى :
« وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ » وقد تقدم . وقال عاصم الشعبي : إنما
كان يعدل بذلك إذا نزل عليه من حبه له ، وحالاته في لسانه ، فنمى عن ذلك حتى يجتمع
لأن بعضه مرتبط ببعض . وقيل : كانت عليه السلام إذا نزل عليه الوحي حرك لسانه
مع الوحي مخافة أن ينساه فنزلت « وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ »
ونزل « سُنْقِرُوكْ فَلَا تَنْسِي » ونزل « لَا تُحْرِكْ بِهِ لِسَانَكَ » قاله أبي عبد الله عليه
وقراءته عليك . والقراءة والقرآن في قول الفراء مصدران . وقال قتادة : « فَآتَيْنَاهُ قُرْءَانَهُ »

(١) راجع ج ١١ ص ٢٥٠

أى فاتح شرائعه وأحكامه . قوله : « ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ » أى تفسير ما فيه من الحدود والحلال والحرام ؛ قاله قتادة . وقيل : ثم إن علينا بيان ما فيه من الوعد والوعيد وتحقيقهما . وقيل : أى إن علينا أن نبينه بلسانك . قوله تعالى : « كَلَّا » قال ابن عباس : أى إن أبا جهل لا يؤمن بتفسير القرآن وبيانه . وقيل : أى « كَلَّا » لا يصلون ولا يزكون يريد كفار مكة . « بَلْ تُحِبُّونَ » أى بل تحبون يا كفار أهل مكة « الْعَاجِلَةَ » أى الدار الدنيا والحياة فيها « وَتَذَرُّونَ » أى تدعون « الْآخِرَةَ » والعمل لها . وفي بعض التفسير قال : الآخرة الجنة . وقرأ أهل المدينة والkovيون « بَلْ تُحِبُّونَ » « وَتَذَرُّونَ » بالباء فيما على الخطاب وأختاره أبو عبيدة ، قال : ولو لا الكراهة لخلاف القراء لقرأتها بالياء ، لذكر الإنسان قبل ذلك . الباقون بالياء على الخبر وهو اختيار أبي حاتم ، فمن قرأ بالياء فردا على قوله تعالى : « يُبَيِّنُ الْإِنْسَانَ » وهو بمعنى الناس . ومن قرأ بالباء فعل أنه واجههم بالتصريح ، لأن ذلك أبلغ في المقصود ؛ نظيره : « إِنَّ هُؤُلَاءِ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُّونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا » .

قوله تعالى : « وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ » (٢٤) إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ (٢٥) وَوُجُوهٌ
يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ (٢٦) تَنْظُنُ أَنْ يُفْعَلَ إِلَيْهَا فَاقِرَةٌ (٢٧)

قوله تعالى : « وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ . إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ » الأقل من النصرة التي هي الحسن والنعم . والثاني من النظر أى وجوه المؤمنين مشرقة حسنة ناعمة ؛ يقال : نضرهم الله يتضررهم نصرة ونضارة وهو الإشراق والعيش والغنى ؛ ومنه الحديث « نَصَرَ اللَّهُ أَمْرَءاً سَمِيعَ مَقَالَتِي فَوَاعَاهَا » . « إِلَى رَبِّهَا » إلى خالقها ومالكتها « نَاظِرَةٌ » أى تنظر إلى ربها ؛ على هذا جمهور العلماء . وفي الباب حديث صهيب خرجه مسلم وقد مضى في « يونس » عند قوله تعالى : « لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةً » . وكان ابن عمر يقول : أكرم أهل الجنة

(١) نضره ونضره بالتشديد وأنضره أى نعمه ، يروى الحديث بالتحفيف والتشديد من النضارة وهي في الأصل حسن الوجه والبريق .

(٢) راجع ج ٨ ص ٣٢٠

على الله من ينظر إلى وجهه غدوة وعشية . ثم تلا هذه الآية «وجوه يومئذ ناضرة . إلى ربها ناظرة» . وروى يزيد النحوي عن عكرمة قال : تنظر إلى ربها نظرا . وكانت الحسن يقول : نضرت وجوههم ونظروا إلى ربهم .

وقيل : إن النظر هنا آنتظار ما لهم عند الله من الثواب . وروى عن ابن عمر ومجاهد . وقال عكرمة : تنظر أمر ربها . حكاه الماوردي عن ابن عمر وعكرمة أيضا . وليس معروفا إلا عن مجاهد وحده . وأحتجوا بقوله تعالى : «لَا تُدْرِكُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ» وهذا القول ضعيف جدا ، خارج عن مقتضي ظاهر الآية والأخبار . وفي الترمذى عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «إِن أَدْنَى أَهْلَ الْجَنَّةِ مِنْ لَمَّا يَنْظُرَ إِلَيْهِ وَأَزْوَاجُهُ وَخَدْمَهُ وَسُرْرَهُ مَسِيرَةُ أَلْفِ سَنَةٍ وَأَكْرَمُهُمْ عَلَى اللَّهِ مِنْ يَنْظُرَ إِلَيْهِ وَجْهَهُ غُدْوَةً وَعَشِيهَ» ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم «وجوه يومئذ ناضرة . إلى ربها ناظرة» قال هذا حديث غريب . وقد روى عن ابن عمر ولم يرفعه . وفي صحيح مسلم عن أبي بكر بن عبد الله بن قيس عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : «جتنان من فضة آنيتها وما فيها وجتان من ذهب آنيتها وما فيها وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم جل وعز لا رداء الكبراء على وجهه في جنة عدن» . وروى جرير بن عبد الله قال : كذا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم جلوسا ، فنظر إلى القمر ليلة البدر فقال : «إِنَّكُمْ سَتَرُونَ رَبَّكُمْ عِيَانًا كَمَا تَرُونَ هَذَا الْقَمَرُ لَا تُصَامُونَ فِي رُؤْيَاكُمْ فَإِنْ أَسْتَطَعْتُمْ لَا تُغْلِبُوا عَلَى صَلَاةِ قَبْلِ طَلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلِ غَرَبَةِ فَأَفْعَلُوا» ثم قرأ «وَسَبَّحَتْ مَحْمِدَ رَبَّكَ قَبْلَ طَلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الغُرُوبِ» متفق عليه . وخرج أيضا أبو داود والترمذى وقال : حديث حسن صحيح . وخرج أبو داود عن أبي رزين العقيلي قال : قلت يا رسول الله أكنا يرى ربها ؟ قال ابن معاذ : مخلينا به يوم القيمة ؟ قال : «نعم يا أبا رزين» قال : وما آية ذلك في خلقه ؟ قال «يا أبا رزين أليس كلكم يرى القمر» قال ابن معاذ : ليلة البدر مخلينا به . قلنا : بل . قال : «فالله أعظم» [قال ابن معاذ قال] :

(١) ازبادة من مسند أبي داود .

”فَإِنَّمَا هُوَ خَلْقُهُ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ – يَعْنِي الْقَمَرَ – فَإِنَّهُ أَجْلٌ وَأَعْظَمٌ“ . وفي كتاب النسائي عن صهيب قال : ”فِي كِشْفِ الْجَابِ فَيُنَظِّرُونَ إِلَيْهِ فَوَاللهِ مَا أَعْطَاهُمُ اللَّهُ شَيْئاً أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ وَلَا أَفْتَرَ لِأَعْيُنِهِمْ“ وفي التفسير لأبي إسحاق الشعبي عن الزبير عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ”يَتَجَلَّ رَبُّنَا عَنْ وَجْهِهِ حَتَّى يُنَظِّرُوا إِلَيْهِ وَجْهَهُ فَيُخَرِّزُونَ لَهُ سُبْحَانَهُ“ فيقول آرَفُوكُمْ فَلَيْسَ هَذَا بِيَوْمِ عِبَادَةٍ“ قال الشعبي : وقول مجاهد أنها بمعنى تنظر الثواب من ربها ولا يراها شيء من خلقه فتاوين مدخول ، لأن العرب إذا أرادت بالنظر الانتظار قالوا نظرته ، كما قال تعالى : « هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ » « هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ » و « مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صِحَّةً وَاحِدَةً » وإذا أرادت به التفكير والتدبر قالوا نظرت فيه ، فاما إذا كان النظر مقوينا بذلك إلى ذكر الوجه فلا يكون إلا بمعنى الرؤية والعيان . وقال الأزهرى : إن قول مجاهد تنظر ثواب ربها خطأ ، لأنه لا يقال نظر إلى كذا بمعنى الانتظار ، وإن قول القائل نظرت إلى فلان ليس إلا رؤية عين ، كذلك تقوله العرب ، لأنهم يقولون نظرت إليه إذا أرادوا نظر العين ، فإذا أرادوا الانتظار قالوا نظرته ، قال : —

فَإِنَّكَ إِنْ تَنْظُرَنِي سَاعَةً * مِنَ الدَّهْرِ تَنْفَعُنِي لَدَى أُمِّ جُنْدِبٍ

لما أراد الانتظار قال تنظراني ولم يقل تنظران إلى ، وإذا أرادوا نظر العين قالوا نظرت إليه ، قال : —

نَظَرْتُ إِلَيْهَا وَالثَّجُومُ كَأَمْمًا * مَصَابِيحُ رُهْبَانٍ تَشَبَّهُ لِقَفَالٍ^(١)

وقال آخر : —

نَظَرْتُ إِلَيْهَا بِالْمُحْصَبِ مِنْ مَنِّي * وَلِنَظَرٍ لَوْلَا التَّهْرُجُ عَارِمُ^(٢)

وقال آخر : —

إِنِّي إِلَيْكَ لِمَا وَعَدْتَ لِنَاظِرٍ * نَظَرَ الْفَقِيرِ إِلَى الْغَنِيِّ الْمُؤْسِرِ

(١) تشب : توقد . والقفال جمع قافل وهو الرابع من السفر . والبيت من قصيدة لأمرى الفيس .

(٢) في نسخ الأصل نظرة ، والصواب ما ذكرناه في ديوان قاتله وهو عمر بن ربيعة .

أى إنى أنظر إليك بذل ، لأن نظر الذل والخضوع أرق لقلب المسئول ، فاما ما
آسندوا به من قوله تعالى : « لَا تُدْرِكُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ » فإنا ذلك
في الدنيا . وقد مضى القول فيه في موضعه مستوف . وقال عطية العوفي : ينظرون
إلى الله لا تحيط أبصارهم به من عظمته ، ونظره يحيط بهم ، يدل عليه « لَا تُدْرِكُ الْأَبْصَارُ
وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ » قال القشيري أبو نصر : وقيل : « إلى » واحد الآلاء أى نعمه متطرفة .
وهذا أيضا باطل ، لأن واحد الآلاء يكتب بالآلف لا بالياء ، ثم الآلاء نعمه الدفع ، وهم
في الجنة لا ينتظرون دفع نعمة عنهم ، والمنتظر للشىء متنقص العيش فلا يوصف أهل الجنة
بذلك . وقيل : أضاف النظر إلى الوجه ، وهو كقوله تعالى : « تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ »
والماء يجري في النهر لا النهر . ثم قد يذكر الوجه بمعنى العين ، قال الله تعالى : « فَالْقُوَّهُ عَلَى
وَجْهِ أَىٰ يَاتٍ يَصِيرُ » أى على عينيه . ثم لا يبعد قلب العادة غدا حتى يخلق الرؤية والنظر
في الوجه ؛ وهو كقوله تعالى : « أَفَنْ يَمْشِي مُبْكًا عَلَى وَجْهِهِ » فقيل : يا رسول الله ! كيف
يمشون في النار على وجوههم ؟ قال : « الذي أمشاهم على أقدامهم قادر أن يمشيهم على وجوههم ».
« ووجوه يومئذ بآسرة » أى وجوه الكفار يوم القيمة كالحة كاسفة عابسة ، وفي الصباح :
وبسر الفحل الناقلة وآبتسراها إذا ضربها من غير ضبعة ، وبسر الرجل وجهه بسورا أى كلح
يقال : عَبَّس وَبَسَر . وقال السدى : « بآسرة » أى متغيرة والمعنى واحد . (١) تظن أن يفعل بها
فَاقْرَأْهُ أى توقن وتعلم ، والفاقرة الظاهرة والأمر العظيم ، يقال : فقرته الفاقرة أى كسرت
فقار ظهره . قال معناه مجاهد وغيره . وقال قتادة : الفاقرة الشر . السدى : الهالك . آبن
عباس وأبن زيد : دخول النار . والمعنى متقارب . وأصلها الوسم على أنف البعير بمحددة أو
نار حتى ينخض إلى العظم ، قاله الأصمى . يقال : فقرت أنف البعير إذا حرزته بمحددة
ثم جعلت على موضع الحز الحسير وعليه ترمليوى لتذللها بذلك وتروضه ؛ ومنه قولهم : قد
عُمل به الفاقرة . وقال النابغة :

(١) راجع ج ٧ ص ٤ . (٢) هكذا في كل الأصول . (٣) الجرير حبل من أدم ينخضم به البعير .

أَبَيْ لِيْ قَبْرُ لَا يَنْالُ مُقَابِلِيْ * وَضَرْبَةُ فَائِسٍ فَوْقَ رَأْسِيْ فَاقِرَةَ
أَى كاسرة .

قوله تعالى : كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ الْتَّرَاقَ (٢٧) وَقِيلَ مَنْ رَاقِ (٢٨) وَظَنَّ
أَنَّهُ الْفِرَاقُ (٢٩) وَالْتَّفَتَ الْسَّاقُ بِالسَّاقِ (٣٠) إِلَى دِيْكَ يَوْمَئِذٍ
الْمَسَاقُ (٣١)

قوله تعالى : (كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقَ) «كَلَّا» ردُّع وزجر أى بعيد أن يؤمن الكافر بيوم
القيامة ؛ ثم أستأنف فقال : «إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقَ» أى بلغت النفس أو الروح التراق ؛ فأخبر
عما لم يجر له ذكر لعلم المخاطب به ؛ كقوله تعالى : «حَتَّى تَوَارَتِ يَانْجَابِ» وقوله تعالى :
«فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ» (١) وقد تقدم . وقيل : «كَلَّا» معناه حقاً أى حقاً إن المساق إلى
الله «إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقَ» أى إذا أرتفعت النفس إلى التراق . وكان ابن عباس يقول : إذا
بلغت نفس الكافر التراق . والتراق جمع ترقُّوة وهي العظام المكتنفة لنقرة النحر، وهو مقدم
الحلق من أعلى الصدر ، وهو موضع الحشرجة ؛ قال دريد بن الصمة .
وَرَبَّ عَظِيمَةَ دَافَعَتْ عَنْهُمْ * وَقَدْ بَلَغَتْ نُفُوسَهُمُ التَّرَاقِ

وقد يكفي عن الإشفاء على الموت ببلوغ النفس التراق ، والمقصود تذكيرهم شدة الحال
عند نزول الموت .

قوله تعالى : (وَقِيلَ مَنْ رَاقِ) آخْتَلَفَ فِيهِ فَقِيلَ : هُوَ مِنَ الرَّفِيقِ ؛ عَنْ أَبْنَ عَبَّاسِ
وِعِكْرَمَةِ وَغَيْرِهِمَا . رَوَى سِمَاكُ عِكْرَمَةَ قَالَ : مَنْ رَاقِ يَرْقِي أَى يَشْفِي . وَرَوَى مِيمُونَ بْنَ
مِهْرَانَ عَنْ أَبْنَ عَبَّاسَ : أَى هَلْ مِنْ طَبِيبٍ يَشْفِيْهِ ؛ وَقَالَهُ أَبُو قِلَابَةَ وَقَاتَدَةَ ؛ وَقَالَ الشَّاعِرُ :
هَلْ لِلْفَقِيْ مِنْ بَنَاتِ الدَّهْرِ مِنْ وَاقِ * أَمْ هَلْ لَهُ مِنْ حَامِ الْمَوْتِ مِنْ رَاقِ

(١) راجع ج ١٥ ص ١٩٥ و ج ١٧ ص ٢٣٠ فما بعدها .

(٢) كذا في الأصل والبيت لأبنه عمرة من قصيدة لها ترقى بها أباها كا في شعراء النصرانية .

وكان هذا على وجه الاستبعاد واليأس ؛ أى من يقدر أن يرقى من الموت . وعن ابن عباس أيضا وأبي الجوزاء أنه من رق يرقى إذا صعد ، المعنى : من يرقى بروحه إلى السماء ؟ أملائكة الرحمة أم ملائكة العذاب ؟ وقيل : إن ملك الموت يقول من راق ؟ أى من يرقى بهذه النفس ؛ وذلك أن نفس الكافر تکه الملائكة قربها ، فيقول ملك الموت : يافلان آصعد بها . وأنظهر عاصم وقوم النون في قوله تعالى : « مَنْ رَاقِ » واللام في قوله : « بَلْ رَانَ » لثلا يشبه مرافق وهو باائع المرفقة ، وبران في تثنية البر . وال الصحيح ترك الإظهار ، وكسرة القاف في « مَنْ رَاقِ » وفتحة النون في « بَلْ رَانَ » تكفي في زوال اللبس . وأمثل مما ذكر : فقصد الوقف على « مَنْ » و « بَلْ » فأظهرهما ؛ قاله الفشیري .

قوله تعالى : ((وَظَنَّ) أى أیقن الإنسان ((أَنَّهُ فِرَاقٌ)) أى فراق الدنيا والأهل والمال والولد ، وذلك حين عاين الملائكة . وقال الشاعر :

فِرَاقٌ لَيْسَ يُشَبِّهُ فِرَاقِ * قَدْ أَنْقَطَعَ الرَّجَاءُ عَنِ التَّلَاقِ

((وَالْتَّفَتَ السَّاقُ بِالسَّاقِ)) أى فاتصلة الشدة بالشدة ؛ شدة آخر الدنيا بشدة أول الآخرة ؛ قاله ابن عباس والحسن وغيرهما . وقال الشعبي وغيره : المعنى ألتفت ساقا الإنسان عند الموت من شدة الكرب . وقال قنادة : أمارأيته إذا أشرف على الموت يضرب إحدى رجليه على الأخرى . وقال سعيد بن المسيب والحسن أيضا : هما ساقا الإنسان إذا التفتا في الكفن . وقال زيد ابن أسلم : ألتفت ساق الكفن بساق الميت . وقال الحسن أيضا : ماتت رجلاه ، ويبست ساقاه فلم تتحمله ، ولقد كان عليهما جَوَالاً . قال النحاس : القول الأول أحسنها . وروى على ابن أبي طلحة عن ابن عباس : « وَالْتَّفَتَ السَّاقُ بِالسَّاقِ » قال آخر يوم من الدنيا وأول يوم من الآخرة ، فتلتف الشدة بالشدة إلا من رحمه الله ؛ أى شدة كرب الموت بشدة هول المطلع ؛ والدليل على هذا قوله تعالى : « إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ » وقال . مجاهد : بلاء بلاء . يقول : تتبعـتـ عليهـ الشـدائـدـ . وقال الضحاك وابن زيد : آجتمعـ عليهـ أمرـانـ شـديـدانـ النـاسـ يـجهـزـونـ جـسـدهـ وـالـمـلـائـكـةـ يـجهـزـونـ رـوحـهـ ،ـ والعـربـ لاـتـذـكـرـ السـاقـ إـلـاـ فـالـخـنـ

والشدائيد العظام ، ومنه قوله : قاتل الدنيا على ساق ، وقامت الحرب على ساق .

قال الشاعر :

*(١) « وَقَاتَ الْحَرْبُ بِنَا عَلَى ساقِ »

وقد مضى هذا المعنى في آخر سورة « نَّ وَالْقَلْمَنْ » . وقال قوم : الكافر تُعذَّبُ رُوحه عند خروج نفسه بهذه الساق الأولى ، ثم يكون بعدهما ساق البعث وشدائده . ((إلى ربك))
أى إلى خالقك ((يَوْمَئِذٍ)) أى يوم القيمة ((الْمَسَاقُ)) أى المرجع . وفي بعض التفاسير قال : يسوقه ملَكُه الذي كان يحفظ عليه السينات . والمساق المصدر من ساق يسوق ، كالمقال من قال يقول .

قوله تعالى : فَلَا صَدَقَ وَلَا صَلَّى (٢) وَلَكِنْ كَذَبَ وَتَوَلَّ (٣)
ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى أَهْلِهِ يَتَمَطَّ (٤) أُولَئِكَ فَأَوْلَى (٥) ثُمَّ أُولَئِكَ
فَأَوْلَى (٦)

قوله تعالى : ((فَلَا صَدَقَ وَلَا صَلَّى)) أى لم يصدق أبو جهل ولم يصلّ . وقيل : يرجع هذا إلى الإنسان في أول السورة وهو اسم جنس . والأول قول ابن عباس . أى لم يصدق بالرسالة « وَلَا صَلَّى » ودعا لربه وصلى على رسوله . وقال قتادة : فلا صدق بكتاب الله ولا صلّى الله . وقيل : ولا صدق بمال له ذخر له عند الله ، ولا صلّى الصلوات التي أمره الله بها . وقيل : فلا آمن بقلبه ولا عمل بيده . قال الكسائي : « لا » بمعنى لم ولكنه يقرن بغيره ؛ تقول العرب : لا عبد الله خارج ولا فلان ، ولا تقول : مررت برجل لا تُحسِّن حتى يقال ولا تُنجِّل ، وقوله تعالى : « فَلَا أَفْتَحْمَ الْعَقَبَةَ » ليس من هذا القبيل ؛ لأن معناه أفلأ أفتحم ؟ أى فهلا أفتحم خذف ألف الاستفهام . وقال الأخفش : « فَلَا صَدَقَ » أى لم يصدق ؛ كقوله : « فَلَا أَفْتَحْمَ » أى لم يفتحم ولم يشترط أن يعقبه

(١) مصدر البيت : * صبراً أمام إله شرباتي *

(٢) راجع ج ١٨ ص ٢٤٨ وما بعدها .

بنى آخر، والعرب تقول : لاذهب أى لم يذهب ، خرف النفي ينفي الماضي كما ينفي المستقبل ؛ ومنه قول زهير :

*(فَلَا هُوَ أَبْدَاهَا وَلَمْ يَتَقدِّمْ)^(١)

قوله تعالى : (وَلَكِنْ كَذَبَ وَتَوَلَّ) أى كذب بالقرآن وتولى عن الإيمان (ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى أَهْلِهِ يَتَقْطُّ) أى يتبعتر آفتخارا بذلك ؛ قاله مجاهد وغيره . مجاهد : المراد به أبو جهل . وقيل : « يَتَقْطُّ » من المَطَأ وهو الظُّهُر والمَعْنَى يَلْوِي مَطَأه . وقيل : أصله يَتَقْطُط وهو المتدد من التكسل والتثاقل ، فهو يتثاقل عن الداعي إلى الحق ؛ فأبدل من الطاء ياء كراهة التضعيف والتطي يدل على قلة الأكتراث وهو المتدد ، كأنه يمد ظهره ويلويه من التبعتر . والمطيطه الماء الخاثر في أسفل الحوض لأنه يتقطط أى يتعدد ؛ وفي الخبر « إذا مشت أمي المطيطه وخدمتهم فارس والروم كان باسمهم بينهم » والمطيطه التبعتر ومة اليدين في المشي .

قوله تعالى : (أُولَئِكَ فَاؤلَى ثُمَّ أُولَئِكَ فَاؤلَى) تهديد بعد تهديد ، ووعيد بعد وعيد ، أى فهو وعيد أربعة لأربعة ؛ كما روى أنها نزلت في أبي جهل الباهل بربه فقال : « فَلَا صَدَقَ وَلَا صَلَّى . وَلَكِنْ كَذَبَ وَتَوَلَّ) أى لاصدق رسول الله ، ولا وقف بين يدي فصل ، ولكن كذب رسولي وتولى عن التصليلة بين يدي . فترك التصديق خصلة ، والتکذيب خصلة ، وترك الصلاة خصلة ، والتولى عن الله تعالى خصلة ، بخاء الوعيد أربعة مقابلة لترك الخصال الأربع . والله أعلم . لا يقال : فإن قوله « ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى أَهْلِهِ يَتَقْطُّ » خصلة خامسة ؛ فإننا نقول : تلك كانت عادته قبل التکذيب والتولى فأخبر عنها . وذلك بين في قول قتادة على ما ذكره . وقيل : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج من المسجد ذات يوم ، فاستقبله أبو جهل على باب المسجد مما يلي باب بني مخزوم ، فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) صدر البيت : * وكان طوي كشحا على مستكنة *

(٢) المطيطه يعده ويقصر قال ابن الأثير : وهي من المصغرات التي لم يستعمل لها مكبّر .

(٣) في نسخة ذات ليلة .

بيده ، فهزه مرة أو مرتين ثم قال له : ”أولى لك فأولى“ فقال له أبو جهل : أتهددي ؟
فوالله إنِّي لَأَعْنُ أَهْلَ الْوَادِي وَأَكْرَمَهُ . ونزل على رسول الله صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَا قَالَ
لأبِي جَهَلِ . وَهِيَ كَلْمَةٌ وَعِيدٌ . قَالَ الشَّاعِرُ :

فَأَوْلَىٰ شَمَّ أَوْلَىٰ شَمَّ أَوْلَىٰ * وَهَلْ لِلَّدَّارِ يَحْلِبُ مِنْ مَرْدَ

قال قتادة : أقبل أبو جهل بن هشام يتختر فأخذ النبي صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بيده فقال :
”أولى لك فأولى ثم أولى لك فأولى“ فقال : ما تستطيع أنت ولا ربك لي شيئاً ، إنِّي لَأَعْنُ
مَنْ بَيْنَ جَبَلَيْهَا . فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ بَدْرٍ أَشْرَفَ عَلَىَ الْمُسْلِمِينَ فَقَالَ : لَا يُعْبَدُ اللَّهُ بَعْدَ هَذَا الْيَوْمِ أَبْدًا .
فَضَرَبَ اللَّهُ عَنْهُ وَقْتَهُ وَقْتَهُ شَرِّ قُتْلَةٍ . وَقَيْلٌ : مَعْنَاهُ الْوَيْلُ لَكَ ، وَمِنْهُ قَوْلُ الْخَنْسَاءِ :

هَمِمْتُ بِنَفْسِي كُلَّ الْهُمُومَ * فَأَوْلَىٰ لِنَفْسِي أَوْلَىٰ لَهَا^(١)

سَاحِمْلُ نَفْسِي عَلَى آلَةٍ * فَإِمَّا عَلَيْهَا وَإِمَّا لَهَا

الآلَّةُ الْحَالَةُ وَالآلَّةُ السَّرِيرُ أَيْضًا الَّذِي يَحْمِلُ عَلَيْهِ الْمَيْتُ ؛ وَعَلَى هَذَا التَّأْوِيلِ قَيْلٌ :
هُوَ مَنْ الْمَقْلُوبُ ؟ كَأَنَّهُ قَيْلٌ : أَوْيَلُ ، ثُمَّ أَنْزَلَ الْحَرْفَ الْمُعْتَلَ ، وَالْمَعْنَى الْوَيْلُ لَكَ
حَيَا وَالْوَيْلُ لَكَ مِيتَا ، وَالْوَيْلُ لَكَ يَوْمَ الْبَعْثَ ، وَالْوَيْلُ لَكَ يَوْمَ تَدْخُلُ النَّارَ ؛ وَهَذَا
التَّكْرِيرُ كَمَا قَالَ^(٢) :

* لَكَ الْوَيْلَاتُ إِنَّكَ مُرْجِلٌ *

أَيْ لَكَ الْوَيْلُ ثُمَّ الْوَيْلُ ثُمَّ الْوَيْلُ ، وَضَعُفَ هَذَا القَوْلُ . وَقَيْلٌ : مَعْنَاهُ الدَّمْ لَكَ أَوْلَىٰ مِنْ
تَرْكَهُ إِلَّا أَنَّهُ كَثِيرٌ فِي الْكَلَامِ خَذْفٌ . وَقَيْلٌ : الْمَعْنَى أَنَّكَ أَوْلَىٰ وَأَجْدَرَ بِهَذَا الْعَذَابِ . وَقَالَ
أَبُو الْعَبَّاسِ أَحْمَدَ بْنَ يَحْيَىٰ : قَالَ الْأَصْمَعِي أَوْلَىٰ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ مَعْنَاهُ مُقَارَبَةُ الْمَلَائِكَ ، كَأَنَّهُ
يَقُولُ : قَدْ وَلَيْتَ الْمَلَائِكَ ، قَدْ دَانَيْتَ الْمَلَائِكَ ؛ وَأَصْلُهُ مِنَ الْوَلَىٰ وَهُوَ الْقُرْبُ ؛ قَالَ اللَّهُ

(١) فِي نَسْخٍ مِنَ الْأَصْلِ عَلَىَ الْأَلْهَ بَفْتَحِ فَشَدِ وَهِيَ الْحَرْبَةُ وَصَوَابَهُ الْأَلْهَ أَيْ حَالَةٌ .

(٢) هُوَ أَمْرُ زَقْلِيسَ ، وَالْبَيْتُ بِنَامَهُ :

وَيَوْمَ دَخَلَتِ الْخَدْرَ خَدْرَ عَنْزَةَ * قَالَتِ لَكَ الْوَيْلَاتُ إِنَّكَ مُرْجِلٌ

تعالى : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قاتَلُوا الَّذِينَ يَأْتُونَكُم مِّنَ الْكُفَّارِ » أى يَقْرُونَ مِنْكُم ؛ وأنشد الأصمعي :

* وأوْتَ أَنْ يَكُونَ لَهُ الْوَلَاءُ *

أى قارب أَنْ يَكُونَ لَهُ ، وَأَنْشَدَ أَيْضًا :

* أَوْتَ مِنْ هاجَتْ لَهُ أَنْ يَكُونَ *

أى قد دنا صاحبها الكد . وكان أبو العباس ثعلب يستحسن قول الأصمعي ويقول : ليس أحد يفسّر كتفسير الأصمعي . النحاس : العرب تقول أولى لك كدت تهلك ثم أفلت ، وكأنّ تقديره : أولى لك وأولى بك الهملة . المهدوى قال : ولا تكون أولى أفعى منك ، وتكون خبر مبتدإ مخدوف ، كأنه قال : الوعيد أولى له من غيره ؛ لأن أبا زيد قد حكى : أولاة الآن إذا أُوعدوا . فدخول عالمة التأنيث دليل على أنه ليس كذلك . و« لك » خبر عن « أولى » . ولم ينصرف « أولى » لأنّه صار علماً للوعيد فصار كرجل اسمه أَمْدَ . وقيل : التكرير فيه على معنى ألم لك على عملك السّيء الأول ، ثم على الثاني والثالث والرابع كما تقدم .

قوله تعالى : أَيْحَسِبُ الْإِنْسَنُ أَنْ يُرَكَ سُدَى ﴿١﴾ أَلْرَ يَكُ نُطْفَةً
مِنْ مَنْيٍ يُمْنَحَ ﴿٢﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً نَفَّلَقَ فَسَوَى ﴿٣﴾ بَعْلَ مِنْهُ
آلَزَوْجَيْنِ آلَذَكَرِ وآلَأَنْثَيِ ﴿٤﴾ أَلَيْسَ ذَلِكَ يُقْدِرِ عَلَيْهِ أَنْ يُخْسِيَ
آلَمَوْنَ ﴿٥﴾

قوله تعالى : (أَيْحَسِبُ الْإِنْسَانُ) أى يظن ابن آدم (أَنْ يُرَكَ سُدَى) أى أن يخلّى
مُهْمَلاً فلا يؤمر ولا ينهى ؟ قاله ابن زيد ومجاهد ، ومنه إبل سُدَى ترعى بلا راعٍ . وقيل :

أَيْحَسِبُ أَنْ يَرْكَ فِي قَبْرِهِ كَذَلِكَ أَبْدَالاً لَا يُبَعَثُ . وَقَالَ الشَّاعِرُ :

فَأَقْبِلَمُ بِاللَّهِ جَهَدَ الْيَمِينِ * مَا تَرَكَ اللَّهُ شَيْئاً سُدَى

قوله تعالى : « أَلْمِ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنْيَهُنَّ » أى من قطرة ماء ^{عندي} في الرّحم أى ^(١) تُراق فيه ؛ ولذلك سميت ميني لارقة الدماء . وقد تقدم . والنطفة الماء القليل ؛ يقال : نطف الماء إذا قطر . أى لم يك ماء قليلا في صلب الرجل وترائب المرأة . وقرأ حفص « مِنْ مَنْيَهُنَّ » باليساء وهي قراءة ابن حيمصن ومجاهد ويعقوب وعياش عن أبي عمرو وأختاره أبو عبيد لأجل المني . الباقيون بالباء ؛ لأجل النطفة وأختاره أبو حاتم . « فُمَّ كَانَ عَلَقَةً » أى دما بعد النطفة ، أى قد رتبه تعالى بهذا كله على خمسة قدره . ثم قال : « (نَخْلَقَ) أى فَقَدْرُ (فَسَوْيَ) » أى فسوأه تسوية وعده بجعل الروح فيه « (بَخَلَعَ مِنْهُ) » أى من الإنسان . وقيل : من المني . « الزَّوْجَيْنِ الدَّكَرَ وَالْأُنْثَيَ » أى الرجل والمرأة . وقد أحتج بهذا من رأى إسقاط الخنثى . وقد مضى في سورة « الشورى » أن هذه الآية وقريتها إنما خرجتا من خرج الغالب . وقد مضى في أول سورة « النساء » أيضا القول فيه ، وذكرنا في آية المواريث حكمه فلا معنى لإعادته « أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ » أى أليس الذي قدر على خلق هذه النسمة من قطرة من ماء « بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَىً » أى على أن يعيد هذه الأجسام كهيئتها للبعث بعد اليل . وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان إذا قرأها قال : « سبحانك اللهم وبيل » وقال ابن عباس : من قرأ « سَبَّعَ أَسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى » إماما كان أو غيره فيقل : « سبحان ربى الأعلى » ومن قرأ « لَا أَقْسِمُ بِيَسْوُمُ الْقِيَامَةَ » إلى آخرها إماما كان أو غيره فيقل : « سبحانك اللهم بيل » ذكره الثعلبي من حديث أبي إسحاق السبيعي عن سعيد آن جبير عن ابن عباس . ختمت السورة والحمد لله .

(١) راجع ج ١٧ ص ١١٨ وص ٢١٦

(٢) راجع ج ١٦ ص آية ٥٢

(٣) راجع ج ٥ ص ٢

سورة الانسان

وهي إحدى وثلاثون آية

مكية في قول ابن عباس ومقاتل والكلبي . وقال الجمهور : مدنية . وقيل : فيها مكية ، من قوله تعالى : « إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنزِيلًا » إلى آخر السورة وما تقدمه مدنى .

وذكر ابن وهب قال : وحدثنا ابن زيد قال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم ليقرأ « هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ » وقد أزالت عليه وعنده رجل أسود كان يسأل النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال له عمر بن الخطاب : لا تُثْقِلْ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قال : « دَعْهُ يَا بْنَ الْخَطَابِ » قال : فنزلت عليه هذه السورة وهو عنده ، فلما قرأها عليه وبلغ صفة الحنان زفر زفقة ففرجت نفسه . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أَخْرُجْ نَفْسَ صَاحِبِكُمْ – أَوْ أَخِيكُمْ – الشَّوْقُ إِلَى الْجَنَّةِ » وروى عن ابن عمر بخلاف هذا اللفظ وسيأتي . وقال القشيري : إن هذه السورة نزلت في علي بن طالب رضي الله عنه . والمقصود من السورة عام . وهكذا القول في كل ما يقال إنه نزل بسبب كذا وكذا .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قوله تعالى : هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا ﴿١﴾ إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ بِمَا فَعَلَّنَا هُمْ سَيِّئًا بَصِيرًا ﴿٢﴾ إِنَّا هَدَيْنَاهُ الْسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَافُورًا ﴿٣﴾

قوله تعالى : (« هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا ») « هَلْ » بمعنى قد ، قاله الكسائي والفراء وأبو عبيدة . وقد حكى عن سيبويه « هل » بمعنى قد . قال الفراء : هل تكون بحْدًا وتكون خبراً فهذا من الخبر ، لأنك تقول : هل أعطيتك ؟ تُقرّره

بأنك أعطيته ، والحمد أن تقول : هل يقدر أحد على مثل هذا . وقيل : هي منزلة الاستفهام ، والمعنى أنت . والإنسان هنا آدم عليه السلام ؛ قاله قتادة والثوري وعكرمة والسدى . وروى عن ابن عباس « حَيْنٌ مِّنَ الدَّهْرِ » قال ابن عباس في رواية أبي صالح : أربعون سنة مرت به ، قبل أن ينفح فيه الروح وهو مليء بين مكة والطائف . وعن ابن عباس أيضاً في رواية الصحاح أنه خلق من طين ، فاقام أربعين سنة ، ثم من حَمَلَ مسنون أربعين سنة ، ثم من صَلَصالَ أربعين سنة ، فتم خلقه بعد مائة وعشرين سنة . وزاد ابن مسعود فقال : أقام وهو من تراب أربعين سنة ، فتم خلقه بعد مائة وستين سنة ، ثم نفح فيه الرُّوح . وقيل : الحين المذكور هاهنا لا يُعرف مقداره . عن ابن عباس أيضاً . حكاه المساوردي . « لَمْ يُكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا » قال الصحاح عن ابن عباس : لا في السماء ولا في الأرض . وقيل : أى كان جسداً مصوّراً ترباً وطيناً لا يُذَكَّر ولا يُعرَف ولا يُدَرِّي ما آسمه ولا ما يراد به ، ثم نفح فيه الرُّوح فصار مذكوراً ؛ قاله الفراء وقطرب وثعلب . وقال يحيى بن سلام : لم يكن شيئاً مذكوراً في الخلق وإن كان عند الله شيئاً مذكوراً . وقيل : ليس هذا الذكر بمعنى الإخبار فإن إخبار الرب عن الكائنات قديم ، بل هذا الذكر بمعنى الخطر والشرف والقدر ؛ تقول : فلان مذكور أى له شرف وقدر . وقد قال تعالى : « وَإِنَّهُ لَذَكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ » أى قد أتى على الإنسان حين لم يكن له قدر عند الخليقة . ثم لما عَرَفَ اللَّهُ الْمَلَائِكَةَ أنه جعل آدم خليفة ، وَحَمَلَهُ الْأَمَانَةَ التي عجز عنها السموات والأرض والجبال ، ظهر فضله على الكل فصار مذكوراً . قال القشيري : وعلى الجملة ما كان مذكوراً للخلق وإن كان مذكوراً لله . وحكى محمد بن الحيثم عن الفراء : « لَمْ يُكُنْ شَيْئًا » قال : كان شيئاً ولم يكن مذكوراً . وقال قوم : النفي يرجع إلى الشيء ، أى قد مضى مُدَدٌ من الدَّهْرِ وآدم لم يكن شيئاً يذكر في الخليقة ؟ لأنَّه آخر ما خلقه من أصناف الخليقة ، والمعدوم ليس بشيء حتى يأتي عليه حين . والمعنى قد مضت عليه أزمنة وما كان آدم شيئاً ولا مخلوقاً ولا مذكوراً لأحد من الخليقة . وهذا معنى قول قتادة ومقاتل . قال قتادة : إنما خلق الإنسان حديثاً ما نعلم من خليقة الله جل ثناؤه خليقة

كانت بعد الإنسان . وقال مقاتل : في الكلام تقديم وتأخير ، وتقديره : هل أتى حين من الدهر لم يكن الإنسان شيئاً مذكوراً ، لأنّه خلقه بعد خلق الحيوان كله ، ولم يخلق بعده حيواناً . وقد قيل : « الإنسان » في قوله تعالى : « هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ » عن به الجنس من ذرية آدم ، وأنّ الحين تسعة أشهر مدة حمل الإنسان في بطن أمّه « لَمْ يُكُنْ شَيْئاً مَذْكُوراً » إذ كان علقة ومضعة ، لأنّه في هذه الحالة بحاجة لا خطر له . وقال أبو بكر رضي الله عنه لما قرأ هذه الآية : ليتها تَمَتْ فلَا بُتَّلَ . أى ليت المدة التي أتت على آدم لم تكن شيئاً مذكوراً تَمَتْ على ذلك فلا يلد ولا يُبْتَلُ أولاده . وسمع عمر بن الخطاب رضي الله عنه رجلاً يقرأ « هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يُكُنْ شَيْئاً مَذْكُوراً » فقال ليتها تَمَتْ .

قوله تعالى : ((إِنَّا خَلَقْنَا إِنْسَانَ)) أى ابن آدم من غير خلاف ((من نُطْفَةٍ)) أى من ماء يقطر وهو المني ، وكل ماء قليل في وعاء فهو نطفة ؛ كقول عبد الله بن رواحة يعاتب نفسه :
 مَالِي أَرَاكَ تَكْرِهِنَ الْجَنَّةَ * هَلْ أَنْتَ إِلَّا نُطْفَةٌ فِي شَنَّةٍ
 وجمعها نَطْفَ ونِطَاف . ((أَمْشَاجٌ)) أخلاط واحدتها مشج ومشيج مثل خدن وخددين ؛ قال رؤبة :

يَطْرَحْتَ كُلَّ مُعْجَلٍ تَسَاجَ * لَمْ يُكُسْ جَلْدًا فِي دَمِ أَمْشَاجٍ

ويقال : مشجت هذا بهذا أى خلطته فهو مشوج ومشيج مثل مخلوط وخليط . وقال المبرد : واحد الأمشاج مشج بقال مشج يمشج إذا اخالط وهو هنا اختلاط النطفة بالدم ؛
 قال الشماخ :

طَوَّتْ أَحْشَاءَ مُرْتَجَةً لِوَقْتٍ * عَلَى مَشْجَ سَلَالَتَهُ مَهِينٌ

وقال الفراء : أمشاج أخلاط ماء الرجل وماء المرأة والدم والعلقة ، ويقال للشيء من هذا إذا خُلط مشيج كقولك خليط ، ومشوج كقولك مخلوط . وروى عن ابن عباس رضي الله عنه

(١) الشنة : القربة .

قال : **الأمشاج الحمرة في البياض والبياض في الحمرة** . وهذا قول يختاره كثير من أهل اللغة ؛
قال المُهذل :

كَافَ الرِّيشُ وَالْفُوْقَيْنِ مِنْهُ * خِلَافُ النَّصْلِ سِيْطٌ بِهِ مَشِيْحُ

(٢) وعن أبي عباس أيضاً قال : يختلط ماء الرجل وهو أبيض غليظ بماء المرأة وهو أصفر رقيق فيخلق منها الولد ، فما كان من عصب وعظام وفقرة فهو من ماء الرجل ، وما كان من لحم ودم وشعر فهو من ماء المرأة . وقد روى هذا مرفوعاً ذكره البزار . وروى عن ابن مسعود : أمشاجها عرق المضعة . وعنده : ماء الرجل وماء المرأة وهما لونان . وقال مجاهد : نطفة الرجل بيضاء وحراء ونطفة المرأة خضراء وصفراء . وقال أبو عباس : خلق من ألوان ؛ خلق من تراب ، ثم من ماء الفرج والرحم ، وهي نطفة ثم علقة ثم مضيعة ثم عظم ثم لحم ونحوه . قال قتادة : هي أطوار الخلق ؛ طور علقة وطور نطفة وطور عظاماً ثم يكسو العظام لها ؛ كما قال في سورة « المؤمنين » « وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ » الآية . وقال ابن السكيت : الأمشاج الأخلاط ؛ لأنها مترجدة من أنواع خلق الإنسان منها ذا طبائع مختلفة . وقال أهل المعانى : الأمشاج ما جمع وهو في معنى الواحد ؛ لأنه نعمت للنطفة ؛ كما يقال : برمدة اعشار وثوب أخلاق . وروى عن أبي أيوب الأنباري : قال جاء حبر من اليهود إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : أخبرني عن ماء الرجل وماء المرأة ؛ فقال : « ماء الرجل أبيض غليظ وماء المرأة أصفر رقيق فإذا علا ماء المرأة آتت وإذا علا ماء الرجل أذكرت » فقال الحبر : أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله . وقد مضى هذا القول مستوفياً في سورة « البقرة » ، **(نبتليه)** أي يختبره . وقيل : نقدر فيه الأبتلاء وهو الاختبار . وفيما يختبر به وجهان ؛ أحدهما

(١) هو عمرو بن الداخل المُهذل : سبط به أى نرج قد ذُر من الريش مختلط من الدم والسائل .

(٢) وفي حاشية الجمل نقلاب عن القرطبي ما ياتي :

والمعنى : « من نطفة قد آتى بها الماء ، إن وكل منها مخالف الأجزاء ، متباعدة الأوصاف في الرقة والثخن والقوام ، والثوابق تجتمع من الأخلاط وهي العناصر الأربع ، ماء الرجل غليظ أبيض وماء المرأة رقيق أصفر فإيمما علا كان الشبه له » .

نختبره بالخير والشر ؛ قاله الكلبي . الثاني — نختبر شركه في السراء وصبره في الضراء ؛ قاله الحسن .
وقيل : « تَبْتَلِيهُ نُكَفِّهُ » . وفيه أيضا وجهان ؛ أحدهما — بالعمل بعد الخلق ؛ قاله مقاتل .
الثاني — بالدين ليكون مأمورا بالطاعة ومنها عن المعاصي . وروى عن ابن عباس : « تَبْتَلِيهُ »
نصره خلقا بعد خلق ؛ لبتليه بالخير والشر . وحكي محمد بن الجهم عن الفراء قال : المعنى
وأعلم ((بَعْلَنَا هُمْ سَيِّعًا بَصِيرًا)) لبتليه وهي مقدمة معناها التأخير .

قلت : لأن الآباء لا يقع إلا بعد تمام الخلقة . وقيل : « جَعَلْنَا هُمْ سَيِّعًا بَصِيرًا » يعني
جعلنا له سمعا يسمع به المهدى وبصرًا يبصر به المهدى .

قوله تعالى : ((إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ) أى بینا له وَعَرَفَناه طریق المهدى والضلال
والخير والشر ببعث الرسل فآمن أو كفر ، كقوله تعالى : « وَهَدَيْنَاهُ الْجَدِيدَينَ » . وقال
مجاهد : أى بینا له السبیل إلى الشقاء والسعادة . وقال الضحاك وأبو صالح والسدى :
السبیل هنا خروجه من الرحيم . وقيل : منافعه ومضاره التي يهتدى إليها بطبعه وكمال عقله .
((إِمَّا شَرِكَ أَمَّا كَفُورًا)) أى أيهما فعل فقد بینا له . قال الكوفيون : « إِنْ » ها هنا
تكون جزاء و « ما » زائدة أى بینا له الطريق إن شَرِكَ أو كَفَرَ . وآختره الفراء ولم يجزه
البصريون ، إذ لا تدخل « إِنْ » للجزاء على الأسماء إلا أن يضمر بعدها فعل . وقيل :
أى هدیناه الرشد أى بینا له سبیل التوحید بتصب الأدلة عليه ، ثم إن خلقنا له المهدیة آهتدی
وآمن ، وإن خذلناه كَفَرَ . وهو كما تقول : قد نصحت لك إن شئت فأقبل وإن شئت
فأترک ، أى فإن شئت فتحذف الفاء وكذا « إِمَّا شَرِكَ » والله أعلم . ويقال : هدیته السبیل
وللسبیل وإلى السبیل . وقد تقدم في « الفاتحة » ^(١) وغيرها . وجمع بين الشَّرِكَ والكَفُور
ولم يجتمع بين الشَّرِكَ والكَفُور مع آجتماعهما في معنى المبالغة ، نفي المبالغة في الشر والإثبات لها
في الكفر ، لأن شكر الله تعالى لا يُؤْدِي فانتفت عنه المبالغة ، ولم تنتف عن الكفر المبالغة ،
فَقَلَ شركه لكثره النعم عليه وكثُر كفره وإن قَلَ مع الإحسان إليه . حكاہ الماوردي .

(١) رابع ج ١ ص ١٤٧ وص ١٦٠ طبعة ثانية أو ثلاثة .

قوله تعالى : إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَسِلًا وَأَغْلَالًا وَسَعِيرًا ^(١)
 قوله تعالى : (إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَسِلًا وَأَغْلَالًا وَسَعِيرًا) بين حال الفريقين ،
 وأنه تَبَعَّد العقلاً، وكفَهم ومكَّنهم مما أمرهم فنَّ كَفَرَ فله العقاب ، ومن وَحْدَ وشكر فله
 الثواب . والسلسل القيود في جهنم طول كل سلسلة سبعون ذراعاً كما مضى في «الخاتمة» .
 وقرأ نافع والكسائي وأبو بكر عن عاصم وهشام عن ابن عامر «سَلَسِلًا» منونا . الباقيون
 بغير تنوين . ووقف قُبْلُ وآبن كثير وحزة بغير ألف . الباقيون بالألف . فاما «قوارير»
 الأول فنونه نافع وأبن كثير والكسائي وأبو بكر عن عاصم ، ولم ينون الباقيون . ووقف فيه
 يعقوب وحزة بغير ألف . والباقيون بالألف . وأما «قوارير» الثانية فنونه أيضاً نافع
 والكسائي وأبو بكر ، ولم ينون الباقيون ، فن نون قرأها بالألف ، ومن لم ينون أنسقط منها
 ألف ، وأختار أبو عبيد التنوين في الثلاثة ، والوقف بالألف آتياً لخط المصحف ؛ قال :
 رأيت في مصحف عثمان «سَلَسِلًا» بالألف و «قوارير» الأول بالألف وكان الثاني
 مكتوباً بالألف فـ^{فَكَتَ} فرأيت أثراً هناك ^{بَيْنَ}نا . فن صرف فله أربع حجج : أحدها — أن
 الجموع أشبئت الآحاد بفمعت جمع الآحاد ، بفعلت في حكم الآحاد فصرفت . الثانية —
 أن الأخفش حتى عن العرب صرف جميع ما لا ينصرف إلا أفعى منك ، وكذا قال الكسائي
 والفراء هو على لغة من يُحِرِّ الأسماء كلها إلا قوفهم هو أظرف منك فإنهم لا يُحِرِّونه ؛ وأنشد
 ابن الأنباري في ذلك قول عمرو بن كثيرون :

كَلْ سُيوفَانَا فِينَا وَفِيمْ * مَهَارِيقُ يَائِدِي لَاعِينَا

وقال أبيد :

وَجَرُورُ أَيْسَارِ دَعَوْتُ لِحِنْفِهَا * يَمْغَالِقِي مُتَشَاهِي أَجْسَامُهَا

وقال أبيد أيضاً :

فَضْلًا وَذُو كَرَمٍ يُعِينُ عَلَى النَّدَى * سَمْحَ كَسْوَبُ رَغَائِبِ غَنَامُهَا

فصرف مغاريق ومقايق ورثائب وسبيلها الا تصرف . والجنة الثالثة — أن يقول نونت
قوارير الأول لأنه رأس آية، ورءوس الآى جاءت بالنون ، كقوله جل وعز : « مَذْكُورًا .
سَمِيعًا بِصِيرًا » فنونا الأول ليوقف بين رءوس الآى ، ونوننا الثاني على الجوار للأول . والجنة
الرابعة — آتى المصاحف بذلك أنهما جميعا في مصاحف مكة والمدينة والكوفة بالألف .
وقد أحتاج من لم يصرفيهن بأن قال : إن كل جمع بعد الألف منه ثلاثة أحرف أو حرفان
أو حرف مشدد لم يُصرف في معرفة ولا نكرة ، فالذى بعد الألف منه ثلاثة أحرف قوله :
قناديل ودنایر ومناديل ، والذى بعد الألف منه حرفان قول الله عن وجى : « لَهُدَمْتُ
صَوَامِعً » لأن بعد الألف منه حرفين ، وكذلك قوله : « وَمَسَاجِدُ يُدْكُرُ فِيهَا أَسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا »
والذى بعد الألف منه حرف مشدد شواب ودواب . وقال خلف : سمعت يحيى بن آدم
يحدث عن ابن إدريس قال : في المصاحف الأولى الحرف الأول بالألف والثانية بغير ألف ؛
فهذا حسنة لمذهب حمزة . وقال خلف : رأيت في مصحف ينسب إلى قراءة ابن مسعود
الأول بالألف والثانية بغير ألف . وأما أفعال منك فلا يقول أحد من العرب في شعره
ولا في غيره هو أفعال منك متونا ، لأن من تقوم مقام الإضافة فلا يجمع بين تنوين وإضافة
في حرف ، لأنهما دليلان من دلائل الأسماء ولا يجمع بين دليلين ، قاله الفراء وغيره .

قوله تعالى : « وَأَغْلَالًا » جمع غل تغل بها أيديهم إلى أعناقهم . وعن جبير بن نفير
عن أبي الدرداء كان يقول : آرفعوا هذه الأيدي إلى الله جل ثناؤه قبل أن تغل بالآغالل .
وقال الحسن : إن الآغالل لم تجعل في أعناق أهل النار ، لأنهم أبغزوا رب سبحانه ولكن
إذلا . « وَسَعِيرًا » تقدم القول فيه .

قوله تعالى : إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشَرُّونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِرَاجِهَا كَافُورًا ﴿٦﴾
عَيْنًا يَشَرِّبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفْجِرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴿٧﴾

قوله تعالى : «إِنَّ الْأَبْرَارَ يَسْرُونَ مِنْ كَأسٍ» الأبرار أهل الصدق واحدهم بُرُّ، وهو من آمنت به أمر الله تعالى . وقيل : البر الموحد والأبرار جمع باز مثل شاهد وأشهاد ، وقيل : هو جمع بُرُّ مثل نهر وأنهار ، وفي الصحاح : وجمع البر الأبرار وجمع البار البررة ، وفلان يبر خالقه ويتبَرَّه أى يُطِيعه والأم بُرَّ بولدها . وروى ابن عمر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «إِنَّمَا سَمَاهُمُ اللَّهُ جَلَّ شَوَافِهِ الْأَبْرَارُ لَأَنَّهُمْ بَرُوا الْأَبَاءَ وَالْأَبْنَاءَ كَمَا أَنَّ لَوْلَدَكُ عَلَيْكَ حَقًا كَمَا لَوْلَدَكُ عَلَيْكَ حَقًا» . وقال الحسن : البر الذي لا يؤذى النَّذْر . وقال قتادة : الأبرار الذين يؤذون حق الله ويوفون بالنَّذْر . وفي الحديث : «الْأَبْرَارُ الَّذِينَ لَا يُؤذِنُونَ أَحَدًا» . «يَسْرُونَ مِنْ كَأسٍ» أى من إماء فيه الشراب . قال ابن عباس : يريد الخمر . والكأس في اللغة الإناء فيه الشراب ، وإذا لم يكن فيه شراب لم يسم كأسا . قال عمرو بن كلثوم :

صَبَّنَتِ الْكَأسَ عَنَّا أَمْ عَمِّرُوا * وَكَانَ الْكَأسُ مُجَرَّاً هَا الْيَمِينَا

وقال الأصمي : يقال صَبَّنَتْ عَنَا الْمَهْدِيَةُ أو ما كان من معروف تصَبِّنْ صَبَّنا بمعنى كففتْ ؛ قاله الحوهرى . «كَانَ مِزَاجُهَا» أى شُوْبُها وخلطها ؛ قال حسان :

كَانَ سَبِيلَةً مِنْ بَيْتِ رَأْسٍ * يَكُونُ مِزَاجُهَا عَسْلٌ وَمَاءُ

ومنه مِزاجُ الْبَدْنِ وهو ما يمازجه من الصفراء والسوداء والحرارة والبرودة . «كَافُورًا» قال ابن عباس : هو آسم عين ماء في الجنة يقال له عين الكافور . أى يمازجه ماء هذه العين التي تسمى كافورا . وقال سعيد عن قتادة : مُعَزَّجٌ لَهُمْ بِالكافور وَمُخْتَمٌ بِالمسك . وقاله مجاهد . وقال عِكرمة : مِزَاجُهَا طعمها . وقيل : إنما الكافور في ريحها لا في طعمها . وقيل : أراد كالكافور في بياضه وطيب رائحته وبردته ؛ لأن الكافور لا يشرب ؛ كقوله تعالى : «حَتَّى إِذَا جَعَلْتُهُ نَارًا» أى كاري . وقال ابن كيسان : طَيْبٌ بِالمسك وَالكافور وَالبنجبيل . وقال

(١) الرواية المشهورة في المعلقات : صددت الكأس .

(٢) السبيلة : الخمر . وسميت بذلك لأنها تستوي أى تستر لشرب ؛ وفي بعض النسخ : كان سبيلاً ، وهي المصنوعة

المصنون بها لغاصتها . وبيت رأس : موضع بالأردن مشهور بالخمر .

مقاتل : ليس بكافور الدنيا ولكن سمي الله ما عندك بما عندكم حتى تهتدى لها القلوب . وقوله : «*كَانَ مِنْ أَجُها*» «*كان*» زائدة أى من كأس مزاجها كافور . (عَيْنَا يَشَرِبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ)

قال الفراء : إن الكافور أسم لعين ماء في الجنة ، فـ«*عَيْنَا*» بدل من كافور على هذا . وقيل : بدل من كأس على الموضع . وقيل : هي حال من المضمر في مزاجها . وقيل : نصب على المدح ؛ كما يذكر الرجل فتقول : العاقل الليب أى ذكرتم العاقل الليب فهو نصب بإضماره . وقيل : يشربون عينا . وقال الزجاج : المعنى من عين . ويقال : كافور وقافور . والكافور أيضا وعاء طبع النخل وكذلك الگفرى . قاله الأصمعي .

وأما قول الراعي :

تَكْسُو الْمَفَارِقَ وَاللَّبَابَاتِ ذَا أَرْجَ

فإن الطبي الذى يكون منه المسك إنما يرعى سُبل الطيب بفعله كافورا . (يَشَرِبُ بِهَا)

قال الفراء : يشرب بها ويشربها سواء في المعنى ، وكأن يشرب بها يروى بها وينقع ؛ وأنشد :

شَرِبَنَ بِمَاء الْبَحْرِ ثُمَّ تَرَفَعْتَ * مَتَ لُحْجٌ خُضِرَ لَهُنَّ نَثْيَجٌ

قال : ومثله فلان يتكلم بكلام حسن ويتكلم كلاما حسنا . وقيل : المعنى يشربها والباء زائدة . وقيل : الباء بدل «*من*» تقديره يشرب منها ، قاله القتبي . (يُفجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا)

فيقال : إن الرجل منهم يمشي في بيتهاته ويصعد إلى قصوره ، وبهذه قضيب يشير به إلى الماء فيجري معه حيضاً دار في منازله على مستوى الأرض في غير أخدود ، ويتبعه حيضاً صعد إلى أعلى قصوره ؛ وذلك قوله تعالى : «*عَيْنَا يَشَرِبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا*» أى يُشَقِّقُونَهَا شَقًا كَا يُفجِّرُ الرجل النهر هاهنا وهاهنا إلى حيث يريد . وعن ابن أبي نجيح عن مجاهد «*يُفجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا*» يقولونها حيث شاءوا ، وتتبعهم حيضاً مالوا مالت معهم . وروى

(١) قاله أبو ذؤيب بصف السحايبات ، والباء في «*باء*» بمعنى «*من*» و«*متى*» معناها «*في*» في لغة هذيل ونجيج : أى صر سريع مع صوت .

أبو مقاتل عن أبي صالح عن سعد عن أبي سهل عن الحسن قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أربع عيون في الجنة عينان تجريان من تحت العرش إحداهما التي ذكر الله ^(١) « يُفجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا » [والأخرى النجبيل] والأخرىان نصاحتان من فوق العرش إحداهما ^(٢) التي ذكر الله [عينا فيها تسمى] « سَلَسِيلًا » والأخرى التَّسْنِيم » ذكره الترمذى الحكيم ^(٣) في « نوادر الأصول » . وقال : فالتسنيم لقتبين خاصة شربا لهم ، والكافور لا بار شربا لهم ؛ ينجز لا بار من التَّسْنِيم شرابهم ، وأما النجبيل والسلسبيل فلا بار منها مزاج هكذا ذكره في التنزيل وسكت عن ذكر ذلك لمن هي شرب ، فما كان لا بار مزاج فهو للمقربين صرف وما كان لا بار صرف فهو لسائر أهل الجنة مزاج ، والأبرار هم الصادقون ، والمقربون هم الصداقون .

قوله تعالى : يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُوهُ مُسْتَطِيرًا ﴿٧﴾
وَيُطْعِمُونَ الْطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيًّا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ
لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾

قوله تعالى : (يُوفُونَ بِالنَّذْرِ) أى لا يخالفون إذا نذروا . وقال عمر عن قتادة : بما فرض الله عليهم من الصلاة والزكاة والصوم وال Hajj والعمره وغيره من الواجبات . وقال مجاهد وعكرمة : يوفون إذا نذروا في حق الله جل ثناؤه . وقال الفرزاء والحرجاني : وفي الكلام إضمار ، أى كانوا يوفون بالنذر في الدنيا . والعرب قد تزيد مررة « كان » وتحذف أخرى . والنذر حقيقته ما أوجبه المكلف على نفسه من شيء يفعله . وإن شئت قلت في حده : النذر هو إيجاب المكلف على نفسه من الطاعات ما لم يوجبه لم يلزمها . وقال الكلبي : « يُوفُونَ بِالنَّذْرِ » أى يتمون العهود والمعنى واحد ؛ وقد قال الله تعالى :

(١) هذا السندي الأصول : أبو مقاتل عن صالح بن معبد عن أبي سهل الخ وصوباته من النذكرة للقرطبي .

(٢) الزيادة من الدر المثور . (٣) الزيادة من النذكرة والدر المثور .

«ثُمَّ لَيَقْضُوا تِقْبَلَهُ وَلَيُوْفُوا نُدُورَهُ» أى أعمال نسكمهم التي ألموها أنفسهم بمحارتهم بالجح . وهذا يقوى قول قنادة . وإن النذر يندرج فيه ما آلتزمه المرء بما عانه من آمنتال أمر الله ؛ قاله القشيري . وروى أشهب عن مالك أنه قال : «يُوْفُونَ بِالنَّذْرِ» هو نذر العتق والصيام والصلوة . وروى عنه أبو بكر بن عبد العزيز قال مالك «يُوْفُونَ بِالنَّذْرِ» قال : النذر هو اليمين .

قوله تعالى : «وَيَخَافُونَ» أى يخدرُونَ (يَوْمًا) أى يوم القيمة . «كَاتَ شَرَهُ مُسْتَطِيرًا» أى عاليًا داهيا فاشيا وهو في اللغة متدا ، والعرب تقول : آستطار الصَّدْعُ في القارورة والزجاجة وأستطال إذا آمدت ؛ قال الأعشى :

وَبَانَتْ وَقَدْ أَسَارَتْ فِي الْفُؤَادِ^(١) * دِصَدْعًا عَلَى نَائِمًا مُسْتَطِيرًا

ويقال : آستطار الحريق إذا آنتشر . وأستطار الفجر إذا آنتشر الضوء .

وقال حسان :

وَهَانَ عَلَى سَرَّةِ بْنِ لُؤَيٍّ * حَرِيقٌ بِالْبُوَرَةِ مُسْتَطِيرٌ^(٢)

وكان قنادة يقول : آستطار والله شر ذلك اليوم حتى ملا السموات والأرض . وقال مقائل : كان شره فاشيا في السموات فأنشقت ، وتناثرت الكواكب ، وفزع الملائكة ، وفي الأرض سُفت الجبال وغارت المياه .

قوله تعالى : «وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبْبِهِ» قال ابن عباس ومجاهد : على قلته وحبهم إيه وشهوتهم له . وقال الداراني : على حب الله . وقال الفضيل بن عياض : على حب إطعام الطعام . وكان الريبع بن خيثم إذا جاءه السائل قال : أطعموه سُكَّران الريع يحب السُّكَّر . (مسكيناً) أى ذا مسكنة . وروى أبو صالح عن ابن عباس قال : هو الطواف يسأل مالك (ويتيمًا) أى من يتامي المسلمين . وروى منصور عن الحسن : أن

(١) ويروى : أورثت .

(٢) سراة بني لؤي أى خيارهم . والبورة : موضع بين قريطة ؛ يشير إلى ما فعله المسلمون بين قريطة .

يَتِيمًا كَانَ يَحْضُر طَعَامَ آبَنْ عَمْرَ ، فَدَعَا ذَاتَ يَوْمٍ بِطَعَامِهِ ، وَطَلَبَ الْيَتَيمَ فَلَمْ يَجِدْهُ ، وَجَاءَهُ بَعْدَ مَا فَرَغَ آبَنْ عَمْرَ مِنْ طَعَامِهِ فَلَمْ يَجِدْ الطَّعَامَ ، فَدَعَا لَهُ سَوْيِقَ وَعُسلٌ ؛ فَقَالَ : دُونُكَ هَذَا فَوَاللَّهِ مَا غَيْنَتَ ؛ قَالَ الْحَسَنُ وَآبَنْ عَمْرَ : وَاللَّهِ مَا غَيْنَنَا . (وَأَسِيرًا) أَى الَّذِي يُؤْسِرُ فِي بَحْسَنٍ . فَرَوَى أَبُو صَالِحٍ عَنْ آبَنْ عَبَاسٍ قَالَ : الْأَسِيرُ مِنْ أَهْلِ الشَّرْكِ يَكُونُ فِي أَيْدِيهِمْ . وَقَالَهُ قَاتِدٌ . وَرَوَى آبَنْ أَبِي نَجِيْحٍ عَنْ مُجَاهِدٍ قَالَ : الْأَسِيرُ هُوَ الْمَبْوَسُ . وَكَذَا قَالَ سَعِيدُ آبَنْ جَبَيرٍ وَعَطَاءً : هُوَ الْمُسْلِمُ يُبَوَّسُ بِحَقٍّ . وَعَنْ سَعِيدِ بْنِ جَبَيرٍ مُثْلِّ قَوْلِ قَاتِدٍ وَآبَنِ عَبَاسٍ . قَالَ قَادِهُ : لَقَدْ أَمْرَ اللَّهُ بِالْأَسْرِيِّ أَنْ يُحْسِنَ إِلَيْهِمْ ، وَأَنْ أَسْرَاهُمْ بِوَمَئِذَ لَأَهْلِ الشَّرْكِ ، وَأَخْوَكُ الْمُسْلِمِ أَحَقُّ أَنْ تَطْعُمَهُ . وَقَالَ عِرْكَمَةُ : الْأَسِيرُ الْعَبْدُ . وَقَالَ أَبُو حَمْزَةَ التَّمَالِيُّ :

الْأَسِيرُ الْمَرْأَةُ، يَدْلِيلُ عَلَيْهِ قَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ : «أَسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا فَإِنَّهُنَّ عَوَانٌ عِنْدَكُمْ» أَى أَسِيرَاتٍ . وَقَالَ أَبُو سَعِيدَ الْخَدْرِيُّ : قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «وَيَطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا» فَقَالَ : «الْمَسْكِينُ الْفَقِيرُ وَالْيَتَيمُ الَّذِي لَا أَبْ لَهُ وَالْأَسِيرُ الْمَلُوكُ وَالْمَسْجُونُ» ذِكْرُهُ الثَّالِيُّ . وَقَيْلٌ : نَسْخَ إِطْعَامِ الْمَسْكِينِ آيَةُ الصَّدَقَاتِ، وَإِطْعَامِ الْأَسِيرِ [آيَةُ] السَّيفِ؛ قَالَهُ سَعِيدُ بْنُ جَبَيرٍ . وَقَالَ غَيْرُهُ : بَلْ هُوَ ثَابَتُ الْحُكْمُ، وَإِطْعَامُ الْيَتَيمِ وَالْمَسْكِينِ عَلَى التَّطْوِيعِ، وَإِطْعَامُ الْأَسِيرِ لِحْفَظِ نَفْسِهِ إِلَى أَنْ يَتَخَيَّرَ فِيْهِ الْإِمَامُ . الْمَاوِرِدِيُّ : وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَرِيدَ بِالْأَسِيرِ النَّاقِصُ الْعُقْلُ؛ لِأَنَّهُ فِي أَسْرِ خَبْلِهِ وَجُنُونِهِ، وَأَسِيرُ الْمَشْرِكِ أَنْتَقامُ يَقْفُ عَلَى رَأْيِ الْإِمَامِ؛ وَهَذَا بِرٌّ وَإِحْسَانٌ . وَعَنْ عَطَاءٍ قَالَ : الْأَسِيرُ مِنْ أَهْلِ الْقِبْلَةِ وَغَيْرِهِمْ .

قَلْتَ : وَكَأَنَّ هَذَا الْقَوْلَ عَامٌ يَجْمِعُ جَمِيعَ الْأَفْوَالِ، وَيَكُونُ إِطْعَامُ الْأَسِيرِ الْمَشْرِكِ قَرْبَةً إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، غَيْرُ أَنَّهُ مِنْ صَدَقَةِ التَّطْوِيعِ، فَأَمَّا الْمُفْرُوضَةُ فَلَا . وَاللَّهُ أَعْلَمُ . وَمُضِيَ الْقَوْلِ فِي الْمَسْكِينِ وَالْيَتَيمِ وَالْأَسِيرِ وَآشْتِقَاقُ ذَلِكَ مِنَ الْلُّغَةِ فِي «الْبَقْرَةِ» مُسْتَوْفٌ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ .

قوله تعالى : «إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ» أى يقولون بالسذتهم للمسكين واليتم والأسير «إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ» في الله جل شأنه فزعا من عذابه وطمعا في ثوابه . «لَا تُرِيدُ مِنْكُمْ جَرَاءً» أى مكافأة . «وَلَا شُكُورًا» أى ولا أن تنعوا علينا بذلك ؛ قال آبن عباس : كذلك كانت نياتهم في الدنيا حين أطعموا . وعن سالم عن مجاهد قال : أما إيمانهم ما تكلموا به ولكن علمه الله جل شأنه منهم فأثني به عليهم ؛ ليرغب في ذلك راغب . وقاله سعيد بن جبير حكاه عنه القشيري . وقيل : إن هذه الآية نزلت في مُطْعِمِ بن ورقاء الأنصارى نذر نذرا فوق به . وقيل : نزلت فيما تکفل بأسرى بدر وهم سبعة من المهاجرين ؛ أبو بكر وعمر وعلى والزبير وعبد الرحمن بن عوف وسعد وأبو عبيدة رضى الله عنهم ؛ ذكره الماوردي . وقال مقاتل : نزلت في رجل من الأنصار أطعم في يوم واحد مسكيناً ويتينا وأسيراً . وقال أبو حمزة الثمالي : بلغنى أن رجلاً قال يا رسول الله أطعمنى فإني والله مجاهود ؛ فقال : «والذى نفسي بيده ما عندى ما أطعمك ولكن آطلب» فأتى رجلاً من الأنصار وهو يتعشى مع أمراته فسألته وأخبره بقول النبي صلى الله عليه وسلم ؛ فقالت المرأة : أطعمه وأسقه . ثم أتى النبي صلى الله عليه وسلم يتيماً فقال : يا رسول الله ! أطعمي فإني مجاهود . فقال : «ما عندى ما أطعمك ولكن آطلب» فاستطاع ذلك الأنصارى . فقالت المرأة : أطعمه وأسقه ، فأطعمه ثم أتى النبي صلى الله عليه وسلم أسيراً فقال : يا رسول الله ! أطعمي فإني مجاهود . فقال : «والله ما معى ما أطعمك ولكن آطلب» . بخاء الأنصارى فطلب ، فقالت المرأة : أطعمه وأسقه . فنزلت : «وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبَّةٍ مِسْكِينًا وَيَتِيًّا وَأَسِيرًا» ذكره الشعبي . وقال أهل التفسير : نزلت في عليٍّ وفاطمة رضى الله عنهما وجارية لها آسمها فضة .

قلت : والصحيح أنها نزلت في جميع الأبرار ، ومن فعل فعل حسناً فهو عام . وقد ذكر النقاش والشعبي والقشيري وغير واحد من المفسرين في قصة عليٍّ وفاطمة وجارية مما حدثنا لا يصح ولا يثبت ، رواه ليث عن مجاهد عن آبن عباس في قوله عن وجبل : «يُوْفُونَ بِالنَّذِيرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرِه مُسْتَطِيرًا . وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبَّةٍ مِسْكِينًا وَيَتِيًّا وَأَسِيرًا» قال :

مرض الحسن والحسين فعادهما رسول الله صلى الله عليه وسلم وعادهما عامة العرب ؟ فقالوا : يا أبا الحسن — ورواه جابر الجعفري عن قبر مولى على قال : مرض الحسن والحسين حتى عادهما أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال أبو بكر رضي الله عنه : يا أبا الحسن — رجع الحديث إلى حديث ليث بن أبي سليم — لو نذرت عن ولديك شيئاً ، وكل نذر ليس له وفاء فيليس بشيء . فقال رضي الله عنه : إن براً ولدأي صحت له ثلاثة أيام شakra . وقالت جارية لهم نويسة . إن براً سيداً صحت له ثلاثة أيام شakra . وقالت فاطمة مثل ذلك . وفي حديث الجعفري فقال الحسن والحسين : علينا مثل ذلك فأليس الغلامان العافية ، وليس عند آل محمد قليل ولا كثير ، فأنطلق على إلى شمعون بن حارثاً الخبيري وكان يهودياً فاستقرض منه ثلاثة أصوات من شعير ، بخاء به فوضعه ناحية البيت ، فقامت فاطمة إلى صاع فطحنته وأختبزته ، وصلت على مع النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم أتى المنزل فوضع الطعام بين يديه . وفي حديث الجعفري : فقامت الجارية إلى صاع من شعير نفذت منه خمسة أفراد لكل واحد منهم قرص ، فلما مضى صيامهم الأول وضع بين أيديهم الخبز والملح الجريش ؛ إذ أتاهم مسكين فوقف بالباب وقال : السلام عليكم أهل بيت محمد — في حديث الجعفري — أنا مسكين من مساكين أمة محمد صلى الله عليه وسلم ، وأنا والله جائع ؛ أطعموني أطعمكم الله من موائد الجنة . فسمعه على رضي الله عنه فأنشأ يقول :

فاطم ذات الفضل واليقين * يا بنتَ خيرِ النّاسِ أجمعين
أما تَرَىنَ الْبَائِسَ الْمُسْكِنَ * قد قام بالباب له حنين
يشكُو إِلَى اللهِ وَيُسْكِنَ * يشـكـو إـلـيـنـا جـائـعـ حـزـينـ
كـلـ آـمـرـيـ بـكـسـيـهـ رـهـينـ * وـفـاعـلـ الـخـيـرـاتـ يـسـتـيـنـ

(١) هذه الأبيات والتي بعدها كل النسخ مجتمعة على تحريفها ، ولقد أحسن أبو حيان إذ يقول فيها : وذكر النقاش في ذلك حكاية طوبلاً جداً ، ظاهرة الأخلاق ، وفيها أشعار لمسكين واليتيم والأسير يخاطبون بها بيت النبقة ، وأشار لفاطمة رضي الله عنها يخاطب كل واحد منهم ، ظاهرها الأخلاق لسفاف لفاظها وكراًياتها وسفاقة معانها . وسيأتي لزلف رحمة الله ما يضعف هذا الحديث ويزيفه .

مَوْعِدُنَا جَنَّةٌ عَلَيْنَا * حَرَمَهَا اللَّهُ عَلَى الْفَضَّلَيْنِ
 وَلِلْبَخِيلِ مَوْقُوفٌ مَهِينٌ * تَهْوِي إِلَيْهِ النَّارُ إِلَى سَجَنِينِ
 شَرَابُهُ الْحَمِيمُ وَالْغَسَلَيْنِ * مَنْ يَفْعَلُ الْخَيْرَ يَقْمِنُ سَمِينٌ
 * وَيَدْخُلُ الْجَنَّةَ أَيْ حِينٍ *

فَأَنْشَاتَ فَاطِمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا تَقُولُ :

أَمْرُكَ عِنْدِي يَابْنُ عَمَّ طَاعَةٌ * مَا بِيَ مِنْ أُوْمٌ وَلَا وَضَاعَةٌ
 غَدَيْتُ فِي الْخَبْزِ لِهِ صِنَاعَةٌ * أَطْعَمْهُ وَلَا أَبْلِي السَّاعَةَ
 أَرْجُو إِذَا أَشْبَعْتُ ذَا الْجَمَاعَةَ * أَنَّ الْحَقَّ الْأَخِيرَ وَالْجَمَاعَةَ
 * وَأَدْخَلَ الْجَنَّةَ لِي شَفَاعَةً *

فَأَطْعَمُوهُ الطَّعَامَ، وَمَكْثُوا يَوْمَهُمْ وَلِيَلَّهُمْ لَمْ يَذْوَقُوا شَيْئًا إِلَّا مَاءَ الْقَرَاحِ، فَلَمَّا أَنْ كَانَ
 فِي الْيَوْمِ الثَّانِي قَامَتْ إِلَى صَاعِ فَطْحَتِهِ وَأَخْتَبَرَتْهُ، وَصَلَّى عَلَى مَعِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ،
 ثُمَّ أَتَى الْمَنْزِلَ فَوُضِعَ الطَّعَامُ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ فَوَقَفَ بِالْبَابِ يَتَمْ فَقَالُوا: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ بَيْتِ مُحَمَّدٍ :
 يَتَمْ مِنْ أَوْلَادِ الْمَهَاجِرِينَ أَسْتَشْهِدُ وَالَّذِي يَوْمُ الْعَقْبَةِ (١) أَطْعَمُونِي أَطْعَمُكُمُ اللَّهُ مِنْ مَوَائِدِ الْجَنَّةِ .
 فَسَمِعَهُ عَلَيْهِ فَأَنْشَأَهُ يَقُولُ :

فَاطِمَةُ بُنْتُ السَّيِّدِ الْكَرِيمِ * بُنْتُ نَبِيٍّ لَيْسَ بِإِلَزَنِيمِ
 لَقَدْ أَتَى اللَّهُ بِذِي الْيَتَمِ * مَنْ يَرْحِمُ الْيَوْمَ يَكُنْ رَحِيمٌ
 وَيَدْخُلُ الْجَنَّةَ أَيْ سَلِيمٌ * قَدْ حَمَ الْخَلَدُ عَلَى اللَّهِمَ
 أَلَا يَحُوزُ الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ * يَزَلُّ فِي النَّارِ إِلَى الْحَمِيمِ
 * شَرَابُهُ الصَّدِيدُ وَالْحَمِيمُ *

فَأَنْشَاتَ فَاطِمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا تَقُولُ :

أَطْعَمَهُ الْيَوْمَ وَلَا أَبْلِي * وَأَوْثِرَ اللَّهُ عَلَى عِيَالِي
 أَمْسَوَّا جِياعًا وَهُمْ أَشَبَّاَيِّنِ * أَصْغَرُهُمْ يُقْتَلُ فِي الْقِتَالِ

(١) كَذَافُ الأَصْلِ .

يَكْرَبَّلَا يُقْتَلُ يَا غِيَّالٍ * يَا وَيْلٌ لِّلْقَاتِلِ مِنْ وَبَالِ
تَهُوَى بِهِ النَّارُ إِلَى سِفَالٍ * وَفِي يَدِيهِ الْغُلُّ وَالْأَغْلَالِ
* كَبُولَةُ زَادَتْ عَلَى الْأَكْبَالِ *

فأطعموه الطعام ومكثوا يومين وليلتين لم يذوقوا شيئاً إلا الماء الفراح ، فلما كانت
في اليوم الثالث قامت إلى الصاع الباق فطحنته وآخبتته ، وصلَّى عَلَى مَع النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ ، ثم أتى المنزل فوضع الطعام بين أيديهم ، إذ أتاهم أسير فوق بباب فقال :
السلام عليكم أهل بيت مهد تأسروننا وتسدونا ولا تُطعموننا ! أطعموني فإني أسير بمهد .
فسمعه على " فأنساً يقول :

فاطم يا بنتَ النَّبِيِّ أَحْمَدَ * بَنْتُ نَبِيِّ سَيِّدِ مُسْلِمَةَ
وسماه الله فهو محمد * قد زانه الله يَحْسِنُ أَغِيدُ
هذا أَسِيرُ لِلنَّبِيِّ الْمَهْدَ * مُتَقَلِّلٌ فِي غُلَمٍ مُّقِيدٍ
يشكوا إلينا الجوع قد تعدد * من يُطْعِمُ الْيَوْمَ يَجِدُهُ فِي غَدٍ
عِنْدَ الْعَلَى الْوَاحِدِ الْمَوْهَدِ * ما يَزِرُ الزَّارِعُ سُوفَ يَحْصُدُ
* أَعْطِيهِ لَا تَجْعَلِيهِ أَقْدَعَ *

فأنشأت فاطمة رضي الله تعالى عنها تقول :

لَمْ يَبْقَ مِمَّا جَاءَ غَيْرُ صَاعٍ * قَدْ ذَهَبَتْ كَفَى مَعَ الدَّرَاعِ
أَبْنَائِ وَاللهِ هُمَا جِيَاعٌ * يَارَبَّ لَا تَرْكَهُمَا ضِيَاعٌ
أَبُوهُمَا لِخَيْرٍ ذُو أَصْطَنَاعٍ * يَصْطَنِعُ الْمَعْرُوفَ يَابْدَاعَ
عَبْلُ الدَّرَاعِينِ شَدِيدُ الْبَاعَ * وَمَا عَلَى رَأْسِيِّ مِنْ قِنَاعٍ
* إِلَّا قِنَاعًا نَسْجَهُ أَنْسَاعَ *

فأطعموه الطعام ومكثوا ثلاثة أيام ولاليها لم يذوقوا شيئاً إلا الماء الفراح ، فلما أن كان
في اليوم الرابع ، وقد قضى الله النذر أخذ بيده اليمنى الحسن وبيده اليمرى الحسين وأقبل نحو

رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يرتعشون كالغراخ من شدة الجوع ، فلما أبصرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ” يا أبا الحسن ما أشد مايسوءنى ما أرى بكم آنطلق بنا إلى آبتي فاطمة ” فانطلقوا إليها وهى في محرابها ، وقد لصق بطنهما بظهورها ، وغارت عيناهما من شدة الجوع ، فلما رأها رسول الله صلى الله عليه وسلم وعرف المخاعة في وجهها بكى وقال : ” واغوثاه يا الله أهل بيتك ميتون جوحا ” فهبط جبريل عليه السلام وقال : السلام عليك ربك يقرئك السلام يا مهد خذه هنينا في أهل بيتك . قال : ” وما آخذ يا جبريل ” فأقرأه ” هل أتى على الإنسان حين من الدهر ” إلى قوله : ” ويطعمون الطعام على حبه مسكتنا ويتنا وأسيرا . إنما نطعمكم لوجه الله لأنريد منكم جزاء ولا شكورا ” قال الترمذى الحكيم أبو عبد الله فى نوادر الأصول : فهذا حديث مزوق مزيف قد تطرف فيه صاحبه حتى تشبه على المستمعين ، فالحاصل بهذا الحديث بعض شفتيه تلهفاً إلا يكون بهذه الصفة ، ولا يعلم أن صاحب هذا الفعل مذموم ، وقد قال الله تعالى في تنزيله : ” يسألونك ماذا يُفِقُّونَ قُلْ الْفَوْ ” وهو الفضل الذى يفضل عن نفسك وعيالك ، وجرت الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم متواترة بأن ” خير الصدقة ما كان عن ظهر غنى ” . ” وآبداً بنفسك ثم بن تَعُول ” ، وافتراض الله على الأزواج نفقة أهاليهم وأولادهم . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ” كفى بالمرء إثما أن يضيع من يقوت ” أفيحسب عاقل أن علياً جهل هذا الأمر حتى أجده صبياناً صغراً من أبناء نحمس أو سرت على جوع ثلاثة أيام وليلتين ؟ ! حتى تضوروا من الجوع ، وغارت العيون منهم ، خلاء أجوافهم ، حتى أبكى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بهم من الجهد . هب أنه آثر على نفسه هذا السائل ، فهل كان يجوز له أن يحمل أهله على ذلك ؟ ! وهب أن أهله سمح بذلك لعل ” فهل جاز له أن يحمل أطفاله على جوع ثلاثة أيام بليليدين ؟ ! ما يرجو مثل هذا إلا على حمق جهال ، أبي الله لقلوب متمنة أن تظن بعلى ” مثل هذا . وليت شعرى من حفظ هذه الأبيات كل ليلة عن على ” وفاطمة ، وإجابة كل واحد منها صاحبه ، حتى أداه إلى هؤلاء الرواة ؟ ! فهذا وأشباهه من أحاديث أهل السجنون فيها أرى ، بلغنى أن قوماً

يُخَلَّدون في السجون فيبقون بلا حيلة ، فيكتبون أحاديث في السُّمْر وأشباهه ، ومثل هذه الأحاديث مفتعلة ، فإذا صارت إلى الجهابذة رموا بها وزيفوها ، وما من شيء إلا وله آفة ومكيدة ، آفة الدين وكيده أكثر .

قوله تعالى : إِنَّا نَحَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا (١٧٩) فَوَقَاهُمُ
اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَاهُمْ نَصْرَةً وَسُرُورًا (١٨٠)

قوله تعالى : (إِنَّا نَحَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا) «عَبُوسًا» من صفة اليوم ، أى يوماً تعبس فيه الوجوه من هوله وشدة ؛ فالمعنى تخاف يوماً ذا عبوس . وقال ابن عباس : يعبس الكافر يومئذ حتى يسيل منه عرق كالقطران . وعن ابن عباس : العبوس الضيق والقمطير الطويل ؛ قال الشاعر :

* شَدِيدًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا *

وقيل : القمطير الشديد ؛ تقول العرب : يوم قمطير وقاطر وعاصب بمعنى ؛ وأنشد الفتاء :

بَنِي عَمَّنَا هَلْ تَذَكَّرُونَ بِلَاءَنَا * عَلِيهِمْ إِذَا مَا كَانَ يَوْمٌ قَاطِرُ

بضم القاف . وأقطر إذا أشتد . وقال الأخفش : القمطير أشد ما يكون من الأيام وأطوله في البلاء ؛ قال الشاعر :

فَفَرُوا إِذَا مَا حَرَبُ ثَارَ غُبَارُهَا * وَجَأَ بَهَا الْيَوْمُ الْعَبُوسُ الْقُمَاطُرُ

وقال الكسائي : يقال أقطر اليوم وأزمهر أقطراراً وأزمهراراً وهو القمطير والزمهرير ، ويوم مُقْمَطِر إذا كان صعباً شديداً ؛ قال المذلي :

بَنُو الْحَرَبِ أَرْضَعْنَا لَهُمْ مُقْمَطِرَةً * وَمَنْ يُلْقِ مِنَ ذَلِكَ الْيَوْمِ يَهْرُبُ

(١) البيت لخديفة بن أنس المذلي والذى في ديوان المذلين :

بنو الحرب أرضعنا بها مقطرة * ومن يلق منها يلق سيد مدرب
أرضعنا بمن للجهول . مقطرة من أقطرت الناقة إذا لفتحت . ويلق بنى للجهول في المغفلين . والسيد عند هذيل
الأسد . والمدرب الصارى .

وقال مجاهد : إن العبوس بالشفتين والقمطري باللحمة وال حاجبين ب فعلها من صفات الوجه المتغير من شدائده ذلك اليوم ؛ وأنشد ابن الأعرابي :

يَغْدوُ عَلَى الصَّيْدِ يَعُودُ مُنْكِسًا * وَيَقْمَطُرُ سَاعَةً وَيَكْفَهُرُ

وقال أبو عبيدة : يقال رجل قطريرأى متقبض ما بين العينين . وقال الزجاج : يقال أقطرَت الناقة إذا رفعت ذئبها وجمعت قطرَها وزَمت بأنفها ؛ فأشتقه من القطر وجعل الميم من زيدة . قال أسد بن ناصحة :

وَاصْطَلِيلُ الْحَرُوبَ فِي كُلِّ يَوْمٍ * بِاسْلِ الشَّرَّ قَطْرِيرُ الصَّبَاجِ

قوله تعالى : «فَوَقَاهُمُ اللَّهُ» أي دفع عنهم (شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمَ) أي باسه وشده وعدا به ((ولَقَاهُمْ)) أي أنتم وأعطيتم حين لقوه أي رأوه (نصرة) أي حسنا (وسُرُورًا) أي حبورا . قال الحسن ومجاهد : «نصرة» في وجوههم «وسُرُورًا» في قلوبهم . وفي النصرة ثلاثة أوجه : أحدها أنها البياض والنقاء ؛ قاله الصحاح . الثاني الحسن والبهاء ؛ قاله ابن جبير . الثالث أنها أثر النعمة ؛ قاله ابن زيد .

وَجَزَّنَهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا (٢٦) مَتَكِبِينَ فِيهَا
عَلَى آلَارَآءِكَ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا (٢٧) وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ
ظِلَالُهَا وَذَلِيلَتْ قُطُوفُهَا تَذَلِيلًا (٢٨)

قوله تعالى : «وَجَزَّا هُمْ بِمَا صَبَرُوا» على الفقر . وقال القرطبي : على الصوم . وقال عطاء : على الجوع ثلاثة أيام وهي أيام النذر . وقيل : بصبرهم على طاعة الله ، وصبرهم على معصية الله ومحارمه . و «ما» مصدرية وهذا على أن الآية نزلت في جميع الأبرار ومن فعل فعل حسنة . وروى ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن الصبر فقال : «الصبر أربعة أقالها الصبر عند الصدمة الأولى والصبر على أداء الفرائض والصبر على اجتناب محارم الله والصبر على المصائب» . (جَنَّةً وَحَرِيرًا) أي أدخلهم الجنة وألبسهم الحرير . أي يسمى

بحير الدنيا وكذاك الذى في الآخرة [وفيه] ما شاء الله عن وجل من الفضل . وقد تقدم أن من ليس الحرير في الدنيا لم يلبسه في الآخرة ، وإنما ألبسه من ألبسه في الجنة عوضاً عن جسمهم أنفسهم في الدنيا عن الملابس التي حرم الله فيها .

قوله تعالى : «**مُتَكَبِّئَنِ فِيمَا**» أي في الجنة ، ونصب «**مُتَكَبِّئَنَ**» على الحال من الماء والميم في «جَرَاهُم» والعامل فيها جزى ولا يعمل فيها «صَبَرُوا» ، لأن الصبر إنما كان في الدنيا والأتكاء في الآخرة . وقال الفراء . وإن شئت جعلت «**مُتَكَبِّئَنَ**» تابعاً كأنه قال جراهم جنة «**مُتَكَبِّئَنِ فِيمَا**» . «**عَلَى الْأَرَائِكَ**» السرير في الجبال وقد تقدم . وجات عن العرب أسماء تحتوى على صفات : أحدها الأريكة لا تكون إلا في حَجَّلة على سرير ، ومنها السُّجُل وهو الدلو المتشلي ماء فإذا صَفِرت لم تُسْمِ سُجلاً ، وكذلك الذُّوب لا تُسْمِ ذُوبًا حتى تُملأ ، والكأس لا تُسْمِ كأسًا حتى تُترَّع من المحر ، وكذلك الطَّبق الذي تُهَدَى عليه الهدية مهدي ، فإذا كان فارغاً قيل طَبَقَ أو خوان ، قال ذو الرمة :

(٢) **خُدُودَ جَفَّتْ فِي السِّيرِ حَتَّى كَامَّا *** **يُسَاشِرُنَ بِالْمَعَزَّاءِ مَسَ الْأَرَائِكَ**
أى الفرش على السرير . «**لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمَسًا**» أي لا يرون في الجنة شدة حرَّكَ الشمس
«**وَلَا زَمْهِرِيًّا**» أي ولا بردًا مفرطاً ، قال الأعشى :

(٤) **مَنْعَمَةٌ طِفْلَةٌ كَالْمَهَّا *** **لَمْ تَرْشِمَّا وَلَا زَمْهِرِيًّا**

وعن أبي صالح عن أبي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «أشتكى الناس إلى ربها عن وجل قالت يا رب أَكَل بعضى بعضاً بفعل لها نفسيين نفساً في الشتاء ونفساً في الصيف فشدة ما تجدون من البرد من زمهريراً وشدة ما تجدون من الحر في الصيف

(١) راجع : ج ١٢ ص ٢٩ (٢) راجع : ج ١٠ ص ٣٩٨

(٣) المعزاء الأرض الصلبة يقول : من شدة الحاجة إلى النوم يرون الأرض الصلبة ذات الحارة مثل الفرش على الأرائك وهي السرير . ويروى : خدوداً على أنه مفعول لفعل في البيت قبله .

(٤) الذي في ديوان الأعشى طبع أوربا : مبتلة الخلق مثل المها ... الخ .

من سُّمُومها» . وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : «إن هواء الجنة سَجِسْجَ لَاحْرُ وَلَابْدُ» والسَّجِسْجَ الظَّلَلُ المتدا كَيْنَ طَلُوعُ الْفَجْرِ وَطَلُوعُ الشَّمْسِ . وقال مُرَّةً الْمَهْدَانِيَّ: الزَّمَهْرِيرِ البرد القاطع . وقال مقاتل بن حيان : هو شَيْءٌ مُشَكِّلٌ رَءُوسُ الْإِبْرِ يَنْتَلُ من السماء في غاية البرد . وقال أَبُو مُسْعُودٍ: هو لون من العذاب وهو البرد الشديد ، حتى إن أهل النار إذا أَقْوَا فِيهِ سَأَلُوا اللَّهَ أَنْ يَعْذِبَهُمْ بِالنَّارِ أَلْفَ سَنَةً أَهُونُ عَلَيْهِمْ مِنْ عَذَابِ الزَّمَهْرِيرِ يَوْمًا وَاحِدًا .

قال أَبُو النَّجْمَ :

* أُوكِنْتَ رِيحًا كُنْتَ زَمَهْرِيرًا *

وقال ثعلب : الزَّمَهْرِيرِ الْقَمَرُ بِلَغَةِ طَيءٍ؛ قال شاعرهم :

وَلِسْلَةٌ طَلَامُهَا قِدَّ آعْتَكَ * قَطْعُتُهَا وَالزَّمَهْرِيرُ مَازَهْرُ

ويروى : ما ظهر ؟ أى لم يطلع القمر . فالمعنى لا يرون فيها شمس الدنيا ولا قمراً كقمر الدنيا ؛ أى إنهم في ضياء مستديم لا ليل فيه ولا نهار ؛ لأن ضوء النهار بالشمس (١) وضوء الليل بالقمر . وقد مضى هذا المعنى مُجُودًا في سورة «صَرِيم» عند قوله تعالى : «وَلَمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةٌ وَعَشِيشًا» . وقال أَبُنْ عَبَّاسٍ : بينما أهل الجنة في الجنة إذ رأوا نوراً ظنوه شمساً قد أشرقت بذلك النور الجنة ، فيقولون : قال ربنا «لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمَهْرِيرًا» فما هذا النور ؟ فيقول لهم رضوان : ليست هذه شمس ولا قمر ، ولكن هذه فاطمة وعلى صفحات الجنان من نور صفحاتهم ، وفيما أنزل الله تعالى «هَلْ أَقَى عَلَى إِنْسَانٍ» . وأنشد :

أَنَا مَوْلَى لِفَتَىَ * أُنْزِلَ فِيهِ هَلْ أَقَى
ذَلِكَ عَلَى الْمُرْتَضَىَ * وَآبَنْ عَسْمَ المصطفَىَ

قوله تعالى : ((وَدَانِيَةٌ عَلَيْهِمْ طَلَامُهَا)) أى ظل الأشجار في الجنة قرية من الأبرار ، فهى مُظلة عليهم زيادة في نعيمهم وإن كان لا شمس ولا قمر ؛ كما أن أمشاطهم الذهب والفضة

(١) راجع ج ١١ ص ١٢٧

وإن كان لا وسخ ولا شعـث ثمـ . ويقال : إن آرتفاع الأشجار في الجنة مقدار مائة عام ، فإذا آشتمـ ولـ الله ثـمـرـتها دـانت حتى يـتـناـوـلـها . وـأـنـتـصـبـتـ «ـدـانـيـةـ» عـلـىـ الـحـالـ عـطـفـاـ عـلـ «ـمـتـكـثـيـنـ» كـماـ تـقـولـ : فـالـدارـ عـبـدـ اللهـ مـتـكـثـيـاـ وـمـرـسـلـةـ عـلـيـهـ الـجـالـ . وـقـيـلـ : أـنـتـصـبـتـ نـعـتـاـ لـجـنـةـ ؛ أـيـ وـجـزـاهـ جـنـةـ دـانـيـةـ فـهـيـ صـفـةـ لـمـوـصـفـ مـحـذـفـ . وـقـيـلـ : عـلـ مـوـضـعـ «ـلـأـيـرـونـ فـيـهـ شـمـسـاـ وـلـأـزـمـهـرـيـرـاـ» وـيـرـونـ دـانـيـةـ . وـقـيـلـ : عـلـ المـدـحـ أـيـ دـنـتـ دـانـيـةـ . قـالـهـ الـفـرـاءـ . «ـظـلـلـاـهـاـ» الـظـلـالـ مـرـفـوعـةـ بـدـانـيـةـ ، وـلـ قـرـئـ بـرـفـعـ دـانـيـةـ عـلـىـ أـنـ تـكـوـنـ الـظـلـالـ مـبـتـداـ وـدـانـيـةـ الـخـبـرـ بـلـازـ ، وـتـكـوـنـ الـجـملـةـ فـمـوـضـعـ الـحـالـ مـنـ الـهـاءـ وـالـمـيمـ فـ«ـجـزـاهـ» وـقـدـ قـرـئـ بـذـلـكـ . وـفـيـ قـرـاءـةـ عـبـدـ اللهـ «ـوـدـانـيـاـ عـلـيـهـمـ» لـتـقـدـمـ الـفـعـلـ . وـفـ حـرـفـ أـبـيـ «ـوـدـانـ» رـفـعـ عـلـىـ الـأـسـتـئـنـافـ . «ـوـذـلـلتـ» أـيـ سـخـرتـ لـهـ «ـقـطـوـفـهـاـ» أـيـ ثـمـارـهـاـ («ـتـذـلـيلـاـ») أـيـ تـسـخـيرـاـ فـيـتـناـوـلـهـاـ الـقـائـمـ وـالـقـاعـدـ وـالـمـضـطـجـعـ لـاـيـدـ أـيـدـيـهـمـ عـنـهـ بـعـدـ وـلـأـشـوـكـ ؛ قـالـهـ قـاتـادـ . وـقـالـ مـجـاهـدـ : إـنـ قـامـ أـحـدـ آرـفـعـتـ لـهـ ، وـإـنـ جـلـسـ تـدـلـتـ عـلـيـهـ ، وـإـنـ أـضـطـجـعـ دـنـتـ مـنـهـ فـأـكـلـ مـنـهـ . وـعـنـهـ أـيـضاـ : أـرـضـ الـجـنـةـ مـنـ وـرـقـ ، وـتـرـابـهـ الـزـعـفـانـ ، وـطـيـبـهـ مـسـكـ أـذـفـرـ ، وـأـصـوـلـ شـبـرـهـ ذـهـبـ وـوـرـقـ ، وـأـفـانـهـ الـلـؤـلـؤـ وـالـزـرـجدـ وـالـيـاقـوتـ ، وـالـثـمـرـ تـحـتـ ذـلـكـ كـلـهـ ؛ فـنـ أـكـلـ مـنـهـ قـائـمـ لـمـ تـؤـذـهـ ، وـمـنـ أـكـلـ مـنـهـ قـاعـدـاـ لـمـ تـؤـذـهـ ، وـمـنـ أـكـلـ مـنـهـ مـضـطـجـعـاـ لـمـ تـؤـذـهـ . وـقـالـ آبـنـ عـبـاسـ : إـذـاـ هـمـ أـنـ يـتـناـوـلـ مـنـ ثـمـارـهـاـ تـدـلـتـ إـلـيـهـ حـتـىـ يـتـناـوـلـ مـنـهـ مـاـ يـرـيدـ ، وـتـذـلـيلـ الـقـطـوـفـ تـسـبـيلـ الـتـناـوـلـ . وـالـقـطـوـفـ الـثـمـارـ الـوـاحـدـ قـطـفـ بـكـسـرـ الـقـافـ سـمـيـ بـهـ لـأـنـهـ يـقـطـفـ ، كـمـيـ الـجـنـيـ لـأـنـهـ يـجـنـيـ . «ـتـذـلـيلـاـ» تـأـكـدـ لـمـاـ وـصـفـ بـهـ مـنـ الـدـلـلـ ؛ كـقـوـلـهـ تـعـالـيـ : «ـوـزـنـنـاهـ تـنـزـيلـاـ» «ـوـكـلـمـ اللهـ مـوـسـىـ تـكـلـيـمـاـ» . الـمـاـورـدـيـ : وـيـحـتـمـلـ أـنـ يـكـوـنـ تـذـلـيلـ قـطـوـفـهـاـ أـنـ تـبـرـزـ لـهـ مـنـ أـكـامـهـ ، وـتـخـلـصـ لـهـ مـنـ نـواـهـاـ .

قلـتـ : وـفـيـ هـذـاـ بـعـدـ ؛ فـقـدـ روـىـ آبـنـ الـمـارـكـ ، قـالـ أـخـبـرـنـاـ سـفـيـانـ عـنـ حـادـثـ عـنـ سـعـيـدـ بـنـ جـبـيرـ عـنـ آبـنـ عـبـاسـ قـالـ : نـخـلـ الـجـنـةـ جـذـوـعـهـاـ زـمـرـدـ أـخـضـرـ ، وـكـرـبـهـاـ ذـهـبـ أـحـرـ ، وـسـعـفـهـاـ كـسـوـةـ لـأـهـلـ الـجـنـةـ ، مـنـهـ مـقـطـعـاتـهـمـ وـحـلـلـهـمـ ، وـثـرـهـاـ أـمـثـالـ الـقـلـالـ وـالـدـلـاءـ ، أـشـدـ

بِيَاضاً مِنَ الْلَّبَنِ، وَأَحْلِي مِنَ الْعُسْلِ، وَأَلَيْنِ مِنَ الرَّبْدِ لِيُسْ فِيهِ عَجَمٌ . قَالَ أَبُو جَعْفَرَ النَّحَاسُ : وَيَقَالُ الْمَذَلُّ الَّذِي قَدْ ذَلَّهُ الْمَاءُ أَىْ أَرْوَاهُ . وَيَقَالُ الْمَذَلُّ الَّذِي يُفْهِيْهُ أَدْنِي رَيْحَنَةَ نَعْمَتِهِ ، وَيَقَالُ الْمَذَلُّ الْمُسْقَى ؛ لَأَنَّ أَهْلَ الْجَازِ يَقُولُونَ : ذَلَّ نَخْلَكَ أَىْ سَوْهٌ ، وَيَقَالُ الْمَذَلُّ الْقَرِيبُ الْمُتَنَاؤلُ ؟ مِنْ قَوْلِهِمْ : حَائِطُ ذَلِيلٍ أَىْ قَصِيرٍ . قَالَ أَبُو حَنِيفَةَ : وَهَذِهِ الْأَقْوَالُ الَّتِي حَكَيْنَا هَا ذَكْرَهَا أَهْلُ الْعِلْمِ بِالْلُّغَةِ وَقَالُوهَا فِي قَوْلِ أَمْرِيَ الْقَيْسِ :

* وَسَاقَ كَانُوبِ السَّقَى الْمَذَلِيلَ *

قَوْلُهُ تَعَالَى : وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ يَانِيَةٌ مِنْ فِضَّةٍ وَأَكْوَابٌ كَانَتْ قَوَارِيرًا (١) قَوَارِيرًا مِنْ فِضَّةٍ قَدَرُوهَا تَقْدِيرًا (٢) وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأسًا كَانَ مِزاجُهَا زَنجِيلًا (٣) عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلَسِيلًا (٤)

قَوْلُهُ تَعَالَى : « وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ يَانِيَةٌ مِنْ فِضَّةٍ وَأَكْوَابٌ » أَىْ يَدُورُ عَلَى هُؤُلَاءِ الْأَبْرَارِ الْخَدْمُ إِذَا أَرَادُوا الشَّرَابَ « يَانِيَةٌ مِنْ فِضَّةٍ » قَالَ أَبْنَ عَبَّاسٍ : لِيُسْ فِي الدُّنْيَا شَيْءٌ مَا فِي الْجَنَّةِ إِلَّا الْأَسْمَاءُ؛ أَىْ مَا فِي الْجَنَّةِ أَشْرَفُ وَأَعْلَى وَأَنْفَقُ . ثُمَّ لَمْ تَنْفِ الْأَوَانِي الْذَّهَبِيَّةِ بِلِ الْمَعْنَى يُسْقَوْنَ فِي أَوَانِي الْفِضَّةِ ، وَقَدْ يُسْقَوْنَ فِي أَوَانِي الْذَّهَبِ . وَقَدْ قَالَ تَعَالَى : « يُطَافُ عَلَيْهِمْ يَصِحَّافٍ مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ » . وَقَيْلٌ : بِهِ بِذِكْرِ الْفِضَّةِ عَلَى الْذَّهَبِ؛ كَقَوْلِهِ : « سَرَابِيلَ تَقِيمُ الْحَرَّ » أَىْ وَالْبَرْدُ فِيهِ بِذِكْرِ أَحَدِهِمَا عَلَى الشَّانِي . وَالْأَكْوَابُ الْكِيزَانُ الْعَظَامُ الَّتِي لَا آذَانَ هَا وَلَا عُرْقَى ، الْوَاحِدُ مِنْهَا كُوبٌ ؛ وَقَالَ عَدَى :

مُتَكَّثِّا تَقْرَعُ أَبَوَابُهُ * يَسْعَ عَلَيْهِ الْعَبْدُ بِالْكُوبِ

(٢)

وَقَدْ مَضَى فِي « الزَّنْرَفَ » . « كَانَتْ قَوَارِيرًا . قَوَارِيرًا مِنْ فِضَّةٍ » أَىْ فِي صَفَاءِ الْقَوَارِيرِ وَبِيَاضِ الْفِضَّةِ؛ فَصَفَاؤُهَا صَفَاءُ الزَّرَاجِ وَهِيَ مِنْ فِضَّةٍ . وَقَيْلٌ : أَرْضُ الْجَنَّةِ

(١) الْأَنْبُوبُ : الْبَرْدِيُّ . وَالسَّقُ : النَّخْلُ الْمَسْقُ . شَبَهَ سَاقُ الْمَرْأَةِ بِالْبَرْدِيِّ وَدَبَّتْ تَحْتَ نَخْلٍ ، فَالنَّخْلُ يَظْلِمُ مِنَ الشَّمْسِ وَذَلِكَ أَحْسَنُ مَا يَكُونُ مِنْهُ . وَصَدُرُ الْبَيْتِ : وَكَشْ طَلِيفُ كَالْجَدِيلِ مُخَصَّ .

(٢) يَرْوِي : تَخْفِقُ . بَدَلْ تَقْرَعُ . (٣) رَاجِعٌ ج ١٦ ص ١١١ فَإِنْ بَعْدُهَا .

من فضة ، والأواني تختبئ من تربة الأرض التي هي منها . ذكره ابن عباس وقال : ليس في الجنة شيء إلا قد أعطيتم في الدنيا شبهه إلا القوارير من فضة . وقال : لو أخذت فضة من فضة الدنيا فضررتها حتى تجعلها مثل جناج الذباب لم تر من ورائها الماء ، ولكن قوارير الجنة مثل الفضة في صفاء القوارير . (قدْرُوهَا تَقْدِيرًا) قراءة العامة بفتح القاف والدال ؛ أي قدرها لهم السقاة الذين يطوفون بها عليهم . قال ابن عباس ومجاهد وغيرهما : أتوا بها على قدر رِيْهُم بغير زيادة ولا نقصان . الكلبي : وذلك أللّه وأشهى ؛ والمعنى قدرتها الملائكة التي تطوف عليهم . وعن ابن عباس أيضاً : قدروها على ملء الكف لا تزيد ولا تنقص حتى لا تؤذهم بثقل أو بفراط صغر . وقيل : إن الشاربين قدروا لها مقدادير في أنفسهم على ما آشتهوا وقدروا . وقرأ عبيد بن عمير والشعبي وأبن سيرين « قُدْرُوهَا » بضم القاف وكسر الدال أي جعلت لهم على قدر إرادتهم . وذكر هذه القراءة المهدوى عن علي وأبن عباس رضى الله عنهما ؛ وقال : ومن قرأ « قُدْرُوهَا » فهو راجع إلى معنى القراءة الأخرى ، وكانت الأصل قُدْرُوا عليها حذف حرف الخبر ؛ والمعنى قُدِّرْتُ عليهم ؛ وأنشد سيبويه :

آلَيْتَ حَبَّ الْعِرَاقِ التَّهْرَ أَكُلُّهُ * وَالْحَبْ يَأْكُلُهُ فِي الْقَرْيَةِ السَّوْسُ

وذهب إلى أن المعنى على حَبَّ العراق . وقيل : هذا التقدير هو أن الأقداح تطير فتعترف بمقدار شهوة الشارب ؛ وذلك قوله تعالى : « قَدْرُوهَا تَقْدِيرًا » أي لا يفضل عن الرّي ولا ينقص منه ، فقد ألمحت الأقداح مقدار رِيْ المشتهى حتى تغترف بذلك المقدار . ذكر هذا القول الترمذى الحكيم في « نوادر الأصول » .

قوله تعالى : (وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأسًا) وهي الخمر في الإناء . (كَانَ مِنْ أَجْهَاهَا زَنجِيلًا) « كان » صلة أي من أجهها زنجيل أو كان في حكم الله زنجيلاً . وكانت العرب تستلذ من

(١) أي في بياضها .

(٢) قائله الملمس . ويروى : أطعمه . والرواية الصحيحة في « آليت » بالفتح لأنَّه يخاطب عمرو بن هند الملك ، وكان قد أقسم ألا يطعم الملمس حب العراق . فقال له الملمس مستهزئاً آليت على حب العراق لا أطعمه ، وقد وجدت منه بالشام ما يعني عما عندك فيه هناك كثير بحيث يأكله السوس . وأراد بالقرية الشام .

الشراب ما يزج بالزنجبيل طيب راحته ، لأنه يهدو اللسان ، ويضم المأكول ، فرغبوها في نعيم الآخرة بما اعتقدوا نهاية النعمة والطيب . وقال المسيب بن علّس يصف ثغر المرأة :

وَكَانَ طَعْمَ الزَّنْجِبِيلِ بِـِهِ * إِذْ دُقَّهُ وَسُلَافَةَ الْخَمْرِ

ويروى : الكرم . وقال آخر :

كَانَ جَنِيًّا مِنَ الزَّنْجِبِيلِ * لِلْبَاتِ يُفِيهَا وَأَرْيَا مُشَارًا
ونحوه قول الأعشى :

كَانَ الْقَرْفُلَ وَالْزَنْجِبِيلِ * لِلْبَاتِ يُفِيهَا وَأَرْيَا مَشَورًا

وقال مجاهد : الزنجبيل آسم للعين التي منها مناج شراب الأبرار . وكذا قال قتادة : والزنجبيل آسم العين التي يشرب بها المقربون صرفاً وتمزج لسائر أهل الجنة . وقيل : هي عين في الجنة يوجد فيها طعم الزنجبيل . وقيل : إنَّ فيه معنى الشراب المزوج بالزنجبيل .

والمعنى كأنَّ فيها زنجبيلاً . ((عيناً)) بدل من كأس . ويجوز أن ينتصب بإضمار فعل أي يسقون عيناً . ويجوز نصبه بإسقاط الخافض أي من عين على ما تقدم في قوله تعالى : «عَيْنَاهَا يَشَرِبُ يَهَا عِبَادُ اللهِ» . ((فيها)) أي في الجنة ((تُسْمَى سَلَسِيلًا)) السلسيل الشراب الذي وهو فعليل من السلامة ؛ تقول العرب : هذا شراب سلس وسلسال وسلسل وسلسيل بمعنى أي طيب الطعم لذيذه . وفي الصحاح : وسلسل الماء في الحلق جرى ، وسلسله أنا صبيته فيه ، وماء سلس سهل الدخول في الحلق لعنو بيته وصفائه ، والسلال بالضم مثله . وقال الزجاج : السلسيل في اللغة آسم لما كان في غاية السلامة فكان العين سميت بصفتها . وعن مجاهد قال : سلسيل حديدة الجري تسيل في حلوقهم آسلالاً . ونحوه عن ابن عباس : إنها الحديدة الجري . ذكره الماوردي ؛ ومنه قول حسان بن ثابت رضي الله عنه :

(١) الذي في ديوان الأعشى هذا البيت لا الذي بعده ، وفيه : خالط فاما ... انج والظاهر أن البيتين واحد وأختلفت الرواية .

يَسْقُونَ مِنْ وَرَدَ الْبَرِيقَ عَلَيْهِمْ ^(١) « بَرَدَ يُصْفَقُ بِالرَّحِيقِ السَّلْسِلِ

وقال أبو العالية ومقاتل : إنما سميت سلسلة ، لأنها تسيل عليهم في الطرق وفي منازلهم ، تندع من أصل العرش من جنة عدن إلى أهل الجنة . وقال قتادة : سلسلة منقاد مأواها حيث شاءوا . ونحوه عن عكرمة . وقال القفال : أى تلك عين شريفة فسلسلة سلسلة إليها . وروى هذا عن علي رضي الله عنه . قوله : « تَسْمَى » أى إنها مذكورة عند الملائكة وعن الأبرار وأهل الجنة بهذا الاسم . وصرف سلسلة ، لأنه رأس آية ، كقوله تعالى : « الظُّنُونَا » و « السَّلْسِلَا » .

قوله تعالى : وَيَطْوُفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخْلَدُونَ إِذَا رَأَيْتُمْ حَسِبَتُهُمْ لَوْلَوْا مَنْشُورًا ^(٢) وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ^(٣) عَذَابِهِمْ ثِيَابٌ سُنْدِسٌ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُولًا أَسَاوِرٌ مِنْ فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رِبْيَمْ شَرَابًا طَهُورًا ^(٤) إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعِيْكُمْ مَشْكُورًا ^(٥)

قوله تعالى : (وَيَطْوُفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخْلَدُونَ) ^(٦) يَعْنَى مِنَ الَّذِي يَطْوُفُ عَلَيْهِمْ بِالآتِيَةِ ؟ أَى وَيَخْدُمُهُمْ وِلْدَانٌ مُخْلَدُونَ فَلَمْ يَهُمْ أَخْفَى فِي الْخَدْمَةِ . ثُمَّ قَالَ : « مُخْلَدُونَ » أَى بِاقِونَ عَلَى مَا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ الشَّبَابِ وَالغَضَاضَةِ وَالْحُسْنِ ، لَا يَهُرُونَ وَلَا يَتَغَيِّرُونَ وَيَكُونُونَ عَلَى سَنَةٍ وَاحِدَةٍ عَلَى مَرَّ الْأَزْمَنَةِ . وَقِيلَ : مُخْلَدُونَ لَا يَمْتُونَ . وَقِيلَ : مُسَوْرُونَ مُقْرَطُونَ ؛ أَى مُخْلَدُونَ ^(٧) وَالتَّخْلِيدُ التَّحْلِيَةُ . وَقَدْ تَقَدَّمَ هَذَا . (إِذَا رَأَيْتُمْ حَسِبَتُهُمْ لَوْلَوْا مَنْشُورًا) أَى ظَنَنُتُهُمْ مِنْ حَسَنِهِمْ وَكَثْرَتِهِمْ وَصَفَاءُ أَلْوَانِهِمْ لَوْلَوْا مُفْرَقاً فِي عَرَصَةِ الْمَجْلِسِ ، وَاللَّؤْلُؤُ إِذَا تُرْبَسَاطَ كَانَ أَحْسَنُ مِنْهُ مَنْظُومًا . وَعَنِ الْمَأْمُونِ أَنَّهُ لِلَّهِ رُفْتَ إِلَيْهِ بُورَانُ بُنْتُ الْحَسَنِ بْنِ سَهْلٍ ، وَهُوَ

(١) البريق : نهر بدمشق . وبردى نهر آخر بدمشق أيضاً أى ما بردى . وتصدق : يزوج . والرحى :

الخربيضا . (٢) رابع ج ١٧ ص ٢٠٢ فما بعدها .

على بساط منسوج من ذهب ، وقد ثرَتْ عليه نساء دار الخليفة المؤود ، فنظر إليه متنورا على ذلك البساط فاستحسن المنظر وقال : **لَهُ دَرَّأَبِي نُوَّاَسَ كَانَهُ أَبْصَرَ هَذَا حِيثُ يَقُولُ :**

كَانَ صُغْرَى وَكَبِيرًا مِنْ فَقَاءِهَا * حَصْبَاءَ دَرَّ عَلَى أَرْضِ مِنَ الْدَّهَبِ

وقيل : إنما شبههم بالمتنور ؛ لأنهم سرّاع في الخدمة ، بخلاف الحور العين إذ شبههن بالمؤود المكنون المخزون لأنهن لا يمتهنن بالخدمة .

قوله تعالى : **(وَإِذَا رَأَيْتَ ثُمَّ رَأَيْتَ نَعِيْمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا)** «ثُمَّ» ظرف مكان أى هناك في الجنة ، والعامل في «ثُمَّ» معنى «رأيت» أى وإذا رأيت بصرك «ثُمَّ» . وقال الفراء : في الكلام «ما» مضمرة أى وإذا رأيت ما ثُمَّ ؛ كقوله تعالى : **«لَقَدْ تَقْطَعَ بَيْنَكُمْ** أى ما بينكم . وقال الزجاج : «ما» موصولة ثُمَّ على ما ذكره الفراء ، ولا يجوز إسقاط الموصول وترك الصلة ، ولكن **«رَأَيْتَ**» يتعدى في المعنى إلى «ثُمَّ» والمعنى إذا رأيت بصرك «ثُمَّ» ويعني ثُمَّ الجنة ، وقد ذكر الفراء هذا أيضا . والنعيم سائر ما ينتمي به . والملك الكبير آتى إلهان الملائكة عليهم ، قاله السدي وغيره . قال الكابي : هو أن يأتى الرسول من عند الله بكامة من الكسوة والطعام والشراب والتتحف إلى ولـ الله وهو في منزله فيستأذن عليه ، فذلك الملك العظيم . وقاله مقاتل بن سليمان . وقيل :

الْمُلْكُ الْكَبِيرُ هُوَ أَنْ يَكُونُ لِأَحَدِهِمْ سَبْعُونَ حَاجِبًا ، حَاجِبًا دُونَ حَاجِبٍ ، فَبِينَا وَلـ الله فِيهَا هُوَ فِي اللَّذَّةِ وَالسُّرُورِ إِذْ يَسْتَأْذِنُ عَلَيْهِ مَلَكٌ مِنْ عِنْدِ اللهِ ، قَدْ أَرْسَلَهُ اللهُ بِكَابٍ وَهَدِيَّةٍ وَتُحْفَةٍ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ لَمْ يَرَهَا ذَلِكُ الْوَلـِيُّ فِي الْجَنَّةِ قُطًّا ، فَيَقُولُ لِلْحَاجِبِ الْخَارِجِ : **أَسْتَأْذِنُ** عـلـ ولـ اللهـ فـإـنـ مـعـ كـابـ وـهـدـيـةـ مـنـ رـبـ الـعـالـمـينـ . فـيـقـولـ هـذـاـ الـحـاجـبـ لـالـحـاجـبـ الـذـيـ يـلـيـهـ :

هـذـاـ رـسـوـلـ مـنـ رـبـ الـعـالـمـينـ ، مـعـهـ كـابـ وـهـدـيـةـ يـسـتـأـذـنـ عـلـ ولـ اللهـ ؛ فـيـسـتـأـذـنـ كـذـلـكـ حـتـىـ يـلـغـ إـلـىـ الـحـاجـبـ الـذـيـ يـلـيـهـ ولـ اللهـ فـيـقـولـ لـهـ : **يـاـ وـلـ اللهـ ! هـذـاـ رـسـوـلـ مـنـ رـبـ الـعـالـمـينـ يـسـتـأـذـنـ عـلـيـكـ ، مـعـهـ كـابـ وـتـحـفـةـ مـنـ رـبـ الـعـالـمـينـ أـفـيـؤـذـنـ لـهـ ؟** فـيـقـولـ :

نـعـمـ ! فـأـذـنـواـ لـهـ . فـيـقـولـ الـحـاجـبـ الـذـيـ يـلـيـهـ لـلـآـخـرـ كـذـلـكـ حـتـىـ يـلـغـ

الحاجب الآخر، فيقول له : نَعَمْ أَيْهَا الْمَلِكُ ، قَدْ أَذْنَ لَكَ ، فَيَدْخُلُ فِي سَلَامٍ عَلَيْهِ وَيَقُولُ : السَّلَامُ يَقْرَئُكَ السَّلَامُ ، وَهَذِهِ تُخْفَةٌ وَهَذَا كَابِ من رَبِّ الْعَالَمِينَ إِلَيْكَ . فَإِذَا هُوَ مَكْتُوبٌ عَلَيْهِ :

من الْحَىِ الَّذِي لَا يَمُوتُ إِلَى الْحَىِ الَّذِي لَا يَمُوتُ . فَيَفْتَحُهُ فَإِذَا فِيهِ : سَلامٌ عَلَى عَبْدِي وَوَلِي وَرَحْمَتِي وَبَرَكَاتِي يَا وَلِي أَمَّا آنَّ لَكَ أَنْ تَشْتَاقَ إِلَى رَؤْيَاةِ رَبِّكَ ؟ فَيَسْتَخْفِهُ الشَّوْقُ فَيَرْكِبُ الْبُرَاقَ فَيُظْهِرُ بِهِ الْبُرَاقَ شَوْقًا إِلَى زِيَارَةِ عَلَامِ الْغَيْوَبِ ، فَيُعْطِيهِ مَا لَا عَيْنَ رَأَتْ وَلَا أَذْنَ سَمِعَتْ وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ . وَقَالَ سَفِيَّانُ الثُّوْرَى^(١) : بَلَغْنَا أَنَّ الْمُلْكَ الْكَبِيرَ تَسْلِيمَ الْمَلَائِكَةِ عَلَيْهِمْ ؛ دِلْيَلُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى : « وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ . سَلَامٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا صَبَرْتُمْ فِي نَعْمَانَ عَقْبَى الدَّارِ » . وَقَيْلٌ : الْمُلْكُ الْكَبِيرُ كُونُ التَّيْجَانِ عَلَى رَعْوَسِهِمْ كَمَا تَكُونُ عَلَى رَأْسِ مَلَكِ الْمَلُوكِ . وَقَالَ التَّرمِذِيُّ الْحَكِيمُ : يَعْنِي مُلْكُ الْتَّكَوِينِ إِذَا أَرَادُوا شَيْئًا قَالُوا لَهُ كُنْ . وَقَالَ أَبُو بَكْرُ الْوَزَّافَ^(٢) : مُلْكٌ لَا يَتَعَقَّبُهُ هُلْكٌ . وَفِي الْخَبَرِ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِنَّ الْمُلْكَ الْكَبِيرَ هُوَ [أَنْ] أَدَنَاهُمْ مَنْ يَنْظَرُ فِي مُلْكِهِ مَسِيرَةً أَلْفِيْ عَامٍ يَرَى أَفْصَاهَ كَمَا يَرَى أَدَنَاهُ » . قَالَ : « وَإِنَّ أَفْضَلَهُمْ مَنْ يَنْظَرُ فِي وَجْهِ رَبِّهِ تَعَالَى كُلَّ يَوْمٍ مَرْتَيْنَ » . سَبْحَانَ الْمُنْعَمِ .

قَوْلُهُ تَعَالَى : « عَالَيْهِمْ ثِيَابُ سُنْدِسٍ خُضْرَوْءٍ وَإِسْتَبْرَقٍ » قَرَأْ نَافِعٌ وَحْمَزَةُ وَأَبْنَ مُحَمَّصَنْ « عَالَيْهِمْ » سَاكِنَةُ الْيَاءِ ، وَأَخْتَارَهُ أَبُو عَيْدٍ أَعْتَبَارًا بِقِرَاءَةِ أَبْنَ مُسَعُودٍ وَأَبْنَ وَنَابٍ وَغَيْرِهِمَا « عَالَيْهِمْ » وَبِتَفْسِيرِ أَبْنِ عَبَّاسٍ : أَمَا رَأَيْتَ الرَّجُلَ عَلَيْهِ ثِيَابٌ يَعْلُوْهَا أَفْضَلُ مِنْهَا . الْفَرَاءُ :

وَهُوَ مَرْفُوعٌ بِالْأَبْتِداءِ وَخَبْرُهُ « ثِيَابُ سُنْدِسٍ » وَأَسْمَ الفَاعِلِ يَرَادُ بِهِ الْجَمْعُ . وَيَجُوزُ فِي قَوْلِ الْأَخْفَشِ إِفْرَادُهُ عَلَى أَنَّهُ أَسْمَ فَاعِلٍ مُتَقْدِمٍ وَ« ثِيَابُ » مُرْتَفَعَةٌ بِهِ وَسَدَّتْ مَسْدَدُ الْخَبَرِ وَالْإِضَافَةِ فِيهِ فِي تَقْدِيرِ الْأَنْفَصَالِ لِأَنَّهُ لَمْ يُحْكَصْ ، وَأَبْتَدَى بِهِ لِأَنَّهُ أَخْتَصَّ بِالْإِضَافَةِ . وَقَرَأْ الْبَاقِونَ « عَالَيْهِمْ » بِالنَّصْبِ . وَقَالَ الْفَرَاءُ : هُوَ كَوْلُكَ فَوْقَهُمْ ، وَالْعَرَبُ تَقُولُ : قَوْمٌ دَاهِنُ الدَّارِ فَيَنْصِبُونَ دَاهِنًا عَلَى الْفَرْفَرِ لِأَنَّهُ مَهَّلٌ . وَأَنْكَرَ الزَّجَاجُ هَذَا وَقَالَ : هُوَ مَا لَا نَعْرِفُهُ فِي الظَّرْفَوْفِ ، وَلَوْ كَانَ ظَرْفًا لَمْ يَحْزَ إِسْكَانَ الْيَاءِ وَلِكَنَّهُ نَصْبٌ عَلَى الْحَالِ مِنْ شَيْئَيْنِ : أَحَدُهُمَا الْيَاءُ وَالْمَيْمُ فِي قَوْلِهِ :

(١) زِيَادَةٌ يَقْنَصُهَا الْمَعْنَى .

«يَطْوِفُ عَلَيْهِمْ» أى على الأبرار «ولدان» عاليًا الأبرار ثياب سندس؛ أى يطوف عليهم في هذه الحال ، والثاني أن يكون حالا من الولدان أى «إِذَا رَأَيْتُمْ حِسِبَتِهِمْ لُولُوا مُنْتَهَا» في حال علو الثياب أبدانهم . وقال أبو علي : العامل في الحال إما «لقاهم نمرة وسروراً» وإما «جَاهِمْ إِمَّا صَبَرُوا» قال : ويجوز أن يكون ظرفًا فصِرْف . المهدوى : ويجوز أن يكون آسم فاعل ظرفًا، كقولك هو ناحية من الدار، وعلى أن عاليًا لما كان بمعنى فوق أعلى مجراه بفعل ظرفًا . وقرأ ابن محيصن وأبن كثير وأبو بكر عن عاصم «خُضِر» بالجر على نعت السنديس «وَإِسْتَبْرَقُ» بالفتح نسقا على الثياب ، ومعناه عاليهم [ثياب] سنديس وإستبرق . وقرأ ابن عامر وأبو عمرو ويعقوب «خُضِر» رفعا نعتا للثياب «وَإِسْتَبْرَقُ» باللحن على نعتا للسنديس ، وآخذه أبو عبيد وأبو حاتم بجودة معناه ؛ لأن الخضر أحسن ما كانت نعتا للثياب فهي مرفوعة ، وأحسن ما عطف الإستبرق على السنديس عطف جنس على جنس ، والمعنى عاليهم ثياب خضر من سنديس وإستبرق أى من هذين النوعين . وقرأ نافع وحفص كلها بالفتح ويكون «خُضِر» نعتا للثياب ؛ لأنهما جمعا بالفتح الجم «وَإِسْتَبْرَقُ» عطفا على الثياب . وقرأ الأعمش وأبن ثاتب وحنة والكسائي كلها باللحن ويكون قوله «خُضِر» نعتا للسنديس ، والسنديس آسم جنس وأجاز الأخفش وصف آسم الجنس بالجمع على استقباح له ؛ وتقول : أهلك الناس الدينار الصغير والدرهم اليضم ؛ ولكنه مُستبعد في الكلام . والمعنى على هذه القراءة : عاليهم ثياب سنديس خضر وثياب إستبرق . وكلهم صرف الإستبرق إلا ابن محيصن فإنه فتحه ولم يصرفه فقرأ «وَإِسْتَبْرَقُ» نصبا في موضع الجر على منع الصرف لأنه أعمى وهو غلط ؛ لأنه نكرة يدخله حرف التعريف ؛ تقول الإستبرق إلا أن يزعم أنه قد يجعل علما لهذا الضرب من الثياب . وقرأ «وَإِسْتَبْرَقُ» بوصل المهمزة والفتح على أنه سمي باستفعل من البريق وليس بصحيح أيضًا ؛ لأنه معرّب مشهور تعرّيه وأن أصله آستبرك ^(٢) والسنديس مارق من الدجاج والإستبرق ماغلظ منه . وقد تقدم ^(٣) .

(١) زيادة تقضيها العبارة . (٢) في الأصل إستبرق وهو تحريف والتوصيب من القاموس الفارماني . وفي الأنفاظ الفارسية وشرح القاموس أصله : «آستبر». (٣) راجع ج ١٠ ص ٣٩٧ وج ١٧٩ ص ١٧٩

قوله تعالى : « وَحَلُوا » عطف على « وَيَطُوفُ » . « أَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ » وفي سورة فاطر « يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ » وفي سورة الحج « يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلَؤْلَؤًا » فقيل : حل الرجل الفضة وحل المرأة الذهب . وقيل : تارة يلبسون الذهب وتارة يلبسون الفضة . وقيل : يجمع في يد أحدهم سواران من ذهب وسواران من فضة وسواران من لؤلؤ ليجتمع لهم محسنات الحسنة ؛ قاله سعيد بن المسيب . وقيل : أى لكل قوم ماتميل إليه نفوسهم . « وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا » قال عليه رضى الله عنه في قوله تعالى : « وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا » قال : إذا توجه أهل الحسنة إلى الحسنة مروا بشجرة يخرج من تحت ساقها عينان فيشربون من إحداهما ، فتتجزئ عليهم بنصرة النعيم ، فلا يتغير أشارهم ، ولا تتشعث أشعارهم أبدا ، ثم يشربون من الأخرى فيخرج ما في بطونهم من الأذى ، ثم تستقبلهم حزنة الحسنة فيقولون لهم : « سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طَبِيعَمْ فَادْخُلُوهَا حَالِدِينَ » . وقال النَّعْمَانُ وأبو قلابة : هو إذا شربوه بعد أكلهم طهرهم ، وصار ما أكلوه وما شربوه رشح مسيك ، وصبرت بطونهم . وقال مقاتل : هو من عين ما على باب الحسنة ، تمنع من ساق شجرة ، من شرب منها نزع الله ما كان في قلبه من غل وغش وحسد ، وما كان في جوفه من أذى وقدر . وهذا معنى ماروى عن علي إلا أنه في قول مقاتل عين واحدة وعليه فيكون فعلاً للبالغة ، ولا يكون فيه حجة للحنفي أنه بمعنى الطاهر . وقد مضى بيانه في سورة « الفرقان » والحمد لله . وقال طَبَّابُ الْجَمَالَ : صَلَّيْتُ خَلْفَ سَهْلِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْعَتَمَةَ فَقَرَأَ « وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا » وجعل يحرك شفتنه وفه كأنه يقص شيئا ، فلما فرغ قيل له : أشرب أم تقرأ ؟ فقال : والله لو لم أجده لذته عند قراءته كلذته عند شربه ما قرأته .

قوله تعالى : « إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً » أى يقال لهم إنما هذا جزاء لكم أى ثواب . « وَكَانَ سَعِينُكُمْ » أى عملكم (مشكورا) أى من قبل الله ، وشكراً للعبد قبول طاعته ، وثناؤه عليه ، وإثابته إياه . وروى سعيد عن قتادة قال : غَفَرَ لَهُمُ الذَّنْبُ وَشَكَرَ لَهُمُ الْحُسْنَى . وقال

(1) راجع ج ١٣ ص ٣٩ فما بعدها .

مجاهد : «مشكورًا» أى مقبولًا والمعنى متقارب ، فإنه سبحانه إذا قبل العمل شكره ، فإذا شكره أثاب عليه بالجزيل ، إذ هو سبحانه ذو الفضل العظيم . روى عن ابن عمر : أن رجلا حبشيًّا قال : يا رسول الله ! فضلتم علينا بالصور والألوان والنبوة ، أفرأيت إن آمنت بما آمنت به ، وعملت بما عملت أنا معك في الجنة ؟ قال : «نعم والذى نفسي بيده إنه ليُرى بياض الأسود في الجنة وضياؤه من مسيرة ألف عام» ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم : «من قال لا إله إلا الله كان له بها عند الله عَهْدٌ ومن قال سبحان الله والحمد لله كان له بها عند الله مائة ألف حسنة وأربعة وعشرون ألف حسنة» فقال الرجل : كيف نهلك بعدها يا رسول الله ؟ فقال : «إن الرجل ليأتى يوم القيمة بالعمل لو وضعه على جبل لأنقله فتجريه النعمة من نعم الله فتكاد أن تستنفذ ذلك كله إلا أن يلطف الله برحمته» قال : ثم نزلت ^(١) «هَلْ أَتَى عَلَى إِلَيْسَانِ حِينٍ مِنَ الدَّهْرِ» إلى قوله : «وَمُلْكًا كَيْرًا» قال الحبيشى : يا رسول الله ! وإن عيني لترى ما ترى عيناك في الجنة ؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم : «نعم» فبكى الحبيشى حتى فاضت نفسيه . قال ابن عمر : فلقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يدلية في حضرته ويقول : «إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعِينَكُمْ مشكورًا» قلنا : يا رسول الله وما هو ؟ قال : «والذى نفسي بيده لقد أوقفه الله ثم قال أى عبدى لأبيضض وجهك ولا يوشك من الجنة حيث شئت فنعم أجر العاملين» .

قوله تعالى : إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا فَاصْبِرْ
لِهِنْكَ رَبِّكَ وَلَا تُطْعِنْهُمْ إِنَّمَا أَوْكَفُورًا وَآذْكُرْ آنَمَ رَبِّكَ
بُكْرَةً وَأَصِيلًا وَمِنَ الْيَلِ فَاسْبِدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا

قوله تعالى : (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا) ما أفترته ولا أجهت به من عندك ولا من تلقاء نفسك كا يدعى المشركون . ووجه اتصال هذه الآية بما قبل أن سبحانه لما ذكر أصناف الوعد والوعيد بين أن هذا الكتاب يتضمن ما بالناس حاجة إليه ، فليس بسحر

(١) في نسخة : يتعطف .

ولا كهانة ولا شعر وأنه حق ، وقال ابن عباس : أُنْزَلَ الْقُرْآنُ مُتَفَرِّقاً آيَةً بَعْدَ آيَةً وَلَمْ يَنْزِلْ
جَمْلَةً وَاحِدَةً ؛ فَلِذَلِكَ قَالَ « نَزَّلْنَا » وَقَدْ مَضِيَ الْقَوْلُ فِي هَذَا مِبْيَانِ الْحَمْدِ لِلَّهِ ٰ .

قوله تعالى : « فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ 】 أَى لِقَضَاءِ رَبِّكَ ٰ . وَرَوَى الصَّحَّاحُ عَنْ أَبْنَ عَبَّاسٍ
قَالَ : أَصْبِرْ عَلَى أَذْيِ الْمُشْرِكِينَ ؛ هَكُذا قَضِيَتْ . ثُمَّ نَسْخَ بَآيَةِ الْقَتَالِ . وَقَيْلٌ : أَى أَصْبِرْ
لِحُكْمِ بِهِ عَلَيْكَ مِنَ الطَّاعَاتِ ، أَوْ أَنْتَظِرْ حُكْمَ اللَّهِ إِذْ وَعَدْكَ أَنَّهُ يَنْصُرُكَ عَلَيْهِمْ وَلَا تَسْتَعِجِلْ
فَإِنَّهُ كَائِنٌ لَا حَالَةَ . (وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ أَثِمَّا) أَى ذَا إِيمَانَ (أَوْ كُفُورًا) أَى لَا تُطِعْ الْكُفَّارَ .
فَرُوَى مَعْمَرٌ عَنْ فَتَادَةَ قَالَ أَبُو جَهْلٍ : إِنْ رَأَيْتُ مَهْدًا يُصْلَى لِأَطْوَانَ عَلَى عَنْقِهِ . فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : « وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ أَثِمَّا أَوْ كُفُورًا » . وَيَقَالُ : نَزَّلَتْ فِي عُتْبَةَ بْنَ رَبِيعَةَ وَالْوَلِيدَ
أَبْنَ الْمَغْيِرَةَ ، وَكَانَا أَتَيَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَعْرِضُانَ عَلَيْهِ الْأَمْوَالَ وَالتَّرْوِيجُ عَلَى أَنْ
يَتَرَكَ ذِكْرُ النَّبِيَّ ، فَفِيمَا نَزَّلَتْ « وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ أَثِمَّا أَوْ كُفُورًا » . قَالَ مَقَاتِلُ : الَّذِي عَرَضَ
الْتَّرْوِيجَ عَتْبَةَ بْنَ رَبِيعَةَ ؟ قَالَ : إِنْ بَنَاتِي مِنْ أَجْلِ نِسَاءِ قَرِيشٍ ، فَإِنَا أَزْوَجْنَاكَ أَبْنَتِي مِنْ غَيْرِ
مَهْرٍ ، وَأَرْجَعْنَاكَ عَنْ هَذَا الْأَمْرِ . قَالَ الْوَلِيدُ : إِنْ كُنْتَ صَنَعْتَ مَا صَنَعْتَ لِأَجْلِ الْمَالِ ، فَإِنَا
أَعْطَيْنَاكَ مِنَ الْمَالِ حَتَّى تَرْضَى وَأَرْجَعْنَاكَ عَنْ هَذَا الْأَمْرِ ؛ فَنَزَّلَتْ . ثُمَّ قَيْلٌ « أَوْ » فِي قَوْلِهِ تَعَالَى :
« أَثِمَّا أَوْ كُفُورًا » أَوْ كَدَ مِنَ الْوَاوِ ؛ لَأَنَّ الْوَاوَ إِذَا قُلْتَ : لَا تُطِعْ زِيَادًا وَعِمْرًا فَأَطْعَاهُ أَحَدُهُمَا
كَانَ غَيْرَ عَاصِمٍ ؛ لَأَنَّهُ أَمْرَهُ أَلَا يَطِعَ الْأَتَنِينَ ، فَإِذَا قَالَ : « لَا تُطِعْ مِنْهُمْ أَثِمَّا أَوْ كُفُورًا »
فَ« أَوْ » قَدْ دَلَّتْ عَلَى أَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا أَهْلٌ أَنْ يُعُصِّي ؛ كَمَا أَنَّكَ إِذَا قُلْتَ : لَا تَخَالِفَ
الْحَسَنَ أَوْ أَبْنَ سِيرِينَ ، أَوْ أَتَبِعِ الْحَسَنَ أَوْ أَبْنَ سِيرِينَ فَقَدْ قُلْتَ : هَذَا أَهْلٌ أَنْ يُتَّبَعَا وَكُلَّ
وَاحِدٍ مِنْهُمَا أَهْلٌ لَا يُتَّبَعَ ؛ قَالَهُ الزَّجاجُ . وَقَالَ الْفَرَاءُ : « أَوْ » هَذَا بِمَزْلَةٍ « لَا » كَأَنَّهُ قَالَ :
وَلَا كُفُورًا ؛ قَالَ الشَّاعِرُ :

لَا وَجَدَ ثُلَّ كَا وَجَدْتُ وَلَا * وَجَدَ عَجَّوِي أَضْلَهَا رُبْعٌ
أَوْ وَجَدَ شَيْخَ أَضْلَلَ نَاقَهُ * يَوْمَ تَوَاقَ الْجَحِيْجُ فَانْدَفَعُوا

(١) رابع ج ١٣ ص ٢٩ (٢) العجوز من النساء والإبل والواله التي فقدت ولدها ، سميت بذلك لعجلتها في جينتها وذهابها بزما ، وهي هنا الناقة . والرابع كضر الفضيل يفتح في الربيع .

أراد ولا وجد شيخ . وقيل : الام المناق ، والكفور الكافر الذى يظهر الكفر ؛ أى لا تطبع منهم آثما ولا كفورا . وهو قريب من قول الفراء .

قوله تعالى : **(وَآذْكُرْ أَسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا)** أى صل لربك أول النهار وآخره ، ففي أوله صلاة الصبح وفي آخره صلاة الظهر والعصر . **(وَمِنَ اللَّيْلِ فَأَبْجُدُ لَهُ)** يعني صلاة المغرب والعشاء الآخرة **(وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا)** يعني التطوع في الليل ؛ قاله ابن حبيب . وقال ابن عباس وسفيان : كل تسبيح في القرآن فهو صلاة . وقيل : هو الذكر المطلق سواء كان في الصلاة أو في غيرها . وقال ابن زيد وغيره : إن قوله **« وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا »** منسوخ بالصلوات الخمس . وقيل : هو ندب . وقيل : هو مخصوص بالنبي صلى الله عليه وسلم . وقد تقدم القول في مثله في سورة « المزمل » وقول ابن حبيب حسن . وجاء الأصيل والأصائل والأصل ؛ كقولك سفائن وسفون ؛ قال :

* ولا بحسن منها إذ دنا الأصل *

^(١) وقال في الأصائل وهو جمع الجم :

لَعْمَرِي لَأَنَتِ الْبَيْتُ أَكْرَمُ أَهْلَهُ * **وَأَقْعُدُ فِي أَفْيَايِهِ بِالْأَصَائِلِ**

وقد مضى هذا في آخر « الأعراف » مستوف . ودخلت « من » على الظرف للتبعيض ، كما دخلت على المفعول في قوله تعالى : **« يَغْفِرُ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ »** .

قوله تعالى : **إِنَّ هَؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذْرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا** **٢٧** **نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَّدْنَا أَسْرَهُمْ وَإِذَا شِئْنَا بَدَلْنَا أَمْثَالَهُمْ تَبَدِّيَلًا** **٢٨**

قوله تعالى : **(إِنَّ هَؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ)** توبيخ وتقرير ، والمراد أهل مكة . والعاجلة الدنيا **(وَيَذْرُونَ)** أى ويدعون **(وَرَاءَهُمْ)** أى بين أيديهم **(يَوْمًا ثَقِيلًا)**

(١) قاله أبو ذرية الحذلي . (٢) راجع بـ ٧ ص ٣٥٥ وما بعدها .

أى عسيرا شديدا كما قال : « قُلْتُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ » أى يتركون الإمام بيوم القيامة . وقيل : « وَرَاءُهُمْ » أى خلفهم ، أى ويذرون الآخرة خلف ظهورهم فلا يعملون لها . وقيل : نزلت في اليهود فيما كتموه من صفة الرسول صلى الله عليه وسلم وصحبة نبوته . وحاجهم العاجلة أخذهم التشا على ما كتموه . وقيل : أراد المنافقين ، لاستبطانهم الكفر وطلب الدنيا . والآية تعم . واليوم الثقيل يوم القيمة . وإنما سمي ثقيلا لشدائد وأهواله . وقيل : للقضاء فيه بين عباده .

قوله تعالى : (نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ) أى من طين . (وَشَدَّدْنَا أَسْرَهُمْ) أى خلقهم ؛ قاله ابن عباس وبمحاده وقتادة ومقاتل وغيرهم . والأسر الخلق ؛ قال أبو عبيد : يقال فرس شديد الأسر أى الخلق . ويقال : أسره الله جل شأنه إذا شدد خلقه ؛ قال لبيد :

سامِ الوجه شَدِيدُ أَسْرِهُ * مُشْرِفُ الْحَارِكِ مَحْبُوكُ الْكَفَلِ

وقال الأخطل :

مِنْ كُلِّ مُخْتَبٍ شَدِيدٌ أَسْرِهُ * سَلِيسُ الْقِيَادِ تَخَالَهُ مُخْتَالًا

وقال أبو هريرة والحسن والرابع : شددنا مفاصلهم وأوصالهم ببعضها إلى بعض بالعروق والعصب . وقال مجاهد في تفسير الأسر : هو الشرج ، أى إذا نخرج الفائط والبول تقبض الموضع . وقال ابن زيد : الأسر القوة . وقال ابن أخر يصف فرسا :

يَمْشِي بِأَوْظَافِهِ شَدَادِ أَسْرِهَا * صُمُّ السَّنَائِكِ لَا تَنِقِّي بِالْحَدْجِدِ

وأشتقاقه من الإسار وهو الفقد الذى يشد به الأقطاب ؛ يقال : أسرت القتب أسرأ أى شدته وربطته ؛ ويقال : ما أحسن أسر قتنه أى شدته وربطه ؛ ومنه قوله : خذه

(١) ورد في المساند مادة (حبك) : أنسد بيت ليد على هذه الصورة : مشرف الحارك محبوكة الكفل (وذلك هو في ديوانه) ، ومحبوكة الكفل : مدحجه . وفي مادة حرك أنسد الشطر :

* مُغْبَطُ الْحَارِكِ مَحْبُوكُ الْكَفَلِ *

أما الشطر الذى في التفسير هنا فهو لأبي دؤاد وقد مر في ج ١٧ ص ٣٢ .

(٢) مختنب مفعول من الجنبية وهى الفرس تقاد ولا تركب ، وكانوا يركبون الإبل ويجبنون الخيل فإذا صاروا إلى الحرب ركبوا الخيل . (٣) الحجاجد : الأرض الصلبة . ولا ترق : لا تتوافق ولا تهيئ .

بأنه إذا أرادوا أن يقولوا هو لك كلّه ، كأنهم أرادوا تكفيه وشده لم يُفتح ولم يُقص منه شيء . ومنه الأسير لأنّه كان يُكتَفِّ بالإسار . والكلام خرج من مخرج الامتنان عليهم بالنعم حين قابلوها بالمعصية . أى سَوَيْتَ خلقك وأحكته بالقوى ثم أنت تكفر بي . (١) (وَإِذَا شِئْنَا بَدَلْنَا أَمْثَالَهُمْ تَبِدِيلًا) قال ابن عباس : يقول لو نشاء لأهل كتابهم وجئنا بأطوع الله منهم . وعنده أيضاً : لغيرنا محاسنهم إلى أسماع الصور وأقبحها . كذلك روى الضحاك عنه . والأول رواه عنه أبو صالح .

قوله تعالى : إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةً فَمَنْ شَاءَ أَخْدَدَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلًا (٢٦) وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْهِ حَكِيمًا (٢٧) يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّاهِرُونَ أَعْدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا (٢٨)

قوله تعالى : (إنَّ هَذِهِ) أى السورة (تَذْكِرَةً) أى موعظة (فَمَنْ شَاءَ أَخْدَدَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلًا) أى طريقة موصلاً إلى طاعته وطلب مرضاته . وقيل : « سَبِيلًا » أى وسيلة . وقيل : وجهة وطريقاً إلى الجنة . والمعنى واحد . (وَمَا تَشَاءُونَ) أى الطاعة والاستقامة واتخاذ السبيل إلى الله (إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ) فأخبر أن الأمر إليه سبحانه ليس إليهم ، وأنه لا تنفذ مشيئة أحد ولا تقدم إلا أن تقدم مشيئته . وقرأ ابن كثير وأبو عمرو « وَمَا تَشَاءُونَ » بالياء على معنى الخبر عنهم . والباقيون بالباء على معنى المخاطبة لله سبحانه . وقيل : إن الآية الأولى منسوخة بالثانية . والأسباب أنه ليس بنسخ بل هو تبيين أن ذلك لا يكون إلا بمشيئته . قال الفراء : « وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ » حواب لقوله : « فَمَنْ شَاءَ أَخْدَدَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلًا » ثم أخبرهم أن الأمر ليس إليهم فقال : « وَمَا تَشَاءُونَ » ذلك السبيل « إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ » لكم . (إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْهِ) باعمالكم (حَكِيمًا) ف أمره ونهيه لكم . وقد مضى في غير موضع .

(١) عكست المناسع شدتها ، والمكان الخبط الذي يعمك به ، وعكست البغي شدّت عليه العنك .

(٢) في نسخة : بالي الخير .

(يُدْخُلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ) أى يدخله الجنة راحما له ((والظالمين)) أى ويعذب الظالمين فنصبه بإضمار يعذب . قال الزجاج: نصب الظالمين لأن قبله منصوب؛ أى يدخل من يشاء في رحمته ويعذب الظالمين أى المشركين ويكون ((أعد لهم)) تفسيرا لهذا المضمر؛ كما قال الشاعر:

أَصْبَحْتُ لَا أَحْمِلُ السَّلَاحَ وَلَا * أَمْلِكُ رَأْسَ الْبَعْيرِ إِنْ تَفَرَّا
وَالذَّبَّ أَخْشَاهُ إِنْ مَرَرْتُ بِهِ * وَحْدِي وَأَخْشَى الرَّيَاحَ وَالْمَطَرَا

أى أخشى الذب أخشاه . قال الزجاج: والاختيار النصب وإن جاز الرفع؛ تقول: أعطيت زيداً وعمراً أعددت له بِرَأْسِي فاختار النصب؛ أى وبررت عمراً أو أبتر عمراً . قوله في « حم عسق » :

« يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمُونَ » آرتفع لأنه لم يذكر بعده فعل يقع عليه فinctib في المعنى؛ فلم يجز العطف على المنصوب قبله فآرتفع بالأبتداء . وهذا هنا قوله : « أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا » يدل على ويعذب بخاز النصب . وقرأ أبان بن عثمان « والظالمون » رفعا بالأبتداء (١) والخبر ((أعد لهم)) . ((عذاباً إلينا)) أى مؤلماً موجعاً . وقد تقدم هذا في سورة «البقرة» وغيرها والحمد لله . ختمت السورة .

سورة المرسلات

مكة في قول الحسن وعكرمة وعطاء وجابر . وقال ابن عباس وقتادة : إلا آية منها وهي قوله تعالى : « وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ أَرْكُمُوا لَا يَرْكَعُونَ » مدニة . وقال ابن مسعود : نزلت « والمرسلات عرقاً » على النبي صلى الله عليه وسلم ليلة الحن ونحن معه نسير حتى أويينا إلى غار بني فنزلت ، فبينا نحن نتقاها منه ، وإن فاه لرطبه بها إذ وثبت حية فوثبنا عليها لقتلها فذهبت ؛ فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « وَقِيمَ شَرَّهَا كَوْفِيتَ شَرَّكَ » . وعن كريب مولى ابن عباس قال : قرأت سورة « والمرسلات عرقاً » فسمعتني أم الفضل أمراً العباس فبكت وقالت : والله يا بني لقد أذكريتني بقراءتك هذه السورة أنها لآخر ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ بها في صلاة المغرب . والله أعلم . وهي خمسون آية .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قوله تعالى : وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا فَإِلَّا عَصَمَتْ عَصْفًا
 وَالنَّذِيرَاتِ نَشَرًا فَالْفَرِيقَاتِ فَرِقًا فَالْمُلْقَيَّاتِ ذَرَّا
 عُذْرًا أَوْ نُذْرًا إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعًا فَإِذَا الْنَّجُومُ طَمِسَتْ
 وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ وَإِذَا الْجِبَالُ نُسِفَتْ وَإِذَا الرَّسُولُ
 أَقِتَّ لِأَيِّ يَوْمٍ أَجِلتْ لِيَوْمِ الْفَضْلِ وَمَا أَدْرَكَ
 مَا يَوْمُ الْفَضْلِ وَيَلْ يَوْمٌ يَوْمٌ لِلْمَكْدِيَّينَ

قوله تعالى : (وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا) جهور المفسرين على أن المرسلات الرياح . وروى مسروق عن عبد الله قال : هي الملائكة أرسلت بالمعروف من أمر الله تعالى ونبهه والخبر والوحى . وهو قول أبي هريرة ومقاتل وأبي صالح والكلبي . وقيل : هم الأنبياء أرسلوا بلا إله إلا الله ؛ قاله ابن عباس . وقال أبو صالح : إنهم الرسل تُرسَلُ بِمَا يُعْرَفُونَ به من المعجزات . وعن ابن عباس وابن مسعود : إنها الرياح ؛ كما قال تعالى : « وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ » وقال : « وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ ». ومعنى « عُرْفًا » يتبع بعضها بعضاً كُثُرَ الفَرَس ؟ تقول العرب : الناس إلى فلات عُرْفٌ واحد إذا توجهوا إليه فـأكثروا . وهو نصب على الحال من « والمرسلات » أي والرياح التي أرسلت متابعة . ويحوز أن تكون مصدراً أي تباعاً . ويحوز أن يكون النصب على تقدير حرف الجر ، كأنه قال : والمرسلات بالعُرْفِ والمراد الملائكة أو الرسل . وقيل : يحتمل أن يكون المراد بالمرسلات السحاب لما فيها من نعمة ونفحة عارفة بما أرسلت فيه ومن أرسلت إليه . وقيل : إنها الزوابع والمواعظ . « وَعُرْفًا » على هذا النحو يدل متابعتها كُثُرَ الفَرَس ؛ قاله ابن مسعود . وقيل : جاريات ؛ قاله الحسن ؛ يعني في القلوب . وقيل : معروفات في العقول .

(فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا) الرياح بغير اختلاف ؛ قاله المهدوى . وعن ابن مسعود : هي الرياح العواصف تأى بالعصف وهو ورق الزرع وحطامه ؛ كما قال تعالى : « فَيُرِسلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا » . وقيل : العاصفات الملائكة الموكلون بالرياح يعصفون بها . وقيل : الملائكة تعصف بروح الكافر ؛ يقال : عصف بالشىء أى أباده وأهلكه ، وناقة عصوف أى تعصف براكيها فتمضي كأنها ريح في السرعة ، وعصفت الحرب بالقوم أى ذهبت بهم . وقيل : يتحمل أنها الآيات المهلكة كالزلزال والخسوف . (وَالنَّاشرَاتِ نَشَرًا) الملائكة الموكلون بالسحب ينشرونها . وقال ابن مسعود وبمحاجد : هي الرياح يرسلها الله تعالى نشرا بين يدي رحمته ؛ أى تنشر السحاب للغيث . وروى ذلك عن أبي صالح . وعنده أيضا : الأمطار ؛ لأنها تنشر النبات فالنشر بمعنى الإحياء ؛ يقال : نشر الله الميت وأنشأه أى أحياه . وروى عنه السدى : أنها الملائكة تنشر كتب الله عن وجى . وروى الضحاك عن ابن عباس قال : يريد ما ينشر من الكتب وأعمال بني آدم . الضحاك : إنها الصحف تنشر على الله بأعمال العباد . وقال الريبع : إنهبعث للقيمة تنشر فيه الأرواح . قال : « والنَّاشرَاتِ » بالواو ؛ لأنها آستثناف قسم آخر . (فَالْفَارِقَاتِ فَرَقًا) الملائكة تنزل بالفرق بين الحق والباطل ؛ قاله ابن عباس وبمحاجد والضحاك وأبو صالح . وروى الضحاك عن ابن عباس قال : ما تفرق الملائكة من الأقوات والأرزاق والآجال . وروى ابن أبي نجيح عن مجاهد قال : الفارقات الرياح تفرق بين السحاب وتبتده . وعن سعيد عن قنادة قال : « الفارقات فرقا » الفرقان فرق الله فيه بين الحق والباطل والحرام والحلال . وقاله الحسن وأبن كيسان . وقيل : يعني الرسل فرقوا بين ما أمر الله به ونهى عنه أى بينوا ذلك . وقيل : السحابات الماطرة تشبيها بالناقة الفارق وهي الحامل التي تخرج وتنتـ في الأرض حين تضع ، ونوق

(١) كما في الأصول ؛ ولعل المناسب الاستئناد بقوله تعالى : « جاءتها ريح عاصف » كما أشار إليه أبو حيان بقوله : وأن العصف من صفات الريح ... الخ .

فَوَارِقُ وُرْقٌ . [وَرِبَا] شَهُوا السَّحَابَةُ الَّتِي تَنْفَرَدُ مِنْ السَّحَابَ بِهَذِهِ النَّاقَةِ ؛ قَالَ ذُو الرَّمَةَ :

أَوْ مُنْزَهٌ فَارِقٌ يَجْلُو غَوَارِبَهَا * تَبُوحُ الْبَرْقُ وَالظَّلَمَاءُ عَلَجُومٌ^(١)

﴿فَالْمُلْقَيَاتِ ذِكْرًا﴾ الملائكة بإجماع ، أى تلقى كتب الله عن وجى إلى الأنبياء عليهم السلام ، قاله المهدوى . وقيل : هو جبريل وسيى باسم الجمع ، لأنه كان ينزل بها . وقيل : المراد الرسل يلقون إلى أنهم ما أتزل الله عليهم ، قاله قطرب . وقرأ ابن عباس « فالمقييات » بالتشديد مع فتح القاف ، وهو قوله تعالى : « وَإِنَّكَ لَتُلَقِّي الْقُرْآنَ » . (عُذْرًا أو نذرًا) أى تلقى الوحي إعذارا من الله أو إنذارا إلى خلقه من عذابه ، قاله الفراء . وروى عن أبي صالح قال : يعني الرسل يعذرون وينذرون . وروى سعيد عن قتادة « عُذْرًا » قال : عذرًا لله جل شأنه إلى خلقه ، وندرا للؤمنين ينتفعون به ويأخذون به . وروى الضحاك عن ابن عباس . « عُذْرًا » أى ما يلقيه الله جل شأنه من معاذير أولياته وهي التوبة « أو نذرًا » ينذر أعداءه . وقرأ أبو عمرو وحمزة والكسائى وحفص « أَوْ نذرًا » بإسكان الذال وبجميع السبعة على إسكان ذال « عُذْرًا » سوى ما رواه الجعفى والأعشى عن أبي بكر عن عاصم أنه ضم الذال . وروى ذلك عن ابن عباس والحسن وغيرهما . وقرأ إبراهيم الثئمى وقتادة « عُذْرًا وندراً » بالواو العاطفة ولم يجعلها ألفا . وهما منصو بان على الفاعل له أى للإعذار أو للإنذار . وقيل : على المفعول به . وقيل : على البدل من « ذِكْرًا » أى فالمقييات عذرا أو نذرا . وقال أبو علي : يجوز أن يكون العذر والنذر بالتشقق على جمع عذر ونذر ، كقوله تعالى : « هَذَا نَذِيرٌ مِّنَ النَّذِيرِ الْأَوَّلِ » فيكون نصبا على الحال من الإلقاء ، أى يلقون الذكر في حال العذر والإنذار . أو يكون مفعولا . « ذِكْرًا » أى « فالمقييات » أى ثَدَّرَ « عُذْرًا أو نذرًا » . وقال المبرد : هما بالتشقق جمع الواحد عذر ونذير . (إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعً) هذا جواب ما تقدم من القسم ، أى ما توعدون من أمر القيمة لواقع بكم ونازل عليكم .

(١) الزيادة من اللسان عن ابوهرى مادة « فرق » .

(٢) تبوح البرق : تفتحه وتكشفه . علجم شديد السواد .

ثم بين وقت وقوعه فقال : « إِذَا النُّجُومُ كَلِمْسَتْ » أى ذهب ضوءها ومحى نورها كطممس الكتاب ؛ يقال : طمس الشىء إذا درس وطممس فهو مطموس ، والريح تطمس الآثار فتكون الريح طامسة والأثر طامسا بمعنى مطموس . « وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ » أى فتحت وشققت ؛ ومنه قوله تعالى : « وَفُتَحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا » . وروى الضحاك عن ابن عباس قال : فرجت للطى . « وَإِذَا الْجَبَلُ تُسْفَتْ » أى ذهب بها كلها بسرعة ؛ يقال : تسفت الشىء وأنسفته إذا أخذته كله بسرعة . وكان ابن عباس والكابي يقول : سوت بالأرض ، والعرب يقول : فرس نسوف إذا كان يؤخر الحزام بمرفقيه ؛ قال يشر :

* نسوف للحزام بمرفقيها *

(١) وَنَسَفَتِ النَّاقَةُ الْكَلَّا [إذا قلعته من أصله] . وقال المبرد : نسفت قلعت من موضعها ؛ يقول الرجل للرجل يقتلع رجله من الأرض : أنسفت رجله . وقيل : النسف تفرق الأجزاء حتى تذروها الرياح . ومنه نسف الطعام ؛ لأنَّه يُحرَك حتى يذهب الريح بعض ما فيه من التبن . « وَإِذَا الرُّسُلُ أَفْقَتْ » أى جمعت لوقتها ل يوم القيمة ، والوقت الأجل الذي يكون عنده الشىء المؤخر إليه ؛ فالمعنى : جعل لها وقت وأجل للفصل والقضاء بينهم وبين الأمم ؛ كما قال تعالى : « يَوْمَ يَجْمِعُ اللَّهُ الرُّسُلَ » . وقيل : هذا في الدنيا أى جمعت الرسل لملاقاتها الذى ضرب لها في إزال العذاب بنـ كذبـهم بأنـ الكـفار مـهـلـون . وإنما تزول الشكوك يوم القيمة . والأول أحسن ؛ لأن التوقيت معناه شىء يقع يوم القيمة ، كالطممس ونسف الجبال وتشقيق السماء ولا يليق به التأقيت قبل يوم القيمة . قال أبو علي : أى جعل يوم الدين الفصل لها وقتا . وقيل : أفت وعـدت وأجلـت . وقيل : « أفت » أى أرسلت لأوقات معلومة على ما علمـه الله وأرادـ . والهمزة في « أفت » بدلـ من الواو ؛ قالـ الفراء والزجاج . قالـ الفراء : وكلـ واو صـفتـ وكانتـ ضـتها لـازـمةـ جـازـ أنـ يـدلـ منها هـمـزةـ ؛ تقولـ : صـلىـ الـقوـمـ إـحـدـاـنـاـ تـرـيدـ وـحـدـاـنـاـ ، وـيـقـولـونـ هـذـهـ وـجـوـهـ حـسـانـ وـ[ـأـجـوـهـ]ـ . وهذا

(١) الزيادة من كتب اللغة ؛ وفي الأصول : إذا رعنـه . (٢) زيادة يتضـيـها المـقامـ .

لأن ضمة الواو تقيلة . ولم يجز البديل في قوله : «**وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بِنِسْكٍ**» لأن الضمة غير لازمة . وقرأ أبو عمرو وحميد والحسن ونصر عن عاصم وبماهـد **وَقَتْ** بالواو وتشديد القاف على الأصل . وقال أبو عمرو : وإنما يقرأ **أَقْتَ** من قال في وجوه أجـوه . وقرأ أبو جعفر وشيبة والأعرج **وَقَتْ** بالواو وتحقيق القاف . وهو فعلت من الوقت ومنه **كَابَا مَوْقُوتًا** . وعن الحسن أيضاً : **وُوقَتْ** بواوين وهو فـوعـلت من الوقت أيضاً مثل **وَهِدَتْ** . ولو قلبت الواو في هاتين القراءتين ألفاً بـجاز . وقرأ يحيى وأيوب وخالد بن إلياس وسلم **أَقْتَ** بالهمزة والتحقيق؛ لأنها مكتوبة في المصحف بالألف . **(لَأَيْ يَوْمَ أَجَّلْتْ)** أي أخرت وهذا تعظيم لذلك اليوم فهو آستفهام على التعظيم . أي **(لَيَوْمَ الْفَصْلِ)** أـجلـت . وروى سعيد عن قتادة قال : يفصل فيه بين الناس بأعمالهم إلى الجنة أو إلى النار . وفي الحديث : **إِذَا حُسِرَ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ قَامُوا أَرْبَعِينَ عَامًا عَلَى رُءُوسِهِمُ** الشمس شاخصةً أـبصرـاـهم إلى السماء يـنتـظـرونـ الفـصـلـ . **(وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الْفَصْلِ)** أـتبعـ العـظـيمـ تعـظـيـماـ؛ أي وما أعلمك ما يوم الفـصـلـ . **(وَيَلُوْمَيْنَدِ الْمُكَذِّبِينَ)** أي عـذـابـ وـخـزـىـ لـمـنـ كـذـبـ بالـلـهـ وـبـرـسـلـهـ وـكـتبـهـ وـبـيـومـ الفـصـلـ فـهـوـ وـعـيـدـ . وـكـرـرـهـ فـهـيـ هذهـ السـورـةـ عـنـدـ كـلـ آـيـةـ مـنـ كـذـبـ؛ لأنـهـ قـسـمهـ بـيـنـهـ عـلـىـ قـدـرـ تـكـذـيـبـهـ ، فـإـنـ لـكـلـ مـكـذـبـ بـشـئـ عـذـابـ سـوـىـ تـكـذـيـبـهـ بـشـئـ آـخـرـ، وـرـبـ شـئـ كـذـبـ بـهـ هوـ أـعـظـمـ جـرمـاـ منـ تـكـذـيـبـهـ بـغـيرـهـ؛ لأنـهـ أـقـبـحـ فـتـكـذـيـبـهـ، وـأـعـظـمـ فـالـرـدـ عـلـىـ اللـهـ، فـإـنـماـ يـقـسـمـ لـهـ مـنـ الـوـيلـ عـلـىـ قـدـرـ ذـلـكـ ، وـعـلـىـ قـدـرـ وـفـاقـهـ وـهـوـ قـوـلـهـ : **بَرَزَاءَ وَفَاقَا** . وـرـوـىـ عنـ النـعـانـ بنـ بشـيرـ قالـ : **وَيَلُوْمَيْنَدِ** فيـ جـهـنـمـ فـيـ أـلـوـانـ العـذـابـ . وـقـالـهـ آـبـنـ عـبـاسـ وـغـيرـهـ . قـالـ آـبـنـ عـبـاسـ : **إِذَا خَبَتْ جَهَنَّمُ أَخَذَ مِنْ جَهَنَّمَ فَأَلْقَى عَلَيْهَا فـيـ أـكـلـ بـعـضـهـ بـعـضـاـ . وـرـوـىـ أـيـضاـ عـنـ النـبـيـ صـلـيـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ أـنـهـ قـالـ : **عَرَضَتْ عـلـىـ جـهـنـمـ فـلـمـ أـرـفـيـهـ وـادـيـاـ أـعـظـمـ مـنـ الـوـيلـ** وـرـوـىـ أـنـهـ جـمـعـ ما يـسـيلـ مـنـ قـيـحـ أـهـلـ النـارـ وـصـدـيـدـهـ، إـنـماـ يـسـيلـ الشـئـ فـيـ سـفـلـ مـنـ الـأـرـضـ وـآنـفـطـرـ، وـقـدـ عـلـمـ الـعـبـادـ فـيـ الدـنـيـاـ أـنـ شـرـ المـاـضـعـ فـيـ الدـنـيـاـ ماـ أـسـتـنقـعـ فـيـهـ مـيـاهـ الـأـدـنـاسـ وـالـأـقـذـارـ وـالـغـسـالـاتـ مـنـ الـجـيـفـ وـمـاءـ الـحـمـامـاتـ ، فـذـكـرـ أـنـ ذـلـكـ**

الوادى مستنقع صديد أهل الكفر والشرك ، لعلم ذوو العقول أنه لا شئ أقدر منه قذارة ، ولا أشدة منه مراة ، ولا أشد سوادا منه ، ثم وصفه رسول الله صلى الله عليه وسلم بما نضمن من العذاب ، وأنه أعظم واد في جهنم ، فذكره الله تعالى في وعيده في هذه السورة .

قوله تعالى : **أَلَمْ نُهَلِّكِ الْأَوَّلِينَ ۝ ثُمَّ نُتَبِّعُهُمُ الْآخِرِينَ ۝ كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ ۝ وَيَلْ يَوْمَدِ الْمُكَذِّبِينَ ۝**

قوله تعالى : **(أَلَمْ نُهَلِّكِ الْأَوَّلِينَ)** أخبر عن إهلاك الكفار من الأمم الماضين من لدن آدم إلى محمد صلى الله عليه وسلم . **(ثُمَّ نُتَبِّعُهُمُ الْآخِرِينَ)** أى نلحق الآخرين بالأولين . **(كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ)** أى مثل ما فعلناه بهن تقدم نفعل بمشركي قريش إما بالسيف وإما بالهلاك . وقرأ العامة **«ثُمَّ نُتَبِّعُهُم»** بالرفع على الاستئناف وقرأ الأعرج **«نُتَبِّعُهُم»** بالحزم عطفا على **«نُهَلِّكِ الْأَوَّلِينَ»** كما تقول : ألم تزرنى ثم أكرمك . والمراد أنه أهلك قوما بعد قوم على اختلاف أوقات المرسلين . ثم آسأناه بقوله : **«كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ»** يزيد من يهلك فيما بعد . ويجوز أن يكون الإسكان تخفيفا من **«نُتَبِّعُهُم»** لتوازي الحركات . وروى عنه الإسكنان للتخفيف . وفي قراءة ابن مسعود **«ثُمَّ سُتَبِّعُهُم»** والكاف من **«كَذَلِكَ»** في موضع نصب أى مثل ذلك الهلاك نفعله بكل مشرك . ثم قيل : معناه التهويل هلاكم في الدنيا اعتبارا . وقيل : هو إخبار بعذابهم في الآخرة .

قوله تعالى : **أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ ۝ فَجَعَلْنَا فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ۝ إِلَى قَدْرِ مَعْلُومٍ ۝ فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ ۝ وَيَلْ يَوْمَدِ الْمُكَذِّبِينَ ۝**

قوله تعالى : **(أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ)** أى ضعيف حقير وهو النطفة وقد تقدم . وهذه الآية أصل لمن قال إن خلق الجنين إنما هو من ماء الرجل وحده . وقد مضى القول (١) فيه .

(١) راجع ج ١٢ ص ٧ فما بعدها .

(بَخَلَّنَا فِي قَرَارِ مَكَنٍ) أى في مكان حرير وهو الرحم . (إِلَى قَدَرِ مَعْلُومٍ) قال مجاهد : إلى أن نصوّره . وقيل : إلى وقت الولادة . (فَقَدَرْنَا) وقرأ نافع والكسائي « فَقَدَرْنَا » بالتشديد . وخفف الباقيون وما لغتان بمعنى . قاله الكسائي والفراء والقطبي . قال القمي : قدرنا بمعنى قدرنا مشتدة : كما تقول : قدرت كذا وقدرت به ، ومنه قول النبي صلي الله عليه وسلم في الملال : « إِذَا غُمَّ عَلَيْكُمْ فَأَقْدَرُوا لَهُ » أى قدروا له المسير والمنازل . وقال محمد بن الجهم عن الفراء : « فَقَدَرْنَا » قال : وذكر تشديدها عن على رضى الله عنه وتحفيتها ، قال : ولا يبعد أن يكون المعنى في التشديد والتحفيظ واحدا ، لأن العرب تقول : قدر عليه الموت وقدر : قال الله تعالى : « نَحْنُ قَدَرْنَا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ » قرئ بالتحفيظ والتشديد ، وقدر عليه رزقه وقدر قال : وأفتح الذين خففوا فقالوا ، لو كانت كذلك لكان فنهم المقدرون . قال الفراء : وتجمع العرب بين اللغتين ، قال الله تعالى : « فَنَهَلَ الْكَافِرُونَ أَمْهَلُهُمْ رُوَيْدًا » قال الأعشى : وأنكرتني وما كان الذي نَكَرْتُ * من الحوادث إلا الشَّيْبَ والصلَّاعَةَ

وروى عن عكرمة « فَقَدَرْنَا » مخففة من القدرة وهو اختيار أبي عبيد وأبي حاتم والكسائي لقوله : (فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ) ومن شدد فهو من التقدير أى قدرنا الشق والسعيد فنهم المقدرون . رواه ابن مسعود عن النبي صلي الله عليه وسلم . وقيل : المعنى قدرنا قصيرا أو طويلا . ونحوه عن ابن عباس : قدرنا ملائكة . المهدوى : وهذا التفسيرأشبه بقراءة التحفيظ .

قلت : هو صحيح فإن عكرمة هو الذي قرأ « فَقَدَرْنَا » مخففا قال : معناه فلنـكـارـانـ فـنـعـمـ الـمـالـكـوـنـ ، فأفادت الكلمتان معينين متغيرين ، أى قدرنا وقت الولادة وأحوال النطفة في التنفس من حالة إلى حالة حتى صارت بشراسـوـياـ ، أو الشـقـ والـسـعـيدـ ، أو الطـوـيلـ والـقـصـيرـ ، كـلهـ على قراءة التشديد . وقيل : هـماـ بـعـنـيـ كـاذـكـرـناـ .

قوله تعالى : أَلَمْ تَجْعَلِ الْأَرْضَ كَفَاتَاً (٢٥) أَحْيَاهُ وَأَمْوَاتًا (٢٦)
وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَسَى شَمِيمَخَلْتَ وَأَسْقَيْنَاكُمْ مَاءً فُرَاتَاً (٢٧) وَيَلْ (٢٨)
يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ

فيه مسئلتان :

الأولى — قوله تعالى : (أَلَمْ يَجْعَلِ الْأَرْضَ كَفَافًا) أى ضامة تضم الأحياء على ظهورها والأموات في بطنها . وهذا يدل على وجوب موارة الميت ودفنه ، ودفن شعره وسائر ما بذله (١) عنه . وهو قوله عليه السلام : " قُصُّوا أظافرَكُمْ وَأَدْفُنُوا قُلَامَاتِكُمْ " وقد مضى في « البقرة » بيانه . يقال : كَفَتُ الشَّيْءُ أَكْفَيْتَهُ إِذَا جَعَنْتَهُ وَضَمَّنْتَهُ ، وَالْكَفْتُ الضْمُونُ وَالْجَمْعُ ؛ وأنشد سيبويه :

كِرَامٌ حِينَ تَكَفَّتُ الْأَفَاعِيُّ * إِلَى أَبْحَارِهِنَّ مِنَ الصَّبِيعِ
وَقَالَ أَبُو عَبِيدَ : « كَفَافًا » أَوْعِيَةٌ وَيَقَالُ لِلنَّحْيِ كَفْتٌ وَكَفِيتُ لَأَنَّهُ يَحْوِي الْلَّبَنَ وَيَضْمِنْهُ
قَالَ :

فَأَنْتَ الْيَوْمَ فَوْقَ الْأَرْضِ حَيًّا * وَأَنْتَ غَدَّا تَضْمُمُكَ فِي كَفَاتٍ
وَخَرَجَ الشَّعْبُجِيُّ فِي جَنَازَةٍ فَنَظَرَ إِلَى الْجَبَانَ فَقَالَ : هَذِهِ كَفَاتُ الْأَمْوَاتِ ثُمَّ نَظَرَ إِلَى الْبَيْوَتِ
فَقَالَ : هَذِهِ كَفَاتُ الْأَحْيَاءِ .

و[الثانية] — روى عن ربعة في النباش قال تقطع يده فقيل له : لم قلت ذلك ؟ قال : إن الله عن جل يقول : « أَلَمْ يَجْعَلِ الْأَرْضَ كَفَافًا أَحْيَاءً وَأَمْوَاتًا » فالأرض حرز ، وقد (٢) مضى هذا في سورة « المائدة » وكانوا يسمون بقبر الغرقد كفنة ، لأنَّه مقبرة تضم الموتى ، فالأرض تضم الأحياء إلى منازلهم والأموات في قبورهم . وأيضاً استقرار الناس على وجه الأرض ، ثم أضطجاعهم عليها ، أنضمم منهم إليها . وقيل : هي كفات للآحياء يعني دفن ما يخرج من الإنسان من الفضلات في الأرض ، إذا لاضم في كون الناس عليها ، والضم يشير إلى الاحتفاف من جميع الوجوه . وقال الأخفش وأبو عبيدة ومجاهد في أحد قوله : الأحياء والأموات يرجع إلى الأرض أى الأرض منقسمة إلى حي وهو الذي ينبد ، وإلى ميت

(١) راجع ج ٢ ص ١٠٢ فما بعدها . (٢) لم يذكر في الأصول لفظ المسنة الثانية والمتأخر أن هنا موضعها

كما يستفاد من أحكام القرآن لأنَّه العربي . (٣) راجع ج ٦ ص ١٦٨ فما بعده .

وهو الذي لا ينبع . وقال الفراء : أنتصب «أَحْياءً وَمَوْاتًا» بوقوع الكفاف عليه ؛ أى لم يجعل الأرض كفات أحياء وأموات . فإذا نوشت نصبت ؛ كقوله تعالى : «أَوْ إِطْعَامُ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ . يَتِيمًا» . وقيل : نصب على الحال من الأرض أى منها كذا ومنها كذا . وقال الأخفش : «كِفَاتًا» جمع كافة والأرض يراد بها الجموع فنعت بالجمع . وقال الخليل : النكفيت تقليل الشيء ظهرها بطن أو بطنها لظهوره . ويقال : أنكفت القوم إلى منازلهم أى أنقلبوا . فمعنى الكفاف أنهم يتصرفون على ظهرها وينقلبون إليها ويدفونون فيها . ((وَجَعَلْنَا فِيهَا)) أى في الأرض ((رَوَاسِي شَامِخَاتٍ)) يعني الجبال ، والرواسى الثواب ، والشامخات الطوال ، ومنه يقال : شيخ بأنفه إذا رفعه كبرا . قال : ((وَاسْقَيْنَاكُمْ مَاءً فُرَاتًا)) أى وجعلنا لكم سقيا والفرات الماء العذب يشرب ويسبق منه الزرع . أى خلقنا الجبال وأنزلنا الماء الفرات . وهذه الأمور أتعجب من البعث . وفي بعض الحديث قال أبو هريرة : في الأرض من الجنة الفرات والتجلة ونهر الأردن . وفي صحيح مسلم : سيحان وجيحان والنيل والفرات كل من أنهار الجنة .

قوله تعالى : آنطَلِقُوا إِلَى مَا كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ (٢٣) آنطَلِقُوا إِلَى ظِلِّ ذِي ثَلَاثِ شَعَبٍ (٢٤) لَا ظَلِيلٌ وَلَا يُغْنِي مِنَ اللَّهِ بِإِنَّهَا تَرْمِي بِشَرِّ كَالْقَصْرِ (٢٥) كَانَهُ حَمَلَتْ صُفْرٌ (٢٦) وَيَلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (٢٧)

قوله تعالى : ((آنطَلِقُوا إِلَى مَا كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ)) أى يقال للكافر سيروا «إلى ما كنتم به تكذبون» من العذاب يعني النار فقد شاهدتموها عيانا . ((آنطَلِقُوا إِلَى ظِلٍّ)) أى دخان ((ذِي ثَلَاثِ شَعَبٍ)) يعني الدخان الذي يرتفع ثم يتشعب إلى ثلات شعب . وكذلك شأن الدخان العظيم إذا أرتفع تشعب . ثم وصف الظل فقال : ((لَا ظَلِيلٌ)) أى ليس كالظل الذي يق حر الشمس ((وَلَا يُغْنِي مِنَ اللَّهِ بِإِنَّهَا تَرْمِي بِشَرِّ كَالْقَصْرِ)) أى لا يدفع من هب جهنم شيئا . واللهب

ما يعلو على النار إذا أضطرمت من أحمر وأصفر وأخضر . وقيل : إن الشعب الثلاث هي الضريح والرُّقُوم والغُسْلَين ، قاله الضحاك . وقيل : اللهب ثم الشر ثم الدخان ، لأنها ثلاثة أحوال هي غاية أوصاف النار إذا أضطرمت وآشتدت . وقيل : عنق يخرج من النار فيتشعب ثلاث شعب . فاما التور فيقف على رءوس المؤمنين ، وأما الدخان فيقف على رءوس المنافقين ، وأما اللهب الصاف فيقف على رءوس الكافرين . وقيل : هو السُّرَادق وهو لسان من نار يحيط بهم ثم يتشعب منه ثلاث شعب فتظللهم حتى يفرغ من حسابهم إلى النار . وقيل : هو الظل من يحوم ، كما قال تعالى : «*فِي سَمَوَمْ وَحِيمْ . وَظَلٌّ مِنْ يَحْمُومٍ . لَا بَارِدٌ وَلَا كَرِيمٌ*» على ما تقدم .

وفي الحديث : «إن الشمس تدنو من رءوس الخلائق وليس عليهم يومئذ لباس ولا لهم أكفان فتلحقهم الشمس وتأخذ بأنفاسهم ومد ذلك اليوم ثم ينجي الله برحمته من شاء إلى ظل من ظله فهناك يقولون «*فَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ*» » ويقال للكذيبين «*أَنْطَلِقُوا إِلَى مَا كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ*» من عذاب الله وعقابه «*أَنْطَلِقُوا إِلَى ظِلٍّ ذِي ثَلَاثَ شُعَبٍ*» فيكون أولياء الله جل ثناؤه في ظل عرشه أو حيث شاء من الظل إلى أن يفرغ من الحساب ثم يؤمر بكل فريق إلى مستقرته من الجنة والنار . ثم وصف النار فقال : ((إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرِّ كَالْقَصْرِ)) الشَّرُّ واحدته شَرَّة . والشَّرَّار واحدته شَرَّارة وهو ما تطاير من النار في كل جهة ، وأصله من شَرَّتُ الثوب إذا بسطته للشمس ليجف . والقصر البناء العالى . وقراءة العامة «*كَالْقَصْرِ*» بإسكان الصاد أى الحصون والمداين في العظم وهو واحد القصور . قاله ابن عباس وابن مسعود . وهو في معنى الجمع على طريق الجنس . وقيل : القصر جمع قصرة ساكنة الصاد مثل جمرة وبَحْرَة وثَمَرَة وثَمَرَ . والقصرة الواحدة من جزء الخطب الغليظ .

وفي البخارى عن ابن عباس أيضا : «*تَرْمِي بِشَرِّ كَالْقَصْرِ*» قال كما نرفع الخشب بقصر ثلاثة أذرع أو أقل فنرفعه للشقاء فنسميه القصر . وقال سعيد بن جبير والضحاك : هي

(١) راجع ج ١٧ ص ٢١٣ (٢) كما في الأصول ولعل النفط تلفظ لهم .

(٣) بحسب ثلاثة ويجوز إضافة بقصر إليها أي بقدر ثلاثة أذرع .

أصول الشجر والنخل العظام إذا وقع وقطع . وقيل : أعنقه . وقرأ ابن عباس ومجاهد وحميد والسلمي « كالقصر » بفتح الصاد أراد أعنق النخل . والقصرة العنق جمعها قصر وقصرات . وقال قتادة : أعناق الإبل . وقرأ سعيد بن جبير بكسر القاف وفتح الصاد ، وهي أيضا جمع قصرة مثل بدلة وبدر وقصبة وقصع وحلقة وحلق لخلق الحديد . وقال أبو حاتم : ولعله لغة كما قالوا حاجة وحوج . وقيل : القصر الجبل فشبه الشر بالقصر في مقداريه ، ثم شبهه في لونه بالجلالات الصفر وهي الإبل السود ، والعرب تسمى السود من الإبل صُفرا ؟ قال الشاعر :

ِتَلْكَ خَيْلٍ مِنْهُ وَتَلْكَ رِكَابٍ * هُنَّ صُفْرٌ أَوْلَادُهَا كَالْزِيَبِ
أَيْ هُنْ سُودٌ . وَإِنَّا سَمِيتَ السُّودَ مِنَ الْإِبْلِ صُفْرًا لِأَنَّهُ يُشَوَّبُ سُوَادَهَا شَيْءًا مِنْ
صُفْرَةٍ ؛ كَمَا قيلَ لِيُضِنَ الظَّبَاءَ : الْأَدْمُ ؛ لِأَنَّ بِيَاضِهَا تَعْلُوَ كُدْرَةٌ : وَالشَّرَّ إِذَا تَطَافَرَ وَسَقَطَ
وَفِيهِ بَقِيَّةٌ مِنْ لَوْنِ النَّارِ أَشَبَّهَ الْإِبْلَ السُّودَ لِمَا يُشَوَّبُهَا مِنْ صُفْرَةٍ . وَفِي شِعْرِ عُمَرَانَ بْنَ حَطَّانَ
الْمَارْجِيِّ :

دَعْتُمْ يَأْعَلِي صَوْتِهَا وَرَمَتُمْ * يَمْثِلُ الْحَمَالِ الصُّفْرِ نَزَاعَةُ الشَّوَى

وضعف الترمذى هذا القول فقال : وهذا القول محال في اللغة أن يكون شئ يشوبه شيء قليل فنسب كله إلى ذلك الشائب ، فالعجب لم يقدر على هذا ، وقد قال الله تعالى : « حِمَالَاتٌ صُفْرٌ » فلا نعلم شيئاً من هذا في اللغة ، ووجهه عندنا أن النار خلقت من النور فهي نار مضيئة ، فلما خلق الله جهنم وهي موضع النار حشا ذلك الموضع بتلك النار وبعث إليها سلطانه وغضبه ، فأسودت من سلطانه وأزدادت حدة ، وصارت أشد سواداً من النار ومن كل شيء سواداً ، فإذا كان يوم القيمة وجهاً بجهنم في الموقف رمت بشررها على أهل الموقف غضباً لغضب الله ، والشر هو أسود لأنَّه من نار سوداء ، فإذا رمت النار بشررها فإنها ترمي الأعداء به فهن سود من سواد النار ، لا يصل ذلك إلى الموحدين ؛ لأنَّهم

(١) هو الأعشى . (٢) في نسخة : اليزيدي .

في سرادق الرحمة قد أحاط بهم في الموقف، وهو الغام الذي يأتي فيه الرب تبارك وتعالى ولكن يعاينون ذلك الرمي، فإذا عاينوه نزع الله ذلك السلطان والغضب عنه في رأى العين منهم حتى يروها صفراء؛ لعلم الموحدون أنهم في رحمة الله لا في سلطانه وغضبه . وكان ابن عباس يقول : **الِّحَمَالَاتُ الصُّفْرِ حِبَالُ السُّفُنِ** يجمع بعضها إلى بعض حتى تكون كأواساط الرجال . ذكره البخاري . وكان يقرؤها **«جَمَالَاتٌ»** بضم الجيم ، وكذلك قرأ مجاهد وحميد **«جَمَالَاتٌ»** بضم الجيم وهي الحال الغلاظ وهي **قُلُوسُ السَّفِينةِ أَيْ حِبَالُهَا** . وواحد القلوس قلس . وعن ابن عباس أيضاً على أنها قطع النحاس . والمعروف في الحبل الغليظ **جُمُلٌ** بشذوذ الميم كأنقدم في **«الأُصْرَافِ»** . **«وَجَمَالَاتٌ»** بضم الجيم جمع **جَمَالَة** بكسر الجيم موحداً كأنه جمع **جَمَلٌ** نحو **حَجَرٌ وَجَارَةٌ** و**ذَكَرٌ وَذَكَرَةٌ** . وقرأ يعقوب وأبن أبي إسحق وعيسي والمحدري **«جَمَالَةٌ»** بضم الجيم موحداً وهي الشيء العظيم المجموع بعضه إلى بعض . وقرأ حفص ومحنة والكسائي **«جَمَالَةٌ»** وبقية السبعة **«جَمَالَاتٌ»** قال الفراء : يجوز أن تكون الحالات جمع **حِمَالٌ** كما يقال **رجل ورجال** و**رجالات** . وقيل : شبهها بالحالات لسرعة سيرها . وقيل : لمتابعة بعضها ببعضها . والقصر واحد القصور . وقصر الظلام آخر لطنه . ويقال : أتيته قصراً أى **عَشِيًّا** فهو مشترك ؛ قال :

كَانُهُمْ قَصْرًا مَصَابِيحُ رَاهِيبٍ * بِمَوْزَنَ رَقَى بِالسَّلِيلِ ذُبَالَهَا

مسئلة — في هذه الآية دليل على جواز آذخار الخطب والفحش وإن لم يكن من القوت ، فإنه من مصالح المرء ومغانِي مفاصِرِه . وذلك مما يقتضي النظر أن يكتسبه في غير وقت حاجته؛ ليكون أرخص وحالة وجوده أمكن ، كما كان النبي صلى الله عليه وسلم يتدبر القوت في وقت عموم وجوده من كسبه وماله ، وكل شيء محمول عليه . وقد بين ابن عباس هذا بقوله : كما نعمد إلى الخشبة فنقطعها ثلاثة أذرع وفوق ذلك ودونه وندخره للشتاء وكما نسميه القصر . وهذا أصح ما قيل في ذلك والله أعلم .

(١) راجع ج ٧ ص ٢٠٧

(٢) قائله كثير عزوة . وموزن كمعد بلد بالجزيرة .

قوله تعالى : هَذَا يَوْمٌ لَا يَنْطِقُونَ (٢٣) وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ (٢٤)
وَيَوْمٌ يَوْمٌ يَوْمٌ لِّلْمُكَذِّبِينَ (٢٥)

قوله تعالى : «هَذَا يَوْمٌ لَا يَنْطِقُونَ» أى لا يتكلمون «وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ» أى إن يوم القيمة له مواطن ومواقيت ، فهذا من المواقف التي لا يتكلمون فيها ولا يؤذن لهم في الاعتذار والتنصل . وعن عكرمة عن أبي عباس قال : سأله أبو الأزرق عن قوله تعالى : «هَذَا يَوْمٌ لَا يَنْطِقُونَ» و «لَا تَسْمَعُ إِلَّا هُمْ» وقد قال تعالى : «وَاقْبِلْ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ» فقال له : إن الله عن جل يقول : «وَإِنَّ يَوْمًا عَنْدَ رَبِّكَ كَافِ سَيِّئَةً مِّمَّا تَعْدُونَ» فإن لكل مقدار من هذه الأيام لونا من هذه الألوان . وقيل : لا ينتظرون بمحنة نافعة ومن نطق بما لا ينفع ولا يفيد فكانه ما نطق . قال الحسن : لا ينتظرون بمحنة وإن كانوا ينتظرون . وقيل : إن هذا وقت جوابهم «آخْسَرُوا فِيهَا وَلَا تَكَلَّمُونَ» وقد تقدم . وقال أبو عثمان : أسكنتهم رؤية الهيبة وحياء الذنب . وقال الجينيد : أى عذر لمن أعرض عن منعهم وبمحنة وكفر أياديه ونعمه . و «يوم» بالرفع قراءة العامة على الابتداء والخبر؛ أى تقول الملائكة «هَذَا يَوْمٌ لَا يَنْطِقُونَ» . ويحوز أن يكون قوله «آنظروا» من قول الملائكة ، ثم يقول الله لأوليائه : هذا يوم لا ينتظرون الكفار . ومعنى اليوم الساعة والوقت . وروى يحيى بن سليمان عن أبي بكر عن عاصم «هَذَا يَوْمٌ لَا يَنْطِقُونَ» بالنصب وروى عن ابن هرمن وغيره ، يجاز أن يكون مبنيا لإضافة إلى الفعل وموضعه رفع . وهذا مذهب الكوفيين . وجاز أن يكون في موضع نصب على أن تكون الإشارة إلى غير اليوم . وهذا مذهب البصريين ؛ لأنها بني عندهم إذا أضيف إلى مبني الفعل هاهنا معرب . وقال الفراء في قوله تعالى «وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ» الفاء نسق أى عطف على «يُؤْذَن» وأجيزة ذلك ؛ لأن أواخر الكلام بالنسون . ولو قال : فيعتذرو لم يوافق الآيات . وقد قال :

(١) راجع ج ١٢ ص ١٥٣

« لَا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا » بالنصب وكله صواب ؛ ومثله : « مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرَضُ اللَّهُ
قَرْضًا حَسَنًا فِي ضَعَافَةِ هُنَّا » بالنصب والرفع .

قوله تعالى : هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ جَمَعْنَاكُمْ وَآلَّأَوْلَيْنَ ۝ فَإِنْ كَانَ
لَكُمْ كَيْدٌ فَكَيْدُونِ ۝ وَإِلَّا يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ۝

قوله تعالى : (هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ) أى زِيَالْ طَمَّ هذا اليوم الذى يفصل فيه بين الخلاص ،
فيتبين الحق من المبطل . (جَمَعْنَاكُمْ وَآلَّأَوْلَيْنَ) قال آبن عباس جمع الذين كذبوا مهدا والذين
كذبوا النبيين من قبله . رواه عنه الضحاك . (فَإِنْ كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ) أى حيلة في الخلاص
من الملائكة (فَكَيْدُونِ) أى فآخْتَالُوا لِأَنفُسِكُمْ وَقَاتَلُونِ وَلَنْ تَجْسِدُوا ذَلِكَ . وَقِيلَ :
أى « فَإِنْ كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ » أى قَدْرَتُمْ عَلَى حَرْبِ « فَكَيْدُونِ » أى حاربوني . كذا روى
الضحاك عن آبن عباس . قال : يربى كنتم في الدنيا تحاربون مهدا صلى الله عليه وسلم
وتحاربونى فال يوم حاربوني . وَقِيلَ : أى إِنْكُمْ كنتم في الدنيا تعملون بالمعاصى وقد عجزتم
الآن عنها وعن الدفع عن أنفسكم . وَقِيلَ : إنه من قول النبي صلى الله عليه وسلم فيكون
كقول هود « فَكَيْدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُتَنَظِّرُونَ » .

قوله تعالى : إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ وَعَيْوَنٍ ۝ وَفَوَّاهَ مَا
يَشْتَهِونَ ۝ كُلُوا وَأَشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ۝ إِنَّا كَذَلِكَ
نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ۝ وَإِلَّا يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ۝

قوله تعالى : (إنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ وَعَيْوَنٍ) أخبر بما يصير إليه المتقوون غدا ،
والمراد بالظلال ظلال الأشجار وظلال القصور مكان الظل في الشعب الثالث . وفي سورة
يس « هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُسْكُنُونَ » . (وَفَوَّاهَ مَا يَشْتَهِونَ) أى
يُمْتَنُونَ . وقراءة العامة « ظَلَالٍ » . وقرأ الأعرج والزهري وطلحة « ظَلَلٍ » جمع ظلة يعني

فِي الْجَنَّةِ . (كُلُوا وَآتُرُبُوا) أَى يَقَالُ لَهُمْ غَدًا هَذَا بَدْلٌ مَا يَقَالُ لِلشَّرِكِينَ «فَإِنْ كَانَ لَكُمْ كِيدُ فِي كِيدُونَ» . فـ«كُلُوا وَآتُرُبُوا» فِي مَوْضِعِ الْحَالِ مِنْ ضَمِيرِ «الْمُتَقِينَ» فِي الظَّرْفِ الَّذِي هُو «فِي ظِلَالٍ» أَى هُمْ مُسْتَقْرُونَ «فِي ظِلَالٍ» مَقْوِلًا لَهُمْ ذَلِكَ . ((إِنَّ كَذَلِكَ تَجْزِي الْمُحْسِنِينَ)) أَى نَتِيبُ الَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي تَصْدِيقِهِمْ بِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَعْمَالِهِ فِي الدُّنْيَا .

قَوْلُهُ تَعَالَى : كُلُوا وَمَمْتَعُوا قَلِيلًا إِنَّكُمْ مُجْرِمُونَ ﴿٤٩﴾ وَيَوْمَ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٥٠﴾

قَوْلُهُ تَعَالَى : (كُلُوا وَمَمْتَعُوا قَلِيلًا) هَذَا مَرْدُودٌ إِلَى مَا تَقْدِيمُ الْمُتَقِينَ ، وَهُوَ وَعِيدٌ وَتَهْدِيدٌ وَهُوَ حَالٌ مِنْ «الْمُكَذِّبِينَ» أَى الْوَيْلُ ثَابِتٌ لَهُمْ فِي حَالٍ مَا يَقَالُ لَهُمْ : «كُلُوا وَمَمْتَعُوا قَلِيلًا» . ((إِنَّكُمْ مُجْرِمُونَ)) أَى كَافِرُونَ . وَقَيْلٌ : مَكْتَسِبُونَ فَعَلَا يَضْرِبُكُمْ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الشُّرُكَ وَالْمُعَاصِي .

قَوْلُهُ تَعَالَى : وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَرْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ ﴿٥١﴾ وَيَوْمَ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٥٢﴾ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٣﴾

قَوْلُهُ تَعَالَى : ((وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَرْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ)) أَى إِذَا قِيلَ لَهُؤُلَاءِ الْمُشَرِّكِينَ «أَرْكَعُوا» أَى صَلَوَا «لَا يَرْكَعُونَ» أَى لَا يَصْلُوُنَّ؛ قَالَهُ مُجَاهِدٌ . وَقَالَ مُقاَتِلٌ : نَزَّلَتْ فِي ثَقِيفٍ آمِنُوا مِنَ الصَّلَاةِ فَتَرَلَ ذَلِكَ فِيهِمْ . قَالَ مُقاَتِلٌ : قَالَ لَهُمُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «أَسْلِمُوا» وَأَمْرُهُمْ بِالصَّلَاةِ فَقَالُوا : لَا نَخْفَى فَإِنَّهَا مَسْبَبٌ عَلَيْنَا فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «لَا خَيْرٌ فِي دِينِ لِيْسَ فِيهِ رُكُوعٌ وَلَا سُجُودٌ» . يَذْكُرُ أَنَّ مَالَكَ رَحْمَهُ اللَّهُ دَخَلَ الْمَسْجِدَ بَعْدَ صَلَاةِ الْعَصْرِ وَهُوَ مِنْ لَا يَرِي الرُّكُوعَ بَعْدَ الْعَصْرِ بِفَلْسٍ وَلَمْ يَرْكِعْ ، فَقَالَ لَهُ صَبِّيٌّ : يَا شِيخَ قَمَ فَارْكِعْ . فَقَامَ فَرَكِعَ وَلَمْ يَحاجِهْ بِمَا يَرَاهُ مِذَهِبًا ، فَقَيْلٌ لَهُ فِي ذَلِكَ فَقَالَ : خَشِيتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الَّذِينَ «إِذَا قِيلَ لَهُمْ أَرْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ» . وَقَالَ أَبْنُ عَبَّاسٍ : إِنَّمَا يَقَالُ لَهُمْ هَذَا فِي الْآخِرَةِ حِينَ يَدْعُونَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ . قَتَادَةُ : هَذَا فِي الدُّنْيَا . أَبْنُ الْعَرَبِيُّ : هَذِهِ الْآيَةُ

حجة على وجوب الركوع وإنزاله ركاما في الصلاة وقد أنعقد الإجماع عليه، وظنّ قوم أن هذا إنما يكون في القيامة وليس بدار تكليف فيتوجّه فيها أمر يكون عليه ويل وعقاب، وإنما يدعون إلى السجود كشفا لحال الناس في الدنيا، فنـ كان يسجد له يمكن من السجود، ومن كان يسجد رباء لغيره صار ظهره طبقا واحدا. وقيل: أى إذا قيل لهم أخضعوا للحق لا يخضعون، فهو عام في الصلاة وغيرها وإنما ذكر الصلاة لأنها أصل الشرائع بعد التوحيد. وقيل: الأمر بالصلاحة أمر بالإيمان؛ لأنها لا تصح من غير إيمان.

قوله تعالى: «فَبِأَيِّ حِدَيثٍ بَعْدِهِ يُؤْمِنُونَ» أى إن لم يصدقوا بالقرآن الذي هو المعجز والدلالة على صدق الرسول عليه السلام فبأى شيء يصدقون. وكرر «وَيَلُّ يَوْمَئِذٍ لِلْكُذَّابِينَ» لمعنى تكثير التحوييف والوعيد. وقيل: ليس بتكرار، لأنّه أراد بكل قول منه غير الذي أراده بالآخر، كأنه ذكر شيئاً فقال: ويل من يكذب بهذا، ثم ذكر شيئاً آخر فقال: ويل من يكذب بهذا، ثم ذكر شيئاً آخر فقال: ويل من يكذب بهذا. ثم كذلك إلى آخرها. ختمت السورة والله الحمد.

سورة «عم» مكية وتسمى سورة «النبا» وهي
أربعون أو إحدى وأربعون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قوله تعالى: عَمْ يَتَسَاءَلُونَ عَنِ النَّبِيِّ الْعَظِيمِ آلَذِي هُمْ
فِيهِ مُحْتَاجُونَ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ

قوله تعالى: «عَمْ يَتَسَاءَلُونَ» «عم» لفظ آستفهم، ولذلك سقطت منها ألف «ما»، ليتميز الخبر عن الاستفهام. وكذلك فهم وهم إذا آستفهمت، والمعنى عن أي شيء

(١) في نسخة: يمكن من السجود.

يُسأَلُ بعضاً بعضاً . وقال الزجاج : أصل « عم » عن ما فادغمت النسون في الميم ؛ لأنها تشاركتها في الغنة . والضمير في « يَسْأَلُونَ » لقريش . وروى أبو صالح عن ابن عباس قال : كانت قريش تجلس لما نزل القرآن فتحدث فيها بينها فنهم المصدق ومنهم المكذب به فنزلت « عَمْ يَسْأَلُونَ » . وقيل : « عم » بمعنى فيه يتشدد المشركون ويختصمون .

قوله تعالى : « عَنِ النَّبِيِّ الْعَظِيمِ ۝ أَيْ يَسْأَلُونَ « عن النبي العظيم » فعن ليس تتعلق بـ« يَسْأَلُونَ » الذي في التلاوة ؛ لأنَّه كان يلزم دخول حرف الأستفهام فيكون « عَنِ النَّبِيِّ الْعَظِيمِ ۝ كَمْ مَالِكُ أَثْلَاثُونَ أَمْ أَرْبَاعُونَ ؟ فوجب لما ذكرناه من آمنتعان تعلقه بـ« يَسْأَلُونَ » الذي في التلاوة ، وإنما يتعلق يَسْأَلُونَ آخر مضمر . وحسن ذلك أنَّه يَسْأَلُونَ ؛ قاله المهدوى . وذكر بعض أهل العلم أنَّ الأستفهام في قوله : « عن » مكرر إلا أنه مضمر كأنَّه قال عم يَسْأَلُونَ عن النبي العظيم . فعل هذا يكون متصلاً بالآية الأولى . والنبي العظيم أى الخبر الكبير . « الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ ۝ أَيْ يخالف فيه بعضهم بعضاً فيصدق واحد ويُكذب آخر ؛ فروى أبو صالح عن ابن عباس قال : هو القرآن ؛ دليله قوله : « قُلْ هُوَ نَبِيٌّ عَظِيمٌ . أَنْتُمْ عَنْهُ مُعَرِّضُونَ ۝ فالقرآن نبا وخبر وقصص وهو نبا عظيم الشأن . وروى سعيد عن قاتدة قال : هو البعث بعد الموت صار الناس فيه رجلين مصدق ومكذب . وقيل :

أمر النبي صلَّى الله عليه وسلم . وروى الضحاك عن ابن عباس قال : وذلك أنَّ اليهود سألوا النبي صلَّى الله عليه وسلم عن أشياء كثيرة ، فأخبره الله جل شوأه باختلافهم ثم هددتهم فقال : « كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ۝ أَيْ سيعلمون عاقبة القرآن ، أو سيعلمون البعث أحق هو أم باطل . و « كَلَّا » رد عليهم في إنكارهم البعث أو تكذيبهم القرآن فيوقف عليها ، ويحوز أن يكون بمعنى حقاً أو « أَلَا » فيبدأ بها . والأظهر أنَّ سؤالهم إنما كان عن البعث ؛ قال بعض علمائنا : والذى يدل عليه قوله عن وجع « إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا ۝ » يدل على أنَّهم كانوا يَسْأَلُونَ عن البعث . « ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ۝ أَيْ حقاً يعلمون صدق ما جاء به محمد صلَّى الله عليه وسلم من القرآن وما ذكره لهم من البعث بعد الموت . وقال الضحاك : « كَلَّا

سِيَعْلَمُونَ» يعني الكافرين عاقبة تكذيبهم «فُمْ كَلَّا سِيَعْلَمُونَ» يعني المؤمنين عاقبة تصديقهم . وقيل : بالعكس أيضا . وقال الحسن : هو وعد بعد وعد . وقراءة العامة فيما بالياء على الخبر ؛ لقوله تعالى : «يَتَسَاءَلُونَ» قوله : «هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ» . وقرأ الحسن وأبو العالية ومالك بن دينار بالناء فيما .

قوله تعالى : أَلَّرْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مَهَادًا ﴿١﴾ وَالْجَبَالَ أَوْتَادًا ﴿٢﴾
وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا ﴿٣﴾ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ﴿٤﴾ وَجَعَلْنَا الَّيْلَ
لِبَاسًا ﴿٥﴾ وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا ﴿٦﴾ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ﴿٧﴾
وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَاجًا ﴿٨﴾ وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعِصَرَاتِ مَائَةً ثَجَاجًا ﴿٩﴾
لِنُخْرِجَ بِهِ حَبَّا وَنَبَاتًا ﴿١٠﴾ وَجَنَّتِ الْفَافًا ﴿١١﴾

قوله تعالى : «أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مَهَادًا» دللم على قدرته على البعث ؛ أى قدرتنا على إيجاد هذه الأمور أعظم من قدرتنا على الإعادة . والمهاد الوطاء والفراش . وقد قال تعالى : «الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا» وقرئ «مَهَادًا» ويعناه أنها لهم كالمهد للعب و هو ما يمهد له فيقوم عليه . (وَالْجَبَالَ أَوْتَادًا) أى لتسكن ولا تتكلفا ولا تميل بأهلها . (وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا)
أى أصنافا ذكرا وأنثى . وقيل : ألوانا . وقيل : يدخل في هذا كل زوج من قبيح وحسن وطويل وقصير ؛ لاختلاف الأحوال فيقع الاعتبار فيشك الفاضل و يصر المفضول . (وَجَعَلْنَا
نَوْمَكُمْ) «جعلنا» معناه صيرنا ؛ ولذلك تعدد إلى مفعولين . (سُبَاتًا) المفعول الثاني أى راحة لأبدانكم ، ومنه يوم السبت أى يوم الراحة ؛ أى قيل لبني إسرائيل : أستريحوا في هذا اليوم فلا تعملوا فيه شيئا . وأنكر آبن الأنبارى هذا وقال : لا يقال للراحة سبات . وقيل :
أصله المتدد ؛ يقال : سبت المرأة شعرها إذا حلته وأرسلته ، فالسبات كالمددود ورجل مسبوت الخلق أى مددود . وإذا أراد الرجل أن يستريح متدد فسميت الراحة سبتا .

وقيل : أصله القطع ؛ يقال : سبت شعره سبتا حلقة ؛ وكأنه إذا نام آنقطع عن الناس وعن الأشتغال فالسبات يشبه الموت إلا أنه لم تفارقه الروح . ويقال : سير سبت أى سهل لين ؟
 قال الشاعر :

وَمَطْوِيَةُ الْأَقْرَابِ أَقْنَاهُرُهَا * فَسَبَّتْ وَأَقْنَاهَا فَدَمِيلُ

((وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ إِيمَاسًا)) أى تلبسك ظلمته وتغشاكم ؛ قاله الطبرى . وقال ابن جبير والسدى : أى سكنا لكم . ((وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا)) فيه إضمار أى وقت معاش أى متصرفًا لطلب المعاش وهو كل ما يعيش به من الطعام والمشرب وغير ذلك فـ « معاشًا » على هذا اسم زمان ليكون الثاني هو الأول . ويجوز أن يكون مصدرًا بمعنى العيش على تقدير حذف المضاف . ((وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شَدَادًا)) أى سبع سموات محكبات ؛ أى محكمة الخلق وثيقة البناء . ((وَجَعَلْنَا سَرَاجًا وَهَاجَا)) أى وقادا وهي الشمس . وجعل هنا بمعنى خلق ؛ لأنها تعدد لمحنل واحد والوهاج الذى له وهج ؛ يقال : وهج هيج وهجا وهجا وهجا . ويقال للجوهر إذا تلاً توج . وقال ابن عباس : وهاجا مينا متلا لها . ((وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعَصِّرَاتِ مَاءً تَجَاجًا)) قال مجاهد وفتادة : المعصرات الرياح . وقاله ابن عباس . كأنها تعصر السحاب . وعن ابن عباس أيضا أنها السحاب . وقال سفيان والربيع وأبو العالية والضحاك : أى السحائب التي تنحصر بالماء ولما تطر بعد ؛ كالمرأة المعصرة التي قدمنا حيسها ولم تخض ؛ قال أبو النجم :

[٢٢] **[أَتَمَشَى الْمُهُوَّنُونَ مَاءً لَا يَحَارُهَا * قَدْ أَعْصَرْتُ أَوْقَدَنَا إِعْصَارَهَا]**

[وقال آخر] :

فَكَانَ مَجْنَنُ دُونَ مَنْ كُنْتُ أَنْقِي * ثَلَاثُ شُخُوصٍ كَاعِبَانْ وَمَعْصِرُ

(١) هو حميد بن نور . والسبت السير السريع والذمبل السير الملين .

(٢) هذه الزيادة من أبي حيان دل عليها إجماع نسخ الأصل على ذكر أبي النجم وأما البيت الذي بعده فلعم بن أبي ربيعة .

(١) وقال آخر :

وَذِي أَشْرَكَ الْأَنْقُونَ يَزِينُهُ * ذَهَابُ الصَّبَا وَالْمُعْصِرَاتُ الرَّوَائِحُ

فالرياح تسمى معصرات ؛ يقال : أعصرت الريح تعصر إعصارا إذا أثارت العجاج وهي الأعصار، والسحب أيضا تسمى المعصرات لأنها تمطر . وقال قتادة أيضا : المعصرات السماء، النحاس : هذه الأقوال صحاح ؛ يقال للرياح التي تأتي بالمطر معصرات والرياح تلقي السحاب فيكون المطر والمطر يتزل من الريح على هذا . ويحوز أن تكون الأقوال واحدة ويكون المعنى وأنزلنا من ذوات الرياح المعصرات « ماءً مجاجاً » وأصح الأقوال أن المعصرات السحاب كذا المعروف أن الغيث منها ، ولو كان بالمعصرات لكان الريح أولى . وفي الصحاح : والمعصرات السحائب تعصر بالمطر وأعصر القوم أى أمطرروا ومنه قرأ بعضهم « وَفِيهِ يُعَصَّرُونَ » والمعصر البارية أول ما أدركت وحاضت ؛ يقال : قد أعصرت كأنها دخلت عصر شبابها أو بلغتها ؛

قال الراجز :

جَارِيَةٌ بَسَقَ وَانْ دَارُهَا * تَمِيشِي الْمُهُوِّنِيَا سَاقِطًا نَحَارُهَا

* قَدْ أَعْصَرَتْ أَوْ قَدْ دَدَنَا إِعْصَارُهَا *

والجمع معاصر ، ويقال : هي التي قارت الحيض ، لأن الإعصار في البارية كالمراهقة في الغلام . سمعته من أبي الفوت الأعرابي . قال غيره : والمعصر السحابة التي حان لها أن تمطر ، يقال أجن الزرع فهو مجن أى صار إلى أن يحيى وكذلك السحاب إذا صار إلى أن يمطر فقد أعصر . وقال المبرد : يقال سحاب معصر أى مسك للاء ويعتصر منه شيء بعد شيء ، ومنه العصر بالتحريك للنجا الذي ياججا إليه ، والعصرة بالضم أيضا الملاجا . وقد مضى هذا المعنى في سورة « يوسف » والحمد لله . وقال أبو زيد :

(١) هو البيت كاف للسان وروايته للبيت :

وَذِي أَشْرَكَ الْأَنْقُونَ تَشْوَهَ * ذَهَابُ الصَّبَا وَالْمُعْصِرَاتُ الدَّوَاحُ

والدواح السحائب التي أفلحتها السماء ، الذهاب بكسر الذال : الأمطار الضعيفة . (٢) هو منصور بن مند الأسدى .

(٣) راجع ج ٩ ص ٢٠٥ (٤) قاله في رثاء ابن أخيه وكان مات عطشا في طريق مكة .

صَادِيًّا يَسْغِيْثُ غَيْرَ مُغَاثٍ * وَلَقَدْ كَانَ عُصْرَةَ الْمَنْجُودِ
 ومنه المُعْصَرُ للحارية التي قد قربت من البلوغ يقال لها مُعْصَرٌ لأنها تحبس في البيت فيكون
 البيت لها عَصَرًا . وفي قراءة ابن عباس وعكرمة « وَأَنْزَلْنَا إِلَيْهِ مُعْصَرَاتٍ » والذى في المصاحف
 « مِنَ الْمُعْصَرَاتِ » قال أبي بن كعب والحسن وأبن جعير وزيد بن أسلم ومقاتل بن حيان
 « مِنَ الْمُعْصَرَاتِ » أى من السموات . « مَاءٌ تَحَاجَّاً » صبابة متابعاً عن ابن عباس وبمأهاد
 وغيرهما . يقال : تَبَعَّجَتْ دَمَهُ فَإِنَّهُ تَحَاجَّاً وَقَدْ يَنْجَعَ الدُّمَيْشُ ثُبُوجاً وَكَذَلِكَ الْمَاءُ فَهُوَ لَازِمٌ
 وَمَتَعَدٌ . وَالْتَّهَاجَ فِي الْآيَةِ الْمُنْصَبُ . وَقَالَ الزَّجاجُ : أَى الصَّبَابُ وَهُوَ مَتَعَدٌ كَأَنَّهُ يَنْجَعَ نَفْسَهُ
 أَى يَصُبُّ . وَقَالَ عَيْدَ بْنُ الْأَبْرَصَ :

فَتَجَّ أَعْلَاهُ ثُمَّ أَرْتَجَ أَسْفَلَهُ * وَضَاقَ ذَرْعًا يَمْلِي الْمَاءَ مُنْصَاحٍ

وفي حديث النبي صلى الله عليه وسلم أنه سئل عن الجح المبرور فقال : « العَجَّ وَالثَّجَّ » فالمعجم رفع
 الصوت بالتلبية والفتح إراقة الدماء وذبح المدايا . وقال ابن زيد : ثَجَّاجاً كثيراً . والمعنى واحد .

قوله تعالى : « إِنْتَرَجَ بِهِ » أى بذلك الماء (جَبَّ) كالحنطة والشعير وغير ذلك (وَبَنَاتِهِ)
 من الأَبَّ وهو ما تأكله الدواب من الحشيش . (وَجَنَّاتِ) أى بساتين (أَلْفَافَ) أى ملنفة
 بعضها ببعض لتشعب أغصانها ولا واحد له كالأوزاع والأخيف . وقيل : واحد الألفاف لف
 بالكسر ولف بالضم . ذكره الكسائي ؛ قال :

جَنَّةُ لَفٍ وَعَيْشٌ مُغْنِيٌّ * وَنَدَائِي كُلُّهُمْ يِضْ زُهْرٌ

وعنه أيضاً وأبي عبيدة : لفيف كشريف وأشراف . وقيل : هو جمع الجمع حكاية الكسائي .
 (٢) يقال : جنة لفاء ونبت لف والجمع لف بضم اللام مثل حُمر ثم يجمع اللَّفُ أَلْفَافًا . الزمخشري :
 ولو قيل جمع ملنفة بتقدير حذف الزواائد لكان وجيهها . ويقال : شجرة لفاء وشجر لف وأمرأة

(١) البيت في وصف المطر ومناصح : منشق بالماء .

(٢) قوله : والجمع لف بضم اللام راجع إلى جنة النساء بدليل قوله : مثل حر لأنه جمع ثرا، وأما لف بالكسر
 والفتح فمعنى ألفاف .

لقاء أى غليظة الساق مجتمعة اللحم . وقيل : النفيدير ونخرج به جنات ألفافا خذف لدلالة الكلام عليه . ثم هذا الالتفاف والانضمام معناه أن الأشجار في البساتين تكون متقاربة ، فالأغصان من كل شجرة متقاربة لقوتها .

قوله تعالى : إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا ^(١) يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ
فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ^(٢) وَفُتَحَتِ الْسَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا ^(٣) وَسُرِّتِ
آلِجَبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ^(٤)

قوله تعالى : ((إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا)) أى وقتاً ومجماً وميعاداً للأقواء والآخرين ، لما وعد الله من الجزاء والثواب . وسي يوم الفصل لأن الله تعالى يفصل فيه بين خلقه .

قوله تعالى : ((يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ)) أى للبعث ((فتاؤن)) أى إلى موضع العرض ((أَفْوَاجًا)) أى أمواكل أمة مع إمامهم . وقيل : زمرا وجماعات الواحد فوج . ونصب يوماً بدلاً من اليوم الأول . وروى من حديث معاذ بن جبل قلت : يا رسول الله ! أرأيت قول الله تعالى «يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا» فقال النبي صلى الله عليه وسلم : «ياماً معاذ لقد سالت عن أمر عظيم » ثم أرسل عينيه بـ يكاثم قال : «يُخْشَى عَشْرَ أَصْنَافٍ مِّنْ أَمْمَى أَشْتَاتٍ قَدْ مِيزَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ جَمَاعَاتِ الْمُسْلِمِينَ وَبَدَلَ صُورَهُمْ فَنَهُمْ عَلَى صُورَةِ الْقَرْدَةِ وَبَعْضُهُمْ عَلَى صُورَةِ الْخَنَازِيرِ وَبَعْضُهُمْ مِّنْ كُسُونَ أَرْجُلِهِمْ أَعْلَاهُمْ وَوُجُوهُهُمْ يَسْجِبُونَ عَلَيْهَا وَبَعْضُهُمْ عَمِيٌّ يَتَرَدَّدُونَ وَبَعْضُهُمْ صَمٌّ بَكَمٌ لَا يَعْقِلُوا وَبَعْضُهُمْ يَمْضِغُونَ أَسْنَاهُمْ فَهُنَّ مَدْلَةٌ عَلَى صَدَوْرِهِمْ يُسَيِّلُ الْقِيَحَ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ لِعَابًا يَتَقَذَّرُهُمْ أَهْلُ الْجَمْعِ وَبَعْضُهُمْ مَقْطَعَةٌ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلِهِمْ وَبَعْضُهُمْ مَصْبَلَّوْنَ عَلَى جَذْوَعٍ مِّنَ النَّارِ وَبَعْضُهُمْ أَشَدُّ نَنَاءً مِّنَ الْحِيَفِ وَبَعْضُهُمْ مَابِسُونَ جَلَابِيبَ سَابِغَةٍ مِّنَ الْقَطْرَانِ لَا صَقَّةٌ يَجْلُودُهُمْ فَأَمَّا الَّذِينَ عَلَى صُورَةِ الْقَرْدَةِ فَالْقَتَّاتُ مِنَ النَّاسِ – يَعْنِي النَّفَامَ – وَأَمَّا الَّذِينَ عَلَى صُورَةِ الْخَنَازِيرِ فَأَهْلُ السِّجْنِ وَالْحَرَامِ وَالْمَكْسِ وَأَمَّا الْمَكْسُونِ

(٢) في نسخة من الأصل : متقاربة الأغصان ... الخ .

رءوسهم ووجوههم فاكلة الربا والعمى من يجور في الحكم والضم اليم الذي يعيجون بأعمالهم والذين يضطرون أسلتهم فالعلماء والقصاص الذين يخالف قولهم فعلهم والمقطعة أيديهم وأرجلهم فالذين يؤذون الجيران والمصلبون على جذوع النار فالسعاة الناس إلى السلطان (١) والذين هم أشد نُفثاً من الحيف فالذين يختعون بالشهوات والذلات وينعون حق الله من أموالهم والذين يلبسون الحلابيب فأهل الكبر والفحش والخيانة ” .

قوله تعالى : « وَفَتَحَ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا » أى لنزل الملائكة ؛ كما قال تعالى : « وَيَوْمَ تَسْقُقُ السَّمَاءُ بِالغَامِ وَنَزَّلَ الْمَلَائِكَةُ تَنْزِيلًا » . وقيل : تقطعت فكانت قطعاً كال أبواب ، فانتصار الأبواب على هذا التأويل بمحذف الكاف . وقيل : التقدير فكانت ذات أبواب ، لأنها تصير كلها أبواباً . وقيل : أبوابها طرقها . وقيل : تحمل وتنتشر حتى تصير فيها أبواباً . وقيل : إن لكل عبد بابين في السماء بباب لعمله وباباً لرزقه فإذا قامت القيمة آنفتحت الأبواب . وفي حديث الإسراء : ” ثم عرج بنا إلى السماء فاستفتح جبريل فقيل من أنت قال جبريل قيل ومن معك قال مهد قيل وقد بعث إليه قال قد بعث إليه ففتح لنا ” . « وَسَيِّرْتُ الْجَبَلَ فَكَانَتْ سَرَابًا » أى لا شيء كأن السراب كذلك يظنه الرائي ماء وليس بماء . وقيل : « سيرت » نسفت من أصولها . وقيل : أزيلت عن مواضعها .

قوله تعالى : إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا (٢٩) لِلطَّاغِينَ مَعَابًا (٣٠)
 لَّذِيْشِينَ فِيهَا أَحْقَابًا (٣١) لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرَدًا وَلَا شَرَابًا (٣٢) إِلَّا حَمِيمًا
 وَغَسَاقًا (٣٣) بَرَزَاءَ وَفَاقًا (٣٤) إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا (٣٥)
 وَكَذَّبُوا بِعَايَاتِنَا كَذَابًا (٣٦) وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا (٣٧) فَذُوقُوا
 فَلَنْ تَزِيدَ كُمْ إِلَّا عَذَابًا (٣٨)

(١) وفي الدر المنشور : حق الله والفقرا . اخ .

قوله تعالى : «إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا» مفعال من الرَّصْد والرَّصْد كل شيء كان أمامك . قال الحسن : إن على النار رصدا لا يدخل أحد الجنة حتى يجتاز عليه ، فمن جاء بجواز جاز ومن لم يجئ بجواز حبس . وعن سفيان رضي الله عنه قال : عليها ثلات قناطير . وقيل : «مِرْصَادًا» ذات أرصاد على النسب أى ترصد من يمر بها . وقال مقاتل : محبسا . وقيل : طريقاً وممراً فلا سبيل إلى الجنة حتى يقطع جهنم . وفي الصحاح : والمِرْصَادُ الْطَّرِيقُ . وذكر القشيري : أن المِرْصَادَ المكان الذي يَرْصُدُ فيه الواحدُ العدو ، نحو المضمار الموضع الذي تُضْمَرُ فيه الخيل . أى هي معدة لهم ؟ فالمِرْصَادُ بمعنى المحل ؛ فالملائكة يَرْصُدُونَ الكفار حتى ينزلوا بجهنم . وذكر الماوردي عن أبي سنان أنها بمعنى راصدة تجذبهم بأفعالهم . وفي الصحاح : الراصد الشيء الراقب له ؛ يقول : رَصَدَه يَرْصُدُه رَصْدًا وَرَصَدًا ، والتَّرْصِدُ . التَّرْقُبُ والمَرْصَدُ . موضع الرصد . الأصمعي : رَصَدَتْه أَرْصُدَه ترقبته وأَرْصُدَتْه أعددت له . والكسائي مثله .

قلت : بفهم معدة مترصدة متَّعلَّة من الرَّصْد وهو التَّرْقُب ؛ أى هي متطلعة لمن يأتى . والمِرْصَاد مفعال من أبْنَيَةِ الْمَدَافِعَ كالمِعْتَارِ والمِغَارِ فكأنه يكثُرُ من جهنم آنتظار الكفار . «لِلظَّاغِينَ مَا بَأَبَا» بدل من قوله : «مِرْصَادًا» والمأب المرجع أى مرجعها يرجعون إليها ؛ يقال : آب يُؤوب أوبة إذا رجع . وقال قتادة : مأوى ومتلا . والمراد بالظاغين من طغى في دينه بالكفر أو في دنياه بالظلم .

قوله تعالى : «لَا يَشْئَنَ فِيهَا أَحْقَابًا» أى ما كثين في النار مادامت الأحقياب وهي لا تنتفع ، فكلما مضى حقب جاء حقب . والحقب بضمتين الدهر والأحقياب الدهور . والحقبة بالكسر السنة والجمع حقب ؛ قال ميمون بن نويرة التميمي :

وَكَانَ كَنْدَمَانَى جَذِيمَةَ حِقْبَةَ * مِنَ الدَّهْرِ حَتَّى قِيلَ لَنْ يَتَصَدَّعَ
فَلَمَّا تَفَرَّقْنَا كَانَى وَمَالِكًا * لِطَوْلِ آجْتَمَاعٍ لَمْ نِيْتْ لِيْلَةَ مَعَا

والحُقْب بالضم والسكون مُثَانِون سَنَة . وقيل : أكثُر من ذَلِك وأقل عَلَى ما يأتِي والجمع أحْقَاب . والمعنى في الآية ؛ لابْتِين فيها أحْقَاب الآخرة التي لا نِهاية لها ، خذف الآخرة لدلالة الكلام عليه ؛ إذ في الكلام ذِكْر الآخرة وهو كَا يقال أيام الآخرة ؛ أى أيام بعد أيام إلى غير نِهاية ، وإنما كان يدل على التوقيت لو قال نِسْمَة أحْقَاب أو عَشْرَة أحْقَاب ونحوه . وذِكْر الأحْقَاب لأن الحقب كان أَبْعَد شَيْءٍ عندهم ، فتكلّم بما تذهب إِلَيْهِ أو هَامُهُمْ ويعْرَفُونَهَا ، وهِيَ كَايَةٌ عن التأْيِيدِ أَيْ يُمْكِنُونَ فِيهَا أَبْدًا . وقيل : ذِكْر الأحْقَاب دون الأيام ؛ لأن الأحْقَاب أَهُولَ فِي القُلُوبِ وَأَدْلَلُ عَلَى الْخَلْوَةِ . والمعنى متقارب ؛ وهذا الْخَلْوَةُ فِي حَقِّ الْمُشْرِكِينَ . ويعْكِنُ حَمْلَ الآية عَلَى العَصَمَةِ الَّذِينَ يَخْرُجُونَ مِنَ النَّارِ بَعْدَ أحْقَابِ . وقيل : الأحْقَاب وقت لَشْرِبِ الْحَمْمِ وَالْغَسَاقِ ، فإذا نَقَضَتِ فِيهَا لَهُمْ نُوْعَ آخَرَ مِنَ الْعَقَابِ ؛ ولهذا قَالَ : « لَإِثْنَيْنِ فِيهَا أَحْقَابًا . لَا يَدْعُوْنَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا . إِلَّا حَمَّا وَغَسَاقًا » و« لَإِثْنَيْنِ » أَسْمَ فاعلٍ مِنْ لَبِثٍ وَيَقُولُ يه أَنَّ الْمُصْدَرَ مِنْهُ الْلَّبِثُ بِالإِسْكَانِ كَالشَّرْبِ . وقرآن حِمْزَةُ وَالْكَسَائِيُّ « لَبِثَيْنِ » بغير أَلْفٍ وَهُوَ أَخْتِيَارُ أَبِي حَاتِمٍ وَأَبِي عَبِيدٍ وَهُمَا لِغْتَانٌ ؛ يقال : رَجُلٌ لَبِثٌ وَلَبِثٌ مِثْلُ طَمِيعٍ وَطَامِيعٍ وَفَرِهٌ وَفَارِهٌ . وَيَقُولُ : هُوَ لَبِثٌ بِمَكَانٍ كَذَا أَيْ قَدْ صَارَ الْلَّبِثُ شَانِهِ ، فَشَبَّهَ بِهَا هُوَ خَلْقَةُ فِي الإِنْسَانِ نَحْوَ حَذِيرٍ وَفَرْقٍ ؛ لَأَنَّ بَابَ فَعْلٍ إِنَّمَا هُوَ لَمَّا يَكُونُ خَلْقَةً فِي الشَّيْءِ فِي الْأَغْلَبِ وَلَيْسَ كَذَلِكَ أَسْمَ الْفَاعلِ مِنْ لَبِثٍ . وَالحُقْبُ مُثَانِون سَنَةٍ فِي قَوْلِ أَبْنِ عُمَرٍ وَأَبْنِ مُحِيمِنٍ وَأَبِي هَرِيْرَةَ ، وَالسَّنَةُ ثَلَاثَةُ يَوْمٍ وَسَوْنَةُ يَوْمٍ وَالْيَوْمُ أَلْفُ سَنَةٍ مِنْ أَيَّامِ الدُّنْيَا ؛ قَالَهُ أَبْنُ عَبَّاسٍ . وَرَوْيَ أَبْنِ عُمَرٍ هَذَا مَرْفُوعًا إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . وَقَالَ أَبُو هَرِيْرَةُ : وَالسَّنَةُ ثَلَاثَةُ يَوْمٍ وَسَوْنَةُ يَوْمٍ كُلُّ يَوْمٍ مِثْلُ أَيَّامِ الدُّنْيَا . وَعَرَفَ أَبْنُ عُمَرٍ أَيْضًا : الْحُقْبُ أَرْبَعُونَ سَنَةً . السَّدِيُّ : سَبْعُونَ سَنَةً . وَقَيلَ : إِنَّهُ أَلْفُ شَهْرٍ . رَوَاهُ أَبُو أَمَامَةَ مَرْفُوعًا . بشير بن كعب : ثَلَاثَةُ سَنَةٍ . الْحَسَنُ : الْأَحْقَابُ لَا يَدْرِي أَحَدُكُمْ هُوَ وَلَكِنَّ ذَكْرَوْا أَنَّهَا مَائَةَ حُقْبٍ ، وَالْحُقْبُ الْوَاحِدُ مِنْهَا سَبْعُونَ أَلْفَ سَنَةٍ ، الْيَوْمُ مِنْهَا كَافِلٌ سَنَةً مَا تَعْدُونَ . وَعَنْ أَبِي أَمَامَةِ أَيْضًا عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِنَّ الْحُقْبَ الْوَاحِدَ ثَلَاثُونَ أَلْفَ سَنَةً » ذِكْرُهُ المَهْدُوِيُّ . وَالْأَقْلَلُ الْمَاوِرْدِيُّ . وَقَالَ قُطْرُبُ : هُوَ الدَّهْرُ الطَّوِيلُ غَيْرُ الْمَحْدُودِ . وَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ

رضى الله عنه ، قال النبي صلى الله عليه وسلم : ”ولله لا يخرج من النار من دخلها حتى يكون فيها أحقاباً حُقُبَ بضع وثمانون سنة والستة ثمانية وستون يوماً كل يوم ألف سنة مما تعددون فلا يتكلن أحدكم على أنه يخرج من النار“ . ذكره الثعلبي . القرطبي : الأحقاب ثلاثة وأربعون حُقُبَا كل حُقُبَ سبعون خريفاً كل خريف سبعين سنة كل سنة ثلاثة وستون يوماً كل يوم ألف سنة .

قلت : هذه أقوال متعارضة والتتحديد في الآية للخلود يحتاج إلى توقيف يقطع العذر ، وليس ذلك ثابت عن النبي صلى الله عليه وسلم . وإنما المعنى والله أعلم ما ذكرناه أولاً ، أى لابثين فيها أزماناً ودهوراً كلما مضى زمن يعقبه زمن ، ودهر يعقبه دهر ، هكذا أبد الآبديةن من غير آنقطاع . وقال ابن كيسان : معنى «لابثين فيها أحقاباً» لا غاية لها ولا آنٰه فكانه قال أبداً . وقال ابن زيد ومقاتل : إنما منسوبة بقوله تعالى : «فَدُوْقُوا فَلَنْ تَرِدُوكُمْ إلَّا عَذَابًا» يعني إن العدد قد آنقطع والخلود قد حصل .

قلت : وهذا بعيد ؛ لأنه خبر وقد قال تعالى : «وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلْجَأَ الْجَنَّلُ^(١) في سَمَاءِ الْحَيَّاتِ» على ما تقدم . هذا في حق الكفار فاما العصاة الموحدون فصحيح ويكون النسخ بمعنى التخصيص . والله أعلم . وقيل : المعنى «لابثين فيها أحقاباً» أى في الأرض ؛ إذ قد تقادم ذكرها ويكون الضمير في «لَا يَدْوُقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا» بجهنم . وقيل : واحد الأحقاب حُقُبَ وحقبة^و قال :

فَإِنْ تَنْأِ عَنْهَا حِقْبَةً لَا تُلْقِهَا * فَأَنْتَ بِمَا أَحْدَثْتَهُ بِالْجَنَّبِ

^(٢) وقال الْكَيْمَتِ :

* مَرَّ لَهَا بَعْدَ حِقْبَةٍ حِقْبَبُ *

(١) راجع ج ٧ ص ٦٠٦

(٢) صدر البيت : * ولا حسول غدت ولا دمن *

قوله تعالى : « لَا يَدْعُونَ فِيهَا » أى في الأحقاب (بَرْدًا وَلَا شَرَابًا) البرد النوم في قول أبي عبيدة وغيره ؛ قال الشاعر^(١) :

وَلَوْ شِئْتُ حَرَّمْتُ النَّسَاءَ سِواكُمْ * وَإِنْ شِئْتُ لَمْ أَطْعِمْ نَفَاحًا وَلَا بَرْدًا

وقاله مجاهد والسدى والكسائى والفضل بن خالد وأبو معاذ التخوى ؛ وأنشدوا قول الكندى :

بَرَدْتُ مَرَاثِفُهَا عَلَى فَصَدْنِي * عَنْهَا وَعَنْ تَقْبِيلِهَا الْبَرْدُ
يعنى النوم . والعرب تقول : منع البرد البرد يعني أذهب البرد النوم .

قلت : وقد جاء الحديث أنه عليه الصلاة والسلام سئل هل في الجنة نوم . فقال : « لا ، النوم أخو الموت والجنة لا موت فيها » فكذلك النار ؛ وقد قال تعالى : « لَا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فِيمَوْتُو » وقال ابن عباس : البرد برد الشراب . وعنه أيضا : البرد النوم والشراب الماء . وقال الزجاج : أى لا يذوقون فيها برد ريح ولا ظلل ولا نوم بفعل البرد برد كل شيء راحة ، وهذا برد ينفعهم فاما الزمهرير فهو برد يتاذون به فلا ينفعهم فلهم منه من العذاب ما الله أعلم به . وقال الحسن وعطاء وآبن زيد : بربا أى روحًا وراحة ؛ قال الشاعر^(٢) .

فَلَا الظَّلُّ مِنْ بَرِدِ الضَّحْجَى تَسْتَطِعُهُ * وَلَا فَقَىْ أَوْقَاتُ الْعَشِيْ تَسْدُوْهُ^(٣)

« لَا يَدْعُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا » جملة في موضع الحال من الطاغين ، أو نعمت للأحقارب ؛ فالأحقارب ظرف زمان والعامل فيه « لَايِثِينَ » أو « لَيِثِينَ » على تعدية فعل . « إِلَّا حَيَا وَغَسَاقًا » آستثناء منقطع في قول من جعل البرد النوم ، ومن جعله من البرودة كان بذلك منه . والجيم الماء الحار ؛ قاله أبو عبيدة . وقال آبن زيد : الجيم دموع أعينهم تجمع في حياض ثم يسقونه . قال النحاس : أصل الجيم الماء الحار ومنه آشتق الحمام ومنه الحمي ومنه « وَظَلَّ مِنْ

(١) هو العربي عبد الله بن عمر بن عمرو بن عثمان بن عفان . ونسب إلى العرج وهو موضع قبل الطائف كان ينزل به . والنفاج كفراب : الماء الطيب .

(٢) قاله حميد بن نور يصف سرحة وكلها عن آمرأة .

(٣) كما في الأصل وفي كتب اللغة مادة « فيا » ولا الفي ، من برد العشي ... الخ .

يَحْمُومُ^(١) إِنَّمَا يَرَدُ بِهِ النَّهَايَةِ فِي الْحَرَقِ . وَالْغَسَاقُ صَدِيدٌ أَهْلُ النَّارِ وَقِيمُهُمْ . وَقِيلٌ : الزَّمْهَرِيرُ . وَقَرَأَ حَمْزَةُ وَالْكَسَائِيُّ بِتَشْدِيدِ السِّينِ وَقَدْ مَضِيَ فِي « ص » الْقَوْلُ فِيهِ . « جَرَاءً وَفَاقًا » أَيْ موافِقًا لِأَعْمَالِهِمْ . عَنْ أَبْنَ عَبَّاسٍ وَمُجَاهِدٍ وَغَيْرِهِمَا ؛ فَالْوِفَاقُ بِمَعْنَى الْمُوافِقَةِ كَالْقِتَالِ بِمَعْنَى الْمُقَاتَلَةِ . وَ« جَرَاءً » نَصْبٌ عَلَى الْمُصْدِرِ أَيْ جَازَ يَنْسَاهُمْ جَرَاءً وَاقِفًا أَعْمَالِهِمْ ؛ قَالَهُ الْفَرَاءُ وَالْأَخْفَشُ . وَقَالَ الْفَرَاءُ أَيْضًا : هُوَ جَمْعُ الْوِفْقِ وَالْوِفْقِ وَالْلِفْقِ وَاحِدٌ . وَقَالَ مُقاَتِلٌ : وَاقِفًا العَذَابُ الْذَنْبِ فَلَا ذَنْبٌ أَعْظَمُ مِنَ الشَّرِكِ ، وَلَا عَذَابٌ أَعْظَمُ مِنَ النَّارِ . وَقَالَ الْحَسَنُ وَعَكْرَمَةُ : كَانَتْ أَعْمَالَهُمْ سَيِّئَةً فَأَتَاهُمُ اللَّهُ بِمَا يَسْوِعُهُمْ . « لَأُتْهِمُ كَانُوا لَا يَرْجُونَ^(٢) » أَيْ لَا يَخْافُونَ (حَسَابًا) أَيْ مَحَاسِبَةٌ عَلَى أَعْمَالِهِمْ . وَقِيلٌ : مَعْنَاهُ لَا يَرْجُونَ ثَوَابَ حِسَابٍ . الزَّاجِجُ : أَيْ لَمْ يَهْمِنُوا بِالْبَعْثِ فَيَرْجُونَ حِسَابَهُمْ . « وَكَذَبُوا إِيَّاَنَا كَذَابًا^(٣) » أَيْ بِمَا جَاءَتْ بِهِ الْأَنْبِيَاءُ . وَقِيلٌ : بِمَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْكِتَابِ . وَقِرَاءَةُ الْعَامَةِ « كَذَابًا » بِتَشْدِيدِ الدَّالِ وَكَسْرِ الْكَافِ عَلَى كَذَبٍ أَيْ كَذَبُوا تَكَذِّبُوا كَبِيرًا . قَالَ الْفَرَاءُ : هِيَ لَغَةُ يَمَانِيَّةٍ فَصِيحَةٌ . يَقُولُونَ : كَذَبَتْ [بِهِ] كَذَابًا وَنَرَقَتْ الْقَمِيَصَ حِرَاقًا ؛ وَكُلِّ فِعْلٍ فِي وَزْنِ فَعَلٍ مُصْدِرُهُ فِعَالٌ مُشَدَّدٌ فِي لَغْتِهِمْ ؛ وَأَنْشَدَ بَعْضُ الْكَلَابِيْنَ :

لَقَدْ طَالَ مَا شَبَّهْتَنِي عَنْ صَحَابَتِي * وَعَنْ حِرَقَ قِضاَوْهَا مِنْ شَفَائِيَّ
وَقَرَأَ عَلَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ « كَذَابًا^(٤) » بِالتَّخْفِيفِ وَهُوَ مُصْدِرُ أَيْضًا . وَقَالَ أَبُو عَلِيٍّ : التَّخْفِيفُ
وَالْتَّشْدِيدُ بِجِيْعِ مُصْدِرِ الْمَكَاذِبَةِ ؛ كَقُولُ الْأَعْشَى :

فَصَادَقْتُهَا وَكَذَبْتُهَا * وَالْمَرْءُ يَنْقُعُهُ كَذَابَهُ^(٥)

أَبُو الْفَتْحِ : جَاءَ بِجِيْعِ مُصْدِرِ كَذَبٍ وَكَذَبَ بِجِيْعًا . الرَّمَخْشَرِيُّ : « كَذَابًا^(٦) » بِالتَّخْفِيفِ
مُصْدِرُ كَذَبٍ ؟ بِدَلِيلِ قُولِهِ :

فَصَادَقْتُهَا وَكَذَبْتُهَا * وَالْمَرْءُ يَنْقُعُهُ كَذَابَهُ

(١) راجع ج ١٥ ص ٢٢١ فَيَأْتُهَا .

(٢) الزيادة من الفراء . (٣) قال الشهاب : وضيير صدقها وكذبها للنفس والمراد أنه يصدق نفسه

تارةً بـأن يقول إن أمانها محققة وتـكذبـها بخلافـه أو على العكس .

وهو مثل قوله : « أَبْتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا » يعني وكذبوا أيامنا فكذبوا كذابا . أو تنصبه بـ « كَذَّبُوا » ، لأنه يتضمن معنى كذبوا ؛ لأن كل مكذب بالحق كاذب ؛ لأنهم إذا كانوا عند المسلمين كاذبين وكان المسلمون عندهم كاذبين فيهم مكاذبة . وقرأ ابن عمر « كُذَّابا » بضم الكاف والتشديد جمع كاذب ؛ قاله أبو حاتم . ونصبه على الحال الزمخشري . وقد يكون الكذاب بمعنى الواحد البليغ في الكذب ، يقال : رجل كذاب كقولك حسان وبخال فيجعله صفة لمصدر « كَذَّبُوا » أى تكذبوا كذابا مفرطا كذبه . وفي الصحاح : وقوله تعالى : « وَكَذَّبُوا يَوْمَ أَنَّا كَذَّبْنَا » وهو أحد مصادر المشتد ، لأن مصدره قد يجيء على تفعيل مثل التكليم وعلى فعل مثل كذاب وعلي تفعيلة مثل توصية وعلى مفعيل ؛ مثل « وَمَنْ قَاتَمْ كُلَّ مُمْزِقٍ » . « وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَبْنَاهُ كِتَابًا » « كُلَّ » نصب بإضمار فعل يدل عليه « أَحْصَبْنَاهُ » أى وأحصينا كل شيء أحصينا كتابه . وقرأ أبو السمال « وَكُلَّ شَيْءٍ » بالرفع على الابتداء « كِتابًا » نصب على المصدر ؛ لأن معنى أحصينا كتبنا أى كتبناه كتابا . ثم قيل : أراد به العلم فإن ما كتب كان أبعد من النسيان . وقيل : أى كتبناه في اللوح المحفوظ لتعرفه الملائكة . وقيل : أراد ما كتب على العباد من أعمالهم . فهذه كتابة صدرت عن الملائكة الموكلين بالعباد بأمر الله تعالى أيامهم بالكتابة ؛ دليله قوله تعالى : « وَإِنَّ عَلَيْكُمْ حَافِظِينَ . كَرَامًا كَاتِبِينَ » . « فَدُوْقُوا فَلَنْ تَرِيدُمْ إِلَّا عَذَابًا » قال أبو برزة : سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن أشد آية في القرآن فقال ” قوله تعالى : « فَدُوْقُوا فَلَنْ تَرِيدُمْ إِلَّا عَذَابًا » ” أى « كُلَّمَا نِصَبَتْ جُلُودُهُمْ بِدَلَالِهِمْ جُلُودًا غَيْرَهَا » و « كُلَّمَا خَبَثَ زُنَانُهُمْ سَعِيرًا » .

قوله تعالى : إِنَّ الْمُتَّقِينَ مَفَازًا (٢٦) حَدَّاقَ وَاعْنَبًا (٢٧) وَكَوَاعِبَ أَتَرَابًا (٢٨) وَكَأسًا دِهَاقًا (٢٩) لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّابًا (٣٠) بَرَآءَةً مِنْ رَبِّكَ عَطَاءً حَسَابًا (٣١)

قوله تعالى : «إِنَّ لِلتَّقِينَ مَفَازًا» ذكر جزاء من آتى خالفة أمر الله «مفازاً» موضع فوز ونجاة وخلاص مما فيه أهل النار . ولذلك قيل للفلاة إذا قل ما ذهاب مفازة تفاؤلا بالخلاص منها . «حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا» هذا تفسير الفوز . وقيل : «إِنَّ لِلتَّقِينَ مَفَازًا» إن للتقيين حدايق ؛ جمع حديقة وهي البستان المحوط عليه ؛ يقال أحدق به أى أحاط . والأعناب جمع عنب أى كروم أعناب خذف . «وَكَوَاعِبَ أَثْرَابًا» كوابع جمع كاعب وهي الناهد ؛ يقال : كعبت الحرارة تكعب كعباً وكعبت تكعب تكعيباً ونهدت تهدى نهوداً . وقال الضحاك : الكوابع العذاري ؛ ومنه قوله قيس بن عاصم :

وَكُمْ مِنْ حَصَانٍ قَدْ حَوَيْنَا كَرِيمَةَ * وَمِنْ كَاعِبٍ لَمْ تَدِرْ مَا الْبُؤْسُ مُعْصِرٍ
وَالْأَتْرَابُ الْأَقْرَانُ فِي السَّنَنِ . وَقَدْ مَضِيَ فِي سُورَةِ «الْوَاقِعَةِ» الْوَاحِدُ تَرْبٌ . (١) (وَكَاسًا دَهَاقًا)
قال الحسن وقتادة وأبن زيد وأبن عباس : متربة مملوءة ؛ يقال : أدهقت الكأس أى ملأها
وكأس دهاق أى ممتلئة ؛ قال :

أَلَا آسْقِنِي صِرْفًا سَقَانِي السَّاقِيَ * مِنْ مَا مِنْ يَكْأِسِيهِ الدَّهَاقِ

وقال خداش بن زهير :

أَتَانَا عَامِرٌ بِيَنِي قِرَانًا * فَأَتْرَعَنَا لَهُ كَاسًا دَهَاقًا

وقال سعيد بن جبير وعكرمة ومجاهد وأبن عباس أيضا : متابعة يتبع بعضها بعضا ؛ ومنه
آدَهَقَتِ الْجِهَارَةُ آدَهَاقًا وَهُوَ شَدَّةُ تِلَازِهَا وَدُخُولُ بَعْضِهَا فِي بَعْضٍ ؛ فَالمُتَابِعُ كَالْمُتَدَاخِلُ .
وعن عكرمة أيضا وزيد بن أسلم : صافية ؛ قال الشاعر :

لَا نَتَ إِلَى الْفُؤَادِ أَحَبُّ قُرْبًا * مِنَ الصَّادِي إِلَى كَاسِ دِهَاقِ

(٢) وهو جمع دهاق وهو خشبتان [يُغْمَز] بهما [الساقي] . والمراد بالكأس الخمر فالتقدير ونحرا ذات دهاق أى عصرت وصفيت ؛ قاله القشيري . وفي الصحاح : وأدَهَقْتُ الْمَاءَ أَى أَفْرَغْتَه

(١) راجع ج ١٧ ص ٢١١

(٢) كذا في الأصل .

(٣) التصحیح من کتب اللغة

وفی الأصول : خشبتان يعصر بهما .

إفواها شديداً . قال أبو عمرو والدهق : بالتحريك ضرب من العذاب . وهو بالفارسية أشكنجه . المبرد : والمدهوق المعذب بجميع العذاب الذى لا فرجة فيه . ابن الأعرابى : دهقت الشيء كسرته وقطعته ، وكذلك دهقتنه ، وأنشد بحير بن خالد :

نُدْهِقُ بَضَعَ الْحُمَّ لِلْبَاعِ وَالنَّدَى * وَبَعْضُهُمْ تَغْلِي بِسَدَمٍ مَنَاقِمَهُ^(١)

وذهبته بزيادة الميم مثله . وقال الأصمعي : الدهمة لين الطعام وطبيه ورقته وكذلك كل شيء لين ، ومنه حديث عمر : لو شئت أن يذهبتم لي لفعلت ولكن الله عاب قوما فقال : « أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا وأستمتعتم بها » .

قوله تعالى : (لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا) أى في الجنة (لَغُوا وَلَا كَذَّابًا) اللغو الباطل وهو ما يلغى من الكلام ويطرح ، ومنه الحديث : "إذا قات لصاحبك أنيشت يوم الجمعة والإمام يخطب فقد لغوت" وذلك أن أهل الجنة إذا شربوا لم تتغير عقوتهم ولم يتكلموا بلغو ؛ بخلاف أهل الدنيا . « وَلَا كَذَّابًا » تقدم ، أى لا يكذب بعضهم بعضا ولا يسمعون كذبا . وقرأ الكسائي « كَذَّابًا » بالتفخيف من كذبت كذابا أى لا يتکاذبون في الجنة . وقيل : هما مصدران للتکذيب وإنما خفتها ها هنا لأنهما ليست بمقيد بفعل يصير مصدرا له ، وشدد قوله : « وَكَذَّبُوا يَا يَاتَنَا كَذَّابًا » لأن كذبوا يقيد المصدر بالكذاب . (جَزَاءٌ مِنْ رَبِّكَ) نصب على المصدر . لأن المعنى جرام بما تقدم ذكره جزاء وكذلك (عَطَاءٌ) لأن معنى أعطاهم وجزاهم واحد . أى أعطاهم عطا . (حَسَابًا) أى كثيرا ، قاله قتادة ، يقال : أحسبت فلانا أى كثرت له العطاء حتى قال حسي . قال :

وَنُقِفي وَلِدَ الْحَىٰ إِنْ كَانَ جَائِعًا * وَنُحْسِبُهُ إِنْ كَانَ لَيْسَ بِجَائِعٍ

(١) يرى هكذا في اللسان مادة « دهق ». وفي الأصول « مراجله ». والمناقع : القدور الصغار

واحدها منقع ومنقعة .

الضيف والصبي .

وقال القبلي : ونرى أصل هذا أنت يعطيه حتى يقول حسبي . وقال الزجاج : « حسابة »
أى ما يكفيهم . وقاله الأخفش . يقال : أحسبني كذا أى كفاني . وقال الكلبي : حاسبهم
فأعطائهم بالحسنة عشرة . مجاهد : حسابا لما عملوا فالحساب بمعنى العد . أى بقدر ما وجب
له في وعد الرب فإنه وعد للحسنة عشرة ، ووعد لقوم بسبعينة ضعف ، وقد وعد لقوم جزاء
لا نهاية له ولا مقدار ، كما قال تعالى : « إِنَّمَا يُؤْفَى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ » .
وقرأ أبو هاشم « عَطَاءَ حَسَابًا » بفتح الحاء وتشديد السين على وزن فعال أى كفافا ، قال
الأصمعي : تقول العرب حسبت الرجل بالتشديد إذا أكرمه ، وأنشد قول الشاعر :

* إذا أتاها ضيفه يحسبه *

وقرأ ابن عباس « حسناً » بالنون .

قوله تعالى : رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُما الرَّحْمَنُ
لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا ﴿٢٧﴾ يَوْمَ يَقُومُ الْأَرْوُحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفَّا لَا يَتَكَلَّمُونَ
إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴿٢٨﴾ ذَلِكَ آلَيَوْمُ الْحُقُقِ فَنَ شَاءَ
آتَحْدَدَ إِلَى رَبِّهِ مَعَابًا ﴿٢٩﴾ إِنَّمَا أَنْذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ
مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَلْمِيَنِي كُنْتُ تُرْبَأَ ﴿٣٠﴾

قوله تعالى : (رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُما الرَّحْمَنُ) قرأ ابن مسعود ونافع
وأبو عمرو و ابن كثير و زيد عن يعقوب والمفضل عن عاصم « رب » بالرفع على الاستئناف
« الرحمن » خبره . أو بمعنى هو رب السموات ويكون « الرحمن » مبتدأ ثانيا . وقرأ ابن
 العاص و يعقوب و ابن محيصن كلها بالخفض نعتا لقوله : « جَزَاءَ مِنْ رَبِّكَ » أى جزاء من
ربك رب السموات الرحمن . وقرأ ابن عباس و عاصم و حمزة والكسائي « رب السموات »

خفضا على النعت «الرَّحْمَن» رفعا على الابتداء أى هو الرحمن . وأختاره أبو عبيد وقال :
 هذا أَعْدُهُ ؛ خفض «رب» لقربه من قوله «مِنْ رَبَّكَ» فيكون نعتا له ورفع «الرَّحْمَن»
 لبعده منه على الاستئناف وخبره (لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خَطَابًا) أى لا يملكون أن يسألوا إلا فيما
 أذن لهم فيه . وقال الكسائي : «لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خَطَابًا» بالشفاعة إلا بإذنه . وقيل :
 الخطاب الكلام ؛ أى لا يملكون أن يخاطبوا رب سبحانه إلا بإذنه ؛ دليله : «لَا تَكُنْ نَفْسُ
 إِلَّا بِإِذْنِهِ» . وقيل : أراد الكفار «لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خَطَابًا» فاما المؤمنون فيشفعون .

قلت : بعد أن يؤذن لهم ، لقوله تعالى : «مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ» وقوله تعالى :
 «يَوْمَئِذٍ لَا تَنْتَفِعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا» .

قوله تعالى : ((يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفَّا)) «يَوْمَ» نصب على الظرف ؛ أى يوم
 لا يملكون منه خطابا يوم يقوم الروح . وأختلف في الروح على أقوال ثمانية : الأول — أنه ملك من
 الملائكة . قال ابن عباس : مخلق الله مخلوقا بعد العرش أعظم منه ، فإذا كان يوم القيمة قام هو
 وحده صفاً وقامت الملائكة كلهم صفاً فيكون عظم خلقه مثل صفوفهم . ونحو منه عن ابن
 مسعود ، قال : الروح ملك أعظم من السموات السبع ، ومن الأرضين السبع ، ومن الجبال . وهو
 (٢) حِيَالِ السَّمَاءِ الرَّابِعَةِ يَسْبِعُ اللَّهُ كُلَّ يَوْمٍ أَثْنَى عَشْرَةَ أَلْفَ تَسْبِيحةً ، يَخْلُقُ اللَّهُ مِنْ كُلِّ تَسْبِيحةٍ مَلِكًا ،
 فَيَجِيءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَحْدَهُ صَفَّاً وَسَائِرَ الْمَلَائِكَةِ صَفَّاً . الثَّانِي — أَنَّهُ جَبَرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ . قَالَهُ
 الشَّعْبِيُّ وَالضَّحْيَانُ وَسَعِيدُ بْنُ جَبَرٍ . وَعَنْ أَبْنِ عَبَّاسٍ : إِنَّ عَنْ يَمِينِ الْعَرْشِ نَهْرًا مِنْ نُورٍ مِثْلِ
 السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَالْأَرْضِينِ السَّبْعِ وَالْبَحَارِ السَّبْعِ ، يَدْخُلُ جَبَرِيلَ كُلَّ يَوْمٍ فِيهِ سَحْرًا فَيَغْتَسِلُ
 فَيُزَدَّادُ نُورًا عَلَى نُورِهِ وَجَهًا عَلَى جَهَّالِهِ وَعَظَمًا عَلَى عَظَمِهِ ، ثُمَّ يَنْتَفِعُ فِي خَلْقِ اللَّهِ مِنْ كُلِّ قَطْرَةٍ

(١) هذه القراءة ذكرها القرطبي وأبن عطية ولم يذكرها فراء عاصم بالضرر فيما وهي دوایة حفص ، وقد ذكرها أبو حيان واللوسي ، ف تكون القراءات عن عاصم على هذا ثلاثة : رفع فيما ويرفع فيما وير «رب» ورفع «الرحمن» .

(٢) في نسخة : السماء السابعة .

تقع من ريشه سبعين ألف ملك ، يدخل منهم كل يوم سبعون ألفاً البيت المعمور والكمبة سبعون ألفاً لا يعودون إليها إلى يوم القيمة . وقال وهب : إن جبريل عليه السلام وقف بين يدي الله تعالى تردد فرأصه ، يخلق الله تعالى من كل رعدة مائة ألف ملك ، فالملائكة صفو في بين يدي الله تعالى منكسة رءوسهم فإذا أذن الله لهم في الكلام قالوا : لا إله إلا أنت ، وهو قوله تعالى : «^{يَوْمٌ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفَّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ}» في الكلام «وقال صواباً» يعني قول : «لا إله إلا أنت» ، والثالث – روى ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : «الروح في هذه الآية جند من جنود الله تعالى ليسوا ملائكة لهم رءوس وأيد وأرجل يأكلون الطعام» ثم قرأ «^{يَوْمٌ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفَّا}» فإن هؤلاء جند وهؤلاء جند وهذا قول أبي صالح وبمحاده . وعلى هذا هم خلق على صورة بني آدم كالناس وليسوا بناس . الرابع – أنهم أشراف الملائكة ؛ قاله مقاتل بن حيان . الخامس – أنهم حفظة على الملائكة ؛ قاله ابن أبي نجيح . السادس – أنهم بنو آدم ؛ قاله الحسن وقتادة . فالمعنى ذوق الروح . وقال العوف والقرطبي : هذا مما كان يكتمه ابن عباس ؛ قال : الروح خلق من خلق الله على صور بني آدم وما نزل ملك من السماء إلا ومعه واحد من الروح . السابع – أرواح بني آدم تقوم صفا فتقوم الملائكة صفا وذلك بين النفحتين قبل أن ترد إلى الأجساد ؛ قاله عطيه . الثامن – أنه القرآن ؛ قاله زيد بن أسلم وقرأ «^{وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَنْفُسِنَا}» . و «صفا» مصدر أي يقومون صفوها . والمصدر يعني عن الواحد والجمع كالعدل والصوم . ويقال ليوم العيد : يوم الصف . وقال في موضع آخر : «وجاء ربكَ وَالْمَلَكُ صَفَّا صَفَّا» هذا يدل على الصفوف وهذا حين العرض والحساب . قال معناه الفتى وغيره . وقيل : يقوم الروح صفا والملائكة صفا فهم صفائ . وقيل : يقوم الكل صفا واحدا . ((لَا يَتَكَلَّمُونَ)) أي لا يشفعون ((إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ)) في الشفاعة ((وقال صواباً)) يعني حقاً ؛ قاله الضحاك وبمحاده . وقال أبو صالح : لا إله إلا الله . وروى الضحاك عن ابن عباس قال : يشفعون لمن قال لا إله إلا الله .

وأصل الصواب السداد من القول والفعل وهو من أصاب يصيب إصابة ؛ كالحواب من أجاب بمحب إجابة . وقيل : «لَا يَتَكَلَّمُونَ» يعني الملائكة والروح الذين قاموا صفاً لا يتتكلمون هيبة وإجلالاً «إِلَّا مِنْ أَذْنِ لَهُ الرَّحْمَنُ» في الشفاعة وهم قد قالوا صواباً، وأنهم يوحدون الله تعالى ويسبحونه . وقال الحسن : إن الروح تقول يوم القيمة لا يدخل أحد الجنة إلا بالرحمة ولا النار إلا بالعمل . وهو معنى قوله : «وَقَالَ صَوَابًا» .

قوله تعالى : «ذَلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ» أي الكائن الواقع «فَمَنْ شَاءَ أَخْتَدَ إِلَى رَبِّهِ مَا بِأَبَا» أي مرجعاً بالعمل الصالح ؛ كأنه إذا عمل خيراً رد إلى الله عن وجى ، وإذا عمل شرًا عده منه . وينظر إلى هذا المعنى قوله عليه السلام : «وَالْخَيْرُ كُلُّهُ بِيْدِكُمْ وَالشَّرُّ لِيْسُ إِلَيْكُمْ» . وقال قتادة : «مَا بِأَبَا» سفيلاً .

قوله تعالى : «إِنَّا أَنْذِرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا» يخاطب كفار قريش وشركي العرب ؛ لأنهم قالوا : لأنبعث . والعذاب عذاب الآخرة وكل ما هو آتٍ فهو قريب ، وقد قال تعالى : «كَانُوكُمْ يَوْمَ يَرَوْنَاهُ لَمْ يَبْثُوا إِلَّا عَيْشَةً أَوْ صَحَّاهَا» قال معناه الكلبي وغيره . وقال قتادة : عقوبة الدنيا ؛ لأنها أقرب العذابين . قال مقاتل : هي قتل قريش بدر . والأظاهر أنه عذاب الآخرة وهو الموت والقيمة ؛ لأن من مات فقد قامت قيمته فإن كان من أهل الجنة رأى مقعده من الجنة ، وإن كان من أهل النار رأى الحزى والهوان ؛ ولهذا قال تعالى : «يَوْمَ يُنْظَرُ الْمَرءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ» بين وقت ذلك العذاب ؛ أي أنذرناكم عذاباً قريباً في ذلك اليوم وهو يوم ينظر المرء ما قدمت يداه . وقيل : ينظر إلى ما قدمت خذف إلى . والمرء هنا المؤمن في قول الحسن ؛ أي يجد لنفسه عملاً فاما الكافر فلا يجد لنفسه عملاً فيتحقق أن يكون ترباً . ولما قال : «وَيَقُولُ الْكَافِرُ» علم أنه أراد بالمرء المؤمن . وقيل : المرء هنا أبي بن خلف وعقبة بن أبي معيط «وَيَقُولُ الْكَافِرُ» أبو جهل . وقيل : هو عام في كل أحد وانسان يرى في ذلك اليوم جزاء ما كسب . وقال مقاتل : زلت قوله «يَوْمَ يُنْظَرُ الْمَرءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ» في أبي سلمة بن عبد الأسد المخزومي «وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ

تُرَابًا) في أخيه الأسود بن عبد الأسد . وقال تعالى : سمعت أبا القاسم بن حبيب يقول : الكافرها هنا إليس وذلك أنه حاب آدم بأنه خلق من تراب وافتخر بأنه خلق من نار ، فإذا عاين يوم القيمة ما فيه آدم وبنوه من الثواب والراحة والرحة ، ورأى ما هو فيه من الشدة والعذاب تمنى أنه يكون مكان آدم ف «يَقُولُ يَا لَيْتِنِي كُنْتُ تُرَابًا» قال : ورأيته في بعض التفاسير للقشيري أبي نصر . وقيل : أى يقول إليس ياليتني خلقت من التراب ولم أقل أنا خير من آدم . وعن ابن عمر : إذا كان يوم القيمة مُدَّت الأرض مُدَّ الآدم ، وحشر الدواب والبهائم والوحش ، ثم يوضع القصاص بين البهائم حتى يقتص للشاة الجماء من الشاة القراء بفتحتها ، فإذا فرغ من القصاص بينها قيل لها : كوني ترابا ، فعند ذلك يقول الكافر : «يَا لَيْتِنِي كُنْتُ تُرَابًا» . ونحوه عن أبي هريرة وعبد الله بن العاص رضي الله عنهم . وقد ذكرناه في كتاب التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة محمودا والحمد لله . ذكر أبو جعفر النحاس : حدثنا أحمد بن محمد بن نافع ، قال حدثنا سلمة بن شبيب قال حدثنا عبد الرزاق قال حدثنا معمر ، قال أخبرني جعفر بن بركان الحزري عن يزيد بن الأصم عن أبي هريرة قال : إن الله تعالى يحشر الخلق كلهم من دابة وطائر وإنسان ثم يقال للبهائم والطير كوني ترابا فعند ذلك «يَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتِنِي كُنْتُ تُرَابًا» . وقال قوم : «يَا لَيْتِنِي كُنْتُ تُرَابًا» أى لم أبعث كما قال : «يَا لَيْتِنِي لَمْ أَوْتِ كَائِبَةً» . وقال أبو الزناد : إذا قُضى بين الناس ، وأمر بأهل الجنة إلى الجنة ، وأهل النار إلى النار ، قيل لسائر الأمم ولمؤمني الجنة عودوا ترابا فيعودون ترابا ، فعند ذلك يقول الكافر حين يراهم «يَا لَيْتِنِي كُنْتُ تُرَابًا» . وقال ليث بن أبي سليم : مؤمنو الجنة يعودون ترابا . وقال عمر بن عبد العزيز والزهرى والكابى وبجاهد : مؤمنو الجنة (١) حول الجنة في ربض ورحاب وليسوا فيها . وهذا أصح وقد مضى في سورة «الرحمن» بيان هذا وأنهم مكفرون يثابون ويعاقبون فهم كبني آدم ، والله أعلم بالصواب .

سورة النازعات

مكية بـلِيْجَامِعٍ . وهي خمس أو ست وأربعون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قوله تعالى : وَالنَّزِعَاتِ غَرْقًا وَالنَّشْطَاتِ تَشْطَا ﴿٢﴾
وَالسَّبِحَاتِ سَبَحَا ﴿٣﴾ فَالسَّقِيقَاتِ سَبَقاً ﴿٤﴾ فَالْمُدَرَّاتِ أَمْرَا ﴿٥﴾
يَوْمَ تَرْجُفُ الْرَّاجِفَةُ ﴿٦﴾ تَتَبَعُهَا الْرَّادِفَةُ ﴿٧﴾ قُلُوبُ يَوْمَذِ وَاجْفَةُ ﴿٨﴾
أَبْصَرُهَا خَلِيشَةٌ ﴿٩﴾ يَقُولُونَ أَءَنَا لَمَرْدُودُونَ فِي الْخَافِرَةِ ﴿١٠﴾ أَءَذَا
كُنَّا عَظَمًا نَحِرَةً ﴿١١﴾ قَالُوا تِلْكَ إِذَا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ ﴿١٢﴾ فَإِنَّمَا هِيَ
زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ ﴿١٣﴾ فَإِذَا هُم بِالسَّاهِرَةِ ﴿١٤﴾

قوله تعالى : ((والنَّازِعَاتِ غَرْقًا)) أقسم سبحانه بهذه الأشياء التي ذكرها على أن القيامة حق . و «النَّازِعَاتِ» الملائكة التي تنزع أرواح الكفار ، قاله علی رضى الله عنه ، وكذا قال ابن مسعود و ابن عباس و مسروق و مجاهد : هي الملائكة تنزع نفوس بني آدم . قال ابن مسعود : يريد أنفس الكفار ينزعها ملك الموت من أجسادهم ، من تحت كل شعرة ، ومن تحت الأظافير وأصول القدمين نزاعاً كالسفود يتزع من الصوف الرطب ، ثم يغرقها أى يرجعها في أجسادهم ، ثم ينزعها ، فهذا عمله بالكافار . وقاله ابن عباس . وقال سعيد بن جبير : نُزِعَتْ أَرْوَاحُهُمْ ثُمَّ غُرِّقَتْ ثُمَّ حُرِّقتْ ثُمَّ قُذِفَتْ بِهَا فِي النَّارِ . وقيل : يرى الكافر نفسه في وقت النزع كأنها تغرق . وقال السدي : و «النَّازِعَاتِ» هي النقوس حين تغرق في الصدور . مجاهد : هي الموت ينزع النقوس . الحسن وقتادة : هي النجوم تنزع من أفق إلى أفق ؛ أى تذهب من قوله : نزع إليه أى ذهب ، أو من قوله : نزع الخيل أى حرث . «غَرْقًا»

أى إنها تغرق وتغيب وتطلع من أفق إلى أفق آخر . وقاله أبو عبيدة وآبن كيسان والأخفش .
وقيل : النازعات القسمى تزعز بالسهام ، قاله عطاء وعكرمة . و «غرقاً» بمعنى إغراقاً وإغراق
النازع في القوس أن يبلغ غاية المدى حتى ينتهي إلى النصل . يقال : أغرق في القوس أى
استوف مدها ، وذلك بأن تنتهي إلى العقب الذي عند النصل الملقوف عليه . والاستغراق
الأستيعاب . وينقال لفترة البيضة الداخلة : «غرقاً» . وقيل : هم الغزا الرماة .
قلت : هو والذى قبله سواء ؛ لأنه إذا أقسم بالقسمى فالمراد النازعون بها تعظيمها لها ، وهو
مثل قوله تعالى : «وَالْعَادِيَاتِ ضَبَحَا» والله أعلم . وأراد بالإغراق المبالغة في التزعز وهو
سائع في جميع وجوه تأويلاها . وقيل : هي الوحش تزعز من الكلأ وتنفر . حكاه يحيى بن
سلام . ومعنى «غرقاً» أى إبعادا في التزعز .

قوله تعالى : ((وَالنَّاسِطَاتِ نَشَطًا)) قال آبن عباس : يعني الملائكة تنشط نفوس
المؤمن فتقبضها كما ينشط العقال من يد البعير إذا حل عنه . وحكي هذا القول الفراء ثم قال :
والذى سمعت من العرب أن يقولوا أنشطت وكأنما أنشط من عقال . وربطها نشطها
والرابط الناشط ، وإذا ربطت الحبل في يد البعير فقد نشطته فأنت ناشط ، وإذا حملته فقد
أشطته وأنت مُنشط . وعن آبن عباس أيضا : هي أنفس المؤمنين عند الموت تنشط
للخروج ؛ وذلك أنه مامن مؤمن [يحضره الموت] إلا وترعرض عليه الحنة قبل أن يموت
فيري فيها ما أعد الله له من أزواجها وأهله من الحور العين فهم يدعونه إليها فنفسه إليهم نشطة
أن تخرج فأتاهم . وعنده أيضا قال : يعني أنفس الكفار والمنافقين تنشط كما ينشط العقب ،
الذى يعقب به السهم ، والعقب بالتحرىك العصب الذى تعمى منه الأوتار ، الواحدة عقبة
تقول منه : عقب السهم والقدح والقوس عقبا إذا لوى شيئا منه عليه . والنـشـطـ الحـذـبـ بـسـرـعـةـ
ومنه الأشـوطـةـ عـقـدةـ يـسـهلـ آخـلـاـمـ إـذـاـ جـذـبـتـ مـثـلـ عـقـدةـ التـكـةـ . وقال أبو زيد : نشطت

(١) في نسخ الأصل : تزعز من الكلأ . وفي البحر : تزعز مل ... الخ .

(٢) الزيادة من تفسير الثعلبي .

الحبل أنشطه نشطا عقده بأشوطة ، وأنشطته أى حلاسه ، وأنشطت الحبل أى مددته حتى ينخل . وقال الفراء : أنشط العقال أى حل ونشط أى ربط الحبل في يديه . وقال الليث : أنشطته بأشوطة وأنشوطتين أى أوتقته ، وأنشطت العقال أى مدلت أشوطته فانحلت . قال : ويقال نشط بمعنى أنشط لفutan بمعنى ؟ وعليه يصح قول آبن عباس المذكور أعلاه . وعنـه أيضاً : الناشطات الملائكة لنشاطـها تذهب وتحـيـء بأمر الله حـيـها كان . وعنـه أيضاً وعنـ عليـ رضـيـ اللهـ عنـهمـا : هيـ الملائـكةـ تـنشـطـ أـروـاحـ الـكـفـارـ ماـيـنـ الـحـلـدـ وـالـأـظـفارـ حتىـ تـخـرـجـهاـ منـ أـجـوـافـهـمـ نـشـطاـ بـالـكـبـ والـغـمـ كـماـ تـنشـطـ الصـوـفـ منـ سـفـودـ الـحـدـيدـ وهـيـ منـ النـشـطـ بـعـنىـ الـجـذـبـ ؟ يـقالـ : نـشـطـ الدـلـوـ أـنـشـطـهـاـ بـالـكـسـرـ وـأـنـشـطـهـاـ بـالـضـمـ أـىـ نـزـعـهـاـ . قالـ الأـصـحـيـ : بـئـرـ أـنـشـاطـ أـىـ قـرـيـةـ الـقـعـرـ تـخـرـجـ الدـلـوـ مـنـ بـيـنـهـاـ بـيـنـذـبـةـ وـاحـدـةـ . وـبـئـرـ أـشـوطـ ؟ قالـ : وـهـيـ الـتـىـ لـاـ يـخـرـجـ مـنـهـاـ الدـلـوـ حـتـىـ نـشـطـ كـثـيرـاـ . وـقـالـ مجـاهـدـ : هـوـ الـمـوـتـ يـنـشـطـ نـفـسـ الـإـنـسـانـ . السـدـىـ : هيـ الـنـفـوسـ حـيـنـ تـنشـطـ مـنـ الـقـدـمـينـ . وـقـيلـ : النـازـعـاتـ أـيـدـىـ الـغـزـاةـ أوـ أـنـفـسـهـمـ تـنـزـعـ الـقـسـىـ بـيـغـرـاقـ السـهـامـ وهـيـ الـتـىـ تـنشـطـ الـأـوـهـاـقـ . عـكـمةـ وـعـطـاءـ : هيـ الـأـوـهـاـقـ تـنشـطـ السـهـامـ . وـعـنـ عـطـاءـ أـيـضاـ وـقـاتـادـةـ وـالـحـسـنـ وـالـأـخـفـشـ : هيـ النـجـومـ تـنشـطـ مـنـ أـفـقـ إـلـىـ أـفـقـ أـىـ تـذـهـبـ . وـكـذـاـ فـيـ الصـحـاحـ . «ـ وـالـنـاشـطـاتـ تـشـطاـ » يـعـنىـ النـجـومـ مـنـ بـرـجـ إـلـىـ بـرـجـ كـالـثـورـ النـاشـطـ مـنـ بـلـدـ إـلـىـ بـلـدـ . وـالـهـمـومـ تـنشـطـ بـصـاحـبـهـاـ ، قـالـ هـمـيـانـ بـنـ خـافـةـ : أـمـسـتـ هـمـوـيـ تـنشـطـ الـمـنـاـشـطاـ * الشـامـ بـيـ طـوـرـاـ وـطـوـرـاـ وـأـسـطاـ أبوـ عـيـدةـ وـعـطـاءـ أـيـضاـ : النـاشـطـاتـ هـيـ الـوـحـشـ حـيـنـ تـنشـطـ مـنـ بـلـدـ إـلـىـ بـلـدـ ، كـاـنـ الـهـمـومـ تـنشـطـ الـإـنـسـانـ مـنـ بـلـدـ إـلـىـ بـلـدـ ؟ وـأـنـشـدـ قـولـ هـمـيـانـ : * أـمـسـتـ هـمـوـيـ ... * الـبـيـتـ

وـقـيلـ : «ـ وـالـنـازـعـاتـ » لـالـكـافـرـينـ «ـ وـالـنـاشـطـاتـ » لـلـؤـمـيـنـ ، فـالـمـلـائـكةـ يـجـذـبـونـ رـوـحـ الـمـؤـمـنـ بـرـفـقـ وـالـتـقـعـ جـذـبـ بـشـدـةـ وـالـنـشـطـ جـذـبـ بـرـفـقـ . وـقـيلـ : هـمـاـ جـمـيعـاـ لـلـكـفـارـ وـالـآـيـتـانـ بـعـدـهـمـاـ لـلـؤـمـيـنـ عـنـدـ فـرـاقـ الـدـنـيـاـ .

(١) جـمـعـ وـهـيـ بـحـرـكـتـيـنـ وـقـدـ يـسـكـنـ الـحـبـلـ تـشـدـ بـهـ الإـبـلـ وـالـخـيلـ لـلـثـلـاثـةـ ، وـيـقـالـ فـيـ طـرـفـهـ أـشـوطـةـ .

قوله تعالى : «**وَالسَّابِحَاتِ سَبِّحَا**» قال على رضى الله عنه : هي الملائكة تس buoy بأرواح المؤمنين . السكري : هي الملائكة تقبض أرواح المؤمنين ، كالذى يسبح في الماء فاحتاجنا يتغمس وأحياناً يرتفع ، يسلونها سلا رفيراً بسهولة ثم يدعونها تستريح . وقال مجاهد وأبو صالح : هي الملائكة ينزلون من السماء مسرعين لأمر الله ، كما يقال لفرس الجود ساجي إذا أسرع في جريه . وعن مجاهد أيضاً : الملائكة تسبح في نزولها وصعودها . وعن أبي أيوب :

وَالْخَيْلُ تَعْلَمُ حِينَ تَسْ * **سَبِّحْ فِي حِيَاضِ الْمَوْتِ سَبِّحَا**

وقال أمير المؤمنين :

مَسَحَ إِذَا مَا السَّابِحَاتُ عَلَى الْوَنِيْ * **أَتَرْفَتْ غُبَارًا بِالكَدِيدِ الْمُرَكَّلِ**

فتادة والحسن : هي النجوم تسبح في أفلاكها وكذا الشمس والقمر ، قال الله تعالى : «**كُلُّ فِي قَلَّكِ يَسْبُحُونَ**» . عطاء : هي السفن تسبح في الماء . ابن عباس : السابحات أرواح المؤمنين تسبح شوقاً إلى لقاء الله ورحمته حين تخرج .

قوله تعالى : «**فَالسَّابِقَاتِ سَبِّحَا**» قال على رضى الله عنه : هي الملائكة تسحق الشياطين بالوحى إلى الأنبياء عليهم السلام . وقاله مسروق ومجاهد . وعن مجاهد أيضاً وأبي روق : هي الملائكة سبقت ابن آدم بالخير والعمل الصالح . وقيل : تسحق بني آدم إلى العمل الصالح فكتبه . وعن مجاهد أيضاً : الموت يسبق الإنسان . مقاتل : هي الملائكة تسحق بأرواح المؤمنين إلى الجنة . ابن مسعود : هي أنفس المؤمنين تسحق إلى الملائكة الذين يقضونها وقد عاينت السرور شوقاً إلى لقاء الله تعالى ورحمته . ونحوه عن الربيع قال : هي النفوس تسحق بالخروج عند الموت . وقال فتادة والحسن ومعمر : هي النجوم يسبق بعضها ببعضها في السير . عطاء : هي الخيل التي تسحق إلى الجهاد . وقيل : يحتمل أن تكون

(١) مسح : يصب الجرى . الونى : الفنور . الكديد : الموضع الغليظ . المركل : الذى يركل بالأرجل . ومعنى البيت : إن الخيل المسيرة إذا فترت فأثارت الغبار بارجلها من التعب جرى هذا الفرض من جر بيا سهلة كاسبح السحاب المطر .

السابقات ما تسبق من الأرواح قبل الأجساد إلى جنة أو نار ؛ قاله الماوردي . وقال الجرجاني : ذكر « فالساقات » بالفاء لأنها مشتقة من التي قيلها ؛ أى واللائى يسبحون فيسبقون ، تقول : قام فذهب ، فهذا يوجب أن يكون القيام سبباً للذهاب ، ولو قلت : قام وذهب لم يكن القيام سبباً للذهاب .

قوله تعالى : ((فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا)) قال القشيري : أجمعوا على أن المراد الملائكة . وقال الماوردي فيه قوله : أحد هم الملائكة ؛ قاله الجمھور . والقول الثاني هي الكواكب السبعة . حكاه خالد بن معدان عن معاذ بن جبل . وفي تدبيرها الأمر وجهان : أحد هما تدبير طلوعها وأفولها ، الثاني تدبير ما قضاه الله تعالى فيها من تقلب الأحوال . وحيث هذا القول أيضاً القشيري في تفسيره ، وأن الله تعالى علق كثيراً من تدبير أمر العالم بحركات النجوم ، فأضيف التدبير إليها وإن كان من الله ، كما يسمى الشيء باسم ما يجاوره . وعلى أن المراد بالمدبرات الملائكة فتدبيرها تزويتها بالحلال والحرام وتفصيله ؛ قاله ابن عباس وقتادة وغيرهما . وهو إلى الله جل ثناؤه ولكن لما نزلت الملائكة به سميت بذلك ؛ كما قال عن وجـلـ : « نَزَّلَ يـِهـ الرـُّوحـ الـأـمـيـنـ » وكـاـ قـالـ تـعـالـيـ : « فـإـنـهـ نـزـلـهـ عـلـىـ قـلـبـكـ » يعني جبريل نزله على قلب محمد صلى الله عليه وسلم ، والله عن وجـلـ هو الذى نـزـلـهـ . وروى عطاء عن آباء عباس : « فـالـمـدـبـرـاتـ أـمـرـاـ » الملائكة وكلـاتـ بتـدـبـيرـ أـحـوـالـ الـأـرـضـ فيـ الـرـيـاحـ وـالـأـمـطـارـ وغير ذلك . قال عبد الرحمن بن سـاـيـطـ : تـدـبـيرـ أـمـرـ الدـنـيـاـ إـلـىـ أـرـبـعـةـ ؛ جـبـرـيـلـ وـمـيـكـائـيلـ وـمـلـكـ الموت وـآسـمـهـ عـزـرـائـيلـ وـإـسـرـافـيلـ ، فـأـمـاـ جـبـرـيـلـ فـوـكـلـ بـقـبـضـ الـأـنـفـسـ فـيـ الـبـرـ وـالـبـحـرـ ، وـأـمـاـ مـيـكـائـيلـ فـوـكـلـ بـالـقـطـرـ وـالـبـنـاتـ ، وـأـمـاـ مـلـكـ الـمـوـتـ فـوـكـلـ بـقـبـضـ الـأـنـفـسـ فـيـ الـبـرـ وـالـبـحـرـ ، وـأـمـاـ إـسـرـافـيلـ فـهـوـ يـتـزـلـ بـالـأـمـرـ عـلـيـهـمـ ، وـلـيـسـ مـنـ الـمـلـائـكـةـ أـقـرـبـ مـنـ إـسـرـافـيلـ وـبـيـنـهـ وـبـيـنـهـ وـبـيـنـهـ العـرـشـ مـسـيـرـةـ خـمـسـيـةـ عـامـ . وـقـيـلـ : أـىـ وـكـلـواـ بـأـمـرـهـمـ اللـهـ بـهـاـ . وـمـنـ أـوـلـ السـوـرـةـ إـلـىـ هـنـاـ قـسـمـ اللـهـ بـهـ ، وـلـهـ أـنـ يـقـسـمـ بـمـاـ شـاءـ مـنـ خـلـقـهـ وـلـيـسـ لـنـاـ ذـلـكـ إـلـاـ بـهـ عـنـ وجـلـ . وجـوابـ الـقـسـمـ مـضـمـرـ كـأـنـهـ قـالـ : وـالـنـازـعـاتـ وـكـذـاـ لـتـبـعـنـ وـلـتـحـاسـبـنـ أـخـمـرـ لـمـعـرـفـةـ السـامـعـينـ

بالمعنى ؛ قاله الفراء . ويدل عليه قوله تعالى : « أَئِذَا كُلًا عِظَامًا تَخْرَةً » ألسنت ترى أنه كابحوا لقوهم : « أَئِذَا كُلًا عِظَامًا تَخْرَةً » نبعث فأكثف بقوله : « أَئِذَا كُلًا عِظَامًا تَخْرَةً ». وقال قوم : وقع القسم على قوله : « إِنِّي فِي ذَلِكَ لِعَبْرَةٍ لِمَنْ يَحْسَنُ » وهذا اختيار الترمذى ابن علی . أى فيما فصحت من ذكر يوم القيمة وذكر موسى وفرعون « لِعَبْرَةٍ لِمَنْ يَحْسَنُ » ولكن وقع القسم على ما في السورة مذكورا ظاهرا بارزا أخرى وأقمن من أن يؤتى بشيء ليس بذكر فيها . قال ابن الأثيرى : وهذا قبيح ؛ لأن الكلام قد طال فيها بينما . وقيل : جواب القسم « هَلْ أَنْتَكَ حَدِيثُ مُوسَى » لأن المعنى قد أنتاك . وقيل : الجواب (يوم ترجف الراجفة) على تقدير يوم ترجف خذف اللام . وقيل : فيه تقديم وتأخير تقديره يوم ترجف الراجفة تتبعها الرادفة والنماذج غرقا . وقال السجستانى : يجوز أن يكون هذا من التقديم والتأخير كأنه قال : فإذا هم بالساهرة والنماذج . ابن الأثيرى : وهذا خطأ ؛ لأن الفاء لا يفتح بها الكلام والأقل الوجه . وقيل : إنما وقع القسم على أن قلوب أهل النار تجف وأبصارهم تخشع فانتصب « يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ » على هذا المعنى ولكن لم يقع عليه . قال الزجاج : أى قلوب واجفة يوم ترجف . وقيل : أنتصب بإضمار آذك . و « ترجف » أى تضطرب والراجفة أى المضطربة كما قال عبد الرحمن زيد ؛ قال : هي الأرض ، والرادفة الساعة . مجاهد : الراجفة زلزلة (تتبعها الرادفة) الصيحة . وعنده أيضاً ابن عباس والحسن وقتادة : هما الصحيحتان . أى النفحتان أما الأولى فتميت كل شيء بإذن الله تعالى ، وأما الثانية فتحي كل شيء بإذن الله تعالى . وجاء في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " بينما أربعون سنة " وقال مجاهد أيضاً : الرادفة حين تنشق السماء وتُحمل الأرض وإلحاد فتدرك دكّة واحدة وذلك بعد زلزلة . وقيل : الراجفة تحرّك الأرض ، والرادفة زلزلة أخرى تفني الأرضين . فالله أعلم . وقد مضى في آخر (التل) ما فيه كفاية في التفخيم في الصور . وأصل الراجفة الحركة ، قال الله تعالى : « يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ » وليس الراجفة ها هنا من

(1) راجع ج ١٣ ص ٢٣٩ فما بعدها .

الحركة فقط بل من قوله : رَجَفَ الرَّعْدَ رَجْفُ رَجْفًا وَرَجِيفًا أى ظهر الصوت والحركة
ومنه سميت الأراجيف لاضطراب الأصوات بها وإفراط الناس فيها ، قال :

أَبِلْأَرَاجِيفِ يَابْنَ اللَّوْمِ تَوَعَّدُنِي * وَفِي الْأَرَاجِيفِ خَلَتُ اللَّوْمُ وَالخَلْوَرَا

وعن أبي بن كعب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا ذهب ربع الليل قام ثم قال :
”يَا إِلَيْهَا النَّاسُ آذَكُرُوا اللَّهَ جَاءَتِ الرَّاجِفَةُ تَتَبَعَّهَا الرَّادِفَةُ جَاءَ الْمَوْتُ بِمَا فِيهِ“ . (١) (قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ
وَاجْفَةٌ) أى خائفة وجلة ، قاله ابن عباس وعليه عاملا المفسرين . وقال السدي : زائلة عن
أماكنها ، نظيره «إِذْ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ» . وقال المؤتزج : قلقة مستوفزة ، مرتکبة غير
ساكنة . وقال المبرد : مضطربة ، والمعنى متقارب والمراد قلوب الكفار ، يقال وجف القلب
يجف وجيف إذا خفق ، كما يقال : وجف يجف وجيف ، ومنه وجيف الفرس والناقلة
في العدو ، والإيماع حمل الدابة على السير السريع ، قال :

بَدَأَتْ بَعْدَ حِرَّةٍ صَرِيفَاً * وَبَعْدَ طُولِ النَّفِسِ الْوَجِيفَا

و «قُلُوبٌ» رفع بالأبتداء و «وَاجْفَةٌ» صفتها . و (أَبْصَارُهَا خَائِشَةٌ) خبرها ، مثل قوله :
«وَلَعِبْدٌ مُوْمِنٌ حِيرٌ مِنْ مُشِيرٍكِ» ومعنى «خَائِشَةٌ» منكسرة ذليلة من هول ما ترى ؛ نظيره :
«خَائِشَةٌ أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ» والمعنى أبصار أصحابها خدف المضاف . (يَقُولُونَ
أَنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ) أى يقول هؤلاء المكتوبون المنكرون للبعث إذا قيل لهم إنكم
تبثون قالوا منكري متعجبين : أزد بعد موتنا إلى أول الأمر فنعود أحياء كما قبل الموت ؟
وهو كقولهم : «أَنَّا لَمَبْعُونَ حَلْقًا جَدِيدًا» يقال : رجع فلان في حافره وعلى حافرته
أى رجع من حيث جاء ، قاله قتادة . وأنشد ابن الأعرابي :

(١) فائدة مسازل بن ديبة المقري في موسوعة المعاجج . والرواية المشهورة للبيت كا في كتب النحو كشرح
التصريح وغيرها هي :

أَبِلْأَرَاجِيفِ يَابْنَ اللَّوْمِ تَوَعَّدُنِي * وَفِي الْأَرَاجِيفِ خَلَتُ اللَّوْمُ وَالخَلْوَرَا
وَالْأَرَاجِيفُ أَرْجُوزَةٌ وَهِيَ الْفَصَائِدُ الْبَطَارِيَّةُ عَلَى بَحْرِ الرِّيزِ . وَفِي الْأَرَاجِيفِ خَلَتُ اللَّوْمُ مَقْدَمًا مَؤْنَسًا وَتَوْسِطَ خَلَتُ
أَيْ وَمَا خَلَتْ . (٢) مَرْتَكْبَةٌ : مَضْطَرْبَةٌ .

أَحَافِرَةً عَلَى صَلَعٍ وَشَبَبٍ * مَعَاذَ اللَّهِ مِنْ سَقْهٍ وَعَارِ
 يقول : أرجع إلى ما كنت عليه في شبابي من الغزل والصبا بعد أن شببت وصلعت !
 ويقال : رجع على حافره . أى الطريق الذى جاء منه . وقولهم فى المثل : النَّقْد عند
 الحافرة . قال يعقوب : أى عند أول كلسة . ويقال : آلتى القوم فاقتتلوا عند الحافرة .
 أى عند أول ما آلتقا . وقيل : الحافرة العاجلة ؛ أى أثنا لمددون إلى الدنيا فنصير أحياء
 كما كان ؟ قال الشاعر :

آتَيْتُ لَا إِنْسَاكُمْ فَأَعْلَمُوا * حَتَّى يُرَدَ النَّاسُ فِي الْحَافِرَةِ

وقيل : الحافرة الأرض التي تحفر فيها قبورهم فهى بمعنى المحفورة ؛ كقوله تعالى : « مَاء
 دَافِقٌ » و « مِيشَةٌ رَاضِيَةٌ » والمعنى أثنا لمددون في قبورنا أحياء . قال مجاهد والخليل
 والفراء . وقيل : سميت الأرض الحافرة ؛ لأنها مستقرة الحوافر كما سميت القدم أرضا ؛
 لأنها على الأرض . والمعنى أثنا لراجعون بعد الموت إلى الأرض فنمثى على أقدامنا . وقال
 ابن زيد : الحافرة النار وقرأ « تِلْكَ إِذَا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ » . وقال مقانل وزيد بن أسلم : هي
 أسم من أسماء النار . وقال ابن عباس : الحافرة في كلام العرب الدنيا . وقرأ أبو حبيبة :
 « الْحَفِرَةُ » بغير ألف مقصور من الحافرة . وقيل : الحفرة الأرض المنتنة بأجسام موتها ؛
 من قولهم : حفرت أسنانه إذا ركبها الوسخ من ظاهرها وباطنها . يقال : في أسنانه حفر
 وقد حَفَرَتْ تَحْفِرُ حَفْرًا ، مثل كسر يكسر كسرًا إذا فسدت أصواتها . وبنو أسد يقولون :
 في أسنانه حفر بالتحريك . وقد حفرت مثل تعب تعبا وهى أردا للغتين ؛ قاله في الصحاح .
 (أَئَدَا كَعْظَامًا نَخْرَةً) أى بالية متفتة . يقال : تَنَحَّر العظم بالكسر أى بلي وتفتت ؛ يقال :
 عظام نخرة وكذا قرأ الجمهور من أهل المدينة ومكة والشام والبصرة وأختاره أبو عبيد ؛ لأن
 الآثار التي تذكر فيها العظام نظرنا فيها فرأينا نخرة لا ناخرة . وقرأ أبو عمرو وآبنه عبد الله
 وآبن عباس وآبن مسعود وآبن الزبير ومحزنة والكسائي وأبو بكر « نَاخِرَةً » بالف وأختاره
 الفراء والطبرى وأبو معاذ التحوى ؛ لوفاق رءوس الآى . وفي الصحاح : والنَّاخِرُ من العظام

التي تدخل الريح فيه ثم تخرج منه وها نَحْرِيْرُ . ويقال : ما بها نَاحْرَأَى ما بها أَحَد . حكاها يعقوب عن الباهلي . وقال أبو عمرو بن العلاء : النَّاحِرَةُ الَّتِي لَمْ تَخْرُجْ بَعْدَ أَنْ تَبْلُغْ . وقيل : النَّاحِرَةُ الْمَجْوَفَةُ . وقيل : هَمَا لِغَتَانَ بِعْنَى ؟ كَذَلِكَ تَقُولُ الْعَرَبُ : نَحْرُ الشَّيْءِ فَهُوَ نَحْرُ وَنَاحِرٍ كَقُولَمْ : طَمْعٌ فَهُوَ طَمْعٌ وَطَامِعٌ وَحَدَّرٌ وَحَادِرٌ وَيَخْلُ وَبَارِخٌ وَفَوَرٌ وَفَارِهٌ . قال الشاعر :

يَظْلِلُ إِلَيْهَا الشَّيْخُ الَّذِي كَانَ بَادِنَا * يَدِبُّ عَلَى عُوجٍ لَّهَ تَنْحِيرَاتٍ
عُوجٌ يَعْنِي قَوَامٌ . وَفِي بَعْضِ التَّفْسِيرِ : نَاحِرَةٌ بِالْأَلْفِ بِالْيَاءِ وَنَحْرَةٌ تَخْرُجُ فِيهَا الْرَّيحُ أَيْ تَمْرِفُ فِيهَا
عَلَى عَكْسِ الْأُولَى ؛ قَالَ^(١) :

* مِنْ بَعْدِ مَا صَرَّتْ عِظَامًا نَاحِرَةَ *

وقال بعضهم : النَّاحِرَةُ الَّتِي أَكَلَتْ أَطْرَافَهَا وَبَقِيَتْ أَوْسَاطُهَا . وَالنَّحْرَةُ الَّتِي فَسَدَتْ كُلُّهَا .
وقال مجاهد : نَحْرَةٌ أَيْ مَرْفُوتَةٌ ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى : « عِظَاماً وَرُفَاتَانِ » وَنَحْرَةُ الْرَّيحِ بِالضمِّ شَدَّةٌ
هَبُوبُهَا . وَالنَّحْرَةُ أَيْضًا وَالنَّاحِرَةُ مَثَلُ الْهُمَزَةِ مَقْدَمُ أَنْفِ الْفَرَسِ وَالْحَمَارِ وَالْحَنْزِيرِ ؛ يَقُولُ :
هَشَّمَ نَحْرَتَهُ أَيْ أَنْفَهُ . (فَالَّذِي تَلَكَ إِذَا كَرَّهَ حَاسِرَةً) أَيْ رَجْعَةٌ خَائِبَةٌ كَاذِبَةٌ باطِلَةٌ أَيْ لَيْسَ
كَاشَةٌ ؛ قَالَهُ الْحَسْنُ وَغَيْرُهُ . الرَّبِيعُ بْنُ أَنْسٍ : « حَاسِرَةً » عَلَى مَنْ كَذَبَ بِهَا . وَقَالَ :
أَيْ هِيَ كَرَّهَ خَسْرَانٌ . وَالْمَعْنَى أَهْلُهَا خَاسِرُونَ ؛ كَمَا يَقُولُ : تَجَارَةٌ رَابِحَةٌ أَيْ يَرْجِعُ صَاحِبُهَا .
وَلَا شَيْءٌ أَخْسَرَ مِنْ كَرَّهَ تَقْتَضِيَ الْمُصِيرَ إِلَى النَّارِ . وَقَالَ قَتَادَةُ وَمُحَمَّدُ بْنُ كَعْبٍ : أَيْ لَئِنْ رَجَعْنَا
أَحْيَاءً بَعْدَ الْمَوْتِ لَنُحْشِرَنَا بِالنَّارِ ، وَإِنَّمَا قَالُوا هَذَا لِأَنَّهُمْ أَوْعَدُوا بِالنَّارِ . وَالْكَرَّ الرَّجُوعُ ؛
يَقُولُ : كَرَّهَ وَكَرَّ بِنْفَسِهِ يَتَعَدَّدُ وَلَا يَتَعَدَّ . وَالْكَرَّةُ الْمَرَةُ وَالْجَمْعُ الْكَرَاتُ . (فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ
وَاحِدَةٌ) ذَكَرَ جَلَ شَنَاؤه سَهْوَةُ الْبَعْثِ عَلَيْهِ فَقَالَ : « فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ » . وَرَوَى
الضِّيَاحُكُ عنْ أَبْنِ عَبَّاسٍ قَالَ : نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ (فَإِذَا هُمْ) أَيْ الْخَلَائِقُ أَجْمَعُونَ (بِالسَّاهِرَةِ)
أَيْ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ بَعْدَ مَا كَانُوا فِي بَطْنِهَا . قَالَ الْفَرَاءُ : سَمِيتَ بِهَذَا الْأَسْمَاءِ ؛ لَأَنَّ فِيهَا نَوْمٌ

(١) قَاتَلَهُ الْهَمَدَانُ يَوْمَ الْقَادِسِيَّةِ .

الحيوان وسميرهم . والعرب تسمى الفلاة ووجه الأرض ساَهِرَةً بمعنى ذات سمير ، لأنَّه يسمِّر فيها خوفاً منها فوصفتها بصفة ما فيها ، وأَسْتَدَلَ أَبْنُ عَبَاسٍ والمفسرون بقول أمية أَبْنَ أَبِي الصَّلَتِ :

وَفِيهَا لَحْمٌ سَاهِرٌ وَبَخْرٌ * وَمَا فَاهُوا بِهِ لَهُمْ مُقْرِبٌ

وقال آخر يوم ذي قارٍ لفرسه :

أَقْدَمْ مَحَاجِ إِنْهَا الْأَسَاوِرَهُ * وَلَا يَهُولَنَّكَ رَجُلُ نَادِرَهُ
فَإِنَّمَا قَصْرُكَ تُرْبُ السَّاهِرَهُ * ثُمَّ تَعُودُ بَعْدَهَا فِي الْحَافِرَهُ
* مِنْ بَعْدِ مَا صَرَّتْ عِظَامًا نَانِرَهُ *

وفي الصحاح : ويقال : السَّاهُور ظل الساَهِرَة وهي وجه الأرض . ومنه قوله تعالى : «فَإِذَا هُم بِالسَّاهِرَهِ» قال أبو كثیر المُهَذَّبِ :

يَرْتَدَنَ سَاهِرَهُ كَانَ جَمِيمَهَا * وَعَمِيمَهَا أَسْدَافُ لَيْلٍ مُّظْلِمٍ

ويقال : السَّاهُور كالغلاف للقمر يدخل فيه إذا كسف ، وأنشدوا قول أمية بن أبي الصَّلَتِ :

* قَرُوسَاهُور يَسْلُ وَيُعْمَدُ *

وأنشدوا الآخر في وصف أمَّة :

كَانَهَا عِرْقُ سَامٍ عِنْدَ ضَارِبِهِ * أَوْ شَقَّةٌ تَرْجَتْ مِنْ جَوْفِ سَاهُورِ

يريد شقة القمر . وقيل : الساَهِرَة هي الأرض البيضاء . وروى الضحاك عن أَبْنَ عَبَاسٍ قال : أرض من رُضَّة لم يُعْصِ الله جل شأنه عليها قط خلقها حينئذ . وقيل : أرض جدها

(١) هذه الآيات للهمدانى يوم القادسية وقد تقدم ذكرها . محاج : أسم فرس الشاعر . وفي المسان مادة «خمر» : أقدم أخانهم . ولا يهولنك روس . وف السين : بادره . (٢) الجيم بالجيم ، النبت الذى قد نبت وأرتفع قليلاً ولم يتم كل انتقام ، والعيم المكتمل الناتم من النبت ، والأسداف جمع سدف بالتحريك وهو غلبة الليل .

(٣) هذا كما ترجم العرب في الجاهلية . (٤) وصدر البيت :

* لا يقص فيه غير أن خبيثه *

(٥) كذلك في نسخ الأصل التي بأيدينا والذى في المسان مادة «سمير» أو فلقة .

الله يوم القيمة . وقيل : الساهر آسم الأرض السابعة يأتي بها الله تعالى فيحاسب عليها الخلائق ، وذلك حين تبدل الأرض غير الأرض . وقال التورى : الساهر أرض الشام . وهب بن منبه : جبل بيت المقدس . عثمان بن أبي العاتكة : إنه آسم مكان من الأرض بعينه بالشام وهو الصقع الذي بين جبل أريحا وجبل حسان يمده الله كيف يشاء . قنادة : هي جهنم أى فإذا هؤلاء الكفار في جهنم . وإنما قيل لها ساهرة ؛ لأنهم لا ينامون عليها حينئذ . وقيل : الساهره بمعنى الصحراء على شفير جهنم ؛ أى يوقفون بأرض القيمة فيدوم السهر حينئذ . ويقال : الساهر الأرض البيضاء المستوية سميت بذلك ، لأن السراب يحرى فيها من قوله عين ساهرة جارية الماء وفي ضدها ناءة ؛ قال الأشعث بن قيس :

وساهره يضحي المسارب محللاً * لاقتارها قد جئتها متلثاً

أولان سالكها لا ينام خوف الملائكة ..

قوله تعالى : هَلْ أَتَكَ حَدِيثُ مُوسَىٰ إِذْ نَادَهُ رَبُّهُ يَا لَوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوَىٰ آذَهَبْ إِلَيْ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَيْ أَنْ تَرَكَىٰ وَأَهْدِيَكَ إِلَيْ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ فَارِئَهُ الْأَلْيَةَ الْكُبْرَىٰ فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ فَهَشَّرَ فَنَادَىٰ فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمْ أَلَا عَلَىٰ فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَأَلْوَانَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعْبَةً لِمَنْ يَخْشَىٰ

قوله تعالى : (هَلْ أَتَكَ حَدِيثُ مُوسَىٰ . إِذْ نَادَهُ رَبُّهُ يَا لَوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوَىٰ) أى قد جاءك وبلغك « حديث موسى » وهذا تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم . أى إن فرعون

(١) ذكره الطبرى أيضاً .

كان أقوى من كفار عصرك ثم أخذناه وكذلك هؤلاء . وقيل : « هل » بمعنى « ما » أي ما أتاك ولكن أخبرت به فإن فيه عبرةً لمن يخشى . وقد مضى من خبر موسى وفرعون في غير موضع ما فيه كفاية . وفي « طوى » ثلاث قراءات :قرأ ابن محيصن وأبن عامر والkovيون « طوى » منوناً وآختره أبو عبيد لخلفة الأسم . الباقيون بغير تنوين ؛ لأنه معدول مثل عمر وفتم ؛ قال الفراء : طوى واد بين المدينة ومصر . قال : وهو معدول عن طاوي كاعدل عمر عن عامر . وقرأ الحسن وعكرمة « طوى » بكسر الطاء وروى عن أبي عمرو على معنى المقدس مرأة بعد مرأة ؛ قاله الزجاج ؛ وأنشد :

أَعَاذُلَ إِنَّ اللَّوْمَ فِي غَيْرِ كُنْهِهِ * عَلَى طَوَى مِنْ غَيْرِكَ الْمُتَرَدِّدِ

(٣) أى هو لومٌ مكررٌ على . وقيل : ضم الطاء وكسرها لغتان وقد مضى في « طه » الفول فيه . ((آذَهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ)) أى ناداه ربـهـ خـذـفـ لـأـنـ النـدـاءـ قولـ ؛ فـكـانـهـ ؛ قال له ربـهـ « آذَهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ » . ((إِنَّهُ طَغَى)) أى جاوز القدر في العصيان . وروى عن الحسن قال : كان فرعون علباً من همدان . وعن مجاهد قال : كان من أهل إصطخر . وعن الحسن أيضاً قال : من أهل أصبهان يقال له ذو ظفر طوله أربعة أشبار . ((فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَى أَنْ تَزَكَّ)) أى تسلم فظهور من الذنب . وروى الضحاك عن ابن عباس قال : هل لك أن تشهد أن لا إله إلا الله . ((وَاهْسِدِيَكَ إِلَى رَبِّكَ)) أى وأرشدك إلى طاعة ربـكـ ((فَتَحْشَى)) أى تخافـهـ وتتقـيهـ . وقرأ نافع وأبنـ كـثـيرـ « تَزَكَّ » بالتشديد الزاي على إدغام التاءـ فيـ الزـايـ لأنـ أـصـلـهـاـ تـقـرـيـكـ الـبـاقـيـونـ : « تَزَكَّ » بـتحـفيـفـ الزـايـ على معنى طرحـ التـاءـ . وقال أبو عمرو : « تَزَكَّ » بالتشديد [تصدقـ بـ] الصـدـقةـ وـ « تَزَكَّ » تكون زـيـكاـ مؤـمنـاـ . وإنـماـ دـعاـ فـرعـونـ ليـكونـ زـيـكاـ مؤـمنـاـ . قالـ : فـلـهـذاـ آخـتـرـناـ التـحـفيـفـ . وـقـالـ ضـحـرـ بنـ جـوـرـيـةـ :

(١) راجع ج ٧ ص ٢٥٦ فـاـ بـعـدـهـاـ وـجـ ١١ صـ ٢٠٠ فـاـ بـعـدـهـاـ وـجـ ١٣ صـ ٢٥٠ فـاـ بـعـدـهـاـ .

(٢) قـائلـهـ عـدـىـ بـنـ زـيـدـ . (٣) راجع ج ١١ ص ١٧٥ .

(٤) الـزيـادـةـ مـنـ الطـبـرـيـ وـهـيـ لـازـمـةـ .

لما بعث الله موسى إلى فرعون قال له : « أَذْهَبْ إِلَى فَرْعَوْنَ » إلى قوله « وَاهْدِيْكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى » ولن يفعل ؟ فقال : يا رب وكيف أذهب إليه وقد علمت أنه لا يفعل ؟ فأوحى الله إليه أن أمض إلى ما أمرتك به فإن في السماء آثني عشر ألف ملك يطلبون علم القدر فلم يبلغوه ولا يدركونه . (فَارَأَهُ الْآيَةُ الْكُبْرَى) أى العلامة العظمى وهي المعجزة . وقيل : العصا . وقيل : اليد البيضاء تبرق كالشمس . وروى الضحاك عن ابن عباس : الآية الكبرى قال المصا . الحسن : يده وعصاه . وقيل : فلق البحر . وقيل : الآية إشارة إلى جميع آياته ومعجزاته . (فَكَذَّبَ) أى كذب نبي الله موسى (وَعَصَى) أى عصى ربه عن وجل . (ثُمَّ أَذْبَرَ يَسْعَى) أى ول مدبرا معرضًا عن الإيمان « يَسْعَى» أى يعمل بالفساد في الأرض . وقيل : يعمل في نكبة موسى . وقيل : « أَذْبَرَ يَسْعَى» هاربا من الحياة . (فَخَسَرَ) أى جمع أصحابه ينتفعون منها . وقيل : جمع جنوده للقتال والمحاربة والسحر للعارضه . وقيل : حشر الناس للحضور . (فَنَادَى) أى قال لهم بصوت عال (أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى) أى لا رب لكم فوق . ويروى : إن إبليس تصور لفرعون في صورة الإنسان بمصر في الحمام فأنكره فرعون ، فقال له إبليس : ويحيك ! أما تعرفي ؟ قال : لا . قال : وكيف وأنت خلقتني ؟ ألسنت القائل أنا ربكم الأعلى . ذكره الشاعري في كتاب العرائس . وقال عطاء : كان صنع لهم أصناما صغارا وأمرهم بعبادتها فقال أنا رب أصنامكم . وقيل : أراد القادة والсадة هو ربهم وأولئك هم أرباب السفلة . وقيل : في الكلام تقديم وتأخير ؛ فنادي خضر ؛ لأن النساء يكون قبل الخضر . (فَأَخْذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى) أى نكال قوله : « مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي » قوله بعد : « أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى» قاله ابن عباس ومجاهد وعكرمة . وكان بين الكلمتين أربعون سنة ؛ قاله ابن عباس . والمعنى أنه في الأولى ثم أخذه في الآخرة فعدبه بكلمته . وقيل : نكال الأولى هو أن أغرقه ، ونكال الآخرة العذاب في الآخرة . قاله قتادة وغيره . وقال مجاهد : هو عذاب أقوى عمره وآخره . وقيل : الآخرة قوله « أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى» والأولى تكذيبه لموسى . عن قتادة أيضًا .

و «نَكَالٌ» منصوب على المصدر المؤكّد في قول الزجاج؛ لأنّ معنى أخذه الله نكل الله به فانحرج [نَكَالٌ] مكان مصدر من معناه لا من لفظه . وقيل : نصب بنزع حرف الصفة ، أى فأخذه الله بـنـكـالـ الآنـرـةـ فـلـمـاـ نـزـعـ الـخـافـضـ نـصـبـ . وـقـالـ الفـزـاءـ : أـىـ أـخـذـهـ اللـهـ أـخـذـاـ نـكـالـ أـىـ لـنـكـالـ . وـالـنـكـالـ آـمـمـ لـمـ جـعـلـ نـكـالـ لـلـغـيـرـ أـىـ عـقـوـبـةـ لـهـ حـتـىـ يـعـتـرـبـهـ . يـقـالـ : نـكـالـ فـلـانـ بـفـلـانـ إـذـ أـخـنـهـ عـقـوـبـةـ . وـالـكـلـمـةـ مـنـ الـأـمـتـنـاعـ وـمـنـهـ النـكـولـ عـنـ الـيمـينـ وـالـنـكـلـ (٢) . وـقـدـ مـعـنـىـ فـيـ سـوـرـةـ «ـالـمـزـمـلـ»ـ وـالـحـمـدـ لـهـ . (إـنـ فـيـ ذـلـكـ لـعـبـرـةـ)ـ أـىـ آـعـتـارـاـ وـعـظـةـ . (لـمـ يـخـشـيـ)ـ أـىـ يـخـافـ اللـهـ عـنـ وـجـلـ .

قوله تعالى : أَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاوَاتِ بَنَتْهَا رَفِعَ سَمَكَهَا فَسَوَّلَهَا وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَنْجَرَ ضَحْنَهَا وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَنَهَا أَنْجَرَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرَعَهَا وَأَنْجَبَ الْأَرْسَلَهَا رَبِيعَ مَتَّعًا لَكُمْ وَلَا نَعْلَمُ كُمْ

قوله تعالى : (أَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا) يزيد أهل مكة أى أخلقكم بعد الموت أشد في تقديركم (أَمِ السَّمَاوَاتِ) فمن قدر على السماء قدر على الإعادة، كقوله تعالى : «نَحْلَقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ» وقوله تعالى : «أَوْلَئِكَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ» فمعنى الكلام التقرير والتوضيح . ثم وصف السماء فقال : (بَنَاهَا) أى رفعها فوقكم كالبناء . (رَفِعَ سَمَكَهَا) أى أعلى سقفها في المسواء ، يقال : سُمِّكَ الشَّيْءُ أى رفعته في الهواء وسمِّكَ الشَّيْءُ سُموِّكَا أَرْفَعَ . وقول الفراء : كل شيء حمل شيئاً من البناء وغيره فهو سُمِّكَ . وبناء سُمُّوكَ وسَنَام سَامِكَ تَامِكَ أى عالٍ والمسموّكات السموات . ويقال : سُمِّكَ في الدِّيمَ أى آصعد في الدرجة .

(١) زيادة تقتضيها العبارة . (٢) راجع ص ٤٥ من هذا الجزء . (٣) الذي في اللغة المسموّكات

مسموّمات وورد كذلك في الخبر وصحّ اثناج أن المسموّكات لغة لا لحن وبها ورد الخبر عن طريق آخر .

قوله تعالى : ((فَسَوَّاهَا)) أى خلقها خلقاً مستواً لا تفاوت فيه ولا شقوق ولا فطور .
 ((وَأَغْطَشَ لِيَلَهَا)) أى جعله مظلماً ؛ غطش الليل وأغطشه الله ؛ كقولك : ظلم [الليل]^(١) وأظلمه الله . ويقال أيضاً : أغطش الليل بنفسه وأغطشه الله ؛ كما يقال : أظلم الليل وأظلمه الله . والغطش والغيش الظلمة ورجل أغطش أى أغنى أو شبه به وقد غطش والمرأة غطشاء ؛ ويقال : ليلة غطشاء وليل أغطش ، وفلاة غطشى لا يهتدى لها ؛ قال الأعشى :
 (٢) *وَيَهْمَاءُ بِاللَّيْلِ غَطْشَى الْفَلَاءِ * ۝ يُؤْنِسُنِي صَوْتُ فَيَادِهَا*
 وقال الأعشى أيضاً :

*عَقَرْتُ لَهُمْ مَوْهِنَا نَاقِتِي * ۝ وَغَامِرْهُمْ مَدَهِنِيْمُ غَطْشَ*

يعنى بغامرهم ^{لَهُمْ} لأنّه غمرهم بسواده . وأضاف الليل إلى السماء لأنّ الليل يكون بغرور الشمس والشمس مضاد إلى السماء ؛ ويقال : نجوم الليل لأنّ ظهورها بالليل . ((وَأَنْجَرَ
 حُكَّاهَا)) أى أبرز نهارها وضوءها وشمسمها . وأضاف الضحى إلى السماء كما أضاف إليها الليل ؛ لأنّ فيها سبب الظلام والضياء وهو غروب الشمس وطلوعها . ((وَالأَرْضَ بَعْدَ
 ذَلِكَ دَحَاهَا)) أى بسطها . وهذا يشير إلى كون الأرض بعد السماء . وقد مضى القول فيه
 في أول «البقرة» عند قوله تعالى : «هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً ثُمَّ آسَتَوْيَ^(٣)
 إِلَى السَّمَاءِ» مستوفى . والعرب تقول : دحوت الشيء أدحوه دحوا إذا بسطته . ويقال
 لعش النعامة أذحى ؛ لأنّه مبسوط على وجه الأرض . وقال أمية بن أبي الصّلت :

*وَبَثَ الْخَلْقَ فِيهَا إِذْ دَحَاهَا * ۝ فَهُمْ قَطَانُهَا حَتَّى التَّنَادِي*^(٤)

وأنشد المبرد :

*دَحَاهَا فَمَا رَأَاهَا آسَتَوْتُ * ۝ عَلَى الْمَاءِ أَرْسَى عَلَيْهَا الْجَبَالَ*

(١) هذه الزيادة من المسان عن الفراء قال : ظلم الليل بالكسر وأظلم بمعنى .

(٢) الفياد بفتح الفاء وضفها ذكر ال يوم . (٣) راجع ج ١ ص ٢٥٥ فما بعدها .

(٤) مضى هذا البيت في ج ١٥ ص ٣١٠ بلفظ : سكانها . والمعنى واحد .

وقيل : دحها سواها ؛ ومنه قول زيد بن عمرو :

وَأَسْلَمْتُ وَجْهِي لِمَنْ أَسْلَمْتُ * لَهُ الْأَرْضُ تَحْمِلُ صَخْرًا يُقْلَالُ
دَحَا هَا فَلَمَّا آسَتَتْ شَدَّهَا * بَأْيَدِيهِ وَأَرْسَى عَلَيْهَا إِلْجَبَالُ

وعن أبي عباس : خلق الله الكعبة ووضعها على الماء على أربعة أركان قبل أن يخلق الدنيا
الف عام ثم دحيت الأرض من تحت البيت . وذكر بعض أهل العلم أن « بعد » في موضع
« م » كأنه قال : والأرض مع ذلك دحها ؛ كما قال تعالى : « عَتَّلْ بَعْدَ ذَلِكَ زِينِمْ » .
ومنه قوله : أنت أحق وأنت بعد هذا سيء الخلق ؟ قال الشاعر :

فَقُلْتُ لَهَا عَنِ إِلَيْكَ فَانِي * حَرَامٌ وَإِنِّي بَعْدَ ذَلِكَ لَيْبٌ

أى مع ذلك لييب . وقيل : بعد بمعنى قبل ؛ كقوله تعالى : « وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ
الذَّكْرِ » أى من قبل الفرقان ؛ قال أبو نراش الهدلى :

حَذَّتْ إِلَيْيَ بَعْدَ عُرْوَةَ إِذْ نَجَا * نِرَاشٌ وَبَعْضُ الشَّرَاهُونَ مِنْ بَعْضِ

وزعموا أن نراشا نجا قبل عروة . وقيل : « دحها » حرثها وشقها . قاله أبو زيد . وقيل :
دحها مهدها للأقوات . والمعنى متقارب . وقراءة العامة « والأرض » بالنصب أى دحا
الأرض . وقرأ الحسن وعمرو بن ميمون « والأرض » بالرفع على الابتداء ؛ لرجوع الماء ،
ويقال : دح يدحو دحوا ودحى يدحى دحيا ؛ كقولهم : طغى يطغى ويطفو وطغى يطغى
ومحى يمحى وتحى العود يلحى ويلحو فن قال : يدحو قال دحوت ومن قال يدحى قال
دحيت . (أخرج منها) أى أخرج من الأرض (ماءها) أى العيون المتفجرة بالماء .
(ومر عها) أى النبات الذى يرعى . وقال القتبي : دل بشئين على جمیع ما أخرجه
من الأرض قوتا ومتاما للأنعام من العشب والشجر والحب والثمر والعصف والخطب
واللباس والنار والملح ؛ لأن النار من العيدان والملح من الماء . (والجبال أرساها) قراءة
العامة « والجبال » بالنصب أى وأرسى الجبال « أرساها » يعني أثبتها فيها أو تادا لها . وقرأ

الحسن وعمرو بن ميمون وعمرو بن عبيد ونصر بن عاصم « وإلْجَالُ » بالفتح على الابتداء . ويقال : هلا أدخل حرف العطف على « أَنْرَجَ » فيقال : إنه حال بإضمار قد ؟ كقوله تعالى : « حَسِرَتْ صُدُورُهُمْ » . (مَتَاعًا لَكُمْ) أي منفعة لكم . (وَلَا تَعْمَلُونَ) من الإبل والبقر والغنم . و « مَتَاعًا » نصب على المصدر من غير اللفظ لأن معنى « أَنْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرَّعَاهَا » أمنع بذلك . وقيل : نصب بإسقاط حرف الصفة تقديره لتمتعوا به متاعا .

قوله تعالى : فَإِذَا جَاءَتِ الْطَّامَةُ الْكُبْرَى ۝ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ
أَلِإِنْسَنُ مَا سَعَى ۝ وَبُرِزَتِ الْجَحِيْمُ لِمَنْ يَرَى ۝

قوله تعالى : (فَإِذَا جَاءَتِ الْطَّامَةُ الْكُبْرَى) أي الداهية العظمى ، وهي النفحـة الثانية التي يكون معهابعث ؟ قاله آنـ عباس في رواية الضحاك عنه وهو قولـ الحسن . وعنـ آنـ عباس أيضاـ والضحاك أنهاـ القيـمة ؟ سمـيت بذلك لأنـهاـ تـطـمـ على كلـ شيءـ فـتـعمـ ماـسوـهاـ لـعـظـمـ هوـهاـ ؟ أيـ تـغلـبهـ . وفيـ أمـثلـهمـ : جـرىـ الوـادـيـ فـطـمـ علىـ القرـىـ .

المبرد : الطامة عندـ العربـ الداهـيةـ التيـ لاـ تستـطـاعـ ، وإنـماـ أخذـتـ فيهاـ أحـسـبـ منـ قولـهمـ : طـمـ الفـرسـ طـمـيـهاـ إذاـ آسـتـفـرـ غـجهـدـهـ فيـ الجـرـىـ ، وـطـمـ المـاءـ إذاـ مـلـأـ النـهـرـ كـلهـ . غيرـهـ : هيـ مـاخـوذـةـ منـ طـمـ السـيلـ الرـكـيـةـ أيـ دـفـنـهاـ وـطـمـ الدـفـنـ وـالـعلـوـ . وقالـ القـاسـمـ بنـ الـولـيدـ الـحمدـانـيـ : الطـامـةـ الـكـبـرـىـ حينـ يـسـاقـ أـهـلـ الـجـنـةـ إـلـىـ الـجـنـةـ وـأـهـلـ النـارـ إـلـىـ النـارـ . وهوـ معـنىـ قولـ مجـاهـدـهـ . وقالـ سـفيـانـ : هيـ السـاعـةـ التيـ يـسـلمـ فـيـهاـ أـهـلـ النـارـ إـلـىـ الـزـيـانـيـةـ . أيـ الدـاهـيـةـ التيـ طـمـتـ وـعـظـمـتـ ؟ قالـ :

إـنـ بـعـضـ الـحـبـ يـعـمـيـ وـيـصـمـ * وـكـذاـكـ الـبـعـضـ أـدـهـيـ وـأـطـمـ

(١) القرى مجرى الماء في الروضه والجمع أقرية وأقراء وقرىان ؛ ويضرب المثل عند تجاوز الشيء حده .

(٢) الركيـةـ : البـرـ ؟ أيـ جـرىـ سـيلـ الـوـادـيـ .

(بَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ مَا سَعَى) أى ما عمل من خيراً أو شر. (وَبَرَزَتِ الْجَحِيمُ) أى ظهرت.
 (لِمَنْ يَرَى) قال ابن عباس : يكشف عنها ستانقى فيراها كل ذي بصر . وقيل : المراد الكافر لأنه الذي يرى النار بما فيها من أصناف العذاب . وقيل : يراها المؤمن ليعرف قدر النعمة ويصل الكافر بالنار . وجواب «فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامِةُ» مخدوف أى إذا جاءت الطامة دخل أهل النار وأهل الجنة . وقرأ مالك بن دينار : «وَبَرَزَتِ الْجَحِيمُ» عِكرمة وغيره «لِمَنْ تَرَى» بالثاء أى من تراه الجحيم أو من تراه أنت يا محمد . والخطاب له عليه السلام والمراد به الناس .

قوله تعالى : فَأَمَّا مَنْ طَغَى ﴿١﴾ وَأَثْرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٢﴾ فَإِنَّ
 آجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى ﴿٣﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى الْنَّفْسَ
 عَنِ الْهَوَى ﴿٤﴾ فَإِنَّ آجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى

قوله تعالى : (فَأَمَّا مَنْ طَغَى . وَأَثْرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا) أى تجاوز الحد في العصيان . قيل : نزلت في النضر وأبنه الحrust ، وهي عامة في كل كافر آخر الحياة الدنيا على الآخرة . وروى عن يحيى بن أبي كثیر قال : من آتَخَذَ مِنْ طَعَامٍ وَاحِدًا ثَلَاثَةَ أَلْوَانٍ فَقَدْ طَغَى . وروى جوير عن الصحاحد قال حذيفة : أَخَوْفُ مَا أَخَافُ عَلَى هَذِهِ الْأُمَّةِ أَنْ يُؤْثِرُوا مَا يَرَوْنَ عَلَى مَا يَعْلَمُونَ . ويروى أنه وجد في الكتب : إِنَّ اللَّهَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ قَالَ «لَا يُؤْثِرُ عَبْدَ لِدُنْيَا عَلَى آخِرَتِهِ إِلَّا بِثَنَثَتْ عَلَيْهِ هُمُومَهُ وَصَنْيَعَتْهُ شَمْ لَا أَبْلَى فِي أَيْمَانِهِ هَلْكَ» . (فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى) أى مأواه . والآلف واللام بدل من الهاء . (وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ) أى حذر مقامه بين يدي ربِّهِ . وقال الربيع : مقامه يوم الحساب . وكان قتادة يقول : إِنَّ اللَّهَ عَنِ وَجْلِ مَقَامِهِ قد خافت المؤمنون . وقال مجاهد : هو خوفه في الدنيا من الله عن وجْلِ عند مواجهة الذنب

(١) فِي بَعْضِ النُّسُخِ : مَا يَعْمَلُونَ . (٢) فِي نُسُخَةٍ : وَضَيْعَتْهُ .

فيقلع ؛ نظيره : « وَلَمْ حَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَتَانٍ » . (وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهُوَى) أى زجرها عن المعاصي والمحارم . وقال سهل : ترك الهوى مفتاح الجنة ؛ لقوله عن وجع : « وَأَمَّا مَنْ حَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهُوَى » قال عبد الله بن مسعود : أتم في زمان يقود الحق الهوى وسيأتي زمان يقود الهوى الحق ، فننعود بالله من ذلك الزمان . (فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى) أى المنزل . والآياتان نزلتا في مصعب بن عمير وأخيه عامر بن عمير ؛ فروي الضحاك عن ابن عباس قال : أما من طغى فهو أخ لمصعب بن عمير أسر يوم بدر ، فأخذته الأنصار فقالوا : من أنت ؟ قال : أنا أخو مصعب بن عمير ، فلم يشدوه في الوتاق وأكرمه وبيته عندهم ، فلما أصبحوا حديثوا مصعب بن عمير حدثهم ، فقال : ما هو لي بأخ ، شدوا أسيركم فإن أمه أكثر أهل البطحاء حلياً ومالاً . فأنقوه حتى بعثت أمه في فدائه . « وَأَمَّا مَنْ حَافَ مَقَامَ رَبِّهِ » فمصعب بن عمير ؛ وق رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه يوم أحد حين تفرق الناس عنه حتى نفذت المشاقص في جوفه . وهي السهام ، فلما رأه رسول الله صلى الله عليه وسلم متشرحطاً في دمه قال : « عَنِ الدِّينِ أَحْتَسِبُ » وقال لأصحابه : « لَقَدْ رَأَيْتُهُ وَعَلَيْهِ بُرْدَانٌ مَا تَعْرَفُ قِيمَتَهُمَا وَإِنْ شَرَّاكُنْ لَعْلَيْهِ مِنْ ذَهَبٍ » . وقيل : إن مصعب بن عمير قتل أخيه عامراً يوم بدر . وعن أبي عباس أيضاً قال : نزلت هذه الآية في رجلين أباً جهيل بن هشام المخزومي ومصعب بن عمير العبدري . وقال السدي : نزلت هذه الآية « وَأَمَّا مَنْ حَافَ مَقَامَ رَبِّهِ » في أبي بكر الصديق رضي الله عنه ؛ وذلك أن أبو بكر كان له غلام يأتيه ب الطعام ، وكان يسأله من أين أتيت بهذا ، فأتاه يوماً ب الطعام فلم يسأله وأكله ؛ فقال له غلامه : لِمَ لَا تَسْأَلِي إِلَيْوْمَ ؟ فقال : نسيت فلن أنسنك هذا الطعام . فقال : تكهنست لقوم في الجاهلية فأعطيوني . فتقاياه من ساعته وقال : يا رب ما بقي في العروق فأنت حبسته فنزلت : « وَأَمَّا مَنْ حَافَ مَقَامَ رَبِّهِ » . وقال الكلبي : نزلت في من هم بمعصيته وقدر عليها في خلوة ثم تركها من خوف الله . ونحوه عن ابن عباس . يعني من حاف عند المعصية مقامه بين يدي الله فاتته عنها والله أعلم .

قوله تعالى : **يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَنَهَا** ﴿٣﴾ **فِيمَا أَنْتَ مِنْ ذِكْرَهَا** ﴿٤﴾ **إِلَى رَبِّكَ مُنْتَهَهَا** ﴿٥﴾ **إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ مَّنْ يَخْشَهَا** ﴿٦﴾ **كَانُوكُمْ يَوْمَ يَرَوْهَا لَرْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَّاهَا** ﴿٧﴾

قوله تعالى : **(يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا)** قال ابن عباس : سأله مشركون مكة رسول الله صلى الله عليه وسلم متى تكون الساعة آستهزاء ، فأنزل الله عن وجل الآية . وقال عروة بن الزبير في قوله تعالى : **(فِيمَا أَنْتَ مِنْ ذِكْرَهَا)** لم يزل النبي صلى الله عليه وسلم يسأل عن الساعة حتى نزلت هذه الآية **(إِلَى رَبِّكَ مُنْتَهَهَا)** . ومعنى « مُرساها » أي قيامها .

قال القراء : رسوها قيامها كرسو السفينة . وقال أبو عبيدة : أي منتهاها ، ورسا السفينة حيث تنتهي . وهو قول ابن عباس . الربيع بن أنس : متى زمانها . والمعنى متقارب . وقد مضى في « الأعراف » بيان ذلك . وعن الحسن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا تقوم الساعة إلا بفضبة يغضبه ربك » . **« فِيمَا أَنْتَ مِنْ ذِكْرَهَا** » أي في أي شيء أنت يا محمد من ذكر القيامة والسؤال عنها ؟ وليس لك السؤال عنها . وهذا معنى ما رواه الذهري عن عروة بن الزبير قال : لم يزل النبي صلى الله عليه وسلم يسأل عن الساعة حتى نزلت **« فِيمَا أَنْتَ مِنْ ذِكْرَهَا ، إِلَى رَبِّكَ مُنْتَهَهَا** » أي منتهاها ، فكانه عليه السلام لما أكثروا عليه سأله أن يعرفه ذلك فقيل له : لا تسأل فلست في شيء من ذلك . ويجوز أن يكون إنكارا على المشركين في مسألتهم له ؛ أي فيم أنت من ذلك حتى يسألوك بيانه ولست من يعلمه . روى معناه عن ابن عباس . والذكرى بمعنى الذكر . **« إِلَى رَبِّكَ مُنْتَهَهَا** » أي منتهاها فلا يوجد عند غيره علم الساعة ؛ وهو قوله تعالى : **« قُلْ إِنَّمَا يَعْلَمُهَا عِنْدَ رَبِّي** » وقوله تعالى : **« إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ** » . **« إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ مَّنْ يَخْشَاهَا** »

(١) قال القراء : كفواك قام العدل وقام الحق أي ظهر وثبت .

(٢) راجع ج ٧ ص ٣٣٥ فما بعدها .

أى مخوف ؟ وخص الإنذار بمن يخشى لأنهم المتبعون به وإن كان متذرا الكل مكلف ؟ وهو كقوله تعالى : « إِنَّمَا تُنذَرُ مِنْ أَتَيْعَ الدَّسْكَ وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ » . وقراءة العامة « مُنذَرُ » بالإضافة غير منون ؛ طلب التخفيف وإلا فأصله التنوين ؛ لأنه لستقبل وإنما لا يتوين في الماضي . قال الفراء : يجوز التنوين وتركه ؛ كقوله تعالى : « بَالْغُ أَمْرُهُ » و « بَالْغُ أَمْرِهِ » و « مُؤْهِنُ كَيْدُ الْكَافِرِينَ » و « مُؤْهِنُ كَيْدُ الْكَافِرِينَ » والتنوين هو الأصل وبه فرأى أبو جعفر رضي الله عنه وأبا حفص ومجيد وعياش عن أبي عمرو « مُنذَرُ » منسوا وتكون في موضع نصب والمعنى إنما ينتفع بإذبارك من يخشى الساعة . وقال أبو عيل : يجوز أن تكون بالإضافة للاضافي نحو ضارب زيد أمس ؛ لأنه قد فعل الإنذار ، والآية رد على من قال : أحوال الآخرة غير محسوبة وإنما هي راحة الروح أو تملها من غير حس . (كَانُوكُمْ يَوْمَ يَرَوْهُمْ) يعني الكفار يرون الساعة (لَمْ يَلْبَثُوا) أى في دنياهم (إِلَّا عَشِيَّةً) أى قدرعشية (أَوْ صَحَّاهَا) أى أو قدر الضحا الذي يلي تلك العشية ، والمراد تقليل مدة الدنيا كما قال تعالى : « لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ » . وروى الضحاك عن أبي عباس : كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا إلا يوما واحدا . وقيل : « لَمْ يَلْبَثُوا » في قبورهم « إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ صَحَّاهَا » وذلك أنهم استصرروا مدة لبthem في القبور لما عاينوا من المهو . وقال الفراء : يقول القائل وهل للعشية ضحا ؟ وإنما الضحا لصدر النهار ولكن أضيف الضحا إلى العشية وهو اليوم الذي يكون فيه على عادة العرب ؛ يقولون : آتيك الغداة أو عشيتها ، وآتيك العشية أو غداتها ، فتكون العشية في معنى آخر النهار ، والغداة في معنى أول النهار ؛ قال : وأنشدني بعض بنى عقيل :

نَحْنُ صَبَحْنَا عَامِرًا فِي دَارِهَا * جُرْدًا تَعَادَى طَرَفَ نَهَارِهَا

* عَشِيَّةً اهْلَالِيْ أَوْ سِرَارِهَا *

أراد عشية الهلال أو عشية سرار العشية ، فهو أشد من آتيك الغداة أو عشيتها .

سورة عبس

مكية في قول الجميع، وهي إحدى وأربعون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قوله تعالى : عَبَّسَ وَتَوَلَّتْ أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى ۝ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَهُ يَرَكَنْ أَوْ يَذَّكِرُ فَتَنَفَّعُهُ الَّذِكْرُ أَنَّ

فيه ست مسائل :

الأولى — قوله تعالى : (عَبَّسَ) أى كلح بوجهه ؛ يقال : عبس وبسر . وقد تقدم .
 (وَتَوَلَّتْ) أى أعرض بوجهه (أَنْ جَاءَهُ) « أَنْ » في موضع نصب لأنَّه مفعول له ، المعنى لأن جاءه الأعمى أى الذي لا يبصر بعينيه . فروى أهل التفسير أجمع أن قوما من أشراف قريش كانوا عند النبي صلى الله عليه وسلم وقد طمع في إسلامهم ، فأقبل عبد الله بن أم مكتوم ، فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقطع عبد الله عليه كلامه فأعرض عنه ، ففيه نزالت هذه الآية . قال مالك : إن هشام بن عروة حدثه عن عروة أنه قال نزلت « عَبَّسَ وَتَوَلَّتْ » في ابن أم مكتوم ؛ جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم بخعل يقول : يا محمد آستديني وعند النبي صلى الله عليه وسلم رجل من عظاء المشركين ، بخعل النبي صلى الله عليه وسلم يعرض عنه ويقبل على الآخر ويقول : « يافلان هل ترى بما أقول بأسا » فيقول : لا والدمي ما أرى بما تقول بأسا ؛ فأنزل الله « عَبَّسَ وَتَوَلَّتْ » . وفي الترمذى مسندا قال : حدثنا سعيد ابن يحيى بن سعيد الأموى ، حدثنى أبي ، قال هذا ما عرضنا على هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة ، قالت : نزلت « عَبَّسَ وَتَوَلَّتْ » في ابن أم مكتوم الأعمى أتى رسول الله صلى الله عليه

(١) الرواية هنا وفي ابن العربي يا مهد ، والمشهور في التفسير يارسول الله علمني ما عليك الله . وفي رواية : يارسول

أرشدن ، كما سبأ في المصنف . (٢) المدى جمع دمية وهي الصورة ، ويريد بها الأصنام .

وسلم ب فعل يقول : يارسول الله أرشدنى ، وعند رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل من عظاء المشركين ، ب فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرض عنه ويقبل على الآخر ، ويقول : ”أترى بما أقول بأسا“ فيقول : لا ، ففي هذا نزلت ؛ قال هذا حديث غريب .

الثانية — الآية عتاب من الله لنبيه صلى الله عليه وسلم في إعراضه وتوليه عن عبد الله آبن أم مكتوم . ويقال : عمرو بن أم مكتوم ، وأسم أم مكتوم عاتكة بنت عامر بن مخزوم ، وعمرو هذا هو آبن قيس بن زائدة بن الأصم ، وهو آبن خال خديجة رضي الله عنها . وكان قد تشاغل عنه برجل من عظاء المشركين يقال كان الوليد بن المغيرة ؛ آبن العربي : قاله المالكية من علمائنا ، وهو يكنى أبا عبد شمس . وقال فنادة : هو أمية بن خلف وعنده أبي بن خلف . وقال مجاهد : كانوا ثلاثة عتبة وشيبة آبنا ربعة وأبي بن خلف . وقال عطاء : عتبة بن ربعة . سفيان الثوري : كان النبي صلى الله عليه وسلم مع عمه العباس . الزمخشري : كان عنده صناديد قريش عتبة وشيبة آبنا ربعة وأبو جهل بن هشام والعباس بن عبد المطلب وأمية بن خلف والوليد بن المغيرة يدعوهم إلى الإسلام رجاء أن يسلموا إسلامهم غيرهم . قال آبن العربي : أما قول علمائنا إنه الوليد بن المغيرة فقد قال آخرون إنه أمية بن خلف والعباس وهذا كله باطل وجهل من المفسرين الذين لم يتحققوا الدين ، وذلك أن أمية بن خلف والوليد كانوا عاتكة وآبن أم مكتوم كان بالمدينة ما حضر معهما ولا حضر معه ، وكان موتهمما كافرين أحدهما قبل الهجرة والآخر بدر ، ولم يقصد فقط أمية المدينة ولا حضر عنده مفردا ولا مع أحد .

الثالثة — أقبل آبن أم مكتوم والنبي صلى الله عليه وسلم مشتغل بن حضره من وجوده قريش يدعوهم إلى الله تعالى ، وقد قوى طمعه في إسلامهم وكان في إسلامهم إسلام من وراءهم من قومهم ، بخاء آبن أم مكتوم وهو أعمى فقال : يارسول الله عَلِمْتِي مَا عَلِمْتَ اللَّهُ ؟ وجعل يناديه ويكثر النداء ولا يدرك أنه مشغول بغيره حتى ظهرت الكراهة في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم لقطعه كلامه ، وقال في نفسه : يقول هؤلاء إنما أتباعه العميان والسفلة

والعبيد ؛ فعبس وأعرض عنه فنزلت الآية . قال الثورى : فكان النبي صلى الله عليه وسلم بعد ذلك إذا رأى ابن أم مكتوم يسط له رداءه ويقول : "مرحباً بن عاتنى فيه ربى" ويقول : "هل من حاجة" . واستخلفه على المدينة مرتين في غز وتين غزاهما . قال أنس : فرأيته يوم القادسية راكباً وعليه درع ومعه راية سوداء .

الرابعة — قال علماً : ما فعله ابن أم مكتوم كان من سوء الأدب لو كان عالماً بأن النبي صلى الله عليه وسلم مشغول بغيره وأنه يرجو إسلامهم ، ولكن الله تبارك وتعالى عاته حتى لا تكسر قلوب أهل الصفة ، أو ليعلم أن المؤمن الفقير خير من الغنى ، وكان النظر إلى المؤمن أولى وإن كان فقيراً أصلح وأولى من الأمر الآخر ، وهو الإقبال على الأغنياء طمعاً في إيمانهم ، وإن كان ذلك أيضاً نوعاً من المصلحة ، وعلى هذا يخرج قوله تعالى : «ما كان ^(١) لَنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى» الآية على ماقردم . وقيل : إنما قصد النبي صلى الله عليه وسلم تأليف الرجل ثقة بما كان في قلب ابن أم مكتوم من الإيمان ؟ كما قال : "إني لأعطي الرجل وغيره أحب إلى منه خفافة أن يكبه الله في النار على وجهه" .

الخامسة — قال ابن زيد : إنما عبس النبي صلى الله عليه وسلم لأن ابن أم مكتوم وأعرض عنه ؛ لأنه أشار إلى الذي كان يقوده أن يكتمه ، فدفعه ابن أم مكتوم وأبي إلا أن يكلم النبي صلى الله عليه وسلم حتى يعلم ، فكان في هذا نوع جفاء منه . ومع هذا أنزل الله في حقه على نبيه صلى الله عليه وسلم : «عَبَّاسٌ وَتَوْلَى» بالفظ الإخبار عن الغائب تعظيمياً له ولم يقل : عبست وتوليت . ثم أقبل عليه بمواجهة الخطاب تأنيساً له فقال : «(وَمَا يُدْرِيكَ) أى يعلمك (لَعْلَهُ) يعني ابن أم مكتوم (يَرَكَ) بما أستدعى منك تعليمك إياه من القرآن والدين بأن يزداد طهارة في دينه ، وزوال ظلمة الجهل عنه . وقيل : الضمير في «لَعْلَهُ» للكافر يعني إنك إذا طمعت في أن يترك بالإسلام أو يذكر فتقربه الذكرى إلى قبول الحق

(١) راجع ج ٨ ص ٤٥ فما بعدها .

(٢) في نسخة : تعليماً .

وما يدرِيكَ أَنْ مَا طمعتُ فِيهِ كَائِنُ . وَقَرَأَ الْحَسْنُ « آَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَىٰ » بِالْمَذْعُولِ الْأَسْتَفْهَامِ فِي « آَنْ » مَتَّعِلَّةٌ بِفَعْلٍ مَذْوَفٍ دَلَّ عَلَيْهِ « مَبْسَطٌ وَتَوَلِّ » التَّقْدِيرُ آَنْ جَاءَهُ أَعْرَضُ عَنْهُ وَتَوَلَّ ؟ فَيُوقَفُ عَلَى هَذِهِ الْقِرَاءَةِ عَلَى « وَتَوَلِّ » وَلَا يُوقَفُ عَلَيْهِ عَلَى قِرَاءَةِ الْخَبْرِ وَهِيَ قِرَاءَةُ الْعَامَةِ .

السادسة — نظير هذه الآية في العتاب قوله تعالى في سورة الأنعام : « وَلَا تَطْرُدُ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْفُدَاهِ وَالْعُشَّىٰ » وكذلك قوله في سورة الكهف : « وَلَا تَعْدُ عَيْنَكَ عَنْهُمْ تَرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا » وما كان مثلك ، والله أعلم . (أو يَدْكُرُ) يَعْتَظُ بِمَا تَقُولُ (فَتَنْفَعُهُ الذَّكْرُ) أَيِ الْعَظَةِ . وَقِرَاءَةُ الْعَامَةِ « فَتَنْفَعُهُ » بِضمِّ الْعَيْنِ عَطْفًا عَلَى « يَزْكَىٰ » . وَقَرَأَ عَاصِمُ وَابْنُ أَبِي إِسْحَاقِ وَعِيسَىٰ « فَتَنْفَعُهُ » نَصَباً . وَهِيَ قِرَاءَةُ السُّلْطَانِ وَزَرْبَنْ حُبِيشَ عَلَى جُوابِ لَعْلَ لَأْنَهُ غَيْرُ مُوجَبٍ ؛ كَقُولَهُ تَعَالَى : « لَعَلَّ أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ » ثُمَّ قَالَ : « فَأَطْلِعْ » .

قوله تعالى : أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَىٰ فَإِنَّ لَهُ تَصْدِيَ وَمَا عَلَيْكَ أَلَا يَزْكَىٰ وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَىٰ وَهُوَ يَخْشَىٰ فَإِنَّ عَنْهُ تَلَهَّىٰ

قوله تعالى : (أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَىٰ) أَيْ كَانَ ذَا ثُرُودَةَ وَغَنِّيَ (فَإِنَّ لَهُ تَصْدِيَ) أَيْ تَعَرَّضُ لِهِ وَتُصْنَفُ لِكَلَامِهِ . وَالْتَّصْدِيُ الْإِصْغَاءُ ؛ قَالَ الرَّاعِي :

تَصْدِي لِوَضَاجَ كَارَ جِينَهُ * سِرَاجُ الدُّجَى يَحْنَى إِلَيْهِ الْأَسَاوِرُ^(٢)

وَأَصْلَهُ تَصْدِدُ مِنَ الصِّدَّدِ وَهُوَ مَا أَسْتَقْبَلَكَ وَصَارَ قِبَالَكَ ؛ يَقَالُ : دَارِي صَدَدَ دَارِهِ أَيْ قِبَالَهَا ، نَصَبَ عَلَى الظَّرْفِ . وَقَيْلُ : مِنَ الصِّدَّدِ وَهُوَ الْعَطْشُ . أَيْ تَعَرَّضُ لَهُ كَمَا يَتَعَرَّضُ الْعَطْشَانُ لِلَّاءِ وَالْمَصَادَةِ الْمَعَارِضَةِ . وَقِرَاءَةُ الْعَامَةِ « تَصْدِيَ » بِالتَّخْفِيفِ عَلَى طَرْحِ التَّاءِ الثَّانِيَةِ تَخْفِيفًا .

(١) قَالَ الرَّمَحْشِرِيُّ : وَفَرِي « آَنْ » بِهِ مَرْتَبَتْ وَأَلْفَ بَيْنَهَا .

(٢) الْأَسَاوِرُ (بَكْرَ الْهَمَزَةِ وَضَهَارَهَا) قَاتِدُ الْفَرْمَسِ ، وَقَيْلُ : هُوَ الْجَبَدُ الرَّمِيُّ بِالسَّهَامِ ، وَقَيْلُ : هُوَ الْجَبَدُ الثَّانِيَةُ عَلَى ظَهَرِ الْفَرْمَسِ ، وَالْجَمِيعُ أَسَاوِرُهُ وَأَسَاوِرُهُ .

وقرأ نافع وأبن محيصن بالتشديد على الإدغام . {وَمَا عَلَيْكَ الْأَيْزَّگِ} أى لا يهتمي هذا الكافر ولا يؤمن إنما أنت رسول ما عليك إلا البلاغ .

قوله تعالى : {وَمَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى} يطلب العلم الله {وَهُوَ يَخْشَى} أى يخاف الله {فَإِنَّهُ عَنْهُ تَلَهُ} أى تعرض عنه بوجهك وتشتغل بغيره . وأصله تلهى ؛ يقال : لهيت عن الشئ ألمى أى تشاغلت عنه . والتلهى التغافل ولهيت عنه وتلهيت بمعنى .

قوله تعالى : كَلَّا إِنَّهَا تَذَكَّرَةٌ فَنَ شَاءَ ذَكَرَهُ ۝
فِي صُحُفٍ مَكْرَمَةٍ ۝ مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ ۝ يَأْتِيَ سَفَرَةٍ ۝
كَرَامٍ بُرَّةٍ ۝

قوله تعالى : {كَلَّا إِنَّهَا تَذَكَّرَةٌ} «كَلَّا» كلمة ردع وجز ، أى ما الأمر كما تفعل مع الفريقيين ؛ أى لا تفعل بعدها منها من إقبالك على الغنى وإعراضك عن المؤمن الفقير . والذى جرى من النبي صلى الله عليه وسلم كان ترك الأولى كما تقدم ، ولو حمل على صغيرة لم يبعد ؛ قاله القشيرى . والوقف على «كَلَّا» على هذا الوجه جائز . ويجوز أن تقف على «تلَهَى» ثم تبتدئ «كَلَّا» على معنى حقا . {إِنَّهَا} أى السورة أو آيات القرآن {تَذَكَّرَةٌ} أى موعظة وتبصرة للخلق {فَنَ شَاءَ ذَكَرَهُ} أى آتته بالقرآن . قال الجرجانى : {إِنَّهَا} أى القرآن والقرآن مذكر إلا أنه لما جعل القرآن تذكرة أخرجها على لفظ التذكرة ولو ذكره بخلافه ؛ كما قال تعالى في موضع آخر : {كَلَّا إِنَّهَا تَذَكَّرَةٌ} . ويدل على أنه أراد القرآن قوله : {فَنَ شَاءَ ذَكَرَهُ} أى كان حافظا له غير ناس ؛ وذكر الضمير لأن التذكرة في معنى الذكر والوعظ . وروى الصحاح عن أبن عباس في قوله تعالى : {فَنَ شَاءَ ذَكَرَهُ} قال من شاء الله تبارك وتعالى ألممه . ثم أخبر عن جلالته فقال : {في صُحُفٍ} جمع صحيفة {مَكْرَمَةٍ} أى عند الله ؛ قاله السدى . الطبرى : «مَكْرَمَةٍ» في الدين لما فيها من العلم والحكم . وقيل : «مَكْرَمَةٍ» لأنها نزل بها كلام الحفظة ، أو لأنها نازلة من اللوح المحفوظ . وقيل : «مَكْرَمَةٍ»

لأنها نزلت من كريم ، لأن كرامة الكتاب من كرامة صاحبه . وقيل : المراد كتب الأنبياء ، دليله : « إِنَّ هَذَا لِنِي الصُّحْفُ الْأُولَى . صُحْفُ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى » . ((مرفوعة)) رفيعة القدر عند الله . وقيل : مرفوعة عنده تبارك تعالى . وقيل : مرفوعة في السماء السابعة ، قاله يحيى بن سلام . الطبرى : مرفوعة الذكر والقدر . وقيل : مرفوعة عن الشبه والتناقض . ((مطهرة)) قال الحسن : من كل دنس . وقيل : مصانة عن أن ينالها الكفار . وهو معنى قول السدى . وعن الحسن أيضاً : مطهرة من أن تنزل على المشركين . وقيل : أى القرآن أثبتت للملائكة في حشف يقرءونها فهى مكرمة مرفوعة مطهرة . ((يأيدى سفرة)) أى الملائكة الذين جعلهم الله سفراء بينه وبين رسلاه فهم بربة لم يتذسوا بمعصية . وروى أبو صالح عن ابن عباس قال : هي مطهرة تجعل التطهير لمن حملها « يأيدى سفرة » قال : كتبة . وقال مجاهد أيضاً . وهم الملائكة الكرام الكاتبون لأعمال العباد في الأسفار التي هي الكتب واحدهم سافر ، كقولك : كاتب وكتبة . ويقال : سفرت أى كتبة والكتاب هو السفر وبجمعه أسفار . قال الزجاج : وإنما قيل للكتاب سفر بكسر السين وللكتاب سافر ، لأن معناه أنه يبين الشيء ويوضحه . يقال : أسفـر الصبح إذا أضاء ، وسفرـت المرأة إذا كشفت النقاب عن وجهها . قال : ومنه سـفرـت بين القوم أـسـفـرـةـ سـفـارـةـ أـصـلـحـتـ بينـهـمـ . وـقـالـهـ الفـرـاءـ وـأـنـشـدـ :

فـاـ دـعـ السـفـارـةـ بـيـنـ قـوـمـ * ~ وـلـأـمـشـ بـغـشـ إـنـ مـشـيـتـ

والسفير الرسول والمصلح بين القوم والجمع سفراء مثل فقيه وفقهاء . ويقال للوراقين سفراء بلغة العبرانية . وقال قنادة : السـفـارـةـ هنا هـمـ الفتـاءـ لـأـنـهـمـ يـقـرـئـونـ الأـسـفـارـ . وـعـنـهـ أـيـضاـ كـقـولـ ابن عباس . وقال وهب بن منبه : « يـأـيـدـىـ سـفـرـةـ . كـرـامـ بـرـرـةـ » هـمـ أـحـصـابـ النـبـىـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ . قال آـبـنـ الـعـرـبـىـ : لـقـدـ كـانـ أـحـصـابـ رـسـوـلـ اللـهـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ سـفـرـةـ كـرـاماـ بـرـرـةـ ، وـلـكـنـ لـيـسـواـ بـمـرـادـيـنـ بـهـذـهـ الـآـيـةـ ، وـلـاـ قـارـبـواـ الـمـرـادـيـنـ بـهـاـ ، بـلـ هـىـ لـفـظـةـ مـخـصـوصـةـ بـالـمـلـائـكـةـ عـنـدـ الإـطـلاقـ ، وـلـاـ يـشـارـكـهـمـ فـيـهاـ سـوـاـهـ ، وـلـاـ يـدـخـلـ مـعـهـمـ فـيـ مـتـنـاـوـلـهـاـ غـيرـهـمـ . وـرـوـىـ

في الصحيح عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ”[مثلك] الذي يقرأ القرآن وهو حافظ له مع السيدة فرحة الكرام البررة ومثل الذي يقرؤه وهو يتعاهده وهو عليه شديد فله أجران“ متفق عليه واللفظ للبخاري . (كَرَامٌ) أي كرام على ربهم؛ قاله الكلبي . الحسن : كرام عن العاصي فهم يرثون أنفسهم عنها . وروى الصحاح عن ابن عباس في «كَرَامٍ» قال : يتکمون أن يكونوا مع آنـ آدم إذا خلا بزوجته أو تبرز لعائطه . وقيل : أي يؤثرون منافع غيرهم على منافع أنفسهم . (بَرَّةٌ) جمع باز مثل كافر وكفرة ، وساحر وسحرة ، وفاجر وبغرة ؛ يقال : برٌّ وباز إذا كان أهلاً للصدق ، ومنه برٌّ فلان في يمينه أي صدق ، وفلان يبرٌّ خالقه ويتعبره أي يطيعه ؛ فمعنى «برَّةٌ» مطعونون لله صادقون لله في أعمالهم . وقد مضى في سورة «الواقعة» قوله تعالى : «إِنَّهُ لِقَرْآنٍ . كَرِيمٌ فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ . لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ» أئمـ الكرام البررة في هذه السورة .

قوله تعالى : قُتِلَ الْإِنْسَنُ مَا أَكْفَرَهُ ﴿١﴾ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ
خَلَقَهُ ﴿٢﴾ مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَرَهُ ﴿٣﴾ ثُمَّ أَسْبَلَ يَسِرَهُ
ثُمَّ أَمَّاتَهُ فَأَقْبَرَهُ ﴿٤﴾ ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ ﴿٥﴾ كَلَّا لَمَّا يَقْضِ
مَا أَمْرُهُ ﴿٦﴾

قوله تعالى : («قُتِلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ») «قُتِلَ» أي لعن . وقيل : عذب . والإنسان الكافر . روى الأعمش عن مجاهد قال : ما كان في القرآن «قُتِلَ الْإِنْسَانُ» فإنما عني به الكافر . وروى الصحاح عن ابن عباس قال : نزلت في عتبة بن أبي لهب وكان قد آمن ، فلما نزلت «والنَّجْمُ» أرتد وقال آمنت بالقرآن كله إلا النجم ، فأنزل الله جل شأنه فيه «قُتِلَ الْإِنْسَانُ» أي لعن عتبة حيث كفر بالقرآن ، ودعا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) ازديادة من صحيح البخاري .

(٢) رابع ج ١٧ ص ٥٢٢

فقال : « اللهم سلط عليه كلبك أسد الغاپرة »^(١) نخرج من فوره بتجارة إلى الشام ، فلما آتته إلى الغاپرة تذکر دعاء النبي صلی الله عليه وسلم ، بفعله لمن معه ألف دينار إن هو أصبح حيًّا ، بفعلوه في وسط الرفقـة ، وجعلوا المـتاع حوله ، فيـنـا هـمـ على ذلك أقبل الأـسـدـ ، فلما دـنـاـ مـنـ الـرـحـالـ وـثـبـ فإذاـ هـوـ فوقـهـ فـزـقـهـ ، وـقـدـ كـانـ أـبـوـهـ نـدـبـهـ وـبـكـ وـقـالـ : ماـ قـالـ مـهـدـ شـبـثـاـ قـطـ إـلـاـ كـانـ . وـرـوـىـ أـبـوـ صـالـحـ عـنـ آـبـنـ عـبـاسـ « مـاـ أـكـفـرـهـ » أـئـ شـيـءـ أـكـفـرـهـ . وـقـيلـ : « مـاـ تـعـجـبـ ؟ وـعـادـةـ الـعـرـبـ إـذـاـ تـعـجـبـوـ مـنـ شـيـءـ قـالـواـ : قـاتـلـهـ اللهـ مـاـ أـحـسـنـهـ ، وـأـخـزـاهـ اللهـ مـاـ أـظـلـمـهـ ؛ وـالـعـنـيـ أـعـجـبـوـ مـنـ كـفـرـ الـإـنـسـانـ جـمـيعـ مـاـ ذـكـرـنـاـ بـعـدـ هـذـاـ . وـقـيلـ : مـاـ أـكـفـرـهـ بـالـلـهـ وـنـعـمـهـ مـعـ مـعـرـفـهـ بـكـثـرـةـ إـحـسـانـهـ إـلـيـهـ عـلـىـ التـعـجـبـ أـيـضاـ ؛ قـالـ أـبـنـ جـرـيـعـ : أـئـ مـاـ أـشـدـ كـفـرـهـ . وـقـيلـ : « مـاـ آـسـتـفـهـمـ أـئـ شـيـءـ دـعـاهـ إـلـىـ الـكـفـرـ ؛ فـهـوـ آـسـتـفـهـمـهـ تـوـبـيـخـ . وـ« مـاـ تـحـتـمـلـ التـعـجـبـ ، وـتـحـتـمـلـ مـعـنـيـ أـئـ شـيـءـ دـعـاهـ إـلـىـ الـكـفـرـ ؛ فـتـكـونـ آـسـتـفـهـمـاـ . (مـنـ أـئـ شـيـءـ خـلـقـهـ) أـئـ مـنـ أـئـ شـيـءـ خـلـقـ اللهـ هـذـاـ الـكـافـرـ فـيـتـكـبـرـ ؛ أـئـ أـعـجـبـوـ خـلـقـهـ . (مـنـ نـطـقـةـ) أـئـ مـاـ يـسـيرـ مـهـيـنـ جـمـادـ (خـلـقـهـ) فـلـمـ يـغـلـظـ فـيـ نـفـسـهـ ؟ ! . قـالـ الـحـسـنـ : كـيـفـ يـتـكـبـرـ مـنـ خـرـجـ مـنـ سـبـيلـ الـبـولـ مـرـتـيـنـ . (فـقـدـرـهـ) فـبـطـنـ أـمـهـ . كـذـاـ روـيـ الضـحـاكـ عـنـ آـبـنـ عـبـاسـ : أـئـ قـدـرـ يـدـيـهـ وـرـجـليـهـ وـعـيـنـهـ وـسـائـرـ آـرـابـهـ ، وـحـسـنـاـ وـدـمـيـاـ ، وـقـصـيـرـاـ وـطـوـيـلاـ ، وـشـقـيـاـ وـسـعـيـداـ . وـقـيلـ : « فـقـدـرـهـ » أـئـ فـسـوـاهـ كـاـقـالـ : « أـكـفـرـتـ بـالـذـيـ خـلـقـكـ مـنـ تـرـاـبـ ثـمـ مـنـ نـطـقـةـ ثـمـ سـوـاـكـ رـجـلـاـ » . وـقـالـ : « الـذـيـ خـلـقـكـ فـسـوـاـكـ » . وـقـيلـ : « فـقـدـرـهـ » أـطـوارـاـ أـئـ مـنـ حـالـ إـلـىـ حـالـ ؛ نـطـقـةـ ثـمـ عـلـقـةـ إـلـىـ أـنـ تـمـ خـلـقـهـ . (ثـمـ السـبـيلـ يـسـرـهـ) قـالـ آـبـنـ عـبـاسـ فـيـ روـاـيـةـ عـطـاءـ وـقـتـادـةـ وـالـسـدـىـ وـمـقـاتـلـ : يـسـرـهـ لـخـرـوجـ مـنـ بـطـنـ أـمـهـ . مـجـاهـدـ : يـسـرـهـ لـطـرـيقـ الـخـيرـ وـالـشـرـ ؛ أـئـ بـيـنـ لـهـ ذـلـكـ . دـلـيـلـهـ : « إـنـاـ هـدـيـنـاـ السـبـيلـ » وـ« هـدـيـنـاـ النـجـدـيـنـ » . وـقـالـهـ الـحـسـنـ وـعـطـاءـ وـآـبـنـ عـبـاسـ أـيـضاـ فـيـ روـاـيـةـ أـبـيـ صـالـحـ عـنـهـ . وـعـنـ مـجـاهـدـ أـيـضاـ قـالـ : سـبـيلـ

(١) كـذاـ لـفـظـ الـحـدـيـتـ فـيـ الـأـصـولـ وـرـوـاـيـةـ أـبـيـ حـيـانـ لـهـ : « اللـهـمـ آـبـثـ عـلـيـهـ كـلـبـكـ يـاـ كـهـ » ، ثـمـ قـالـ : فـلـمـ آـتـهـ إـلـىـ الـغـاـپـرـةـ ... اـلـخـ .

الشقاء والسعادة . أَبْنَ زِيدَ : سُبْلُ الْإِسْلَامَ . وَقَالَ أَبُو بَكْرِ بْنُ طَاهِرَ : يَسِرُ عَلَى كُلِّ أَحَدٍ مَا خَلَقَهُ لَهُ ، وَقَدْرُهُ عَلَيْهِ ؛ دَلِيلُهُ قَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ : «أَعْمَلُوا فِكْلًا مُّسِرًّا لَا خُلُقَ لَهُ» .
 (ثُمَّ أَمَاتَهُ فَاقْبَرَهُ) أَى جَعَلَ لَهُ قَبْرًا يَوْارِى فِيهِ إِكْرَامًا ، وَلَمْ يَجْعَلْهُ مَا يَلْقَى عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ تَأْكِلَهُ الطَّيْرُ وَالْعَوْافِيُّ ؛ قَالَهُ الْفَرْزَاءُ . وَقَالَ أَبُو عَبِيدَةَ : «أَقْبَرَهُ» جَعَلَ لَهُ قَبْرًا ، وَأَمْرَ أَنْ يَقْبِرَ . قَالَ أَبُو عَبِيدَةَ : وَلَمَّا قُتِلَ عُمَرُ بْنُ هَبِيرَةَ صَالِحَ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنَ قَالَتْ بَنْوَةُ تَمِيمٍ وَدَخَلُوا عَلَيْهِ : أَقْبَرْنَا صَالِحًا ؛ فَقَالَ : دُونَكُوهُ . وَقَالَ : «أَقْبَرَهُ» وَلَمْ يَقُلْ قَبْرَهُ ؛ لِأَنَّ الْقَابِرَ هُوَ الدَّافِنُ بِيَدِهِ ، قَالَ الْأَعْشَى :

لَوْ أَسْنَدْتَ مَيْتًا إِلَى تَحْرِها * عَاشَ وَلَمْ يُنْقَلْ إِلَى قَابِرٍ

يَقَالُ : قَبَرَتِ الْمَيْتُ إِذَا دَفَتْهُ ، وَأَقْبَرَهُ اللَّهُ أَى صَيْرَهُ بِمُحِيطِ يَقْبَرِ وَجْهُهُ لَهُ قَبْرًا ؛ تَقُولُ الْعَرَبُ : بَرَثَ ذَنَبَ الْبَعِيرِ وَأَبْتَرَهُ اللَّهُ ، وَعَصَبَتْ قَرْنَ الشَّوْرِ وَأَعْصَبَهُ اللَّهُ ، وَطَرَدَتْ فَلَانَا وَاللَّهُ أَطْرَدَهُ أَى صَيْرَهُ طَرِيدًا . (ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ) أَى أَحْيَاهُ بَعْدَ مَوْتِهِ . وَقَرَاءَةُ الْعَامَةِ «أَنْشَرَهُ» بِالْأَلْفِ . وَرَوَى أَبُو حَيْوَةَ عَنْ نَافِعٍ وَشَعِيبِ بْنِ أَبِي حَمْزَةَ «شَاءَ نَشَرَهُ» بِغَيْرِ أَلْفِ لِغَتَانَ فَصَيْحَتَانَ بِمَعْنَى ؛ يَقَالُ : أَنْشَرَ اللَّهُ الْمَيْتَ وَنَشَرَهُ ؛ قَالَ الْأَعْشَى :

حَتَّى يَقُولَ النَّاسُ مَا رَأَوْا * يَا عَجَبًا لِلْمَيْتِ النَّاثِرِ

قَوْلُهُ تَعَالَى : (كَلَّا لَمْ يَقْضِ مَا أَمْرَهُ) قَالَ مُجَاهِدٌ وَقَادِهٌ : «لَمَّا يَقْضِ» لَا يَقْضِي أَحَدٌ مَا أَمْرَهُ . وَكَانَ أَبْنَ عَبَّاسَ يَقُولُ : «لَمَّا يَقْضِ مَا أَمْرَهُ» لَمْ يَفِ بِالْمِيَافِيَّ الَّذِي أَخْذَ عَلَيْهِ فِي صَلْبِ آدَمَ . ثُمَّ قِيلَ : «كَلَّا» رَدْعٌ وَزَجْرٌ أَى لَيْسَ الْأَمْرُ كَمَا يَقُولُ الْكَافِرُ ؛ فَإِنَّ الْكَافِرَ إِذَا أَخْبَرَ بِالنَّشُورِ قَالَ : «وَلَئِنْ رُجِعْتُ إِلَى رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ لِلْحَسْنَى» رَبِّا يَقُولُ قَدْ قَضَيْتَ مَا أَمْرَتَ بِهِ ، فَقَالَ : كَلَّا لَمْ يَقْضِ شَيْئًا بَلْ هُوَ كَافِرٌ بِي وَبِرْسُولِي . وَقَالَ الْحَسَنُ : أَى حَقًا لَمْ يَقْضِ أَى لَمْ يَعْمَلْ بِمَا أَمْرَهُ . وَ«مَا» فِي قَوْلِهِ : «لَمَّا» عِمَادُ لِلْكَلَامِ ؛ كَقَوْلِهِ تَعَالَى : «فَإِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ» وَقَوْلُهُ : «عَمَّا فَلَيْلٌ لِيَصْبِحُنَّ نَادِمِينَ

(١) العَوْافِ : طَلَابُ الرِّزْقِ مِنَ الْإِنْسَانِ وَالْمَوْاَبِ وَالْطَّيْرِ ؛ وَالْمَرَادُ هُنَّ الْوَحْشُ وَالْبَاهَمُ .

وقال الإمام آبن فورك : أى كلاما يقضى الله لهذا الكافر ما أمره به من الإيمان ، بل أمره بما لم يقض له . آبن الأنباري : الوقف على « كَلَّا » قبيح ، والوقف على « أَمْرَهُ » و « أَشْرَهُ » جيد ؛ فـ « كَلَّا » على هذا بمعنى حقا .

قوله تعالى : فَلَيَنْظُرِ إِلَيْنَسْنُ إِلَى طَعَامِهِ ﴿٤﴾ أَنَا صَبَبْنَا آلَمَاءَ صَبَبَا ﴿٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا آلَأَرْضَ شَقَّا ﴿٦﴾ فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبَّا ﴿٧﴾ وَعَنْبَأَ وَقَضَبَا ﴿٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٩﴾ وَحَدَّأَبَقَ غُلْبًا ﴿١٠﴾ وَفَنَكَهَةً وَأَبَأً ﴿١١﴾ مَتَّعْنَا لَكُمْ وَلَا نَعْلَمُكُمْ ﴿١٢﴾

قوله تعالى : (فَلَيَنْظُرِ إِلَيْنَسْنُ إِلَى طَعَامِهِ) لما ذكر جل ثناؤه آبتداء خلق الإنسان ذكر ما يسر من رزقه ؛ أى فيلينظر كيف خلق الله طعامه . وهذا النظر نظر القلب بالتفكير ؛ أى ليتسدبر كيف خلق الله طعامه الذى هو قوام حياته ، وكيف هيأ له أسباب المعاش ليستعد بها للعاد . وروى عن الحسن ومجاهد قالا : « فَلَيَنْظُرِ إِلَيْنَسْنُ إِلَى طَعَامِهِ » أى إلى مدخله وخروجه . وروى آبن أبي خيثمة عن الضحاك بن سفيان الكلابي قال قال لى النبي صلى الله عليه وسلم : " يا ضحاك ما طعامك " قلت : يا رسول الله ! الملم واللبن ؛ قال : " ثم يصير إلى ماذا " قلت إلى ما قد علمته ؛ قال : " فإن الله ضرب ما يخرج من آبن آدم مثلاً للدنيا " . وقال آبن بن كعب قال النبي صلى الله عليه وسلم : " إن مطعم آبن آدم جعل مثلاً للدنيا وإن قزحة وما يجهه فآنظر إلى ما يصير " . وقال أبو الويبد : سألت آبن عمر عن الرجل يدخل الخلاء فينظر ما يخرج منه ؛ قال : يأتيه المالك فيقول آننظر ما بخلت به إلى ما صار .

(١) فرقه : أى نبله من الفرج وهو النابل الذى يطرح فى القدر كالكون والكتيبة ونحو ذلك .
والمعنى : إن المطعم وإن تكلف الإنسان التفرق فى صنته وتطيبه فإنه عائد إلى حال يكره ويستقر فنكذلك الدنيا المحروس على عمارتها ونظم أسبابها راجعة إلى زراب وإدبار . « النهاية » .

قوله تعالى : «أَنَا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبَّاً» قراءة العامة «إِنَّا» بالكسر على الاستئناف . وقرأ الكوفيون ورويس عن يعقوب «أَنَا» بفتح المهمزة فـ«أَنَا» في موضع خفض على الترجمة عن الطعام فهو بدل منه ؛ كأنه قال : «فَلَيُنْظِرِ إِلَيْنَا إِلَى طَعَامِهِ» إلى «أَنَا صَبَبْنَا» فلا يحسن الوقف على «طَعَامِهِ» من هذه القراءة . وكذلك إن رفعت «أَنَا» بإضمار هو أنا صَبَبْنَا ، لأنها في حال رفعها مترجمة عن الطعام . وقيل : المعنى لأنَا صَبَبْنَا الماء فأحرجنا به الطعام أى كذلك كان . وقرأ الحسين بن علي «أَنِّي» ممال بمعنى كيف . فلنأخذ بهذه القراءة قال : الوقف على «طَعَامِهِ» تام . ويقال : معنى «أَنِّي» أين إلا أن فيها كاية عن الوجوه ؛ وتؤول لها : من أى وجه صَبَبْنَا الماء ؟ قال الكيت :

أَنِّي وَمِنْ أَنِّيْ أَبَكَ الْرَّطَبُ * مِنْ حِثُّ لَا صَبَّوْ وَلَا رَبَّ

«صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبَّاً» يعني الغيث والأمطار . (ثم شققنا الأرض شقاً) أى بالنبات (فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبَّاً) أى قحراً وشعيراً وسلتاً وسائر ما يقصد ويذخر (وَعِنَّا وَقْبَبَا) وهو القت والعلف ؛ عن الحسن ؛ سمي بذلك لأنَّه يُقْضَبُ أى يُقطع بعد ظهوره مرةً بعد مرَّة . قال القتبي وثعلب : وأهل مكة يسمون القت القضب . وقال ابن عباس : هو الرطب لأنَّه يُقْضَبُ من التخل ؛ ولأنَّه ذكر العنبر قبله . وعنده أيضاً : أنه الفصيفصة وهو القت الرطب . وقال الخليل : القضب الفصيفصة الرطبة . وقيل : بالسین فإذا بَيْسَتْ فهو قَتْ . قال : والقضب أَسْمَ يقع على ما يُقْضَبُ من أغصان الشجرة ليتَخَذَ منها سهام أو قيسي . ويقال : قضباً يعني جميع ما يُقْضَبُ مثل القت والكراث وسائر البقول التي تقطع فينبت أصلها . وفي الصحاح : والقضبة والقضب الرطبة وهي الإسفست بالفارسية والموضع الذي ينبع في مقضبة . (وَزَيْتُونًا) وهي شجرة الزيتون (وَنَخَالًا) يعني النخيل (وَحَدَائِقَ) أى

(١) في نسخة : قرأ بعض القراء .

(٢) آبك : أناك . الريب : صروف الدهر .

(٣) السلت (بالضم) : ضرب من الشعر .

بساتين واحدتها حديقة . قال الكلبي : وكل شئ أحيط عليه من نخيل أو شجر فهو حديقة ، وما لم يحيط عليه فليس بحديقة . (**غُلَامٌ**) عظاما شجرها ؛ يقال : شجرة غلباء ، ويقال للأسد الأغلب ؛ لأنه مصمم العنق لا يلتفت إلا جماعا ؛ قال العجاج :

ما زلت يومَ الْيَوْمِ صُلِّي * والرَّأْسُ حَتَّى صَرَّتْ مِثْلَ الْأَغْلَبِ
ورجلُ أَغْلَبَ بَيْنَ الْغَلَبِ إِذَا كَانَ غَلِظَ الرَّقْبَةِ . والأصل في الوصف بالغلب الرَّقَابُ
فاستغير ؛ قال عمرو بن معدى كرب :

يُمْشِي بِهَا غَلْبُ الرَّقَابِ كَاهْمٌ * بُزْلُ كَسِينَ مِنَ الْكُحْجِيلِ جَلَالٌ^(١)

وحديقة غلباء ملتفة وحدائق غلب . وأغلوب العشب بلغ وآلتف البعض بالبعض .
قال ابن عباس : الغلب جمع أغلب وغلباء وهي الغلاظ . وعنده أيضا الطوال . قنادة وأبن
زيد : التخل الكلام . وعن ابن زيد أيضا وعكرمة : عظام الأوساط والخذوع . مجاهد :
ملتفة . (**وَفَاكِهَةٌ**) أي ما تأكله الناس من ثمار الأشجار كالتين والخوخ وغيرهما . (**وَآبَاءُ**)
هو ما تأكله البهائم من العشب ؛ قال ابن عباس والحسن : الألب كل ما أنبت الأرض
مما لا يأكله الناس ، وما يأكله الآدميون هو الحصيد ؛ ومنه قول الشاعر في مدح النبي صلى

الله عليه وسلم :

لَهْ دَعْوَةُ مَيْوَنَةٍ رِيحُهَا الصَّبَا * بِهَا يُنْبَتُ اللَّهُ الْحَصِيدَةُ وَالْآبَاءُ

وقيل : إنما سمي آباء لأنه يؤب أي يؤم ويتحم . والألب وألم آخران ؛ قال :

جِدْمُونَ قِيسٌ وَنَجْدُ دَارُنَا * وَلَنَا الْأَلْبُ بِهِ وَالْمَكْرُعُ^(٢)

وقال الضحاك : الألب كل شيء ينبت على وجه الأرض . وكذا قال أبو رزين : هو
النبات ؛ يدل عليه قول ابن عباس قال : الألب ما تنبت الأرض مما يأكل الناس والأنعم .

(١) الكحيل : نوع من القطaran نعلى به الإبل للجرب ولا يستعمل إلا مصfra . وجمل الدابة : الذي ثلبه نصان
به وبالجمع جلال وأجلال .

(٢) الجنم (بكمرا الجم) : الأصل . والمرکع : مفعول من الكع أراد به الماء ، الصالح للشرب .

وعن ابن عباس أيضاً وآبَن أبي طلحة : الأَبُ الْمَارِ الرَّطْبَةُ . وقال الضحاك : هو التين خاصة . وهو مُحَكَّ عن آبَن عباس أيضاً ، قال الشاعر :

فَالْهَمْ مَرْتَعٌ لِلْسَّوَا * مِنْ أَبَّ عِنْدَهُمْ يَقْدَرُ^(١)

الكلبي : هو كل نبات سوى الفاكهة . وقيل : الفاكهة رَطْبُ الْمَارِ وَالْأَبَ يابسها .

وقال إبراهيم التيمي : سئل أبو بكر الصديق رضي الله عنه عن تفسير الفاكهة والأَبَ

فقال : أَى سماء تُظْلَى وأَى أرض تُقْلَى إذا قلت في كتاب الله ما لا أعلم . وقال أنس :

سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه قرأ هذه الآية ثم قال : كل هذا قد عرفناه فما الأَبَ ؟

ثم رفع عصماً كانت بيده وقال : هذا لعمر الله التكليف وما عليك يا بْنَ أَمِّ عمِّرَ أَلَا تدرى ما الأَبَ . ثم قال : آتَيْتُمَا مَا بَيْنَ لَكُمْ مِنْ هَذَا الْكِتَابِ وَمَا لَا فَدْعُوكُمْ . وروى عن النبي

صلى الله عليه وسلم أنه قال : « خَلِقْتُمْ مِنْ سَبْعَ وَرِزْقَمْ مِنْ سَبْعَ فَأَسْجَدُوا لِلَّهِ عَلَى سَبْعَ » وإنما

أراد بقوله : « خَلِقْتُمْ مِنْ سَبْعَ » يعني « مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْعَةٍ » الآية ، والرزق

من سبع وهو قوله تعالى : « فَانْبَثَنَا فِيهَا حَبَّاً وَعَبَّاً » إلى قوله : « وَفَاكِهَةً » ثم قال : « وَأَبَّاً »

وهو يدل على أنه ليس برق لأبن آدم وأنه مما تختص به البهائم . والله أعلم . (متاعاً لكم)

نصب على المصدر المؤكّد ، لأن إنبات هذه الأشياء إمتاع لجميع الحيوانات . وهذا ضرب

مثل ضربه الله تعالى لبعث الموتى من قبورهم ، كنبات الزرع بعد دنوته كـ تقدم بيانه في غير موضع . ويتضمن آمنتانا عليهم بما أنعم به وقد مضى في غير موضع أيضاً .

قوله تعالى : فَإِذَا جَاءَتِ الْأَصَاحَةُ (٣٦) يَوْمَ يَفِرُّ الْمُرْءُ مِنْ

أَخِيهِ (٣٧) وَأَمِّهِ وَأَبِيهِ (٣٨) وَصَاحِبِهِ وَبَنِيهِ (٣٩) لِكُلِّ أَمْرٍ

مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَانٌ يُغْنِيهِ (٤٠) وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مَسْفَرَةٌ (٤١) ضَاحِكَةٌ

مُسْتَبِدَشَرَةٌ (٤٢) وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ (٤٣) تَرَهُقُهَا قَتْرَةٌ (٤٤)

أَوْلَئِكَ هُمُ الْكَفَرُ الْفَجَرُ (٤٥)

(١) السوام والسامنة : المال الراعي من الإبل والغنم وغيرهما .

قوله تعالى : «فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاحَةُ» لما ذكر أمر المعاش ذكر أمر المعاد ليترددا له بالأعمال الصالحة وبالإنفاق مما آمن به عليهم . والصاخة الصيحة التي تكون عنها القيامة وهي النفحـة الثانية ، تصريح الأسماع أى تصمـها فلا تسمع إلا ما يدعـى به للإحياء . وذكر ناس من المفسـرين قالوا : تصريح لها الأسماع من قولك أصلـخ إلى كذا أى آسـمع إليه ؛ ومنـه الحديث : «ما من دابة إلا وهي مصـيخـة يوم الجمعة شـفـقا من السـاعة إلا الحـنـ والإنسـ» وقال الشـاعـر :

يُصـيـخـ لـلنـبـأـ أـسـمـاعـ * إـصـاخـةـ النـاـشـدـ لـلـمـنـشـدـ

قال بعض العـلمـاءـ : وهذا يؤخذ على جهة التـسلـيمـ للـقـدـماءـ فـأـمـاـ اللـغـةـ فـقـتـضـاـهـاـ القـوـلـ الأولـ ؛
قال الخـليلـ : الصـاخـةـ صـيـحـةـ تـصـرـحـ الـآـذـانـ حـتـىـ أـىـ تـصـمـهاـ بـشـدـةـ وـقـعـتـهاـ . وأـصـلـ الـكـلـمـةـ
فـالـلـغـةـ الصـلـكـ الشـدـيدـ . وـقـيلـ : هـىـ مـأـخـوذـةـ مـنـ صـخـهـ بـالـجـهـرـ إـذـاـ صـكـهـ ؛ قال الـراـجـزـ :

يـاـ جـارـيـ هـلـ لـكـ أـنـ تـجـالـيـ * جـلـادـةـ كـالـصـلـكـ بـالـحـلـامـيدـ

وـمـنـ هـذـاـ الـبـابـ قـوـلـ الـعـربـ : صـخـتـهمـ الصـاخـهـ وـبـاتـهـمـ الـبـائـثـةـ وـهـيـ الـدـاهـيـةـ . الطـبـرـىـ :
وـأـحـسـبـهـ مـنـ صـخـهـ فـلـانـ إـذـاـ أـصـهـ . قال آـبـنـ الـعـربـىـ : الصـاخـةـ الـتـىـ تـورـثـ الصـمـمـ ، وـإـنـهـ
لـمـسـيـعـهـ وـهـذـاـ مـنـ بـدـيـعـ الـفـصـاحـةـ ، حـتـىـ لـقـدـ قـالـ بـعـضـ حـدـيـثـ الـأـسـنـانـ حـدـيـثـ الـأـزـمـانـ :

* أـصـمـ يـكـ النـاعـيـ وـإـنـ كـانـ أـسـمـاعـ *

وقـالـ آـخـرـ :

أـصـفـيـ سـرـهـمـ أـيـامـ فـرـقـهـمـ * فـهـلـ سـيـعـمـ بـيـسـرـ يـورـثـ الصـمـمـ

وـلـعـمـرـ اللهـ إـنـ صـيـحـةـ الـقـيـامـةـ لـمـسـيـعـهـ تـيـمـ عنـ الدـنـيـاـ وـسـيـمـ أـمـورـ الـآـخـرـةـ .

قوله تعالى : «يـوـمـ يـفـرـ المـرـءـ مـنـ أـخـيـهـ» أـىـ يـهـرـبـ أـىـ تـجـيـهـ الصـاخـةـ فـهـذـاـ الـيـوـمـ
الـذـىـ يـهـرـبـ فـيـهـ مـنـ أـخـيـهـ ؛ أـىـ مـنـ موـالـاـهـ أـخـيـهـ وـمـكـلـمـهـ ؛ لـأـنـهـ لـاـ يـتـفـرـغـ لـذـلـكـ لـاـشـغـالـهـ
بـنـفـسـهـ ، كـاـقـالـ بـعـدهـ : «لـكـلـ أـمـرـيـ مـنـهـ يـوـمـيـذـ شـأـنـ يـعـنـيـهـ» أـىـ يـشـغـلـهـ عـنـ غـيرـهـ .
وـقـيـلـ : إـنـاـ يـفـرـ حـذـراـ مـنـ مـطـالـبـهـ إـيـاهـ لـمـاـ يـنـهـمـ مـنـ الـتـبعـاتـ . وـقـيـلـ : لـثـلاـ يـرـواـ مـاـ هـوـ

فيه من الشدة . وقيل : لعله أنهم لا ينفعونه ولا يغدون عنه شيئاً ، كما قال : « يوم لا يُغْنِي مَوْلَى عن مَوْلَى شيئاً » . وقال عبد الله بن طاهر الأبهري : يغدر منهم لما تبين له من عجزهم وقلة حيلتهم إلى من يملك كشف تلك الكروب والهموم عنه ، ولو ظهر له ذلك في الدنيا لما آعتمده شيئاً سوى ربه تعالى . (وصَاحِبَتِه) أى زوجته . (وَبَيْهِ) أى أولاده .

وذكر الضحاك عن ابن عباس قال : يفتر قabil من أخيه هابيل ، ويفتر النبي صلى الله عليه وسلم من أمه ، وإبراهيم عليه السلام من أبيه ، ونوح عليه السلام من آبئته ، ولوط من آمراته ، وآدم من سوأة بناته . وقال الحسن : أقل من يفتر يوم القيمة من أبيه إبراهيم ، وأقل من يفتر من آبئته نوح ، وأقل من يفتر من آمراته لوط . قال : فيرون أن هذه الآية نزلت فيهم وهذا فرار التبرؤ . (لِكُلِّ أَمْرِيَءٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَانِ يَغْنِيهِ) في صحيح مسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « يُخَشِّر النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حُفَّةً عُرَاءَةً غُرْلَاً » قلت : يا رسول الله ! الرجال والنساء جميعاً ينظر بعضهم إلى بعض ؟ قال : « يَا عَائِشَةَ الْأَمْرُ أَشَدُّ مِنْ أَنْ يَنْظُرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ » . خرجه الترمذى عن ابن عباس أن النبي صلى عليه وسلم قال : « يُخَشِّرُونَ حُفَّةً عُرَاءَةً غُرْلَاً » فقلت آمرأة : أينظر بعضنا — أو بعضنا يرى — عورة بعض ؟ قال : « يَافْلَانَةً » (لِكُلِّ أَمْرِيَءٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَانِ يَغْنِيهِ) قال : حديث حسن صحيح . وقراءة العامة بالعين المعجمة ، أى حال يشغله عن الأقرباء . وقرأ ابن حيمون وحيد « يَغْنِيهِ » بفتح الياء وعين غير معجمة ، أى يعنيه أمره . وقال القمي : يعنيه يصرفه ويصدّه عن قرابته ، ومنه يقال : أَعْنَى عَنِ وجْهِكَ أَى أَصْرَفَهُ وَأَعْنَى عَنِ السَّقِيفَةِ ؛ قال خفاف :

سَيِّئَنِيكَ حَرْبُ بْنِ مَالِكٍ * عَنِ الْفُجُوشِ وَالْجَهَلِ فِي الْمُحْفَلِ

قوله تعالى : (وَجْهُهُ يَوْمَئِذٍ مَسْفَرَةً) أى مشرقة مضيئه قد علمت ما لها من الفوز والنعيم ، وهى وجه المؤمنين . (ضَاحِكَةً) أى مسروقة فرحة . (مُسْتَبِشَةً) أى بها

أناها الله من الكراهة . وقال عطاء الخراساني : « مُسِفَرَة » من طول ما أَغْبَرَت في سبيل الله جل ثناؤه . ذكره أبو نعيم . الضحاك : من آثار الوضوء . ابن عباس : من قيام الليل ، لما روى في الحديث : ”من كثرت صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار“ يقال : أسفـر الصـبح إذا أضـاء . (ووجـوه يـومـئـذ عـلـيـهـا غـبـرـة) أـى غـبـار وـدـخـان (تـرـهـقـهـا) أـى تـغـشاـهـا (قـتـرـة) أـى كـسـوـف وـسـوـاد . كـذـا قـالـ آبـنـ عـبـاسـ . وـعـنـهـ أـيـضاـ : ذـلـة وـشـدـةـ . وـالـقـتـرـ فـيـ كـلـامـ العربـ الـفـيـارـ جـمـعـ الـقـتـرـةـ عـنـ أـبـيـ عـبـيدـ ، وـأـنـشـدـ الـفـرـزـدقـ :

مـتـوـجـ بـرـدـاءـ الـمـلـكـ يـتـبـعـهـ * مـوـجـ تـرـىـ فـوـقـهـ الرـأـيـاتـ وـالـقـتـرـاـ

وفي الخبر : إن البهائم إذا صارت ترابا يوم القيمة حول ذلك التراب في وجوه الكفار .
وقال زيد بن أسلم : القترة ما ارتفعت إلى السماء ، والغبرة ما انحنت إلى الأرض ، والغبار والغبرة واحد . (أولـيـكـ هـمـ الـكـفـرـةـ) جـمـعـ كـافـرـ (الـفـجـرـةـ) جـمـعـ فـاجـرـ وهو الكاذب المفترى على الله تعالى . وقيل : الفاسق ؛ [يقال] : بـغـرـبـورـاـ أـىـ فـسـقـ وـبـفـرـأـىـ كـذـبـ ، وـأـصـلـهـ المـلـلـ وـالـفـاجـرـ الـمـائـلـ . وـقـدـ مـضـىـ بـيـانـهـ وـالـكـلـامـ فـيـهـ وـالـحمدـ لـهـ وـحـدـهـ .

سـورـةـ التـكـوـيرـ

مـكـيـةـ فـيـ قـوـلـ الـجـمـيعـ وـهـىـ تـسـعـ وـعـشـرـونـ آـيـةـ

وفي الترمذى : عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ”من سره أن ينظر إلى يوم القيمة [كأنه رأى عين] فليقرأ إذا الشمس كورت وإذا السماء انقطرت وإذا السماء آشقت ” قال : هذا حديث حسن [غريب] .

(١) الزيادة من صحيح الترمذى .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قوله تعالى : إِذَا الشَّمْسُ كُوَرَتْ ۝ وَإِذَا النَّجُومُ آنْكَرَتْ ۝
 وَإِذَا الْجَاهْلُ سُرِّتْ ۝ وَإِذَا الْعِشَارُ عُطَلَتْ ۝ وَإِذَا الْوُحُوشُ
 حُشِرَتْ ۝ وَإِذَا الْبَحَارُ سُجَرَتْ ۝ وَإِذَا الْنُفُوسُ زُوَجَتْ ۝
 وَإِذَا الْمَوْعِدَةُ سُيَلَتْ ۝ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ ۝ وَإِذَا الْصُّحْفُ
 نُشِرَتْ ۝ وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ ۝ وَإِذَا الْجَهَنَّمُ سُعِرَتْ ۝
 وَإِذَا الْجَنَّةُ أَزْلَفَتْ ۝ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا أَخْضَرَتْ ۝

قوله تعالى : (إِذَا الشَّمْسُ كُوَرَتْ) قال ابن عباس : تکورها إدخالها في العرش .
 الحسن : ذهاب ضوئها . و قاله قنادة و مجاهد ، و روی عن ابن عباس أيضا . سعيد بن
 جبير : غورت . أبو عبيدة : كورت مثل تکور العامة للف فتح . وقال الربيع بن خيم :
 « كورت » رمي بها ، ومنه كورته فتكور أي سقط .

قلت : وأصل التکور الجمع مأخذ من کار العامة على رأسه يکورُها أى لاتها و جمعها
 فهي تکور و يمتع ضوءها ثم يرثى بها في البحر . والله أعلم . وعن أبي صالح : كورت نکست .
 (وَإِذَا النَّجُومُ آنْكَرَتْ) أى هماقت و تناثرت . وقال أبو عبيدة : آنصبت کاينصب
 العَقَابِ إِذَا آنْكَسَتْ . قال العجاج يصف صقرا :

أَبْصَرَ خَرْبَانَ فَضَاءِ فَانْكَدَرْ * تَقْضَى الْبَازِي إِذَا الْبَازِي كَسَرْ

(١) هكذا البيت في نسخ الأصل التي بأيدينا والذى في ديوان العجاج رواية الأصمعى نسخة الشنقيطي : قال يدح
 عمرو بن عيد الله بن معمر : قد جبر الدين الله بغير . إلى أن قال :
 داني جناحـه من الطور فـ * تقضـى الـ بازـي إذا الـ بازـي كـسرـ
 أـبـصـرـ خـرـبـانـ فـضـاءـ فـانـكـدـرـ * شـاكـىـ الـكـلـالـبـ إـذـاـ أـهـوىـ أـطـافـرـ
 الطور الجليل وعنـى هنا الشـامـ ، يقولـ : أـنـقـضـ آـبـنـ معـمـرـ اـنـقـضـاـنـ الشـامـ أـنـقـضـاـنـ الـ باـزـيـ ضـمـ جـنـاحـهـ . وـ خـرـبـانـ
 جـعـ خـربـ وهو ذـكـرـ الـ بـلـارـ ، وـ الـ كـلـالـبـ الـ خـالـبـ ، وـ أـطـافـرـ أـصـلـهـ أـخـنـفـرـ فـأـبـدـلـ النـاءـ طـاءـ فـأـدـغـمـتـ فـيـ الـ ظـاءـ .

وروى أبو صالح عن أبي عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ”لايبي في السماء يومئذ نجم إلا سقط في الأرض حتى يفزع أهل الأرض السابعة مما لقيت وأصاب العلية“ يعني الأرض . وروى الضحاك عن أبي عباس قال : تساقطت ؛ وذلك أنها فناديل معلقة بين السماء والأرض بسلاسل من نور ، وتلك السلاسل بأيدي الملائكة من نور ، فإذا جاءت النفحـة الأولى مات من في الأرض ومن في السموات فتناثرت تلك الكواكب وتساقطت السلاسل من أيدي الملائكة ؛ لأنـه مات من كان يمسـكـها . ويـحـتمـلـ أنـ يكونـ آنـكـارـهاـ طـمـسـ آـنـارـهاـ . وسمـيتـ النـجـومـ بـجـوـمـ لـظـهـورـهـاـ فـيـ السـمـاءـ بـضـوـئـهـاـ . وـعـنـ آـبـنـ عـبـاسـ أـيـضاـ : آـنـكـرـتـ تـغـيـرـتـ فـلـمـ يـبـقـ هـاـ ضـوءـ لـزـوـاهـاـ عـنـ أـمـاـكـنـهـاـ . وـالـعـنـيـفـ مـتـقـارـبـ . (وـإـذـاـ الـجـبـالـ سـيـرـتـ) يعني قلعت من الأرض وسـيرـتـ فـيـ الـهـوـاءـ؛ وـهـوـ مـثـلـ قولـهـ تعالىـ : «وـيـوـمـ نـسـيرـ الـجـبـالـ وـتـرـىـ الـأـرـضـ بـأـرـزـةـ» . وـقـيـلـ : سـيرـهاـ تـحـوـلـهـاـ عـنـ مـنـزـلـةـ الـجـمـارـةـ فـتـكـونـ كـثـيـراـ مـهـيـلاـ أـيـ رـمـلـ سـائـلـاـ، وـتـكـونـ كـالـعـهـنـ، وـتـكـونـ هـبـاءـ مـنـثـورـاـ، وـتـكـونـ سـرـابـاـ مـشـلـ السـرـابـ الـذـيـ ليسـ بـشـيءـ . وـعـادـتـ الـأـرـضـ قـاعـاـ صـفـصـفـاـ لـاـ تـرـىـ فـيـهـاـ عـوـجاـ وـلـاـ أـمـتـاـ . وـقـدـ تـقـدـمـ فـيـ غـيـرـ مـوـضـعـ وـالـحـمـدـ لـهـ . (وـإـذـاـ الـعـشـارـ عـطـلـتـ) أـيـ النـوقـ الـحـوـامـ الـتـيـ فـيـ بـطـوـنـهـاـ أـوـلـادـهـاـ؛ الـوـاحـدةـ عـشـراءـ أـوـ الـتـيـ أـتـيـ عـلـيـهـاـ فـيـ الـحـمـلـ عـشـرةـ أـشـهـرـ، ثـمـ لـاـ يـرـاـلـ ذـلـكـ آـسـمـهـاـ حـتـىـ تـضـعـ وـبـعـدـ مـاـ تـضـعـ أـيـضاـ . وـمـنـ عـادـةـ الـعـربـ أـنـ يـسـمـواـ الشـيـءـ بـاسـمـهـ المتـقـدـمـ وـإـنـ كـانـ قـدـ جـاـوزـ ذـلـكـ؛ يـقـولـ الرـجـلـ لـفـرـسـهـ وـقـدـ قـرـحـ : هـاـتـواـ مـهـرـىـ وـقـرـبـواـ مـهـرـىـ يـسـمـيهـ بـعـتـقـدـمـ آـسـمـهـ؛ قـالـ عـنـتـرـةـ :

لـاـ تـذـكـرـ كـرـىـ مـهـرـىـ وـمـاـ أـطـعـتـهـ * فـيـكـونـ جـلـدـكـ مـثـلـ جـلـدـ الـأـجـرـ

وقـالـ أـيـضاـ :

* وـحـلـتـ مـهـرـىـ وـسـطـلـهـ فـضـاـهـاـ *

وـإـنـماـ خـصـ الـعـشـارـ بـالـذـكـرـ؛ لأنـهـ أـعـزـ ماـ تـكـونـ عـلـىـ الـعـربـ وـلـيـسـ يـعـطـلـهـاـ أـهـلـهـاـ إـلـاـ حـالـ الـقـيـامـةـ . وـهـذـاـ عـلـىـ وـجـهـ الـمـثـلـ؛ لـأـنـ فـيـ الـقـيـامـةـ لـاـ تـكـونـ نـاقـةـ عـشـراءـ، وـلـكـنـ أـرـادـ بـهـ الـمـثـلـ؛ أـنـ هـوـ

(١) صدره : * وـضـرـبـتـ قـرـنـيـ كـبـشـاـ فـتـجـدـلـاـ *

يوم القيمة بحال لو كان للرجل ناقة عشراء لعطلها وأشتعل بنفسه . وقيل : إنهم إذا قاموا من قبورهم ، وشاهد بعضهم بعضاً ، ورأوا الوحوش والدواب محسورة وفيها عشارهم التي كانت أنفس أموالهم لم يعيثوا بها ولم يهمهم أمرها . وخطب العرب بأمر العشار ، لأن ما لها وعيثها كثرة من الإبل . وروى الضحاك عن ابن عباس : عُطلت عطلها أهلها لأشغالهم بأنفسهم . وقال الأعشى :

هُوَ الْوَاهِبُ الْمَاةَ الْمُضْطَفَا * إِمَّا مَخَاصِّا وَإِمَّا عِشَارًا

وقال آخر :

تَرَى الْمَرْءَ مَهْجُوراً إِذَا قَلَّ مَالُهُ * وَبَيْتُ الْغَنِيِّ يُهْدَى لَهُ وَيُزَارُ
وَمَا يَنْفَعُ الرُّؤْرَ مَالُ مَنْ وَرِيهِمْ * إِذَا سَرَّحْتَ شُولَ لَهُ وَعِشَارُ

يقال : ناقة عشراء وناقتان عشراء ونوق عشار وعشراوات يبدلون من همزة التأنيث واوا . وقد عشرت الناقة تعشيراً أى صارت عشراء . وقيل : العشار السحاب يُعطل مما يكون فيه وهو الماء فلا يطرد ، والعرب تشبه السحاب بالحامل . وقيل : الديار تعطل فلا تسكن . وقيل : الأرض التي يُشرّ زرعها تعطل فلا تزرع . والأقل أشهر وعليه من الناس الأكثرون . ((وإذا الوحوش حشرت)) أى جمعت والبشر الجموع . عن الحسن وقتادة وغيرهما . وقال ابن عباس : حشرها موتها . رواه عنه عكرمة . وحشر كل شيء الموت غير الجن والإنس فانهما يوافيان يوم القيمة . وعن ابن عباس أيضاً قال : يحشر كل شيء حتى الذباب . قال ابن عباس : تحشر الوحوش غداً ، أى تجتمع حتى يقتصر لبعضها من بعض فيقتصر للباقي من القرناء ثم يقال لها كوني تراباً فموت . وهذا أصح مما رواه عنه عكرمة ، وقد بيناه في كتاب «السذكرة» مستوفى ، ومضى في سورة «الأنعام» بعده . أى إن الوحوش إذا كانت هذه حالها فكيف ببني آدم . وقيل : عنى بهذا أنها مع نفرتها اليوم من الناس وتنددها

(١) في نسخة : بزل . (٢) راجع ج ٦ ص ٤٢١

في الصحاري ، تضم غدا إلى الناس من أهواه ذلك اليوم . قال معناه أبو بن كعب .
(إِذَا الْبَحَارُ سَجَرَتْ) أي ملئت من الماء ، والعرب تقول : سَجَرَتْ الحوض أَسْجَرَه
 سَجَرَتْ إذا ملأته وهو مسجور ، والمسجور والساجر في اللغة الملاآن . وروى الربيع بن خيثم :
سَجَرَتْ فاضت وملئت . وقاله الكلبي ومقاتل والحسن والضحاك . قال ابن أبي زمين :
سَجَرَتْ حقيقته ملئت فيفيض بعضها إلى بعض فتصير شيئاً واحداً . وهو معنى قول الحسن .
 وقيل : أرسل عذبها على مالحها وما لحها على عذبها حتى آمتلأت . عن الضحاك ومجاهد :
 أي بفرت فصارت بحراً واحداً . القشيري : وذلك بأن يرفع الله الحاجز الذي ذكره في قوله
 تعالى : «**بَيْنَمَا بَرَزَخٌ لَا يَعِيَانٌ**» فإذا رفع ذلك البرزخ نفجّرت مياه البحر فعمت
 الأرض كلها ، وصارت البحر بحراً واحداً . وقيل : صارت بحراً واحداً من الحميم لأهل
 النار . وعن الحسن أيضاً وقتادة وأبن حيان : تييس فلا ييق من مائتها قطرة . القشيري :
 وهو من سَجَرَتْ النُّورَ أَسْجَرَه سَجَرَتْ إذا أحْيَتْه ، وإذا سُلْطَ على الإيقاد ثُفَّ ما فيه من
 الرطوبة ، وُسَيَّرَ الجبال حينئذ ، وتصير البحر والأرض كلها بساطاً واحداً ، بأن يملا مكان
 البحر بتراب الجبال . وقال النحاس : وقد تكون الأقوال متفقة ؛ يكون تييس من الماء
 بعد أن يفيض بعضها إلى بعض فتقليب ناراً .

قلت : ثم تسير الجبال حينئذ كما ذكر القشيري والله أعلم . وقال ابن زيد وشمر وعطاء
 وسفيان و وهب وأبي علي بن أبي طالب وأبن عباس في رواية الضحاك عنه : أوقدت
 فصارت ناراً . قال أبن عباس : يكُوِّر الله الشمس والقمر والنجوم في البحر ، ثم يبعث
 الله عليها ريحًا دبورًا فتنفسه حتى يصير ناراً . وكذا في بعض الحديث : «**يَأْمُرُ اللَّهُ جَلَّ ثَنَوْهُ**
الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنَّجْوَمَ فَيَنْتَشِرُونَ فِي الْبَحْرِ» ثم يبعث الله جل ثناوه
 نار الله الكبرى التي يُعَذِّبُ بها الكفار . قال القشيري : قيل في تفسير قول أبن عباس
سَجَرَتْ «أوقدت يحتمل أن تكون جهنم في قبور من البحر ، فهي الآن غير مسجورة
 لقوم الدنيا ، فإذا انقضت الدنيا سجّرت فصارت كلها ناراً يدخلها الله أهلها . ويحتمل أن
 تكون تحت البحر نار ، ثم يوقد الله البحر كله فيصير ناراً . وفي الخبر : البحر نار في نار .

وقال معاوية بن سعيد : بحر الروم وسط الأرض أسفه آبار مطبقة بخاس يسجر نارا يوم القيمة . وقيل : تكون الشمس في البحر ، فيكون البحر نارا بحر الشمس . ثم جميع ما في هذه الآيات يحوز أن يكون في الدنيا قبل القيمة ويكون من أشرافها ، ويحوز أن يكون يوم القيمة ، وما بعد هذه الآيات فيكون في يوم القيمة .

قلت : روى عن عبد الله بن عمرو : لا يتوضأ بماء البحر لأن طبق جهنم . وقال أبي بن كعب : سنت آيات من قبل يوم القيمة ؛ بينما الناس في أسواقهم ذهب ضوء الشمس وبدت النجوم فتحروا ودهشوا ، وبيننا هم كذلك ينظرون إذ تناولت النجوم وتساقطت ، وبيننا هم كذلك إذ وقعت الجبال على وجه الأرض فتحركت وأضطررت وأحرقت فصارت هباء متثرا ، ففرزعت الإنس إلى الجن والجن إلى الإنس ، وأختلطت الدواب والوحش والهوام والطير ، وماج بعضها في بعض ؛ فذلك قوله تعالى : ((وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرْتْ)) ثم قالت الجن للإنس : نحن نأتيكم بالخبر ، فأنطلقوا إلى البحار فإذا هي نار تأجج ، بينما هم كذلك تصدعت الأرض صدعة واحدة إلى الأرض السابعة السفلية ، وإلى السماء السابعة العليا وبينها هم كذلك إذ جاءتهم ريح فأماتهم . وقيل : معنى « **سُبْحَرْتْ** » هو حمرة مائة حتى تصير كالدم ؛ مأخوذ من قوله : عين سبراء أى حمرة . وقرأ ابن كثير « **سُبْرَتْ** » وأبو عمرو أيضا إخبارا عن حالها مرة واحدة . وقرأ الباقيون بالتشديد إخبارا عن حالها في تكبير ذلك منها مرة بعد أخرى .

قوله تعالى : ((وَإِذَا النُّفُوسُ زُوَّجْتُ)) قال النعسان بن بشير : قال النبي صلى الله عليه وسلم « **وَإِذَا النُّفُوسُ زُوَّجْتُ** » قال : « يُقْرَنُ كُلُّ رجل مع كل قوم كانوا يعملون كعمله ». وقال عمر بن الخطاب : يقرن الفاجر مع الفاجر ، ويقرن الصالح مع الصالح . وقال ابن عباس : ذلك حين يكون الناس أزواجا ثلاثة ، السابقون زوج – يعني صنفا – وأصحاب اليمين زوج ، وأصحاب الشهاد زوج . وعنده أيضا قال : زوجت نفوس المؤمنين بالحور العين ، وقرن الكافر بالشياطين وكذلك المنافقون . وعنده أيضا : قرن كل شكل بشكله من أهل الجنة وأهل النار ،

فيضم المبرّز في الطاعة إلى مثله ، والمتوسط إلى مثله ، وأهل المعصية إلى مثله ؛ فالترويج أن يقرن الشيء بمثله ؛ والمعنى : وإذا النفوس قرنت إلى أشخاصها في الجنة والنار . وقيل : يضم كل رجل إلى من كان يلزمـه من ملك وسلطان ، كما قال تعالى : « آخِشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجُهُمْ » . وقال عبد الرحمن بن زيد : جعلوا أزواجا على أشباه أعمالهم ليس بترويج ، أصحاب اليدين زوج ، وأصحاب الشمال زوج ، والسابقون زوج ؛ وقد قال جل شأنه : « آخِشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجُهُمْ » أى أشخاصهم . وقال عِبْرَكَمَةَ : « وَإِذَا النُّفُوسُ زُوَجْتُ » قرنت الأرواح بالأجساد ؛ أى ردت إليها . وقال الحسن : الحق كل أمرٍ بشيعته ؛ اليهود باليهود ، والنصارى بالنصارى ، والمحوس بالمحوس ، وكل من كان يعبد شيئاً من دون الله يلحق بعضهم ببعض ، والمنافقون بالمنافقين والمؤمنون بالمؤمنين . وقيل : يقرن الغاوي بمن أغواه من شيطان أو إنسان على جهة البغض والعداوة ، ويقرن المطبع بن دعاء إلى الطاعة من الأنبياء والمؤمنين . وقيل : قرنت النفوس بأعمالها فصارت لاختصاصها به كالترويج .

قوله تعالى : « وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُيَّلَتْ . يَأْتِي ذَنْبُ قُتِلَتْ } الموءودة المقتولة ؛ وهـى الحارـية تدفن وهي حـية ، سـمت بذلك لما يـطرح عـليـها من التـراب فـيؤودـها أـى يـثـقلـها حتى تـموت ؛ ومنه قوله تعالى : « وَلَا يَؤُودُهُ حَفْظُهُمَا » أـى لا يـثـقلـهـا ، وقال مـتـمـمـ بن نـوـيرـةـ :

(١) وَمَوْءُودَةٌ مَقْبُورَةٌ فِي مَفَازَةٍ * بَأْمَتِهَا مَوْسُودَةٌ لَمْ يَمْهُدْ

وكانوا يـدـفـونـ بـنـاـتـهـمـ أـحـيـاءـ لـحـصـلـتـينـ ؛ إـحـدـاـهـاـ كـانـواـ يـقـولـونـ إنـ الـمـلـائـكـةـ بـنـاتـ اللهـ فـأـلـحـقـواـ الـبـنـاتـ بـهـ . الـثـانـيـةـ إـماـ خـافـةـ الـحـاجـةـ وـالـإـمـلاـقـ ، وـإـماـ خـوفـاـ مـنـ السـبـيـ وـالـأـسـرـاقـ ، وـقـدـ مضـىـ

(١) كـاـ روـيـ الـبـيـتـ وـنـسـبـ إـلـىـ مـتـمـ بنـ نـوـيرـةـ فـيـ الأـصـولـ ، وـنـسـبـ الـلـسانـ وـشـرـحـ القـامـوسـ مـادـةـ (عـوزـ) إـلـىـ حـسـانـ رـضـيـ اللـهـ عـنـهـ وـرـوـيـ فـيـهـماـ :

وـمـوـءـودـةـ مـقـبـورـةـ فـيـ مـعـاـزـ * بـأـمـتـهـاـ مـرـمـوـسـةـ لـمـ تـوـسـعـ

وـالـآـمـةـ : ما يـعـلـقـ بـسـرـةـ الـمـلـوـدـ إـذـاـ سـقطـ مـنـ بـطـنـ أـمـهـ . وـالـمـعـاـزـ : خـرقـ يـافـ بـهـ الصـبـيـ .

فِي سُورَةِ «النَّحْل» هَذَا الْمَعْنَى عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى : «أَمْ يَدْسُهُ فِي التُّرَابِ» مُسْتَوْفٌ . وَقَدْ كَانَ ذُوو الْشَّرْفِ مِنْهُمْ يَمْتَنِعُونَ مِنْ هَذَا ، وَيَمْنَعُونَ مِنْهُ حَتَّى أَفْتَخِرَ بِهِ آلَفَرْزِدْقَ ، فَقَالَ :

وَمِنْا الَّذِي مَنَعَ السَّوَادِيَّاتِ * فَاحْيَا الْوَيْدَ فَلَمْ يُوَادِ

يُعْنِي جَدَهُ صَفَّصَعَهُ كَانَ يَسْتَرِيهِنَّ مِنْ آبَائِهِنَّ ، بِخَاءِ الْإِسْلَامِ وَقَدْ أَحْيَا سَبْعِينَ مَوْعِدَةً . وَقَالَ أَبْنُ عَبَّاسَ : كَانَتِ الْمَرْأَةُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ إِذَا حَلَّتْ حَفْرَةٌ حَفَرَتْ حَفْرَةً وَتَخَضَّعَتْ عَلَى رَأْمِهَا ، فَإِنَّهَا وَلَدَتْ جَارِيَةً رَمَتْ بِهَا فِي الْحَفْرَةِ وَرَدَتِ التَّرَابُ عَلَيْهَا ، وَإِنْ وَلَدَتْ غَلَامًا حَبَسَتْهُ ، وَمِنْهُ قَوْلُ الرَّاجِزِ :

سَيِّئَهَا إِذْ وُلِدَتْ تَمَوْتُ * وَالْقَبْرُ صَهْرٌ ضَامِنٌ زَمِيتُ

الْزَّمِيتُ الْوَقُورُ ، وَالْزَّمِيتُ مَثَلُ الْفِسِيقِ أَوْقَرُ مِنْ الْزَّمِيتِ ، وَفَلَانْ أَزْمَتَ النَّاسَ أَى أَوْقَرَهُمْ ، وَمَا أَشَدَّ تَزْمِيَّةً ؛ عَنِ الْفَرَاءِ . وَقَالَ قَاتِدَةُ : كَانَتِ الْجَاهِلِيَّةُ يَقْتَلُ أَحَدَهُمْ أَبْنَهُ وَيَغْذِي كَلْبَهُ ، فَعَاتَبُوهُمُ اللَّهُ عَلَى ذَلِكَ وَتَوَعَّدُهُمْ بِقَوْلِهِ : «وَإِذَا الْمَوْعِدَةُ سُلِّمَتْ» قَالَ عَمْرُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى «وَإِذَا الْمَوْعِدَةُ سُلِّمَتْ» قَالَ : جَاءَ قَيْسَ بْنَ عَاصِمَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ! إِنِّي وَأَدَتْ ثَمَانَ بَنَاتٍ كُنْتُ لَيْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ ، قَالَ : «فَأَعْتَقْتُكَ عَنْ كُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ رَقْبَةً» قَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي صَاحِبُ إِبْلٍ ، قَالَ : «فَأَهَدْتُكَ عَنْ كُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ بَدَنَةً إِنْ شِئْتَ» . وَقَوْلُهُ تَعَالَى : «سُلِّمَتْ» سُؤَالُ الْمَوْعِدَةِ سُؤَالٌ تَوْبِيعٌ لِقَاتَلَهَا ، كَمَا يَقُولُ لِلْاطَّافَلِ إِذَا ضُرِبَ لَمْ ضُرِبْتَ وَمَا ذَنَبْتَ؟ قَالَ الْحَسَنُ : أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يُوَجِّهَ قَاتَلَهَا ، لِأَنَّهَا قُتِلَتْ بِغَيْرِ ذَنبٍ . وَقَالَ أَبْنُ أَسْلَمَ : بَأَى ذَنبٍ ضُرِبَتْ وَكَانُوا يَضْرِبُونَهَا . وَذَكَرَ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى «سُلِّمَتْ» قَالَ : طُلِبَتْ ؛ كَأَنَّهُ يُرِيدَ كَمَا يُطَلَّبُ بِدَمِ الْقَتِيلِ . قَالَ : وَهُوَ كَوْلُهُ : «وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْتُوْلًا» أَى مَطْلُوبًا . فَكَانَهَا طُلِبَتْ مِنْهُمْ ، فَقَيْلَ أَيْنَ أَوْلَادَكُمْ ؟ ! وَقَرَا الضَّحَاكُ وَأَبُو الضَّحَا عَنْ جَابِرِ بْنِ زَيْدٍ وَأَبِي صَالِحٍ «وَإِذَا الْمَوْعِدَةُ سَلَّمَتْ» فَتَتَعَلَّقُ الْجَارِيَّةُ بِأَيْمَانِهَا فَتَقُولُ : بَأَى ذَنبٍ

(١) ربيع ج ١٠ ص ١١٧

(٢) دِيرُوْيِّ : وجْدَى الَّذِي مَنَعَ الْرَّاجِدَاتِ ... إلخ .

قتلتني؟ ! فلا يكون له عذر ، قاله ابن عباس وكان يقرأ « وَإِذَا الْمُوَوْدَةُ سَأَلَتْ » وكذلك هو في مصحف أبي . وروى عكرمة عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إن المرأة التي تقتل ولدها تأتي يوم القيمة متعلقاً ولدها بشديها ملطخاً بدمائه فيقول يا رب هذه أمي وهذه قتلتني » والقول الأول عليه الجمhour ، وهو مثل قوله تعالى لعيسى : « أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ » على جهة التوبيخ والتبرك لهم ، فكذلك سؤال المساءدة توبيخ لوالدتها ، وهو أبلغ من سؤالها عن قتلها ، لأن هذا مما لا يصح إلا بذنب ، فبأى ذنب كان ذلك ، فإذا ظهر أنه لاذنب لها كان أعظم في البليه وظهور الحجة على قاتلها . والله أعلم . وقرئ « قتلت » بالتشديد وفيه دليل بين على أن أطفال المشركون لا يُعدّون ، وعلى أن التعذيب لا يستحق إلا بذنب .

قوله تعالى : « وَإِذَا الصُّحُفُ نُشَرْتُ » أي فتحت بعد أن كانت مطوية ، والمراد صحف الأعمال التي كتبت الملائكة فيها ما فعل أهلها من خير وشر ، تطوى بالموت وتنشر في القيمة ، فيقف كل إنسان على صحفته فيعلم ما فيها فيقول : « مَا لَهَا الْكِتابُ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كِبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا » . وروى مرثد بن وداعة قال : إذا كان يوم القيمة تطأيرت الصحف من تحت العرش ، فتقع صحفة المؤمن في يده « فِي جَنَّةٍ عَالِيَّةٍ » إلى قوله : « الْأَيَّامُ الْخَالِيَّةُ » وتقع صحفة الكافر في يده « فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ » إلى قوله : « وَلَا كَرِيمٌ » . وروى عن أم سلمة رضى الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « يُحَشَّرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حُفَّةً عُرَاهَةً » فقلت : يا رسول الله ! فكيف بالنساء ؟ قال : « شُغِلَ النَّاسُ يَا أُمَّ سَلَمَةَ » قلت : وما شغلهم ؟ قال : « نَسْرَ الصُّحُفِ فِيهَا مِثَاقِيلُ الذَّرِ وَمِثَاقِيلُ الْخَرْدَلِ » . وقد مضى في سورة « سُبْحَانَ » قول أبي السوار العدوى : هما نشرتان وطية ، أما ماحيت يابن آدم فصحيفتك المنشورة فأمل فيها ما شئت ، فإذا مات طويت ، حتى إذا بعثت نشرت « أَقْرَأَكَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا » . وقال مقاتل : إذا مات المرء طويت صحفة عمله فإذا كان يوم القيمة نشرت . وعن عمر رضى الله عنه أنه كان إذاقرأها قال : إلينك يساق

(1) راجع ج ١٠ ص ٢٣٠

الأمر يابن آدم . وقرأ نافع وابن عامر وعاصم وأبو عمرو «أشرت» محففة على نشرها مرة واحدة لقيام الجهة . الباقيون بالتشديد على تكرار النشر للبالغة في تقويم العاصي وتبشير المطيع . وقيل : لتكرار ذلك من الإنسان والملائكة الشهداء عليه .

قوله تعالى : «وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطْتُ» الكشط قلع عن شدة التزاق ؛ فالسماء تُكشط كما يُكشط الحبل عن الكبش وغيره ، والخشط لغة فيه . وفي قراءة عبد الله «وَإِذَا السَّمَاءُ فُشِطْتُ» وكشطت البعير كشطاً تزعت جلده ، ولا يقال سلطته ؛ لأن العرب لا تقول في البعير إلا كشطته أو جلدته وأنكشط أى ذهب ؛ فالسماء تزعت من مكانها كما يزع العظام عن الشيء . وقيل تطوى كما قال تعالى : «يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطْيَ السِّجْلَ لِلْكَابِ» فكان المعنى قلعت فطويت . والله أعلم .

قوله تعالى : «وَإِذَا الْحَيْمُ سُرَّتُ» أي أوقدت فأضرمت للكفار وزيد في إحماها . يقال : سرعت النار وأسرتها . وقراءة العامة بالتحفيف من السعير . وقرأ نافع وابن ذكوان ورويس بالتشديد ؛ لأنها أوقدت مرة بعد مرة . قال قتادة : سرها غضب الله وخطايا بني آدم . وفي الترمذى عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : «أُوقد على النار ألف سنة حتى آحرت ثم أُوقد عليها ألف سنة حتى آبيضت ثم أُوقد عليها ألف سنة حتى آسودت فهى سوداء مظلمة» وروى موقوفا .

قوله تعالى : «وَإِذَا الْجَنَّةُ أَزْلَفَتُ» أي أدنيت وقربت من المتدينين . قال الحسن : إنهم يقربون منها ؛ لأنها تزول عن موضعها . وكان عبد الرحمن بن زيد يقول : زينت والزلفي في كلام العرب القرية ؛ قال الله تعالى : «وَأَزْلَفْتِ الْجَنَّةَ لِلْمُتَّقِينَ» وتزلف فلان تقرب .

قوله تعالى : «عَلِمْتَ نَفْسًا مَا أَخْضَرْتُ» يعني ما عملت من خير وشر . وهذا جواب «إذا الشمس كورت» وما بعدها . قال عمر رضى الله عنه : لهذا أجرى الحديث . وروى

(١) في نسخة : أدنيت .

عن ابن عباس وعمر رضي الله عنهمما أنهم قرأواها فلما بلغا «علمت نفس ما أحضرت» قالا لهذا أجريت القصة، فالممعن على هذا إذا الشمس كورت وكانت هذه الأشياء علمت نفس ما أحضرت من عملها. وفي الصحيحين عن عذر بن حاتم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما منكم من أحد إلا وسيكلمه الله ما يدنه ويبنه ترجان فينظر أيمن منه فلا يرى إلا ما قدمه [وينظر أشام منه فلا يرى إلا ما قدم] بين يديه فتستقبله النار فلن استطاع منكم أن يتلقى النار ولو بشق تمرة فليفعل» وقال الحسن: «إذا الشمس كورت» قسم وقع على قوله: «علمت نفس ما أحضرت» كما يقال: إذا نفر زيد نفر عمرو. والقول الأول أصح. وقال ابن زيد عن ابن عباس في قوله تعالى: «إذا الشمس كورت» إلى قوله: «وإذا الجنة أزلفت» آثنتا عشرة خصلة؛ ستة في الدنيا وستة في الآخرة، وقد بينا الستة الأولى بقول أبي بن كعب.

قوله تعالى: فَلَا أُقِيمُ بِالنُّحْنِسِ ۝ أَبْجَوَارَ الْكُنَّسِ ۝ وَاللَّيلِ
إِذَا عَسَعَسِ ۝ وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ۝ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولِ كَرَيمِ ۝
ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَسِكِينِ ۝ مَطَاعِ شَمَّ أَمِينِ ۝ وَمَا صَاحِبُكُمْ
رَمَجُونِ ۝

قوله تعالى: «فَلَا أُقِيمُ» أي أقسم و«لا» زائدة كما تقدّم. (بالنُّحْنِسِ الْبَجَوَارِيِّ
الْكُنَّسِ) هي الكواكب الخمسة الدراري: زحل والمشترى وعطارد والمريخ والزهرة، فيما ذكر
أهل التفسير. والله أعلم. وهو مرسوٰ عن علي كرم الله وجهه. وفي تخصيصها بالذكر من
بين صائر النجوم وجهاه: أحدهما — لأنها تستقبل الشمس؛ قاله بكلير عبد الله المزني.
الثاني — لأنها تقطع الجهة؛ قاله ابن عباس. وقال الحسن وقتادة: هي النجوم التي تخنس

(١) الزبادة من صحيح مسلم.

بالنهار وإذا غربت ، وقاله علي رضي الله عنه قال : هي النجوم تختمس بالنهار وتظهر بالليل ؟ وتكلنس في وقت غروبها ، أى تتأخر عن البصر لفائفها فلا يرى . وفي الصحاح : و «الخُنُس» الكواكب كلها . لأنها تختمس في المغيب ، أو لأنها تخفي نهارا . ويقال : هي الكواكب السيارة منها دون الثابتة . وقال الفراء في قوله تعالى : «فَلَا أُقِيمُ بِالْخُنُسِ . الْجَوَارِيُّ الْكُنُسِ» إنها النجوم الخمسة بـ زحل والمشترى والمريخ والزهرة وعطارد ، لأنها تختمس في مجراتها ، وتتكلنس أى تستر كـ تتكلنس الظباء في المغار وهو الكأس . ويقال : سميت خنساً لأنها تختمس لأنها الكواكب المتحيرة التي ترجع وتستقيم ؛ يقال : خنس عنه يختمس بالضم خنوساً تأخر ، وأخنسه غيره إذا خلفه ومضى عنه . والخنس تأخر الأنف عن الوجه مع ارتفاع قليل في الأرنية ، والرجل أخنس والمرأة خنساء والبقر كلها خنس . وقد روى عن عبد الله بن مسعود في قوله تعالى : «فَلَا أُقِيمُ بِالْخُنُسِ» هي بقر الوحش . روى هشيم عن زكريا عن أبي إسحاق عن أبي ميسرة عمرو بن شرحبيل ، قال قال لي عبد الله بن مسعود : إنكم قوم عرب فما الخنس ؟ قلت : هي بقر الوحش ؟ قال : وأنا أرى ذلك . وقاله إبراهيم وجابر بن عبد الله . وروى عن ابن عباس : إنما أقسم الله ببقر الوحش . وروى عنه عكرمة قال : «الخنس» البقر و «الكُنُس» هي الظباء ، فهي خنس إذا رأى الإنسان خسن وآتى بضوء وتأخرن ودخلن كامهن . القشيري : وقيل على هذا «الخنس» من الخنس في الأنف وهو تأخير الأرنية وقصر القصبة ، وأنوف البقر والظباء خنس . والأصح الحمل على النجوم لذكر الليل والصبح بعد هذا ، فذكر النجوم أليق بذلك .

قلت : الله أن يقسم بما شاء من مخلوقاته من حيوان و جاد ، وإن لم يعلم وجه الحكمة في ذلك . وقد جاء عن ابن مسعود وجابر بن عبد الله وهما صحابيان والنفع أنها بقر الوحش . وعن ابن عباس وسعيد بن جبير أنها الظباء . وعن الحجاج بن منذر قال : سألت جابر بن زيد عن الجواري الكُنُس ، فقال : الظباء والبقر ، فلا يبعد أن يكون المراد

النجوم . وقد قيل : إنها الملائكة ؛ حكاها الماوردي . والمعنى الغيب ؛ مأخوذة من الكأس وهو كأس الوحش الذي يختفي فيه . قال أوس بن حجر :

أَلْمَ تَرَأْنَ اللَّهُ أَنْزَلَ مِنْ نَّهَارٍ * وَغَفَرَ الظَّبَابِ فِي الْكَاسِ تَقْمِعُ
وَقَالَ طَرَفةُ :

كَانَ كَاسِيَ ضَالَّةٌ يَكْنَفَاهَا * وَأَطْرَقَسِيَ تَحْتَ صُلْبٍ مُؤْيَدٍ^(١)

وقيل : الكناس أن تأوى إلى مكانها ، وهي الموضع التي تأوى إليها الوحش والظباء .
قال الأعشى :

فَلَمَّا أَتَيْنَا الْحَيَّ أَتَلَعَّبَ أَنْسُ * كَمَا أَتَلَعَّتْ تَحْتَ الْمَكَانِسِ رَبِّ^(٢)

يقال : تَلَعَ النَّهَارُ أَرْفَعَ وَأَتَلَعَتِ الظَّبَابُ مِنْ كَاسِهَا أَى سَمْتٍ يَجِيدُهَا . وقال أمِرُ القيس :

تَعَشَّى قَلِيلًا ثُمَّ اخْتَى ظُلْفَفَهُ * يُثِيرُ التَّرَابَ عَنْ مَبِيتٍ وَمَكَنِيسٍ^(٣)

والمعنى جمع كناس وكأنسة ، وكذا الخنس جمع خانس وخانسة . والخوارى جمع جارية من جرى بمحجرى . (والليل إذا عسعس) قال الفراء : أجمع المفسرون على أن معنى عسعس أدر ، حكاها الجوهري . وقال بعض أصحابنا : إنه دنا من أوله وأظلم وكذلك السحاب إذا دنا من الأرض . المهدوى : « والليل إذا عسعس » أدر بظلماته . زيد بن أسلم : « عسعس » وغيرهما . وروى عنهمما أيضاً وعن الحسن وغيره : أقبل بظلماته . زيد بن أسلم : « عسعس » ذهب . الفراء : العرب تقول عسعس وسعسع إذا لم يبق منه إلا الإسir . الخليل وغيره : عسعس الليل إذا أقبل أو أدر . المبرد : هو من الأضداد والمعنى يرجعان إلى شيء واحد وهو آبتداء الظلام في أوله وإدارته في آخره . وقال علقمة بن قرط :

حَتَّى إِذَا الصُّبْحُ لَهَا تَنَفَّسًا * وَأَنْجَابَ عَنْهَا لَيْلَهَا وَعَسْعَسًا

(١) تَقْمِعُ : تحرك رهونها من القمة ؛ وهي ذباب أزرق يدخل في أنوف الدواب أو يقع عليها فيلسها .

(٢) قال : « كاسى » لأن الحيوان يستكن بالغداة في ظلها وبالعشى في فنه . والضال : السدر البرى الواحدة ضالة . والأطر : العطف . والمؤيد : المقوى . يقول الشاعر : كان كاسى ضالة يكتفان هذه الناقة لسعة ما بين مرفقيها وزورها .

(٣) تعشى : دخل في العشاء وهو أول الليل . ظلوفه : حوافره .

وقال رؤبة :

يَا هِنْدُ مَا أَسْرَعَ مَا تَسْعَسَعاً * مِنْ بَعْدِ مَا كَانَ فِي سَرْعَرِ عَـاـ

وهذه حجة الفراء . وقال أمير القيس :

عَسْعَسٌ حَتَّى لَوْ نَشَاءُ آذَنَا * كَانَ لَنَا مِنْ نَارِهِ مَقْبِسٌ

فهذا يدل على الدُّنْو . وقال الحسن ومجاهد : عَسْعَسٌ أَظْلَمُ ، قال الشاعر :

حَتَّى إِذَا مَا لَيْلُهُنَّ عَسْعَسَا * رَكِبْنَ مِنْ حَدَّ الظَّلَامِ حَنْدِسَا

الماءوري : وأصل العَسَ الْأَمْتَلَاءُ ، ومنه قيل للقدح الكبير عَسْ لَأَمْتَلَانَهُ بِمَا فِيهِ فَأَطْلَقَ عَلَى إِقْبَالِ اللَّيْلِ لِأَبْتِدَاءِ امْتَلَانَهُ ، وأَطْلَقَ عَلَى إِدْبَارِهِ لِأَتْهَاءِ امْتَلَانَهُ عَلَى ظَلَامِهِ ، لِأَسْتِكَالِ امْتَلَانَهُ بِهِ . وأما قول أمير القيس :

* أَمَا عَلَى الرِّبْعِ الْقَدِيمِ يَعْسَسَا *

فوضع بالبادية . وعَسْعَسٌ أَيْضًا أَسْمَ رَجُلٍ ، قال الراجز :

* وَعَسْعَسٌ نِعْمَ الْفَتَى تَبَيَّاهُ *

أَيْ تَعْمِدَهُ . ويقال للذئب العَسَسُ والعَسَاسُ والعَسَاسُ ، لِأَنَّهُ يَعْسُ باللَّيْلِ وَيَطْلَبُ . ويقال للقنافذ العَسَاسُ لِكثْرَةِ تَرْدِدِهَا باللَّيْلِ . قال أَبُو عُمَرُو : وَالْعَسَسُ الشَّمْ ، وَأَنْشَدَ :

* كَتَخْرُ الذَّئْبِ إِذَا تَعَسَّسَا *

(٤) والْعَسَسُ أَيْضًا طَلْبُ الصَّيْدِ [باللَّيْلِ] .

(١) تَسْعَسَا : أَدْبُرُوفَنِي ، وَالْمَرْعَعُ : الشَّابُ النَّاعِمُ .

(٢) كَذَا فِي الْأُصُولِ كَلَّا هُوَ نَجِدُهُ فِي دِيْوَانِهِ . وَفِي الْلِّسَانِ : كَانَ لَهُ مِنْ ضُوْنَهُ مَقْبِسٌ . ثُمَّ قَالَ : أَنْشَدَهُ أَبُو الْبَلَادِ النَّحْوِيَّ وَقَالَ : وَكَانُوا يَرَوْنَ أَنَّ هَذَا الْبَيْتُ مَصْنَوعٌ . وَآذَنَ أَصْلَهُ : إِذْ دَنَ فَأَدْعَمَ .

(٣) تَمَاهِهُ : * كَانَ أَنَادِيَ أَوْ أَكْلَمَ أَنْهِمَا *

(٤) ازْيَادَةُ مِنَ الصَّحَاجِ .

قوله تعالى : {وَالصُّبْحُ إِذَا تَنَفَّسَ} أى آمتد حتى يصير نهارا واضحا ، يقال للنهار إذا زاد تنفس . وكذلك الموج إذا نضج الماء . ومعنى التنفس خروج النسيم من الجوف . وقيل : «إذا تنفس» أى آنسق وأنفاق ، ومنه تفست القوس أى تصدعت . (إنه لقول رسول كريم) هذا جواب القسم . والرسول الكريم جبريل ؛ قاله الحسن وقاده والضحاك . والمعنى «إنه لقول رسول» عن الله «كريم» على الله . وأضاف الكلام إلى جبريل عليه السلام ثم عداه عنه بقوله «تَثْرِيلٌ مِّنْ رَبِّ الْعَالَمَيْنَ» ليعلم أهل التحقيق في التصديق أن الكلام لله عن وجل . وقيل : هو محمد عليه الصلاة والسلام (ذى قوة) من جعله جبريل فقوته ظاهرة ؛ فروى الضحاك عن ابن عباس قال : من قوته قلعه مدائن قوم لوط بقوادم جناحه . (عند ذى العرش) أى عند الله جل ثناؤه (مكين) أى ذى منزلة ومكانة ؛ فروى عن أبي صالح قال : يدخل سبعين سرايغا بغير إذن . (مطاع ثم) أى في السموات ؛ قال ابن عباس : من طاعة الملائكة جبريل أنه لما أسرى برسول الله صلى الله عليه وسلم قال جبريل عليه السلام لرضوان خازن الجنان : أفتح له ففتح فدخل ورأى ما فيها ، وقال مالك خازن النار : أفتح له جهنم حتى ينظر إليها فأطاعه وفتح له . (أمين) أى مؤمن على الوحي الذى يحيى به . ومن قال : إن المراد محمد صلى الله عليه وسلم فالمعن «ذى قوة» على تبليغ الرسالة «مطاع» أى يطيعه من أطاع الله جل وعن . (وماصاحبكم بمحنون) يعني مهدا صلى الله عليه وسلم ليس بمحنون حتى يتمس في قوله . وهو من جواب القسم . وقيل : أراد النبي صلى الله عليه وسلم أن يرى جبريل في الصورة التي يكون بها عند ربها جل وعن فقال : ماذاك إلى ؟ فأذن له الرب جل ثناؤه فأتاها وقد سدت الأفق ، فلما نظر إليه النبي صلى الله عليه وسلم خرت مغشيا عليه ، فقال المشركون : إنه محنون ، فنزلت : «إنه لقول رسول كريم» «وماصاحبكم بمحنون» وإنما رأى جبريل على صورته فيها ، وورد عليه ما لم تحتمل بيته نفر مغشيا عليه .

(١) في نسخ الأصل : تفست القوس والنقوس أى تصدعت . والله لا ذكر فيها الكلمة النقوس ولعلها زبادة من الناتج .

قوله تعالى : وَلَقَدْ رَأَاهُ بِالْأَفْقِ الْمُبِينِ ﴿٢٥﴾ وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ
يَضْرِبُنَّ ﴿٢٦﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ ﴿٢٧﴾ فَإِنَّ تَذَهَّبُونَ
إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴿٢٨﴾ لِمَن شَاءَ مِنْكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ
وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٩﴾

قوله تعالى : («وَلَقَدْ رَأَاهُ بِالْأَفْقِ الْمُبِينِ») أى رأى جبريل في صورته له سقانة جناح
«بِالْأَفْقِ الْمُبِينِ» أى بطلع الشمس من قبل المشرق؛ لأن هذا الأفق إذا كان منه تطلع
الشمس فهو مبين . أى من جهته ترى الأشياء . وقيل : الأفق المبين أقطار السماء
ونواحيها ، قال الشاعر :

أَخَذْنَا بِأَفَاقِ السَّمَاءِ عَلَيْكُمْ * لَنَا قَرَاهَا وَالْجُومُ الطَّوَالِعُ

الماوردي : فعل هذا فيه ثلاثة أقواب ، أحدها أنه رأه في أفق السماء الشرق ، قاله
سفيان . الثاني في أفق السماء الغربي ، حكاه ابن شجرة . الثالث أنه رأه نحو أجياد وهو
شرق مكة ، قاله مجاهد . وحكى الثعلبي عن ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وسلم
لجريل : «إني أحب أن أراك في صورتك التي تكون فيها في السماء» قال : لن تقدر على
ذلك . قال : «بلى» قال : فain تشاء أن تخيل لك ؟ قال : «بالطبع» قال : لا يسعني .
قال : «فبِمِنْيَ» قال : لا يسعني . قال : «فتعريفات» قال : ذلك بالحرى أَن يسعني .
فوعده خخرج النبي صلى الله عليه وسلم للوقت ، فإذا هو قد أقبل بخشونة وكلكلة من جبال
عرفات ، قد ملا ما بين المشرق والمغرب ، ورأسه في السماء ورجلاه في الأرض ، فلما رأه
النبي صلى الله عليه وسلم خرّ مغشيا عليه ، فتحول جبريل في صورته وضمه إلى صدره .
وقال : يامد لا تخف ؛ فكيف لو رأيت إسرافيل ورأسه من تحت العرش ورجلاه في تخوم
الأرض السابعة ، وأن العرش على كاهله ، وأنه يتضاعل أحياناً من خشية الله حتى يصير
مثل الوضع – يعني العصفور – حتى ما يحمل عرش ربك إلا عظمته . وقيل : إن مهدا

عليه السلام رأى ربه عن وجل بالافق المبين . وهو معنى قول ابن مسعود . وقد مضى
 القول في هذا في « والتعجم » مستوفى فتامله هناك . وفي « المبين » قوله : أحدهما أنه
 صفة الأفق ؛ قاله الربيع . الثاني أنه صفة لمن رآه ؛ قاله مجاهد . (وما هو على الغيب بظنين)
 بالظاء قراءة ابن كثير وأبي عمرو والكسائي أى بعثهم والظنة التهمة ؛ قال الشاعر :

أَمَا وِكَابُ اللَّهِ لَا عَنْ شَنَاءَةِ * هُبْرَتُ وَلَكِنَ الظَّنَنَ ظَنَنُ

وآختره أبو عبيدة ؛ لأنهم لم يتخلاوه ولكن كذبوا ؛ ولأن الأكثر من كلام العرب : ما هو
 بكذا ، ولا يقولون : ما هو على كذا ، إنما يقولون : ما أنت على هذا بعثهم . وقرأ الآفاقون
 « بظنين » بالضاد أى يخيل من ضئنته بالشيء أضنه ضئناً [فهو] ضئين . فروى ابن
 أبي نجيح عن مجاهد قال : لا يضن عليكم بما يعلم ، بل يعلم الخلق كلام الله وأحكامه .
 وقال الشاعر :

أَجُودُ بِمَكْنُونِ الْحَدِيثِ وَإِنِّي * يُسْرِكَ عَمَّنْ سَالَنِي لِضَنِينُ

والغيب القرآن وخبر السماء . ثم هذا صفة محمد عليه السلام . وقيل : صفة جبريل
 عليه السلام . وقيل : بظنين بضعف . حكاه الفراء والمبرد ؛ يقال : رجال ظنين أى
 ضعيف . وبئر ظنون إذا كانت قليلة الماء ؛ قال الأعشى :

مَا جَعَلَ الْجَدُّ الْظَّنُونَ الَّذِي * جُنْبَ صَوْبَ الْجِبِ الْمَاطِرِ

مِثْلَ الْفُرَاتِيِّ إِذَا مَا طَأَ * يَقْذِفُ بِالْبُوْصِيِّ وَالْمَاهِرِ

والظنوون الدين الذي لا يدرى أيقضيه آخذه أم لا ؛ ومنه حديث على عليه السلام في الرجل
 يكون له الدين الظنوون قال : يزكيه لما مضى إذا قبضه إن كان صادقاً . والظنوون الرجل

(١) راجع ج ١٧ ص ٩٤ وقول ابن مسعود هناك هو أن مدحا صلى الله عليه وسلم رأى جبريل والذي
 قال بأنه رأى ربه هو ابن عباس رضي الله عنهما .

(٢) الجد : الجد تكون في موضع كثير الكلام . الفرات : المنسوب إلى الفرات . والبوصي : ضرب من سفن
 البحر ، والملاح أيضاً . والماهر : السابع .

السيءُ الخلق ؛ فهو لفظ مشترك . (وما هو) يعني القرآن (يقول شيطان رجيم) أى مرجوم ملعون كا قال قریش . قال عطاء : يريد بالشيطان الأبيض الذى كان يأتى النبي صلى الله عليه وسلم في صورة جبريل يريد أن يفتنه . (فَإِنْ تَذَهَّبُونَ) قال قتادة : فلى أين تعدلون عن هذا القول وعن طاعته . كما روى معمرا عن قتادة ؛ أى أين تذهبون عن كتابي وطاعتي . وقال الزجاج : فأى طريقة تسلكون أين من هذه الطريقة التي بينت لكم . ويقال : أين تذهب وإلى أين تذهب . وحکى الفراء عن العرب : ذهب الشام وخرجت العراق وأنطلقت السوق أى إليها . قال : سمعناه في هذه الأحرف الثلاثة ؛ وأنشدني بعض بنى عقيل :

تَصِيَحُ بِنَا حَنِيفَةُ إِذْ رَأَتَا * وَأَى الْأَرْضِ تَذَهَّبُ بِالصَّيَاحِ

يريد إلى أى أرض تذهب خذف إلى . وقال الحميد : معنى الآية مقرون بأية أخرى وهي قوله تعالى : «وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَرَائِثُهُ» المعنى : أى طريق تسلكون أين من الطريق الذي بينه الله لكم . وهذا معنى قول الزجاج . (إِنْ هُوَ) يعني القرآن (إِلَّا ذِكْرُ لِلْعَالَمِينَ) أى موعظة وزخرف «إِنْ» بمعنى «ما» . وقيل : ما هد إلا ذكر . (لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ) أى يتبع الحق ويقيم عليه . وقال أبو هريرة وسلمان بن موسى : لما نزلت «لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ» قال أبو جهل : الأمر إلينا إن شئنا أستقموا وإن شئنا لم نستقم — وهذا هو القدر وهو رأس القدرة — فنزلت : (وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَسَّأَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ) فبين بهذا أنه لا يعمل العبد خيرا إلا بتوفيق الله ولا شرًا إلا بخياناته . وقال الحسن : والله ما شاءت العرب الإسلام حتى شاءه الله لها . وقال وهب بن منبه : قرأت في سبعة وثمانين كتابا مما أنزل الله على الأنبياء من جعل إلى نفسه شيئا من المشيئة فقد كفر . وفي التنزيل : «وَلَوْ أَنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلِمَهُمُ الْمَوْقِعَ وَخَسِرْنَا عَلَيْهِمُ كُلَّ شَيْءٍ قُبْلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَسَّأَ اللَّهُ» وقيل تعالى : «وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ» . وقال تعالى : «إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَسَّأَ» والآى في هذا كثير وكذلك الأخبار وأن الله سبحانه هدى بالإسلام وأضل بالكفر كما تقدم في غير موضع . ختمت السورة والحمد لله .

(١) في تفسير الثعلبي : بضعة وثمانين .

سورة الأنفطر

مكية عند الجميع وهي تسع عشرة آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قوله تعالى : إِذَا السَّمَاءُ أَنْفَطَرَتْ ۝ وَإِذَا الْكَوَاكِبُ
أَنْتَرَتْ ۝ وَإِذَا الْبَحَارُ فُجِرَتْ ۝ وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ۝
عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ وَأَنْهَرَتْ ۝

قوله تعالى : (إِذَا السَّمَاءُ أَنْفَطَرَتْ) أى شفقت بأمر الله ، لتزول الملائكة ، كقوله :
«وَيَوْمَ تَسْقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ وَزُلِّ الْمَلَائِكَةُ تَزْلِيلًا» . وفيه : تفطرت هيبة الله تعالى ،
والفطر الشق ، يقال : فطرته فأنفطر ، ومنه فطر ناب البعير طلع فهو بغير فاطر ، وتفطر
الشىء شفقة ، وسيف فطار أى فيه شقوق ، قال عنترة :

وَسَيْفٌ كَالْعِيقَةِ وَهُوَ كَبِيعٌ * سِلَاحٍ لَا أَفَلَّ وَلَا فُطَارًا ^(١)

وقد تقصد في غير موضع . (وَإِذَا الْكَوَاكِبُ أَنْتَرَتْ) أى تساقطت ، ثارت الشئ ، أثره
ثارا فانتشر والأسم النار . والثار بالضم ما تاثر من الشئ ، ودر متزدد للكثره . (وَإِذَا
الْبَحَارُ فُجِرَتْ) أى بفر بعضها في بعض فصارت بحرا واحدا على ما تقدم . وقال الحسن :
بخرت ذهب ماوها وينبت ، وذلك أنها أولا را كده مجتمعة ، فإذا فجرت تفرقت فذهب
ماوها . وهذه الأشياء بين يدي الساعة على ما تقدم في «إِذَا الشَّمْسُ كُوَرَتْ» . (وَإِذَا
الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ) أى قلبت وأخرج ما فيها من أهلها أحياء ، يقال : بعثرت المناع قبلته ظهرا
لبطن ، وبعثرت الحوض وبمحترته إذا هدمته وجعلت أسفله أعلىه . وقال قوم منهم القراء :
«بُعْثِرَتْ» أخرجت ما في بطنه من الذهب والفضة . وذلك من أشرطة الساعة أن تخرج الأرض

(١) المفيدة : شاعر العرق الذي يندو كالسيف . والمعنى : الضجيج . (٢) راجع ج ١٦ ص ٤

ذهبها وفضتها . ((عَلِمْتُ نَفْسًا مَا قَدَّمْتُ وَأَخْرَتْ)) مثل : « يُبَنِّا إِلَيْهَا يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخْرَى » وتقديم . وهذا جواب « إِذَا السَّمَاءُ أَنْفَطَرَتْ » لأنه قسم في قول الحسن وقع على قوله تعالى : « عَلِمْتُ نَفْسًا » يقول : إذا بدت هذه الأمور من أشرطة الساعة ختمت الأفعال فعلمت كل نفس ما كسبت ، فإنها لا ينفعها عمل بعد ذلك . وقيل : أى إذا كانت هذه الأشياء قاتلت القيمة خوبية كل نفس بما عملت ، وأوتيت كتابها بيمينها أو بيمينها فتذكرة عند قراءته جميع أعمالها . وقيل : هو خبر وليس بقسم وهو الصحيح إن شاء الله تعالى .

قوله تعالى : يَا أَيُّهَا الْإِنْسَنُ مَا غَرَّكَ رَبِّكَ الْكَرِيمُ (بِمِنْ أَلَّذِي
خَلَقَكَ فَسَوَّلَكَ فَعَدَّلَكَ (بِمِنْ) فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَغَبَكَ (بِمِنْ)
كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالَّذِينَ (بِمِنْ)

قوله تعالى : ((يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ)) خاطب بهذا منكري البعث . وقال ابن عباس : الإنسان هنا الوليد بن المغيرة . وقال عكرمة : أبي بن خلف . وقيل : نزلت في أبي الأشدة بن كلادة الجمحى . عن ابن عباس أيضا : « مَا غَرَّكَ رَبِّكَ الْكَرِيمُ » أى ما الذي غررك حتى كفرت « رَبِّكَ الْكَرِيمُ » أى المتجاوز عنك . قال قتادة : غره شيطانه المسلط عليه . الحسن : غره شيطانه الخبيث . وقيل : حقه وجهمه . رواه الحسن عن عمر رضى الله عنه . وروى غالب الحنفى قال : لما قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم « يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ رَبِّكَ الْكَرِيمُ » قال : « غره الجهل » وقال صالح بن مسمار : بلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلمقرأ « يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ رَبِّكَ الْكَرِيمُ » فقال : « غره جهمه » . وقال عمر رضى الله عنه : كما قال الله تعالى « إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا » . وقيل : غره عفو الله إذ لم يعاقبه في أقل مرة . قال إبراهيم بن الأشعث : قيل للفضل بن عياض لو أقامك الله تعالى

يُوْم الْقِيَامَةِ بَيْنَ يَدَيْهِ فَقَالَ لَكَ «مَا غَرَّكَ رَبُّكَ الْكَرِيمُ» مَاذَا كُنْتَ تَقُولُ؟ قَالَ : كُنْتَ أَفْوَلَ غَرَفَى سَوْرَكَ الْمَرْخَةِ ؛ لَانَّ الْكَرِيمَ هُوَ السَّتَّارُ . نَظَمَهُ أَبْنَ السَّمَاءِ فَقَالَ :

يَا كَاتِمَ الدَّنَبِ أَمَا تَسْتَحِيَ * وَاللَّهُ فِي الْخَلْوَةِ ثَانِيَكَا
غَرَّكَ مِنْ رَبِّكَ إِمْهَالُهُ * وَسَثُرُ طَولَ مَسَائِيكَا

وَقَالَ ذُو الْنُونِ الْمَصْرِيَّ : كُمْ مِنْ مَغْرُورٍ تَحْتَ السِّرْتِ وَهُوَ لَا يَشْعُرُ .

وَأَنْشَدَ أَبُو بَكْرَ بْنَ طَاهِرَ الْأَبْهَرِيَّ :

يَا مَنْ غَلَى فِي الْعُجُوبِ وَالْتَّيَّهِ * وَغَرَّهُ طَوْلُ تَمَادِيهِ
أَمْلَى لَكَ اللَّهُ فَبَارَزَتْهُ * وَلَمْ تَخْفِ غَبَّ مَعَاصِيهِ

وَرَوَى عَنْ عَلَىٰ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ صَاحِبَ بَغْلَامٍ لَهُ مَرَاتٌ فَلَمْ يَلْبِهِ ، فَنَظَرَ إِذَا هُوَ بِالْبَابِ فَقَالَ : مَالِكٌ لَمْ تَجْبَنِي؟ فَقَالَ . لَتَقْتِي بِحَلْمِكَ وَأَمْنِي مِنْ عَقْوَبَتِكَ . فَأَسْتَهِنُ جَوَابَهُ فَأَعْتَقَهُ . وَنَاسٌ يَقُولُونَ : مَا غَرَّكَ مَا خَدَعُكَ وَسَوْلَ لَكَ حَتَّىٰ أَضَعَتْ مَا وَجَبَ عَلَيْكَ . وَقَالَ أَبْنَ مُسَعُودَ : مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَسِيَخْلُو اللَّهُ بِهِ يُوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَقُولُ لَهُ : يَا أَبْنَ آدَمَ مَاذَا غَرَّكَ بِي؟ يَا أَبْنَ آدَمَ مَاذَا أَعْمَلْتَ فِيمَا عَلِمْتَ؟ يَا أَبْنَ آدَمَ مَاذَا أَجْبَتَ الْمُرْسَلِينَ؟ (الَّذِي خَلَقَكَ) أَىٰ قَدْرِ خَلْقِكَ مِنْ نَطْفَةٍ (فَسَوْلَكَ) فِي بَطْنِ أُمِّكَ وَجَعَلَ لَكَ يَدِينَ وَرِجْلَيْنَ وَعَيْنَيْنَ وَسَائِرَ أَعْصَائِكَ (فَعَدَلَكَ) أَىٰ جَعَلَكَ مُعْتَدِلاً سَوِيًّا الْخَلْقَ ، كَمَا يَقُولُ : هَذَا شَيْءٌ مَعْدُلٌ . وَهَذِهِ قِرَاءَةُ الْعَامَةِ وَهِيَ آخِيَّارُ أَبِي عَيْدٍ وَأَبِي حَاتِمٍ ، قَالَ الْفَرَاءُ وَأَبُو عَيْدٍ : يَدَلُ عَلَيْهِ قَوْلُهُ تَعَالَى : «لَقَدْ خَلَقْنَا إِلَيْنَا إِنْسَانًا فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ» . وَقِيرَأُ الْكَوْفِيُونَ عَاصِمَ وَحْمَذَةَ وَالْكَسَائِيَّ : «فَعَدَلَكَ» مُخْفِفًا أَىٰ أَمْالِكَ وَصِرْفَكَ إِلَى أَىٰ صَوْرَةٍ شَاءَ إِمَّا حَسَنَا إِمَّا قَبِحَا ، إِمَّا طَوِيلًا إِمَّا فَقِيرًا . وَقَالَ [مُوسَى بْنُ عَلَىٰ] أَبْنَ أَبِي رَبَاحِ الْخَنْمِيِّ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِهِ^(١) قَالَ قَالَ لِي النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «إِنَّ النَّطْفَةَ

(١) الزيادة من تفسير الثعلبي والطبرى والمدر المنشور . والحديث كارواه الثعلبي بعد السنن : قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بخلده «ما ولد لك» قال يا رسول الله وماعني أن يولد لي ، إما غلام أو جارية . قال «فن يشه» قال : فن يشه ؟ أنه أو أباه ؟ فقال الذي صلى الله عليه وسلم . « لا تقل هكذا إن النطفة ... الحديث » .

إذا آستقرت في الرحم أحضرها الله كل نسب بينها وبين آدم « أما قرأت هذه الآية (في أى صورة ما شاء ربك) : « فيما بينك وبين آدم » [وقال عكرمة وأبو صالح : « في أى صورة ما شاء ربك] إن شاء في صورة إنسان ، وإن شاء في صورة حمار ، وإن شاء في صورة قرد ، وإن شاء في صورة خنزير . وقال مكحول : إن شاء ذكرا وإن شاء أنثى . وقال مجاهد : « في أى صورة » أى في أى شبهة من أب أو أم أو عم أو خال أو غيرهم . و « في متعلقة بـ « ربك » ولا تتعلق بـ « عدلك » على قراءة من خفف ، لأنك تتقول عدلتك إلى كنا ولا تتقول عدلتك في كذا ، ولذلك منع الفراء التخفيف ، لأنه قدر « في » متعلقة بـ « عدلك » و « ما » يجوز أن تكون صلة مؤكدة ، أى في أى صورة شاء ربك . ويجوز أن تكون شرطية أى إن شاء ربك في غير صورة الإنسان من صورة قرد أو حمار أو خنزير ف « ما » بمعنى الشرط والجزاء ، أى في صورة ما شاء أن يركب ربك .

قوله تعالى : (كَلَّا بْلَ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ) يجوز أن تكون « كلاً » بمعنى حقاً و « لاً » فيبدأ بها . ويجوز أن تكون بمعنى « لاً » على أن يكون المعنى ليس الأمر كما تقولون من أنكم في عبادتكم غير الله محقون . يدل على ذلك قوله تعالى : « مَا غَرَّكُتُ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ » وكذلك يقول الفراء : يصير المعنى ليس كما غرت به . وقيل : أى ليس الأمر كما تقولون من أنه لا بعث . وقيل : هو بمعنى الردع والزجر . أى لا تفتروا بحمل الله وكرمه فتتركون التفكير في آياته . ابن الأبارى : الوقف الجيد على « الدين » وعلى « ربك » والوقف على « كلاً » قبيح . (بْلَ تُكَذِّبُونَ) يأهل مكة (بِالدِّينِ) أى بالحساب و « بل » لغنى شيء تقدم وتحقيق غيره . وإنكارهم للبعث كان معلوما وإن لم يجر له ذكر في هذه السورة .

قوله تعالى : وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ (٣٦) كِرَاماً كَلِتِينَ (٣٧)
يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ (٣٨)

قوله تعالى : (وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ) أى رقباء من الملائكة (كراماً) أى على -؛ كقوله تعالى : « كرام برة » وهنا ثلاثة مسائل :

الأولى — روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم "أَكْرِمُوا الْكَرَامَ الْكَاتِبِينَ الَّذِينَ لَا يَفْارِقُونَكُمْ إِلَّا عِنْدَ إِحْدَى حَالَتِنَا الْخَرَاءَ أَوِ الْجَمَاعَ فَإِذَا أَغْنَسْلَ أَحَدَكُمْ فَلَا يَسْتَرِ بِهِ رُمْ [حَائِطٌ] أَوْ بَغْيَرِهِ أَوْ لَيْسَتِهِ أَخْوَهُ" . وروى عن علي رضي الله عنه قال : "لا يزال الملك مولياً عن العبد ما دام بادى العورة" وروى "إن العبد إذا دخل الحمام بغير متر لعنه ملكاً" .

الثانية — وآختلف الناس في الكفار هل عليهم حفظة أم لا ؟ فقال بعضهم : لا ، لأن أمرهم ظاهر وعملهم واحد ، قال الله تعالى : « يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيَاهِهِمْ » . وقيل : بل عليهم حفظة ، لقوله تعالى : « كَلَّا بِمَا تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ . وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ . كَرَامَةِ كَاتِبِيْنَ . يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ » . وقال : « وَأَمَّا مِنْ أُوْتَى كَابَةً وَرَاءَ ظَهُورِهِ فَأَخْبَرَ أَنَّ الْكَفَّارَ يَكُونُ لَهُمْ كَابَةٌ وَيَكُونُ عَلَيْهِمْ حَفْظَةٌ . فَإِنْ قِيلَ : الَّذِي عَلَى يَمِينِهِ أَيْ شَيْءٍ يَكْتُبُ وَلَا حَسَنَةٌ لَهُ ؟ قِيلَ لَهُ : الَّذِي يَكْتُبُ عَنْ شَمَائِلِهِ يَكُونُ بِإِذْنِ صَاحِبِهِ وَيَكُونُ شَاهِدًا عَلَى ذَلِكَ وَإِنْ لَمْ يَكْتُبْ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ » .

الثالثة — سئل سفيان : كيف تعلم الملائكة أن العبد قد هم بحسنة أو سيئة ؟ قال : إذا هم العبد بحسنة وجدوا منه ريح المسك ، وإذا هم بسيئة وجدوا منه ريح التن . وقد مضى في « ق » عند قوله : « مَا يَلْفَظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدِيهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ » زِيادة بيان لمعنى هذه الآية . وقد كره العلماء الكلام عند الغائط والجماع لفارقته الملك العبد عند ذلك . وقد مضى في آخر « آل عمران » القول في هذا . وعن الحسن : يعلمون لا يخفى عليهم شيء من أعمالكم . وقيل : يعلمون ما ظهر منكم دون ما حذتم به أنفسكم . والله أعلم .

(١) الزِيادة من الدوائر المنشورة وفيه سبب ورود الحديث أنه عليه السلام رأى رجالاً يغسلون بخلافة من الأرض اخ .

(٢) راجع ٢١٧ ص ١١

(٣) راجع ٤ ص ٣١٠ فما بعدها .

قوله تعالى : إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ (١٦) وَإِنَّ الْفُجَارَ لَفِي جَحِيمٍ (١٧) يَصْلُوْنَهَا يَوْمَ الْدِينِ (١٨) وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَايَةٍ (١٩) وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الْدِينِ (٢٠) ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الْدِينِ (٢١) يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا (٢٢) وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ (٢٣)

قوله تعالى : (إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ . وَإِنَّ الْفُجَارَ لَفِي جَحِيمٍ) تقسيم مثل قوله : « فَيُرِيقُ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعَيْرِ » وقال : « يَوْمَئِذٍ يَصْدَعُونَ . فَمَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا » الآيتين . (يَصْلُوْنَهَا) أى يصيّبهم لهبها وحرتها (يَوْمَ الدِّينِ) أى يوم الحزا وحساب وكرر ذكره تعظيمًا لشأنه ، نحو قوله تعالى : « الْقَارِعَةُ مَا الْقَارِعَةُ . وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ » وقال ابن عباس فيما روى عنه : كل شيء من القرآن من قوله : « وَمَا أَدْرَاكَ » فقد أدراه ، وكل شيء من قوله : « وَمَا يُدْرِيكَ » فقد طوى عنه . (يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ) قرأ ابن كثير وأبو عمرو « يَوْمٌ » بالرفع على البدل من « يَوْمَ الدِّينِ » أو ردًا على اليوم الأول فيكون صفة ونعتاً لـ « يَوْمَ الدِّينِ ». ويجوز أن يرفع بإضماره هو . الباقيون بالنصب على أنه في موضع رفع إلا أنه نصب ؟ لأنّه مضاد غير ممكّن ؛ كما تقول : أتعجبني يوم يقوم زيد . وأنشد المبرد :

مِنْ أَيْ يَوْمٍ مِنَ الْمَوْتِ أَفْزُ * أَيْوْمٌ لَمْ يُقْدِرْ أَمْ يَوْمٌ قُدِّيزْ

فالاليومان الثانيان محفوظان بالإضافة عن الترجمة عن اليومين الأولين إلا أنّهما نصباً في اللفظ ؛ لأنّهما أضيفا إلى غير معين . وهذا اختيار الفراء والزجاج . وقال قوم : اليوم الثاني منصوب على المحل كأنه قال : في يوم لا تملك نفس لنفس شيئاً . وقيل : بمعنى إن هذه الأشياء تكون يوم ، أو على معنى يداون يوم ؛ لأن الدين يدل عليه ، أو بإضمار آخر . (وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ) لا ينافيه فيه أحد ؛ كما قال : « مِنْ الْمُلْكِ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ». اليوم تجزى كل نفس بما كسبت لا ظلم ليوم » تمت السورة والحمد لله .

سورة المطففين

مكية في قول ابن مسعود والضحاك ومقاتل . ومدنية في قول الحسن وعكرمة ، وهي ست وثلاثون آية

قال مقاتل : وهي أول سورة نزلت بالمدينة . وقال ابن عباس وقتادة : مدنية إلا ثمان آيات من قوله : « إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا » إلى آخرها مكى . وقال الكلبى وجابر بن زيد : نزلت بين مكة والمدينة .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قوله تعالى : وَيَلٌ لِّلْمُطَفَّفِينَ ﴿١﴾ آلَّذِينَ إِذَا آتَيْتُمُوهُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢﴾
يَسْتَوْفُونَ ﴿٣﴾ وَإِذَا كَانُوكُمْ أَوْ زَوْجُوكُمْ يُخْسِرُونَ ﴿٤﴾

فيه أربع مسائل :

الأولى — روى النسائي عن ابن عباس قال : لما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة كانوا من أخبر الناس كيلاً فأنزل الله تعالى « وَيَلٌ لِّلْمُطَفَّفِينَ » فأحسنوا الكيل بذلك . قال الفراء : فهم من أوف الناس كيلاً إلى يومهم هذا . وعن ابن عباس أيضاً قال : هي أقل سورة نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ساعة نزل المدينة وكان هذا فيهم ؛ كانوا إذا آشروا أستوفوا بيكيل راجح ، فإذا باعوا بخسوا المكيال والميزان ، فلما نزلت هذه السورة آتهوا ، فهم أوف الناس كيلاً إلى يومهم هذا . وقال قوم : نزلت في رجل يعرف بأبي جهينة وأسمه عمرو ؛ كان له صداعاً يأخذ بأحددهما ويعطى بالأخر ؛ قاله أبو هريرة رضي الله عنه .

الثانية — قوله تعالى : « وَيَلٌ » أى شدة عذاب في الآخرة . وقال ابن عباس : إنه وادٍ في جهنم يسيل فيه صديد أهل النار ، فهو قوله تعالى : « وَيَلٌ لِّلْمُطَفَّفِينَ » أى الذين ينتصرون مكاييلهم وموازينهم . وروى عن ابن عمر قال : المطفف الرجل يستاجر المكيال

وهو يعلم أنه يحيف في كيله فوزره عليه . وقال آخرون : التطفيق في الكيل والوزن والوضوء والصلاحة والحديث . وفي الموطأ قال مالك : ويقال لكل شيء وفاءً وتطفيق . وروى عن سالم ابن أبي الجعد قال : الصلاة بمكيال فمن أوفى له ومن طفف فقد علتم ما قال الله عز وجل في ذلك : « وَيُؤْمِنُ بِمُطَفَّفِيْنَ » .

الثالثة — قال أهل اللغة : المطفف مأخذ من الطفيف وهو القليل ، والمطفف هو المقل حق صاحبه بنقصانه عن الحق في كيل أو وزن . وقال الزجاج : إنما قيل للفاعل من هذا مطفف ؛ لأنه لا يكاد يسرق من المكيال والميزان إلا الشيء الطفيف الخفيف ، وإنما أخذ من طف الشيء وهو جانبه . وطفاف المكواكب وطفافه بالكسر والفتح ما ملاً أصباره وكذلك طف المكواكب وطفافه ؛ وفي الحديث : « كلام بن سوآدم طف الصاع لم يملئوه » وهو أن يقرب أن يتمليء فلا يفعل ، والمعنى بعضكم من بعض قريب فليس لأحد على أحد فضل إلا بالتقوى . والطفاف والطفاف بالضم ما فوق المكيال . وإناء طفاف إذا بلغ الملل طفافه ؛ تقول منه : أطافت . والتطفيق نقص المكيال وهو إلا تملأه إلى أصباره أى جوانبه ؛ يقال : أدهقت الكأس إلى أصبارها أى إلى رأسها . وقول ابن عمر حين ذكر النبي صلى الله عليه وسلم سبق الخيل : كنت فارسا يومئذ فسبقت الناس حتى طفف بي الفرس مسجد بني زريق حتى كاد يساوى المسجد . يعني وتب بي .

الرابعة — المطفف هو الذي يخسر في الكيل والوزن ولا يوف حسب ما يدنه ؛ وروى ابن القاسم عن مالك أنهقرأ « وَيُؤْمِنُ بِمُطَفَّفِيْنَ » فقال : لا تطفف ولا تخلب ولكن أرسل وصب عليه صبأ حتى إذا آستوف أرسل يدك ولا تمسك . وقال عبد الملك بن الماجشون : نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن مسح الطفاف ، وقال : إن البركة في رأسه . قال : وبلغنى أن يكيل فرعون كان مسحا بالحديدة .

(١) كما في الأصول وفي ابن العربي (ولا تخلب) . (٢) في بعض الأصول وأبن العربي « آستوى » .

قوله تعالى : «**الَّذِينَ إِذَا أَكَلُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَهْفُونَ**» قال الفراء : أى من الناس ؟
يقال : أكلت منه أى استوفيت منه ، ويقال : أكلت ما عليك أى أخذت ما عليك .
وقال الزجاج : أى إذا أكلوا من الناس آستوفوا عليهم البikel ؛ والمعنى : الذين إذا آستوفوا
أخذوا الزيادة وإذا أوفوا أو وزعوا لغيرهم نقصوا ، فلا يرضون للناس ما يرضون لأنفسهم .
الطبرى : « على » بمعنى عند .

قوله تعالى : «**وَإِذَا كَلُوْهُمْ أَوْ وَزَنُوْهُمْ يُخْسِرُوْنَ**»
فيه مسئلان :

الأولى — قوله تعالى : «**وَإِذَا كَلُوْهُمْ أَوْ وَزَنُوْهُمْ**» أى كالوا لهم أو وزعوا لهم خذفت
اللام فتعدى الفعل فنصب ؛ ومثله نصحتك ونصحت لك وأمرتك به وأمرتكه ؛ قاله
الأخفش والفراء . قال الفراء : وسمعت أعرابية تقول إذا صدر الناس أتيانا الساجر فيكتلنا
المد والمدين إلى الموسم المقابل . وهو من كلام أهل المجاز ومن جاورهم من قيس . قال
الزجاج : لا يجوز الوقف على «**كَلُوا** » و «**وَزَنُوا** » حتى تصل به «**هُمْ** » قال : ومن
الناس من يجعلها توكيدا ، ويحيىز الوقف على «**كَلُوا** » و «**وَزَنُوا** » والأول الاختيار ؛
لأنها حرف واحد . وهو قول الكسائي . قال أبو عبيد : وكان عيسى بن عمر يجعلها حرفين
ويقف على «**كَلُوا** » و «**وَزَنُوا** » وينتدىء «**هُمْ يُخْسِرُوْنَ** » قال : وأحسب قراءة حزة
كذلك أيضا . قال أبو عبيد : والاختيار أن يكونا كلمة واحدة من جهةين أحدهما الخلط ؛
وذلك أنهم كتبوهما بغير ألف ولو كانتا مقطوعتين لكانتا «**كَلُوا** » و «**وَزَنُوا** » بالألف ،
والآخر أن يقال : كلتك وزنتك بمعنى كلت لك وزنت لك وهو كلام عربي ؛ كما يقال:
صدتك وصدت لك وكسبتك وكسبت لك ، وكذلك شركتك ونصحتك ونحو ذلك . قوله :
«**يُخْسِرُوْنَ** » أى ينقصون ؛ والعرب تقول : أخسرت الميزان وخسرته ، و «**هُمْ** » في موضع
نصب على قراءة العامة راجع إلى الناس ؛ تقديره «**وَإِذَا كَلُوا** » الناس «**أَوْ وَزَنُوْهُمْ يُخْسِرُوْنَ** »
وفي وجهان : أحدهما أن يراد كالوا لهم أو وزعوا لهم خذف الجار وأوصل الفعل كما قال :
ولقد جنحت **أَكْلُوا** وعساقلأ * ولقد نهيتك عن بنات الأول

أراد جنحت لك ، والوجه الآخر أن يكون على حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه ، والمضاف هو المكيل والموازن . وعن ابن عباس رضى الله عنه : إنكم معاشر الأعاجم وليت أمران بهما هلك من كان قبلكم المكيل والميزان . وخص الأعاجم لأنهم كانوا يجمعون الكيل والوزن جميعاً وكانا مفرقين في الحرمين ؛ كان أهل مكة يزنون وأهل المدينة ييكلون . وعلى القراءة الثانية « هم » في موضع رفع بالأبتداء ؛ أى وإذا كالوا للناس أو وزنا لهم فهم يخسرون . ولا يصح؛ لأنه تكون الأولى ملغاً لغيرها خبر ، وإنما كانت تستقيم لو كان بعدها وإذا كالوا لهم ينقصون أو وزنا لهم يخسرون .

الثانية — قال ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وسلم : « ^{نَحْسُ بِحَسِّ} ما تتصفح قوم العهد إلا سلط الله عليهم عدتهم ولا حكوا بغير ما أنزل الله إلا فشا فيهم الفقر وما ظهرت الفاحشة فيهم إلا ظهر فيهم الطاعون وما طفقو الكيل إلا منعوا النبات وأخذوا بالسنين ولا منعوا الزكاة إلا حبس الله عنهم المطر » نرجه أبو بكر البزار بمعناه ومالك بن أنس أيضاً من حديث ابن عمر . وقد ذكرناه في كتاب التذكرة ، وقال مالك بن دينار : دخلت على جارلى قد نزل به الموت ، بفعل يقول : جبلى من نار ! جبلى من نار ! فقلت : ما تقول ؟ أتَهُجَر ؟ قال : يا أبا يحيى كان لي مكيلان أكيل بأحدهما وأكيل بالآخر ؛ فقمت بفعالات أضرب أحدهما بالآخر حتى كسرتهما ، فقال : يا أبا يحيى كلما ضربت أحدهما بالآخر آزاده عظماً ، فمات من وجده . وقال عكرمة : أشهد على كل كيال أو وزان أنه في النار . قيل له : فإن أبنك كيال أو وزان . فقال : أشهد أنه في النار . قال الأصمعي : وسمعت أعرابية تقول لا تلتمس المروعة من صروعته في رءوس المكاييل ولا ألسنة الموازين . وروى ذلك عن علي رضى الله عنه . وقال عبد خير : مر على رضى الله عنه على رجل وهو يزن الزعفران وقد أرجح فاكفاً الميزان ، ثم قال : أقم الوزن بالقسط ، ثم أرجح بعد ذلك ما شئت . كأنه أمره بالتسوية أولاً ليعتادها ، ويحصل الواجب من التفلل . وقال نافع : كان ابن عمر يمر بالبائع فيقول آتني الله وأوف الكيل

(١) بغير في نومه ومرضه بغير بغير : هندي .

والوزن بالقسط ، فإن المطوفين يوم القيمة يوقفون حتى إن العرق ليجمهم إلى أنصاف آذانهم . وقد روى أن أبا هريرة قدم المدينة وقد نرج النبي صلى الله عليه وسلم إلى خير وأستخلف على المدينة سباع بن عرفة ، فقال أبو هريرة : فوجدناه في صلاة الصبح فقرأ في الركعة الأولى « كَهِيَّعَصَ » وقرأ في الركعة الثانية « وَيْلٌ لِّلْمُطَوْفِينَ » قال أبو هريرة : فأقول في صلاتي ويل لأبي فلان كان له مكالان إذا أكال أكال بالواقي وإذا كمال بالناقص .

قوله تعالى : **أَلَا يَظْنُ أَوْلَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ**
يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ

قوله تعالى : (أَلَا يَظْنُ أَوْلَئِكَ) إنكار وتعجب عظيم من حالم في الاجتراء على التطفييف كأنهم لا يخطرون التطفييف بيالهم ولا يخمنون تخمينا (أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ) فمسئلون عمما يفعلون . والظن هنا بمعنى اليقين ؛ أى لا يوقن أولئك ولو أيقنوا ما تقصوا في الكيل والوزن . وقيل : الظن بمعنى التردد ؛ أى إن كانوا لا يستيقنون بالبعث فهلا ظنوه حتى يتذروا ويجهتو عنه وياخذوا بالأحوط (ليَوْمٍ عَظِيمٍ) شأنه وهو يوم القيمة .

قوله تعالى : (يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ) فيه أربع مسائل :

الأولى – العامل في « يوم » فعل مضمر دل عليه « مَبْعُوثُونَ » والمعنى يعيشون « يوم يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ » . ويجوز أن يكون بدلا من يوم في « لِيَوْمٍ عَظِيمٍ » وهو مبني . وقيل : هو في موضع خفض ، لأنه أضيف إلى غير متمكن . وقيل : هو منصوب على الظرف أى في يوم ، ويقال : أقم إلى يوم يخرج فلان فتنصب يوم ، فإن أضافوا إلى الأسم فيئذ يخفضون ويقولون : أقم إلى يوم خروج فلان . وقيل : في الكلام تقديم وتأخير ، التقدير أنهم مبعوثون يوم يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ليَوْمٍ عَظِيمٍ .

الثانية — وعن عبد الملك بن مروان أن أعرابياً قال له: قد سمعت ما قال الله تعالى في المطففين ؛ أراد بذلك أن المطففين قد توجه عليهم هذا الوعيد العظيم الذي سمعت به ، فما ظنك بنفسك وأنت تأخذ أموال المسلمين بلا كيل ولا وزن . وفي هذا الإنكار والتعجب وكلمة الظن ، ووصف اليوم بالعظيم ، وقيام الناس فيه لله خاضعين ، ووصف ذاته رب العالمين بيان بلع عظم الذنب ، وتفاقم الإثم في التطفيق ، وفيما كان في مثل حالة من الحيف وترك القيام بالقسط ، والعمل على التسوية والعدل في كل أخذ وإعطاء ، بل في كل قول وعمل .

الثالثة — قرأ ابن عمر «وَيَلِ لِلْمُطْفَفِينَ» حتى بلغ «يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمَيْنَ» فبكى حتى سقط وأمتنع من قراءة ما بعده ثم قال : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول ”يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمَيْنَ“ كأن مقداره خمسين ألف سنة فهم من يبلغ العرق كبيه ومنهم من يبلغ ركبتيه ومنهم من يبلغ حقويه ومنهم من يبلغ صدره ومنهم من يبلغ أذنيه حتى إن أحدهم ليغيب في رشحه كما يغيب الضفدع ” . وروى ناس عن ابن عباس قال : يقومون مقدار ثلاثة سنة . قال : وَيُهُونُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ قَدْرَ صَلَاتِهِمُ الْفَرِيضَةِ . وروى عن عبدالله بن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ”يَقُومُونَ أَلْفَ عَامٍ فِي الظُّلَّةِ“ . وروى مالك عن نافع عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ”يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمَيْنَ“ حتى إن أحدهم ليقوم في رشحه إلى أنصاف أذنيه ” . وعنه أيضاً عن النبي صلى الله عليه وسلم : ”يَقُومُ مائَةً سَنَةً“ . وقال أبو هريرة قال النبي صلى الله عليه وسلم لبشير الغفارى : ”كَيْفَ أَنْتَ صَانِعٌ فِي يَوْمٍ يَقُومُ النَّاسُ فِي مُقْدَارٍ ثَلَاثَةِ سَنَةٍ لِرَبِّ الْعَالَمَيْنَ لَا يَأْتِيهِمْ فِيهِ خَبْرٌ وَلَا يُؤْمِنُ فِيهِ بِأَمْرٍ“ قال بشير : المستعان الله .

قلت : قد ذكرناه مرفوعاً من حديث أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم : ”إِنَّهُ لَيَخْفَفُ عَنِ الْمُؤْمِنِ حَتَّىٰ يَكُونَ أَخْفَىٰ عَلَيْهِ مِنْ صَلَاةِ الْمَكْتُوبَةِ يَصْلِيهَا فِي الدُّنْيَا“ في سائل (٢) سائل » . وعن ابن عباس : ”يُهُونُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ قَدْرَ صَلَاتِهِمُ الْفَرِيضَةِ . وقيل : إن ذلك

(١) أى في الماء . (٢) راجع ج ١٨٦ ص ٢٨٢ .

المقام على المؤمن كروال الشمس ؛ والمدليل على هذا من الكتاب قوله الحق : « أَلَا إِنَّ أُولَئِكَ
اللهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزُنُونَ » ثم وصفهم فقال : « الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ » جعلنا
الله منهم بفضله وكرمه وجوده ومنه أمين . وقيل : المراد بالناس جبريل عليه السلام يقوم
لرب العالمين ؛ قاله ابن جبير . وفيه بعد ، لما ذكرنا من الأخبار في ذلك وهي صحيفة ثابتة ،
وحسبك بما في صحيح مسلم والبخاري والترمذى من حديث ابن عمر عن النبي صلى الله عليه
وسلم « يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمَيْنَ » قال : « يَقُومُ أَهْدَهُمْ فِي رِشْحَةٍ إِلَى نَصْفِ أَذْنِيهِ »
ثم قيل : هذا القيام يوم يقومون من قبورهم . وقيل : في الآخرة بمحظوظ عباده في الدنيا .
وقال يزيد الرشك : يقومون بين يديه للقضاء .

الرابعة - القيام له رب العالمين سبحانه حقير بالإضافة إلى عظمته وحقيقته ، فاما قيام
الناس بعضهم البعض فاختلاف فيه الناس ؛ فنهم من أجزاءه ومنهم من منعه . وقد روى أن
النبي صلى الله عليه وسلم قام إلى جعفر بن أبي طالب وأعتنقه ، وقام طلحة لعبد بن مالك
يوم تيب عليه . وقول النبي صلى الله عليه وسلم للانصار حين طلع عليه سعد بن معاذ :
« قوموا إلى سيدكم » وقال أيضا : « من سره أن يمثل له الناس قياما فليتبوا مقعده من النار »
وذلك يرجع إلى حال الرجل ونيته ، فإن آتى ذلك وآتى نفسه فهو منع ، وإن كان
على طريق الدشاشة والوصلة فإنه جائز ، وخاصة عند الأسباب كالقدوم من السفر ونحوه .
وقد مضى في آخر سورة « يوسف » شئ من هذا .^(١)

قوله تعالى : كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَارِ لَفِي سِجْنٍ^(٢) وَمَا أَدْرِنَكَ
مَا سِجْنٌ^(٣) كِتَابٌ مَرْقُومٌ^(٤) وَإِلَّا يَوْمَدِ الْمُكَذِّبِينَ^(٥) الَّذِينَ
يُكَذِّبُونَ يَوْمَ الْدِينِ^(٦) وَمَا يُكَذِّبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدِلٍ أَثِيمٌ^(٧)
إِذَا تُتَلَّ عَلَيْهِ إِذَا يَتُّنَا قَالَ أَسْطِرُ الْأَوَّلِينَ^(٨)

(١) راجع ج ٩ ص ٢٦٥ فما بعدها .

قوله تعالى : « كَلَّا إِنْ كَاتَبَ الْفُجَارِ لَفِي سِجِّينٍ » قال قوم من أهل العلم بالعربية : « كَلَّا » رد وتنبيه ؛ أى ليس الأمر على ما هم عليه من تطفيق الكيل والميزان ، أو تكذيب بالآخرة فليزدعوا عن ذلك . فهى كلمة رد وجزئ آستانف فقال : « إِنْ كَاتَبَ الْفُجَارِ » . وقال الحسن : « كَلَّا » بمعنى حَقًّا . وروى ناس عن ابن عباس « كَلَّا » قال : آلا تُصدِّقُونَ ؟ فعلى هذا الوقف « لِرَبِّ الْعَالَمَيْنَ » . وفي تفسير مقاتل : إن أعمال الفجار . وروى ناس عن ابن عباس قال : إن أرواح الفجار وأعمالهم « لَفِي سِجِّينٍ » . وروى ابن أبي نجيح عن مجاهد قال : سجين صخرة تحت الأرض السابعة تقلب فيجعل كتاب الفجار تحتها . ونحوه عن ابن عباس وقتادة وسعيد بن جبير ومقاتل وكعب ؟ قال كعب : تحتها أرواح الكفار تحت خد إبليس . وعن كعب أيضا قال : سجين صخرة سوداء تحت الأرض السابعة مكتوب فيها اسم كل شيطان تلق أنفس الكفار عندها . وقال سعيد بن جبير : سجين تحت خد إبليس . يحيى بن سلام : حجر أسود تحت الأرض يكتب فيه أرواح الكفار . وقال عطاء الخراساني : هي الأرض السابعة السفلية وفيها إبليس وذراته . وعن ابن عباس قال : إن الكافر يحضره الموت وتحضره رسول الله فلا يستطيعون لبغض الله له وبغضهم إيه أن يؤخروا ولا يجعلوه حتى تجيء ساعته ، فإذا جاءت ساعته قبضوا نفسه ورفعوه إلى ملائكة العذاب ، فاروه ما شاء الله أن يروه من الشر ، ثم هبطوا به إلى الأرض السابعة ، وهي سجين وهي آخر سلطان إبليس فأثبتوا فيها كتابه . وعن كعب الأحبار في هذه الآية قال : إن روح القاجر إذا قبضت يصعد بها إلى السماء فتأتي السماء أن تقبلها ، ثم يهبط بها إلى الأرض فتأتي الأرض أن تقبلها ، فتدخل في سبع أرضين حتى ينتهي بها إلى سجين وهو خد إبليس ، فيخرج لها من سجين من تحت خد إبليس رقْ فِي رقْ فيوضع تحت خد إبليس . وقال الحسن : سجين في الأرض السابعة . وقيل : هو ضرب مثل وإشارة إلى أن الله تعالى يرد أعمالهم التي ظنوا أنها تنفعهم . قال مجاهد : المعنى عملاهم تحت الأرض السابعة لا يصعد منها شيء . وقال :

سجين حفرة في الأرض السابعة . وروى أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « سجين جب في جهنم وهو مفتوح » وقال في الفلق : « إنه جب مغطى » . وقال أنس : هي دركة في الأرض السفل . وقال أنس قال النبي صلى الله عليه وسلم : سجين أسفل الأرض السابعة » . وقال عكرمة : « سجين خسار وضلال ، كفولهم ملن سقط قدره : قد زلق بالخبيث . وقال أبو عبيدة والأخفش والزجاج : « لفي سجين » لفي حبس وضيق شديد فعيل من السجن ؛ كما يقول : فسيق وشريب ؛ قال ابن مقبل :

ورفة يضربون البيض ضاحية * ضرباً تواصت به الأبطال سجيناً^(١)

والمعنى كتابهم في حبس ؛ جعل ذلك دليلاً على خصاصة منزلتهم ، أو لأنه يحمل من الإعراض عنه والإبعاد له تحمل الزجر والهوان . وفيه : أصله سجين فأبدلت اللام نوناً . وقد تقدم ذلك . وقال زيد بن أسلم : سجين في الأرض السافلة وسجين في السماء الدنيا . القشيري : سجين موضع في السافلين يدفن فيه كتاب هؤلاء فلا يظهر بل يكون في ذلك الموضع كالمسجون . وهذا دليل على خبث أعمالهم وتحقيق الله إياها ؛ وهذا قال في كتاب الأبرار : « يشهد المقربون » . (ومَا أَدْرَاكَ مَا سجين) أي ليس ذلك مما كنت تعلم يا مهد أنت ولا قومك . ثم فسره له فقال : (كَابٌ مِرْقُومٌ) أي مكتوب كالرقم في الشوب لا ينسى ولا يحيى . وقال قنادة : مرقوم أي مكتوب رقم لهم بشر لا يزاد فيهم أحد ولا ينقص منهم أحد . وقال الضحاك : مرقوم مختوم بلغة حير ، وأصل الرقم الكتابة ؛ قال :

سأرق في الماء القرابح إليكم * على بعدكم إن كان لبناء راقم

وليس في قوله : « وَمَا أَدْرَاكَ مَا سجين » ما يدل على أن لفظ سجين ليس عربياً كما لا يدل في قوله : « الْفَارَعَةُ مَا الْفَارِعَةُ . وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْفَارِعَةُ » بل هو تعظيم لأمر سجين . وقد مضى في مقدمة الكتاب - والحمد لله - أنه ليس في القرآن غير عربي . (وَلِلْيَوْمِ ذِي الْمُسْكَنِينَ)^(٢)

(١) الذى في الناج نقل عن الجوهري : * درجة يضربون الماء عن عرض *

(٢) راجع ج ١ ص ٦٨٠ -

أى شدة وعذاب يوم القيمة للكاذبين . ثم بين تعالى أمرهم فقال : «**الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ يَوْمَ الدِّينِ**» أى يوم الحساب والجزاء والفصل بين العباد . (ومَا يُكَذِّبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدِّ أَنْتُمْ) أى فاجر جائز عن الحق ، معتمد على الخلق في معاملته إياهم وعلى نفسه ، وهو أنتم في ترك أمر الله . وقيل : هذا في الوليد بن المغيرة وأبي جهل ونظيرهما ؛ لقوله تعالى : «إِذَا تُتَلَّ عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ» وقراءة العامة «تُتَلَّ» بتاءين وقراءة أبي حية وأبي سماك وأشيب العقل والسلمي «إِذَا يُتَلَّ» بالياء . وأساطير الأولين أحاديثهم وأباطيلهم التي كتبوها وزخرفوا . واحدتها أسطورة وإسطارة وقد تقدم .

قوله تعالى : **كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ** ﴿١﴾
كَلَّا إِنَّهُمْ عَنِ الرَّيْمِ يَوْمَئِذٍ لَمْ يَحْجُبُونَ ﴿٢﴾ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا
آلَجَحِيمِ ﴿٣﴾ ثُمَّ يُقَالُ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴿٤﴾

قوله تعالى : «**كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ**» «كَلَّا» رد وجز ، أى ليس هو أساطير الأولين . وقال الحسن : معناها حقا «رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ» . وقيل : في الترمذى عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «إن العبد إذا أخطأ خطيئة نُكِتَتْ في قلبه نكتة سوداء فإذا هو نزع واستغفر الله وتاب صُقل قلبه فإن عاد زيد فيها حتى تعلو على قلبه وهو الران الذي ذكر الله في كتابه «**كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ**» قال : هذا حديث حسن صحيح . وكذا قال المفسرون : هو الذنب على الذنب حتى يسود القلب . قال مجاهد : هو الرجل يذنب الذنب فيحيط الذنب بقلبه ، ثم يذنب الذنب فيحيط الذنب بقلبه حتى تغشى الذنوب قلبه . قال مجاهد : هي مثل الآية التي في سورة البقرة «**بَلْ مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً**» الآية . ونحوه عن الفراء ؛ قال : يقول كثرة المعاصي منهم والذنوب فاحاطت بقلوبهم بذلك الرّين عليها . وروى عن مجاهد أيضا قال : القلب مثل الكف ورفع كفه ، فإذا أذنب العبد الذنب أنقبض وضمّ أصبعه ؛ فإذا أذنب الذنب أنقبض وضمّ

أخرى حتى ضم أصابعه كلها ، حتى يُطْبَع على قلبه . قال : كانوا يرون أن ذلك هو الرين ، ثم قرأ « كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ » . ومثله عن حذيفة رضي الله عنه سواء . وقال بكر بن عبد الله : إن العبد إذ أذنب صار في قلبه كونحة الإبرة ، ثم صار إذا أذنب ثانية صار كذلك ، ثم إذا كثرت الذنوب صار القلب كالمنخل أو كالغمر بال لا يعي خيرا ولا يشتت فيه صلاح . وقد بينا في « البقرة »^(١) القول في هذا المعنى بالأختبار الثابتة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا معنى لإعادتها . وقد روى عبد الغني بن سعيد عن موسى بن عبد الرحمن عن ابن جريح عن عطاء عن ابن عباس ، وعن موسى عن مقاتل عن الضحاك عن ابن عباس شيئاً الله أعلم بصحته ؛ قال : هو الران الذي يكون على الفخذين والساقي والقدم وهو الذي يليس في الحرب . قال : وقال آخرون الرآن الخاطر الذي يخترق قلب الرجل وهذا مما لا يُضمن عهدة صحته . فالله أعلم . فاما عامة أهل التفسير فعل ما قد مضى ذكره قبل هذا . وكذلك أهل اللغة عليه ، يقال : ران على قلبه ذنبه يرين رينا وريونا أى غلب . قال أبو عبيدة في قوله : « كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ » أى غالب ؛ وقال أبو عبيدة : كل ما غلبك فقد ران بك ورانك وران عليك ؛ وقال الشاعر :

وَكَمْ رَانَ مِنْ ذَنْبٍ عَلَى قَلْبِ فَاجِرٍ * فَتَابَ مِنَ الذَّنْبِ الَّذِي رَانَ وَأَنْجَلَ

ورانت الحمر على عقله أى غلبته ، وران عليه النعاس إذا غطاه ، ومنه قول عمر في الأسيف⁻ أَسْيَفُ جُهِينَةً - : فأصبح قد رين به . أى غلبته الديون وكان يدان ، ومنه قول أبي زيد يصف رجلاً شرب حتى غلبه الشراب سُكُنا فقال :

ثُمَّ لَمَ رَآهُ رَانَتْ بِهِ النَّحْرُ * بُرُّ وَالْأَتْرَى نَسْنَسَهُ بِإِنْقَاءٍ

فقوله : رانت به الحمر ، أى غلبت على عقله وقلبه . وقال الأموي : قد أرآن القوم فهم مُريئون إذا هلكت مواشיהם وهن لات . وهذا من الأمر الذي أتاهم مما يغلبهم فلا يستطيعون أحتجاله . قال أبو زيد يقال : قد رين بالرجل رينا إذا وقع فيها لا يستطيع الخروج منه ولا قبل لـ

(١) راجع ج ١ ص ١٨٨ فما بعدها .

بـه . وقال أبو معاذ النحوي : الرين أن يسـود القلب من الذنوب ، والطبع أن يطبع على القلب ، وهذا أشد من التـرين ، والإـفـالـ أـشـدـ منـ الطـبعـ . الزجاج : الـرينـ هوـ كالـصـداـ يـغـشـيـ الـقـلـبـ كـالـغـيمـ الرـيقـ وـمـثـلـ الـغـينـ ، يـقـالـ : غـينـ عـلـىـ قـبـلـهـ غـطـىـ . وـالـغـينـ شـجـرـ مـلـتـفـ الـوـاحـدـةـ غـيـنـاءـ أـىـ خـضـرـاءـ كـثـيرـةـ الـوـرـقـ مـلـتـفـةـ الـأـغـصـانـ . وـقـدـ تـقـدـمـ قولـ الفـراءـ أـنـهـ إـحـاطـةـ الـذـنـبـ بـالـقـلـوبـ . وـذـكـرـ الشـاعـرـ عـنـ آـبـنـ عـبـاسـ : « رـانـ عـلـىـ قـلـوـبـهـ » أـىـ غـطـىـ عـلـيـهـاـ . وـهـذـاـ هوـ الصـحـيـحـ عـنـهـ إـنـ شـاءـ اللـهـ . وـقـرـأـ حـمـزةـ وـالـكـسـائـيـ وـالـأـعـمـشـ وـأـبـوـ بـكـرـ وـالـمـفـضـلـ « رـانـ » بـالـإـمـالـةـ ؛ لـأـنـ فـاءـ الـفـعـلـ الرـاءـ وـعـيـنـهـ الـأـلـفـ مـنـقـلـبـةـ مـنـ يـاءـ خـفـسـتـ الـإـمـالـةـ لـذـلـكـ . وـمـنـ فـتحـ فـعـلـ الـأـصـلـ ؛ لـأـنـ بـابـ فـاءـ الـفـعـلـ فـيـ فـعـلـ الـفـتحـ مـثـلـ كـالـ وـبـاعـ وـنـحـوـ . وـأـخـتـارـهـ أـبـوـ عـيـيدـ وـأـبـوـ حـاتـمـ وـوـقـفـ حـفـصـ « بـلـ » ثـمـ يـتـدـئـ « رـانـ » وـقـفـاـيـنـ الـلـامـ لـالـسـكـتـ .

قولـهـ تـعـالـىـ : « كـلـاـ إـنـهـمـ » أـىـ حـقاـ « إـنـهـمـ » يـعـنـ الـكـفـارـ (عـنـ رـيـهـمـ يـومـيـدـ) أـىـ يـومـ الـقـيـامـةـ (لـمـحـجـوـبـونـ) . وـقـيلـ : « كـلـاـ » رـدـعـ وـزـجـرـ أـىـ لـيـسـ كـاـيـقـولـونـ بـلـ « إـنـهـمـ عـنـ رـيـهـمـ يـومـيـدـ لـمـحـجـوـبـونـ » . قالـ الزـجاجـ : فـيـ هـذـهـ الـآـيـةـ دـلـيـلـ عـلـىـ أـنـ اللـهـ عـنـ وـجـلـ يـرـىـ فـيـ الـقـيـامـةـ ، وـلـوـلـاـ ذـلـكـ مـاـ كـانـ فـيـ هـذـهـ الـآـيـةـ فـائـدـةـ وـلـاـ خـسـتـ مـنـزـلـةـ الـكـفـارـ بـأـنـهـمـ يـحـجـبـونـ . وـقـالـ جـلـ شـنـاؤـهـ : « وـجـوهـ يـومـيـدـ نـاضـرـةـ . إـلـىـ رـبـهـاـ نـاظـرـةـ » فـأـعـلـمـ اللـهـ جـلـ شـنـاؤـهـ أـنـ الـمـؤـمـنـينـ يـنـظـرـونـ إـلـيـهـ ، وـأـعـلـمـ أـنـ الـكـفـارـ مـحـجـوـبـونـ عـنـهـ . وـقـالـ مـالـكـ بـنـ أـنـسـ فـيـ هـذـهـ الـآـيـةـ : لـمـ حـجـبـ أـعـدـاءـهـ فـلـمـ يـرـوـهـ تـجـلـيـ لـأـوـلـائـهـ حـتـىـ رـأـوـهـ . وـقـالـ الشـافـعـيـ : لـمـ حـجـبـ قـوـمـ بـالـسـخـطـ دـلـ عـلـىـ أـنـ قـوـمـ يـرـوـنـهـ بـالـرـضـاـ . ثـمـ قـالـ : أـمـاـ وـالـلـهـ لـوـ لـمـ يـوـقـنـ مـحـمـدـ بـنـ إـدـرـيـسـ أـنـهـ يـرـىـ رـبـهـ فـيـ الـمـعـادـ لـمـ اـعـدـهـ فـيـ الـدـنـيـاـ . وـقـالـ الـحـسـيـنـ بـنـ الـفـضـلـ : لـمـ حـجـبـهـمـ فـيـ الـدـنـيـاـ عـنـ نـورـ تـوـحـيدـهـ حـجـبـهـمـ فـيـ الـآـخـرـةـ عـنـ رـؤـيـتـهـ . وـقـالـ مجـاهـدـ فـيـ قـوـلـهـ تـعـالـىـ « لـمـحـجـوـبـونـ » : أـىـ عـنـ كـرـامـتـهـ وـرـحـمـتـهـ مـمـنـعـونـ . وـقـالـ قـنـادـةـ : هـوـ أـنـ اللـهـ لـاـيـنـظـرـ إـلـيـهـ بـرـحـمـتـهـ وـلـاـيـزـكـرـمـ وـلـمـ عـذـابـ أـلـيـمـ . وـعـلـىـ الـأـقـلـ الـجـمـهـورـ وـأـنـهـمـ مـحـجـوـبـونـ عـنـ رـؤـيـتـهـ فـلـاـ يـرـوـنـهـ . (ثـمـ إـنـهـمـ لـصـالـوـ الـجـنـحـمـ) أـىـ

(١) فـيـ الـلـاسـانـ : هـوـ الـخـتـمـ ؛ أـىـ الـطـبعـ عـلـىـ الـقـلـبـ هـوـ الـخـتـمـ كـاـفـ . (الـلـاسـانـ) مـاـدـةـ « دـرـينـ » .

ملازموها ومحترقون فيها غير خارجين منها ، « كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بِذَنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا » و « كُلَّمَا خَبَثَ زِدَنَاهُمْ سَعِيرًا » . ويقال : الجحيم الباب الرابع من النار . (ثم يقال) لهم أى تقول لهم خزنة جهنم (هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ يَهْتَكَذِبُونَ) رسل الله في الدنيا .

قوله تعالى : كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عَلَيْنَ (١٨٣) وَمَا أَدْرَاكَ مَا عَلَيْهِنَّ (١٨٤) كِتَابٌ مَرْقُومٌ (١٨٥) يَشَهِدُهُ الْمُقْرَبُونَ (١٨٦)

قوله تعالى : (كَلَّا إِنَّ كِتابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عَلَيْنَ) « كَلَّا » بمعنى حقيقة والوقف على « تُكَذِّبُونَ » . وقيل : أى ليس الأمر كما يقولون ولا كما ظنوا بل كتابهم في سجين وكتاب المؤمنين في عليين . وقال مقاتل : كلاً أى لا يؤمنون بالعذاب الذي يصلونه . ثم آستأنف فقال : « إِنَّ كِتابَ الْأَبْرَارِ » مرفوع في عليين على قدر مرتبهم . قال ابن عباس : أى في الجنة . وعنده أيضاً قال : أعمالهم في كتاب الله في السماء . وقال الضحاك ومجاده وفتادة : يعني السماء السابعة فيها أرواح المؤمنين . وروى ابن الأجل عن الضحاك قال : هي سُدْرَة المنهى ينتهي إليها كل شيء من أمر الله لا يعودوها ، فيقولون : رب ! عبدك فلان ؟ وهو أعلم به منهم ، فإذا فيه كتاب من الله عن وجل مخنوم بأمانه من العذاب . فذلك قوله تعالى : « كَلَّا إِنَّ كِتابَ الْأَبْرَارِ » . وعن كعب الأحبار قال : إن روح المؤمن إذا قبضت صعد بها إلى السماء ، وفتحت لها أبواب السماء ، وتلقتها الملائكة بالبشرى ، ثم يخرجون معها حتى ينتها إلى العرش ، فيخرج لهم من تحت العرش رُقْ فِي رُقْ وَيُخْتَمُ فيه النجاة من الحساب يوم القيمة ويشهده المقربون . وقال قنادة أيضاً : « فِي عَلَيْنَ » هي فوق السماء السابعة عند قائمة العرش التي هي . وقال البراء بن عازب قال النبي صلى الله عليه وسلم : « عَلَيْوْنَ فِي السَّمَاءِ السَّابِعَةِ تَحْتَ الْعَرْشِ » . وعن ابن عباس أيضاً : هو لوح من زبرجد خضراء معلق بالعرش أعمالهم مكتوبة فيه . وقال الفراء : عَلَيْوْنَ آرْتَفَاعَ بَعْدَ آرْتَفَاعٍ . وقيل : عَلَيْوْنَ أَعْلَى الْأَمْكَنَةِ . وقيل : معناه علو في علو مضاعف كأنه لا غاية له ، ولذلك جمع بالواو والتون .

وهو معنى قول الطبرى . قال الفراء : هو آسم موضوع على صفة الجمع ولا واحد له من لفظه ؛ كقولك : عشرون وثلاثون والعرب إذا جمعت جمعاً ولم يكن له بناء من واحده ولا تثنية قالوا في المذكر والمؤنث بالنون . وهو معنى قول الطبرى . وقال الزجاج : إعراب هذا الآسم كإعراب الجمع كما تقول هذه فئسرون ورأيت قنسرین . وقال يونس النحوى : واحدها علىٰ وعليةٰ . وقال أبو الفتح : علیين جمع علىٰ وهو فعل من العلو . وكان سبileه أن يقول عليه كا قالوا للغرفة عليه ؛ لأنهما من العلو ، فلما حذفت التاء من عليه عوضوا منها الجمع بالواو والنون كا قالوا في أرضين . وقيل : إن علیين صفة للملائكة فإنهم الملا الأعلى ؛ كما يقال : فلان في بني فلان ؛ أى هو في جلتهم وعند them . والذى في الخبر من حديث ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "إن أهل علیين لينظرون إلى الجنة من كذا فإذا أشرف رجل من أهل علیين أشرقت الجنة لضياء وجهه فيقولون ما هذا النور فيقال أشرف رجل من أهل علیين أهل الطاعة والصدق" . وفي خبر آخر : "إن أهل الجنة ليرون أهل علیين كا يرى الكوكب الدري في أفق السماء" يدل على أن علیين آسم الموضع المرتفع . وروى ناس عن ابن عباس في قوله «علیين» قال : أخبر أن أعمالهم وأرواحهم في السماء الرابعة . ثم قال : (وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلَّيُونَ) أى ما الذي أعلمك يا محمد أى شيء علیون على جهة التفخيم والتعظيم له في المنزلة الرفيعة . ثم فسره له فقال : (كَابُ مرقوم يشهد المقربون) . وقيل : إن «كَاب مرقوم» ليس تفسيراً علیين بل تم الكلام عند قوله «علیون» ثم أبتسداً وقال : «كَاب مرقوم» أى كتاب الأبرار كتاب مرقوم ؟ ولهذا عكس الرقم في كتاب الفجاري ؛ قاله القشيري . وروى : أن الملائكة تصعد بعمل العبد ، فإذا آتتها به إلى ما شاء الله من سلطانه أوحى إليهم : إنكم الحفظة على عبدى وأنا الرقيب على ما في قلبه ، وأنه أخلص لى عمله فأجعلوه في علیين فقد غفرت له ، وأنها تصعد بعمل العبد فيزكونه فإذا آتتها به إلى ما شاء الله أوحى إليهم : أنت الحفظة على عبدى وأنا الرقيب على ما في قلبه وأنه لم يخلص لى عمله ، فأجعلوه في سجين .

قوله تعالى : «يَسْهُدُ الْمُقْرَبُونَ» أى يشهد عمل الأبرار مقربو كلّ سماء من الملائكة .
وقال وهب و ابن إسحاق : المقربون هنا إسرافيل عليه السلام ، فإذا عمل المؤمن عمل البر
صعدت الملائكة بالصحيحة وله نور يتلاًّلأ في السموات كنور الشمس في الأرض حتى
يتمنى بها إلى إسرافيل فيختتم عليها ويكتب فهو قوله : «يَسْهُدُ الْمُقْرَبُونَ» أى يشهد كتابتهم .

قوله تعالى : إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ (٢٣) عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ (٢٤)
تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ (٢٥) يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَحْتُومٍ (٢٦)
خَتَمَهُ مِسْكٌ وَفِي ذَلِكَ فَلَيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ (٢٧) وَمِرَاجُهُ مِنْ
تَسْنِيمٍ (٢٨) عَيْنَاهَا يَشَبَّهُ بَهَا الْمُقْرَبُونَ (٢٩)

قوله تعالى : «إِنَّ الْأَبْرَارَ» أى أهل الصدق والطاعة . (لفي نعيم) أى نعمة والنعمـة
بالفتح النـعيم ؛ يقال : نـعـمـه الله ونـاعـمه فـنـعـمـ وـأـمـرـأـةـ منـعـمـةـ وـمـاـعـمـةـ بـعـمـيـ . أـىـ إنـ الـأـبـرـارـ
فيـ الـجـنـاتـ يـتـنـعـمـونـ . (على الـأـرـائـكـ) وـهـيـ الـأـسـرـةـ فـيـ الـجـمـاـلـ (يـنـظـرـوـنـ) أـىـ إـلـىـ ماـأـعـدـ
الـهـ لـهـمـ مـنـ الـكـرـامـاتـ ؛ قـالـهـ عـكـرـمـةـ وـأـبـنـ عـبـاسـ وـجـاهـدـ . وـقـالـ مـقـاتـلـ : يـنـظـرـوـنـ إـلـىـ أـهـلـ
الـنـارـ . وـعـنـ النـبـيـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ : «يـنـظـرـوـنـ إـلـىـ أـعـدـهـمـ فـيـ النـارـ» ذـكـرـهـ الـمـهـدوـيـ .
وـقـيلـ : عـلـىـ أـرـائـكـ أـفـضـالـهـ يـنـظـرـوـنـ إـلـىـ وـجـهـهـ وـجـلـالـهـ .

قوله تعالى : «تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ» أى بهجته وغضارته ونوره ؛ يقال :
أنـضـرـ الـبـنـاتـ إـذـاـ آـزـهـرـ وـنـورـ . وـقـراءـةـ الـعـامـةـ «تـعـرـفـ» بـفتحـ التـاءـ وـكـسرـ الرـاءـ «نـضـرـةـ»
نصـباـ ؛ أـىـ تـعـرـفـ يـاـ مـحـمـدـ . وـقـرـأـ أبوـ جـعـفرـ بـنـ القـعـقـاعـ وـيـعقوـبـ وـشـيـةـ وـأـبـنـ أـبـيـ إـسـحـاقـ .
«تـعـرـفـ» بـضمـ التـاءـ وـفتحـ الرـاءـ عـلـىـ الفـعـلـ الـجـهـولـ «نـضـرـةـ» رـفـعاـ . (يـسـقـوـنـ مـنـ رـحـيقـ)
أـىـ مـنـ شـرـابـ لـاغـشـ فـيـهـ . قـالـهـ الـأـخـفـشـ وـالـزـجاجـ . وـقـيلـ : الرـحـيقـ الـخـمـرـ الصـافـيـ .
وـفـيـ الـصـحـاحـ : الرـحـيقـ صـفـوـةـ الـخـمـرـ . وـالـمـعـنـىـ وـاـحـدـ . الـخـلـيلـ : أـفـصـىـ الـخـمـرـ وـأـجـودـهـاـ . وـقـالـ

مقـاتـلـ وـغـيرـهـ : هـيـ الـخـمـرـ الـعـقـيـدةـ الـبـيـضاءـ الـصـافـيـةـ مـنـ الغـشـ النـيـرةـ ؛ قـالـ حـسـانـ :

(١) كـداـ فـيـ الـأـصـولـ كـلـهاـ وـلـعـلـ الصـوابـ : أـصـفـيـ الـخـمـرـ .

سُقُونَ مِنْ وَرَدَ الْبَرِّصَ طَلِيْمُ * بَرَدِيْ يُصْبِقُ بِالرِّحِيقِ السَّلْسِلِ^(١)

وقال آخر :

أَمْ لَا سَبِيلَ إِلَى الشَّبَابِ وَذِكْرُهُ * أَنْهَى إِلَى مِنَ الرِّحِيقِ السَّلْسِلِ

(مختوم خاتمه مسك) قال مجاهد : يختم به آخر جرة . وقيل : المعنى إذا شربوا هذا الرحيق ففني ما في الكأس آخرتم ذلك بخاتم المسك . وكان ابن مسعود يقول : يجدون عاقبتها طعم المسك . ونحوه عن سعيد بن جبير وإبراهيم النخعي قالا : خاتمه آخر طعمه . وهو حسن ؛ لأن سبيل الأشربة أن يكون الكدر في آخرها ، فوصف شراب أهل الجنة بأن رائحة آخره رائحة المسك . وعن مسروق عن عبد الله قال : المختوم المزوج . وقيل : مختوم أى ختمت ومنعت عن أن يمسها ما شاء إلى أن يفك خاتمتها الأبرار . وقرأ على « وعقة وشقيق والضحاك وطاوس والكسائي » « خَاتَمٌ » بفتح الخاء والباء وألف بينهما . قال علقمة : أما رأيت المرأة تقول للعطار أجعل خاتمه مسـكـاً تريـدـ آخرـهـ . والخاتم والختام متقاربان في المعنى إلا أن الخاتم الأسم والختام المصدر ؛ قاله الفراء . وفي الصحاح : والختام الطين الذي يختم به . وكذا قال مجاهد وابن زيد : خـتمـ إنـاؤـهـ بـالـمـسـكـ بدلاً منـ الطـيـنـ . حـكـاهـ المهدوي . وقال الفرزدق :

* وَيَتَ أَفْضَلُ أَغْلَاقِ الْخِتَامِ *

وقال الأعشى :

* وَأَبْرَزَهَا وَعَلَيْهَا خَاتِمٌ *

أى عليها طينة مختومة ؛ مثل نَفِيسَ بمعنى مَنْفَوِيسَ وَقَبِيسَ بمعنى مَقْبُوِيسَ . وذكر ابن المبارك وآبن وهب واللفظ لآبن وهب عن عبد الله بن مسعود في قوله تعالى « خـاتـمـ مـسـكـ » خـلـطـهـ ليسـ بـخـاتـمـ يـخـتمـ ، أـلـاـ تـرـىـ إـلـىـ قـوـلـ المـرـأـةـ مـنـ نـسـائـكـ ؛ إـنـ خـلـطـهـ مـنـ الطـيـبـ كـذـاـ وـكـذـاـ

(١) تقدم شرح البيت بهامش ص ١٤١ من هذا الجزء . (٢) هو أبو كير المذلي .

(٣) صدر البيت : * فيتن جنابي مصرعات *

(٤) صدره : * وصبهاء طاف يهوديها *

إِنَّمَا خَلَطَهُ مَسْكٌ ؛ قَالَ : شَرَابٌ أَبْيَضٌ مِثْلُ الْفَضْلَةِ يَخْتَمُونَ بِهِ آخِرَ أَشْرَبَتْهُمْ ، لَوْ أَنْ رَجُلًا
مِنْ أَهْلِ الدِّينِ أَدْخَلَ فِيهِ يَدَهُ ثُمَّ أَخْرَجَهَا لَمْ يَبْقَ ذُو رُوحٍ إِلَّا وَجَدَ رِيحَ طَيْبَهَا . وَرَوْيَ
أَبْيَنْ كَعْبَ قَالَ : قَيْلٌ يَارَسُولُ اللَّهِ مَا الرَّحِيقُ الْمَخْتُومُ ؟ قَالَ : "غُدْرَانُ الْحَمْرَ" . وَقَيْلٌ :
مَخْتُومٌ فِي الْآئِنَيَةِ وَهُوَ غَيْرُ الَّذِي يَجْرِي فِي الْأَنْهَارِ . فَأَنْتَ أَعْلَمُ . (وَفِي ذَلِكَ) أَىٰ وَفِي الَّذِي
وَصَفَنَا هُنَّا مِنْ أَمْرِ الْجَنَّةِ (فَلَيَتَنَافَسُوا فِي الْمُتَنَافِسُونَ) أَىٰ فَلِيَرْغَبُ الرَّاغِبُونَ ؛ يَقَالُ : نَفَسْتُ
عَلَيْهِ الشَّيْءَ ، أَنْفَسْهُ نَفَاسَةً أَىٰ ضَيَّنْتُ بِهِ وَلَمْ أُحِبْ أَنْ يَصِيرَ إِلَيْهِ . وَقَيْلٌ : الْفَاءُ بِعَنْيِ الْأَىٰ أَىٰ
وَإِلَى ذَلِكَ فَلَيَبَادِرَ الْمُتَبَادِرُونَ فِي الْعَمَلِ ؛ نَظِيرَهُ : لِمَمْتَلِّهِ هَذَا فَلَيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ . (وَمِنْ زَاجَهُ)
أَىٰ وَمِنْ زَاجَ ذَلِكَ الرَّحِيقِ (مِنْ تَسْنِيمٍ) وَهُوَ شَرَابٌ يَنْصَبُ عَلَيْهِمْ مِنْ عَلُوٍّ وَهُوَ أَشْرَفُ شَرَابٍ
فِي الْجَنَّةِ . وَأَصْلُ التَّسْنِيمِ فِي الْلُّغَةِ الْأَكْرَفَاعِ ، فَهُنَّ عَيْنَ مَاءٍ تَجْرِي مِنْ عَلُوٍّ إِلَى أَسْفَلٍ ؛ وَمِنْهُ
سَنَامُ الْبَعِيرِ لَعْلَهُ مِنْ بَدْنِهِ ، وَكَذَلِكَ تَسْنِيمُ الْقَبُورِ . وَرَوْيَ عنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ : تَسْنِيمُ عَيْنَ
فِي الْجَنَّةِ يَشْرَبُ بِهَا الْمُقْرَبُونَ صَرْفًا ، وَيُمْزَجُ مِنْهَا كَأسُ أَحْصَابِ الْيَمِينِ فَتُطَبَّبُ . وَقَالَ أَبْنُ عَبَاسٍ
فِي قَوْلِهِ عَنْ وَجْلٍ : «وَمِنْ زَاجَهُ مِنْ تَسْنِيمٍ» قَالَ : هَذَا مَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى «فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ
مَا أَخْفَى لَهُمْ مِنْ قُرْبَةٍ أَعْيُنٍ» . وَقَيْلٌ : التَّسْنِيمُ عَيْنٌ تَجْرِي فِي الْهَوَاءِ بِقَدْرَةِ اللَّهِ تَعَالَى فَتُنَصَّبُ
فِي أَوْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ عَلَى قَدْرِ مَلْهَا ، فَإِذَا آتَيْلَاتٍ أَمْسَكَ الْمَاءَ فَلَا تَقْعُدُ مِنْهُ قَطْرَةٌ عَلَى الْأَرْضِ
وَلَا يَحْتَاجُونَ إِلَى الْأَسْقَاءِ ؛ قَالَهُ قَاتِدَةُ . أَبْنُ زِيدٍ : بَلَغْنَا أَنَّهَا عَيْنٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِ الْعَرْشِ .
وَكَذَا فِي مَرَاسِيلِ الْحَسَنِ . وَقَدْ ذُكِرَنَا فِي سُورَةِ «الْإِنْسَانِ» . (عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا
الْمُقْرَبُونَ) أَىٰ يَشْرَبُ مِنْهَا أَهْلُ جَنَّةِ عَدِينَ وَهُمْ أَفَاضُلُ أَهْلِ الْجَنَّةِ صَرْفًا ، وَهُنَّ لَغِيرِهِمْ
مِزَاجٌ . وَ«عَيْنًا» نَصَبٌ عَلَى الْمَدْحِ . وَقَالَ الزَّجاجُ : نَصَبٌ عَلَى الْحَالِ مِنْ تَسْنِيمٍ ، وَتَسْنِيمٍ
مَعْرِفَةٌ لِيُسَرِّعَ لَهُ آشْتِقَاقُهُ ، وَإِنْ جَعَلَهُ مَصْدِرًا مُشْتَقًا مِنْ السَّنَامِ فَ«عَيْنًا» نَصَبٌ ؛ لَأَنَّهُ
مَفْعُولٌ بِهِ ؛ كَقَوْلِهِ تَعَالَى : «أَوْ إِطْعَامُ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْعَبَةٍ . يَتَيَّمًا» وَهَذَا قَوْلُ الْفَرَاءِ إِنَّهُ
مَنْصُوبٌ بِتَسْنِيمٍ . وَعِنْدَ الْأَخْفَشِ بِ«يُسْقَوَنَ» أَىٰ يَسْقُونَ عَيْنًا أَوْ مِنْ عَيْنٍ . وَعِنْدَ الْمَبْرَدِ
بِإِضْمَارِ أَعْنَى عَلَى الْمَدْحِ .

(١) راجع ص ١٢٥ مِنْ هَذَا الْجَزْءِ فَإِذَا بَعْدَهَا .

قوله تعالى : إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ لَا امْنَوْا يَضْحَكُونَ (٢٩)
 وَإِذَا مَرَّوا بِهِمْ يَتَغَامِزُونَ (٣٠) وَإِذَا أَنْقَلَبُوا إِلَيْهِمْ أَنْقَلَبُوا
 فَكِهِينَ (٣١) وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُّونَ (٣٢) وَمَا أَرْسَلُوا
 عَلَيْهِمْ حَفِظِينَ (٣٣) فَالْيَوْمَ أَلَّذِينَ لَا امْنَوْا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ (٣٤)
 عَلَى الْأَرَأِيكِ يَنْظُرُونَ (٣٥) هَلْ ثُوبَ الْكُفَّارِ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ (٣٦)

قوله تعالى : (إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا) وصف أرواح الكفار في الدنيا مع المؤمنين باستهزائهم بهم والمراد رؤساء قريش من أهل الشرك . روى ناس عن ابن عباس قال : هو الوليد بن المغيرة وعقبة بن أبي معيط والعاص بن وائل والأسود بن عبد يغوث والعاص ابن هشام وأبو جهل والنضر بن الحمرث وأولئك (كَانُوا مِنَ الَّذِينَ لَا امْنَوْا) من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم مثل عمار وخياب وصهيب وبلال (يَضْحَكُونَ) على وجه السخرية (وَإِذَا مَرَّوا بِهِمْ) عند إتيانهم رسول الله صلى الله عليه وسلم (يَتَغَامِزُونَ) يغمز بعضهم بعضاً ويشيرون بأعينهم . وقيل : أى يعيرونهم بالإسلام ويعيرونهم به ؛ يقال : غمزت الشيء بيدي ؟ قال :

وَكُنْتُ إِذَا غَمَزْتُ قَنَةَ قَوْمٍ * كَسَرْتُ كُعُوبَهَا أَوْ تَسْتَقِيمَا

وقالت عائشة : كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا سجد غمزى فقبضت رجل . الحديث ؛ وقد مضى في « النساء » . وغمزته بعيني . وقيل : الغمز بمعنى العيب يقال غمزه أى عابه ، وما في فلان غمرة أى عيب . وقال مقاتل : نزلت في علي بن أبي طالب جاء في نفر من المسلمين إلى النبي صلى الله عليه وسلم فلمزهم المتفاقون وضحكوا عليهم وتغامزوا . (وَإِذَا أَنْقَلَبُوا) أى آنصرفوا إلى أهلهم وأصحابهم وذويهم (آنْقَلَبُوا فَكِهِينَ) أى معجبين منهم . وقيل : معجبون بما هم عليه من الكفر متذمرون بذكر المؤمنين . وقرأ ابن القعقاع ومحسن والأعرج والسلمي : « فَكِهِينَ » بغير ألف . الباقيون بـألف . قال الفراء : هما لغتان مثل

(١) رابع ج ٥ ص ٢٢٦ فما بعدها .

طَمْعٌ وَطَامِعٌ وَحَذَرٌ وَحَاذِرٌ وقد تقدم في سورة «الدخان» والحمد لله . وقيل : الفكير الأشر
 البطر والفاكه الناعم المتنعم . (وَإِذَا رَأَوْهُمْ) أي إذا رأى هؤلاء الكفار أصحاب مهد صلى
 الله عليه وسلم (قَالُوا إِنَّ هُؤُلَاءِ لَضَالُونَ) في آتباعهم مهدا صلي الله عليه وسلم (وَمَا أَرْسَلْنَا
 عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ) لأنهم موكلين بأحوالهم ربماء عليهم (فَالْيَوْمَ) يعني هذا اليوم الذي هو
 يوم القيمة (الَّذِينَ آمَنُوا) بمحمد صلى الله عليه وسلم (مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ) كما ضحك
 الكفار منهم في الدنيا . نظيره في آخر سورة «المؤمنين» وقد تقدم . وذكر ابن المبارك :
 أخبرنا محمد بن بشار عن قتادة في قوله تعالى «فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ»
 قال : ذكر لنا أن كعبا كان يقول إن بين الجنة والنار كُوى ، فإذا أراد المؤمن أن ينظر
 إلى عدو كان له في الدنيا أطلع من بعض الكُوى ؛ قال الله تعالى في آية أخرى : «فَأَطْلَعَ
 فَرَأَهُ فِي سَوَاءِ الْجَهَنَّمِ» قال : ذكر لنا أنه أطلع فرأى جاجم القوم تغل . وذكر ابن المبارك
 أيضا : أخبرنا الكلبي عن أبي صالح في قوله تعالى «اللَّهُ يَسْتَهِنُ بِهِمْ» قال : يقال لأهل
 النار وهم في النار آخرجو ففتح لهم أبواب النار ، فإذا رأوها قد فتحت أقبلوا إليها يريدون
 الخروج والمؤمنون ينظرون إليهم على الأراءك ، فإذا آتتهموا إلى أبوابها غلقت دونهم ؛ فذلك
 قوله : «اللَّهُ يَسْتَهِنُ بِهِمْ» ويضحك منهم المؤمنون حين غلقت دونهم فذلك قوله تعالى :
 «فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ» . (عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظَرُونَ . هَلْ ثُوبَ الْكُفَّارِ
 مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ) وقد مضى هذا في أول سورة «البقرة» . ومعنى «هَلْ ثُوبَ» أي هل
 جوزى بسخريتهم في الدنيا بالمؤمنين إذا فعل بهم ذلك . وقيل : إنه متعلق بـ «يَنْظَرُونَ»
 أي ينظرون هل جوزى الكفار فيكون معنى هل [التقرير] وموضعها نصبا بـ «يَنْظَرُونَ» .
 وقيل : آستئناف لا موضع له من الإعراب . وقيل : هو إضمار على القول ، والمعنى ؛ يقول
 بعض المؤمنين لبعض «هَلْ ثُوبَ الْكُفَّارِ» أي أثيب وجوزى . وهو من ثاب يثوب
 أي رجع ؛ فالثواب ما يرجع على العبد في مقابلة عمله ويستعمل في الخير والشر . ختمت
 السورة والله أعلم .

(١) راجع ج ١٦ ص ١٣٩ . (٢) راجع ج ١٢ ص ١٥٥ . (٣) راجع ج ١ ص ٢٠٨ .

سورة الانشقاق

مكية في قول الجميع وهي خمس وعشرون آية

قوله تعالى : إِذَا السَّمَاءُ آشَقَتْ لِرِبَّهَا وَحَقَّتْ
وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَثَّ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَنَحَّلَتْ لِرِبَّهَا
وَحَقَّتْ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قوله تعالى : (إِذَا السَّمَاءُ آشَقَتْ) أى آنسدت ونفطرت بالغام والغام مثل السحاب الأبيض . وكذا روى أبو صالح عن أبي عباس . وروى عن علي عليه السلام قال : تنسق من المجرة . وقال : المجرة باب السماء . وهذا من أشرطة الساعة وعلاماتها . (وَأَذَنَتْ لِرِبَّهَا وَحَقَّتْ) أى سمعت وحق لها أن تسمع . روى معناه عن أبي عباس ومجاهد وغيرهما ؛ ومنه قوله صلى الله عليه وسلم : " ما أذن الله لشيء كإذنه لنبي يتغنى بالقرآن " أى ما آسمع الله لشيء ؟ قال الشاعر :

صُمْ إِذَا سَمِعُوا خَيْرًا ذَكَرْتُ يِهِ * وَإِنْ ذِكْرُتُ يُسُوءِ عَنْهُمْ أَذْنُوا

أى سمعوا . وقال قعنبر بن أم صاحب :

إِنْ يَأْذُنُوا رِبَّهَا طَارُوا بِهَا فَرَحًا * وَمَا هُمْ أَذِنُوا مِنْ صَالِحٍ دَفَّوْا

وقيل : المعنى وحقق الله عليها الاستئذان لأمره بالانشقاق . وقال الضحاك : حقت أطاعت وحق لها أن تطيع ربها لأنها خلقها ؛ يقال : فلان محقق بكتنا . وطاعة السماء بمعنى أنها لا تمنع مما أراد الله بها . ولا يبعد خلق الحياة فيما حتى تطيع وتحبيب . وقال قنادة : حق لها أن تفعل ذلك ؛ ومنه قول كثير :

فَإِنْ تَكُنْ أَعْتَبَيْ فَآهَلًا وَمَرْجَبًا * وَحَقَّتْ لَهَا أَعْتَبَيْ لَدَنِيَا وَقَلَّتْ

قوله تعالى : «**وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَثٌ**» أى بسطت ودك جبالها . قال النبي صلى الله عليه وسلم : «**تَمَدَّدَ مَدَ الأَدْيَمِ**» لأن الأديم إذا مذال كل آثاره فيه وأمتد وأسوى . وقال ابن عباس وابن مسعود : ويزاد في سعتها كذا وكذا ، لوقوف الخلاق عليها للحساب حتى لا يكون لأحد من البشر إلا موضع قدمه لكثره الخلاق فيها . وقد مضى في سورة (ابراهيم) أن الأرض تبدل بارض أخرى وهي الساهرة في قول ابن عباس على ما تقدم عنه . «**وَالْقَفْتُ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ**» أى أخرجت أمواتها وتخلى عنهم . وقال ابن جبير : ألقى ما في بطنه من الموتى وتخلى من على ظهرها من الأحياء . وقيل : ألقى ما في بطنه من كنوزها ومعادنها وتخلى منها . أى خلا جوفها فليس في بطنه شيء ، وذلك يؤذن بعظم الأمر كما نلقى الحامل ما في بطنه عند الشدة . وقيل : تخلى مما على ظهرها من جبالها وبخارها . وقيل : ألقى ما استودعه وتخلى مما استحفظه ، لأن الله تعالى استودعها عباده أحياء وأمواتا ، واستحفظها بلاده من اربعة وأقواتا . «**وَأَذِنْتِ لِرَبِّهَا**» أى في إلقاء موتها (وحققت) أى وحّق لها أن تسمع أمره . وأختلف في جواب «إذا» فقال الفراء : «أذنت» «والواو زائدة ، وكذلك «وألقت» . ابن الأنباري : قال بعض المفسرين جواب «إذا» السباء آنسقت «أذنت» وزعم أن الواو مقحمة وهذا غلط ، لأن العرب لا تفتح الواو الماء «حتى - إذا» كقوله تعالى : «**حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتَحَتْ أَبْوَابُهَا**» ومع «لما» كقوله تعالى : «**فَلَمَّا آسَلَمَّا وَتَلَهُ لِلْجَيْنِ . وَنَادَيْنَاهُ**» معناه «ناديناه» والواو لا تفتح مع غير هذين . وقيل : الجواب فاء مضمورة كأنه قال : «إذا السباء آنسقت» في أيها الإنسان إنك كاذب . وقيل : جوابها مادل عليه «فَمَلَاقِيهِ» أى إذا السباء آنسقت لاق الإنسان كدمه . وقيل : فيه تقديم وتأخير ، أى «**يَأْتِهَا إِلَيْهَا إِنْكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدَحًا فَلَاقِيهِ**» «إذا السباء آنسقت» قاله المبرد . وعنده أيضا : الجواب «**فَامَّا مَنْ أُوْتَ كَابَهُ يَمِينَهُ**» وهو قول الكسائي ؛ أى إذا السباء آنسقت فمن أُوتَ كابه يمينه فشكه كذا . قال أبو جعفر النحاس : وهذا أصح

٣٨٣ ص ٩ ج دارج (١)

ما قيل فيه وأحسنه . وقيل : هو يعني آذك «إِذَا السَّمَاءُ آشَقَتْ» . وقيل : الجواب محدود لعلم المخاطبين به ؛ أى إذا كانت هذه الأشياء علم المكذوب بالبعث ضلالهم وخسارتهم . وقيل : تقدم منهم سؤال عن وقت القيامة ، فقيل لهم : إذا ظهرت أشراطها كانت القيامة فرأيتم عاقبة تكذيبكم بها . والقرآن كالآية الواحدة في دلالة البعض على البعض . وعن الحسن : إن قوله «إِذَا السَّمَاءُ آشَقَتْ» قسم . والجمهور على خلاف قوله من أنه خبر وليس بقسم .

قوله تعالى : يَأَيُّهَا أَيُّهَا إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَذَحًا فَلْتَقِيهِ فَإِنَّمَا مَنْ أُوتَى كِتَابَهُ يَعْمَلُ بِهِ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا وَيَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا

قوله تعالى : (يَأَيُّهَا إِنْسَانٌ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَذَحًا) المراد بالإنسان الجنس أى يابن آدم . وكذا روى سعيد عن قنادة : يابن آدم إن كدحك لضعف فلن تستطاع أن يكون كدحه في طاعة الله فيفعل ولا قوة إلا بالله . وقيل : هو معين ؛ فالمقابل : يعني الأسود بن عبد الأسد . ويقال : يعني أبي بن خلف . ويقال : يعني جميع الكفار ؛ يعني يأيها الكافر إنك كادح . والكدح في كلام العرب العمل والكسب ؛ قال ابن مقبل :

وَمَا الدَّهْرُ إِلَّا تَارِقَاتٍ فِيهَا * أَمُوتُ وَأُخْرِيُّ أَبْغِيُّ الْعِيشَ أَكْدَحُ

وقال آخر :

وَمَضَتْ بَشَاشَةُ كُلِّ عَيْشٍ صَالِحٍ * وَبَقِيتُ أَكْدَحُ لِحَيَاةٍ وَأَنْصَبُ

أى عمل . وروى الضحاك عن ابن عباس : «إِنَّكَ كَادِحٌ» أى راجع «إِلَى رَبِّكَ كَذَحًا» أى رجعوا لامحالة «فَلْلَاقِيهِ» أى ملاقِي ربِّك . وقيل : ملاقِي عملك . القتبى : «إِنَّكَ كَادِحٌ» أى عامل ناصب في معيشتك إلى لقاء ربِّك . والملائكة يعني اللقاء أى تلقِي ربِّك بعملك . وقيل : أى تلاقِي كتاب عملك ، لأنَّ العمل قد أنقضى وهذا قال : «فَإِنَّمَا مَنْ أُوتَى كِتَابَهُ يَعْمَلُ بِهِ» .

قوله تعالى : «فَمَا مَنْ أُوْتِيَ كَابَهُ يَمِينَهُ» وهو المؤمن (فسوف يحاسب حسابة يسيراً) لا مناقشة فيه . كما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من حديث عائشة قالت قال رسول الله صلى عليه وسلم : «من حوسب يوم القيمة عذب» قالت : فقلت يا رسول الله أليس قد قال الله «فَمَا مَنْ أُوْتِيَ كَابَهُ يَمِينَهُ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حسَابًا يَسِيرًا» فقال : «ليس ذاك الحساب إنما ذلك العرض من نوتش الحساب يوم القيمة عذب» أخرجه البخاري ومسلم والترمذى . وقال حديث حسن صحيح . «وَيَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا» أزواجه في الجنة من الحور العين «مسروراً» أى مغبطة قرير العين . ويقال : إنها نزلت في أبي سلمة ابن عبد الأسد وهو أول من هاجر من مكة إلى المدينة . وقيل : إلى أهلة الذين كانوا له في الدنيا ليخبرهم بخلاصه وسلامته . والأول قول قتادة . أى إلى أهلة الذين قد أعدتهم الله له في الجنة .

قوله تعالى : وَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كَابَهُ وَرَآهُ ظَهَرِهِ فَسَوْفَ يَدْعُوا ثُبُورًا (يُبَشِّرُهُ) وَيَصْلَى سَعِيرًا (يُنَاهِيُهُ) إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا (يُبَشِّرُهُ) إِنَّهُ ظَنَّ أَنَّ لَنْ يَحُورَ (يُنَاهِيُهُ) بَلْ إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا (يُبَشِّرُهُ)

قوله تعالى : «وَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كَابَهُ وَرَآهُ ظَهَرِهِ» نزلت في الأسود بن عبد الأسد أخى أبي سلمة ، قاله ابن عباس . ثم هي عامة في كل مؤمن وكافر . قال ابن عباس : يمد يده اليمنى ليأخذ كتابه فيجذبه ملك فيخلع يمينه ، فيأخذ كتابه بشماله من وراء ظهره . وقال قتادة ومقاتل : يفك ألواح صدره وعظامه ثم تدخل يده وتخرج من ظهره فيأخذ كتابه كذلك . (فسوف يدعوا ثبوراً) أى بالهلاك فيقول : يا ويلاه يا ثبوراه . (ويصلى سعيراً) أى ويدخل النار حتى يصلى بحرتها . وقرأ الحرميان وابن عامر والكسائي «ويصلى» بضم الياء وفتح الصاد وتسديد اللام ، كقوله تعالى : «ثُمَّ الْجَحَّمَ صَلَوُهُ» وقوله : «وَتَصَلِّيَ الْجَحَّمَ» . الباقون «ويصلى» بفتح الياء مخفقا فعل لازم غير متعدد لقوله : «إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ الْجَحَّمَ» وقوله : «يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَى» وقوله : «ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُ الْجَحَّمَ» . وقراءة ثلاثة رواها أبان

عن عاصم وخارجية عن نافع واسمعيل المكي عن ابن كثير «وَيُصلِّي» بضم الياء وإسكان الصاد وفتح اللام مخفقا ؛ كما قرئ «وَسِيُّصلُونَ» بضم الياء ، وكذلك في «الغاشية» قد قرئ أيضا : «تُصْلِي نَارًا» وهما لغتان صل وأصل ؛ كقوله : «نَزَلَ . وَأَنْزَلَ» . (إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ) أي في الدنيا (مسْرُورًا) قال ابن زيد : وصف الله أهل الجنة بالخفاقة والحزن والبكاء والشفقة في الدنيا فأعقبهم به النعيم والسرور في الآخرة ، وقرأ قول الله تعالى : «إِنَّا كَانَ قَبْلَ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ فَنَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ» قال : ووصف أهل النار بالسرور في الدنيا والضيق فيها والتفكك فقال : «إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا» . (إِنَّهُ ظَنَّ أَنَّ لَنْ يَحُورَ) أي ان يرجع حيا مبعوثا فيحاسب ثم يثاب أو يعاقب . يقال : حار يحسور إذا رجع ؛ قال لبيد :

وَمَا الْمَرْءُ إِلَّا كَالثَّمَابِ وَضَوْئِهِ * يَحُورُ رَمَادًا بَعْدَ إِذْ هُوَ سَاطِعُ

وقال عكرمة وداد بن أبي هند : يحور كلمة بالحسبية ومعناها يرجع . ويحوز أن تتفق الكلمتان فإنهما كامة آشتراق ؛ ومنه الخبر الحواري ؛ لأنَّه يرجع إلى البياض . وقال ابن عباس : ما كنت أدرى ما يحور حتى سمعت أعرابية تدعو بنية لها حُوري حوري أى أرجعني إلى ، فالحُوري في كلام العرب الرجوع ؛ ومنه قوله عليه السلام : "اللهم إني أعوذ بك من الحُوري بعد الكُور" يعني من الرجوع إلى النقصان بعد الزيادة . وكذلك الحُوري بالضم . وفي المثل «حُوري في محارة» أي نقصان في نقصان يضرب للرجل إذا كان أمره يُدبرُ ، قال الشاعر :

وَأَسْتَعْجِلُوا عَنْ خَفِيفِ الْمَضْيِ فَأَزْرَدُوا * وَالَّذِمْ يَبْقَى وَزَادُ الْقَوْمُ فِي حُورِ

والحُور أيضا الآسم من قوله : طَحِنَتِ الطَّاحِنَةُ فَمَا أَهَّرَتْ شَيْئًا ؛ أي ما ردَّت شيئاً من الدقيق . والحُور أيضا الهمزة ؛ قال الراجز :

* فِي بَئْرٍ لَا حُورٍ سَرَى وَلَا شَعَرَ *

(١) فاتله سبع بن الخطيم ؛ يريد الأكل يذهب والدم يبق .

(٢) هو العجاج .

قال أبو عبيدة : أى بِئْرُ حُورٍ ، و « لا » زائدة . وروى "بَعْدَ الْكَوْنَ" (١) ومعناه من آنتشار الأمر بعد تمامه . وسُلِّمَ مَعْمَرَ عن الحَوْرَ بَعْدَ الْكَوْنَ فقال : هو الْكُتُنَىٰ . فقال له عبد الرزاق : وما الْكُتُنَىٰ ؟ فقال : الرجل يكون صالحًا ثم يتحول رجل سوء . قال أبو عمرو : يقال للرجل إذا شاخ كُتُنَىٰ كأنه نسب إلى قوله : كنْتُ فِي شبابِي كذا . قال : فَأَصْبَحْتُ كُتُنَىٰ وَاصْبَحْتُ عَاجِنًا * وَشَرُّ خَصَالِ الْمَرْءِ كُنْتُ وَعَاجِنُ عَنِ الرَّجُلِ إِذَا نَهَضَ مَعْتمِدًا عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكِبْرِ . وقال ابن الأعرابي : الْكُتُنَىٰ هو الذي يقول كنْتُ شاباً وكنتُ شجاعاً، والكاني هو الذي يقول : كان لي مال وكنت أهبه، وكان لي خيل وكنت أركب .

قوله تعالى : ((بَلَى)) أى ليس الأمر كما ظن بل يحور إلينا ويرجع . ((إِنَّ رَبَّهُ كَانَ يَهِيَّ بَصِيرًا)) قبل أن يخلقه عالمًا بأن مرجعه إليه . وقيل : بل ليحورن وليرجعن . ثم آستأنف فقال : « إِنَّ رَبَّهُ كَانَ يَهِيَّ بَصِيرًا » من يوم خلقه إلى أن بعثه . وقيل : عالمًا بما سبق له من الشقاء والسعادة .

قوله تعالى : فَلَا أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ (١) وَاللَّيلِ وَمَا وَسَقَ (٢) وَالنَّمَرِ (٣)
إِذَا آتَسَقَ (٤) لَتَرَكُنَ طَبَقًا عَنْ طَبَقِ (٥) فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (٦)
وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْجُدُونَ (٧)

قوله تعالى : ((فَلَا أُقْسِمُ)) أى فإقسم و « لا » صلة . ((بِالشَّفَقِ)) أى بالحمرة التي تكون عند مغيب الشمس حتى تأتي صلاة العشاء الآخرة . قال أشمب وعبد الله بن الحكم ويحيى بن يحيى وغيرهم كثير عدهم عن مالك : الشَّفَقُ الحمرة التي في المغرب ، فإذا ذهبت الحمرة فقد خرجت من وقت المغرب ووجبت صلاة العشاء . وروى ابن وهب قال : أخبرني غير واحد عن علي بن أبي طالب ومعاذ بن جبل وعبادة بن الصامت وشداد بن أوس

(١) الكون هنا : مصدر كان التامة يقال : كان يكون كوناً أى وجد وأسفر . (النهاية) .

وأبى هريرة أن الشفق الحمراء ، وبه قال مالك بن أنس . وذكر غير ابن وهب من الصحابة عمر وآبن عمر وآبن مسعود وآبن عباس وأنساً وأبا قنادة وجاير بن عبد الله وآبن الزبير ، ومن التابعين مسعود بن جبير وآبن المسيب وطاوس وعبد الله بن دينار والزهرى ، وقال به من الفقهاء الأوزاعى ومالك والشافعى وأبو يوسف وأبو ثور وأبو عبيد وأحمد وإسحاق . وقيل : هو البياض ؛ روى ذلك عن آبن عباس وأبى هريرة أيضاً وعمر بن عبد العزى والأوزاعى وأبى حنيفة في إحدى الروايتين عنه . وروى أسد بن عمرو أنه رجع عنه . وروى عن آبن عمر أيضاً أنه البياض والاختيار الأول ؛ لأن أكثر الصحابة والتابعين والفقهاء عليه ؛ ولأن شواهد كلام العرب والاشتقاق والسنة تشهد له . قال الفراء : سمعت بعض العرب يقول لثوب عليه مصبوغ كأنه الشفق وكان أحمر فهذا شاهد للحمرة ؛ وقال الشاعر :

* وأَحْمَرُ اللَّوْنِ كَمُحْمَرِ الشَّفَقِ *

وقال آخر :

قُمْ يَا غَلَمُ أَعْنَى غَيْرَ مُرْتَبِكِ * عَلَى الزَّمَانِ يَكَاسِ حَشُوْهَا شَفَقُ

ويقال للغرفة الشفق . وفي الصلاح : الشفق بقية ضوء الشمس ومحترتها في أول الليل إلى قريب من العتمة . قال الخليل : الشفق الحمراء من غروب الشمس إلى وقت العشاء الآخرة إذا ذهب قيل غاب الشفق . ثم قيل : أصل الكلمة من رقة الشيء ؛ يقال : شيء شفق أى لا تمسك له لرقته . وأشفق عليه أى رق قلبه عليه ، والشفقة الأسم من الإشراق وهو رقة القلب وكذلك الشفق ؛ قال الشاعر :

تَهَوَّى حَيَاتِي وَاهَوَى مَوْتَهَا شَفَقًا * وَالْمَوْتُ أَكْرَمُ نَزَالٍ عَلَى الْحُرْمَ

فالشفق بقية ضوء الشمس ومحترتها فكان تلك الزفة من ضوء الشمس . وزعم الحكماء أن البياض لا يغيب أصلاً . وقال الخليل : صعدت منارة الإسكندرية فرمقت البياض فرأيته يتربّد من أفق إلى أفق ولم أره يغيب . وقال آبن أبي أويس : رأيته ينحدر إلى طلوع الفجر .

(١) هو إسحاق بن خلف . وقيل هو لأبن المعل . السان .

قال علماً ونـا : فـلما لم يـتـحدـد وقتـ سـقطـ آـعـتـارـهـ . وـفـيـ سـنـ أـبـيـ دـاـودـ عنـ النـعـانـ بـشـيرـ قـالـ :
أـنـ أـعـلـمـ بـوقـتـ صـلـاةـ العـشـاءـ الـآـخـرـةـ ؛ كـانـ النـبـيـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ يـصـاـبـهـ اـسـقـوـطـ الـقـمـرـ
ثـالـاثـةـ . وـهـذـاـ تـحـدـيدـ ثـمـ الـحـكـمـ مـعـلـقـ بـأـوـلـ الـأـسـمـ . لـاـ يـقـالـ : فـيـنـقـضـ عـلـيـكـ بـالـفـجـرـ الـأـوـلـ
فـيـنـقـولـ الـفـجـرـ الـأـوـلـ لـاـ يـتـعـلـقـ بـهـ حـكـمـ مـنـ صـلـاةـ وـلـاـ إـمـسـاكـ ؛ لـأـنـ النـبـيـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ
بـيـنـ الـفـجـرـ بـقـوـلـهـ وـفـعـلـهـ فـقـالـ : « وـلـيـسـ الـفـجـرـ أـنـ تـقـولـ هـكـذـاـ — فـرـفعـ يـدـهـ إـلـىـ فـوـقـ —
وـلـكـنـ الـفـجـرـ أـنـ تـقـولـ هـكـذـاـ وـبـسـطـهـ » (١) وـقـدـ مـضـىـ بـيـانـهـ فـيـ آـيـةـ الصـيـامـ مـنـ سـوـرـةـ « الـبـقـرـةـ »
فـلـاـ مـعـنـيـ لـلـإـعـادـةـ . وـقـالـ مـجـاهـدـ : الشـفـقـ النـهـارـ كـلـهـ أـلـاتـرـاهـ قـالـ « وـالـلـيـلـ وـمـاـ وـسـقـ » . وـقـالـ
عـرـكـمـةـ : مـاـ بـقـ منـ النـهـارـ . وـالـشـفـقـ أـيـضاـ الرـدـىـ مـنـ الـأـشـيـاءـ ؛ يـقـالـ : عـطـاءـ مـشـفـقـ أـىـ مـقـلـ ؟
قـالـ الـكـبـيـرـ :

مـلـكـ أـغـرـ مـنـ الـمـلـوـكـ تـحـلـبـتـ * لـلـسـائـلـينـ يـسـدـأـهـ غـيـرـ مـشـفـقـ

قوله تعالى : « وـالـلـيـلـ وـمـاـ وـسـقـ » أـىـ جـمـعـ وـضـمـ وـلـفـ وـأـصـلـهـ مـنـ سـوـرـةـ السـلـطـانـ
وـغـضـبـهـ ؛ فـلـوـلـاـ أـنـهـ خـرـجـ إـلـىـ الـعـبـادـ مـنـ بـابـ الرـحـمـةـ مـاـ تـمـالـكـ الـعـبـادـ لـجـيـشـهـ ، وـلـكـنـ خـرـجـ مـنـ
بـابـ الرـحـمـةـ فـزـحـ بـهـ فـسـكـنـ الـخـلـقـ إـلـيـهـ ثـمـ آـنـذـعـرـوـاـ وـأـنـقـفـوـاـ وـأـنـقـبـضـوـاـ وـرـجـعـ كـلـ إـلـىـ مـأـوـاهـ
فـسـكـنـ فـيـهـ مـنـ هـوـلـهـ وـحـشـاـ ، وـهـوـ قـوـلـهـ تـعـالـىـ : « وـمـنـ رـحـمـتـهـ جـعـلـ لـكـمـ الـلـيـلـ وـالـنـهـارـ لـتـسـكـنـوـاـ
فـيـهـ » أـىـ بـالـلـيـلـ « وـلـيـتـبـتـغـوـاـ مـنـ فـضـلـهـ » أـىـ بـالـنـهـارـ عـلـىـ مـاـ تـقـدـمـ . فـالـلـيـلـ يـجـمـعـ وـيـضـمـ مـاـ كـانـ
مـنـشـرـاـ بـالـنـهـارـ فـيـ تـصـرـفـهـ . هـذـاـ مـعـنـيـ قـوـلـ آـبـ عـبـاسـ وـمـجـاهـدـ وـمـقـاتـلـ وـغـيـرـهـ ؛ قـالـ ضـابـئـ
آـبـ الـحـرـثـ الـبـرـجـيـ :

فـلـآنـ وـلـيـأـكـمـ وـشـوـقـاـ إـلـيـكـ * كـفـاـيـضـ مـاءـ لـمـ تـسـقـهـ أـنـاـمـهـ

يـقـولـ : لـيـسـ فـيـ يـدـيـ مـنـ ذـلـكـ شـيـءـ كـمـ أـنـهـ لـيـسـ فـيـ يـدـ القـابـضـ عـلـىـ المـاءـ شـيـءـ ؛ فـإـذـاـ جـلـلـ
الـلـيـلـ الـجـبـالـ وـالـأـشـجـارـ وـالـبـحـارـ وـالـأـرـضـ فـاجـمـعـتـ لـهـ فـقـدـ وـسـقـهـاـ . وـالـوـسـقـ ضـمـكـ الشـيـءـ

(١) راجـعـ جـ ٢ـ صـ ٣١٨ـ فـاـ بـعـدـهـ .

بعضه إلى بعض ، تقول : وَسَقْتُهُ أَسْقُهُ وَسَقَا . ومنه قيل : للطعام الكثير المجتمع وَسَقْ وَهُوَ
ستون صاعا . وطعام موسوق أى مجموع ، وإِبْلٌ مستوسة أى مجتمعة ؛ قال الراجز :

إِنْ لَنَا فَلَائِصًا حَقَائِقًا * مُسْتَوَسَقَاتٍ لَوْ تَحِدَّنَ سَائِقًا

وقال عكرمة : « وَمَا وَسَقَ » أى وما ساق من شيء إلى حيث يأوى ؛ فالوَسَقُ بمعنى
الطرد ؛ ومنه قيل للطريدة من الإبل والغنم والحر وسيقة ؛ قال الشاعر :

* كَافَ آنَارَ الْوَسِيقَةِ فَأَيْفُ

وعن أبي عباس : « وَمَا وَسَقَ » أى وما جَنَّ وسْتَرَ . وعن أبي أيضا : وما حمل وكل شيء
حملته فقد وَسَقْته ؛ والعرب تقول : لا أفعله ما وَسَقَتْ عيني الماء ؛ أى حملته . وَسَقَتْ
الناقة تِسْقُ وَسَقَا أى حلت وأغلقت رَجْمَها على الماء ، فهـى ناقة واسقة ونوق وساق مثل
نائم ونـيام وصاحب وصحابـ ؛ قال بشر بن أبي خازم :

الظَّيْنُ يَمْدُو هُنْ حَتِّيَ * تَبَيَّنَتِ الْحِيَالُ مِنَ الْوَسَاقِ

ومواسيق أيضا . وأوسقت البعير حمله وأوسقت النخلة كثـر حـملـها . وقال يـمان
والضـحاـك ومقـاتـلـ بنـ سـليمـانـ : حـملـ منـ الـظـلـمةـ . قالـ مقـاتـلـ : أـوـ حـملـ منـ الـكـواـكـبـ . القـشـيرـىـ
وـمعـنىـ حـملـ ضـمـ وـجـمـ وـالـلـيـلـ يـجـلـ بـظـلـمـتـهـ كـلـ شـيـءـ فـإـذـاـ جـلـلـهـ فـقـدـ وـسـقـهـ . وـيـكـونـ هـذـاـ
الـقـسـمـ قـسـماـ بـجـمـعـ الـخـلـوقـاتـ ؛ لـأـشـقـالـ اللـيـلـ عـلـيـهـ ؛ كـفـولـهـ تـعـالـىـ : « فـلـأـقـيـمـ عـيـاـ تـبـصـرـونـ
وـمـالـأـتـيـصـرـونـ » . وقالـ آبـنـ جـبـيرـ : « وَمَا وَسَقَ » أـىـ وـمـاـ عـمـلـ فـيـ يـعـنـيـ التـهـجدـ وـالـأـسـغـفارـ
بـالـأـسـحـارـ ؛ قالـ الشـاعـرـ :

وَيَوْمًا تَرَانَا صَالِحِينَ وَتَارَةً * تَقُومُ بِنَا كَالْوَاسِقِ الْمُتَلَبِّ

أـىـ كـالـعـامـلـ .

(١) هو العجاج كـافـ السـانـ مـادـةـ « وـسـقـ » .

(٢) قـائلـ الـأـسـودـ بـنـ يـعـفـرـ ، وـصـدرـهـ : * كـذـبـ عـلـيـكـ لـأـزـالـ تـقـوفـنـ *

قوله تعالى : **(وَالْقَمَرَ إِذَا آتَسَقَ)** أى تم وأجتمع وأستوى . قال الحسن : آتسق أى آمتلاً وأجتمع . ابن عباس : آستوى . قتادة : آستدار . الفراء : آتساقه آمتلاً وآستواوه ليلى البدر وهو آفتعال من الوسق الذى هو الجمع ؛ يقال : وسقته فآتسق ، كما يقال : وصلته فآتصل ، ويقال : أمر فلان مُتسق أى مجتمع على الصلاح منتظم . ويقال : آتسق الشئ إذا تابع . **(لَتَرَكَنَ طَبَقًا عَنْ طَبِيقٍ)** قرأ أبو عمرو وآبن مسعود وآبن عباس وأبو العالية ومسروق وأبو وايل ومجاهد والنخعى والشعبي وآبن كثير وحزة والكسانى « لَتَرَكَنَ » بفتح الباء خطابا للنبي صلى الله عليه وسلم أى لتركن يا محمد حالا بعد حال ؛ قاله آبن عباس . الشعبي : لتركن يا محمد سماء بعد سماء ، ودرجة بعد درجة ، ورتبة بعد رتبة في القرابة من الله تعالى . آبن مسعود : لتركن السماء حالا بعد حال ؛ يعني حالاتها التي وصفها الله تعالى بها من الآنسِقاق والطُّقُّ وكونها مرة كالمُهُل ومرة كالدَّهَان . وعن إبراهيم عن عبد الله : « طَبَقًا عَنْ طَبِيقٍ » قال : السماء تقلب حالا بعد حال . قال : تكون وردة كالدَّهَان وتكون كالمُهُل . وقيل : أى لتركن إليها الإنسان حالا بعد حال من كونك نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم حياً وميتاً وغنياً وفقيراً . فالخطاب للإنسان المذكور في قوله : « يَأْيُّهَا إِلَيْهَا إِنَّكَ كَادِحٌ » وهو أسم للجنس ومعناه الناس . وقرأ الباقيون « لَتَرَكَنَ » بضم الباء خطابا للناس وآختاره أبو عبيد وأبو حاتم ؛ قال : لأن المعنى بالناس أشبه منه بالنبي صلى الله عليه وسلم ؛ لما ذكر قبل هذه الآية فلن يؤتى كابه بيمينه ومن يؤتى كابه بشماله . أى لتركن حالا بعد حال من شدائد القيمة ، أو لتركن سنة من كان قبلكم في التكذيب وآختلاف على الأنبياء .

قلت : وكله مراد وقد جاءت بذلك أحاديث^(١) ؛ فروى أبو نعيم الحافظ عن جعفر بن محمد بن علي عن جابر رضي الله عنه ، قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ” إن آنَ آدَمَ لَفِي غَفْلَةٍ عَمِّا خَلَقَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِنَّ اللَّهَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِنَّمَا خَلَقَهُ إِذَا أَرَادَ خَلْقَهُ ” قال للملك^(٢) آكتب رزقه وأثره وأجله وآكتب شقيباً أو سعيداً ثم يرتفع ذلك الملك ويعينه الله ملكاً

١٤ ص ١٧ ج راجع)

آخر فيحفظه حتى يدرك ثم يبعث الله ملائكة يكتبان حسناته وسيئاته فإذا جاءه الموت آرتفع ذانك الملائكة ثم جاءه ملك الموت عليه السلام فيقبض روحه فإذا دخل حضرته رد الروح في جسده ثم يرتفع ملك الموت ثم جاءه ملكاً القبر فامتحناته ثم يرتفعان فإذا قامت الساعة أخْطَطَ عليه ملك الحسنات وملك السيئات فأُنْشِطَا كَيْماً مَعْقُودَا فِي عَنْقِهِ ثُمَّ حَضَرَهَا مَعْهُ وَاحِدَ سَاقِ وَالْأُخْرَ شَهِيدٌ» ثم قال الله عن وجل «لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا فَكَشَفَنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ بَصَرَكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ» قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «لَتَرْكِنَ طَبِيقًا عَنْ طَبِيقٍ» قال : «حالاً بعد حال» ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم : «إن قدامكم أمراً عظيماً فاستعينوا بالله العظيم» فقد أشتمل هذا الحديث على أحوال تعتبرى الإنسان من حين يخلق إلى حين يبعث ، وكله شدة بعد شدة ، حياة ثم موته ، ثم يبعث ثم جراء ، وفي كل حال من هذه شدائده . وقال صلى الله عليه وسلم : «لَتَرْكِنَ سَنَنَ مِنْ قَبْلِكُمْ شَبَراً بِشَبَرٍ وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ حَتَّى لَوْ دَخَلُوا بَحْرَ ضَبَ لَدَخْلَتْمُوهُ» قالوا : يا رسول الله ! اليهود والنصارى ؟ قال : «فَنِ» (١) ؟ نرجه البخارى . وأما أقوال المفسرين ؛ فقال عكرمة : حالاً بعد حال ؛ فطليها بعد رضيع وشيخاً بعد شباب ؛ قال الشاعر :

كَذِيلَكَ الْمَرْءُ إِنْ يُنْسَالَهُ أَجَلُ * يُرْكَبُ عَلَى طَبِيقٍ مِّنْ بَعْدِهِ طَبِيقٌ

وعن مكحول : كل عشرين عاماً تجدون أمراً لم تكونوا عليه . وقال الحسن : أمراً بعد أمر ؛ رخاءً بعد شدة ، وشدة بعد رخاء ، وغنىًّا بعد فقر ، وفقرًا بعد غنىًّا ، وصحوة بعد سقم ، وسقاً بعد صحوة . سعيد بن جبير : منزلة بعد منزلة ؛ قوم كانوا في الدنيا متضيئين فارتفعوا في الآخرة ، وقوم كانوا في الدنيا متضيئين فاتضيئوا في الآخرة . وقيل : منزلة عن منزلة وطبقاً عن طبق ؛ وذلك أن من كان على صلاح دعاه إلى صلاح فوقه ، ومن كان على فساد دعاه إلى فساد فوقه ؛ لأن كل شيء يجر إلى شكله . ابن زيد : ولتصيرن من طبق الدنيا إلى طبق الآخرة . وقال ابن عباس : الشدائيد والأحوال الموت ثم البعث ثم العرض ؛

(١) رواية البخارى «لتبعن» بدل «لتركن» . (٢) في نسخة : طبقة .

والعرب تقول مَنْ وَقَعَ فِي أَمْرٍ شَدِيدٍ : وَقَعَ فِي بَنَاتِ طَبَقٍ وَإِحْدَى بَنَاتِ طَبَقٍ ؛ وَمِنْهُ قِيلَ لِلْدَاهِيَّةِ الشَّدِيدَةِ : أَمْ طَبَقَ وَإِحْدَى بَنَاتِ طَبَقٍ . وَأَصْلُهَا مِنَ الْحَيَاةِ ؛ إِذَا يُقَالُ لِلْحَيَاةِ أَمْ طَبَقَ لِتَحْوِيْهَا . وَالظَّبْقُ فِي الْلُّغَةِ الْحَالَ كَمَا وَصَفْنَا ؛ قَالَ الْأَفْرَعُ بْنُ حَابِسَ التَّمِيعِ :

إِنِّي أَمْرُؤٌ قَدْ حَلَبْتُ الدَّهَرَ أَشَطَرُهُ • وَسَاقَنِي طَبَقٌ مِنْهُ إِلَى طَبَقٍ

وَهَذَا أَدْلِيلٌ عَلَى حَدُوثِ الْعَالَمِ وَإِثْبَاتِ الصَّانِعِ ؛ قَالَتِ الْحَكَمَاءُ : مَنْ كَانَ الْيَوْمَ عَلَى حَالَةٍ وَغَدَى عَلَى حَالَةٍ أُخْرَى فَلَيَعْلَمْ أَنَّ تَدِيرَهُ إِلَى سُواهٍ . وَقِيلَ لِأَبِي بَكْرِ الْوَرَاقِ : مَا الدَّلِيلُ عَلَى أَنَّ هَذَا الْعَالَمَ صَانِعًا ؟ فَقَالَ : تَحْسُوْيِلُ الْحَالَاتِ ، وَعِزْزُ الْقُوَّةِ ، وَضُعْفُ الْأَرْكَانِ ، وَقَهْرُ الْمُنْتَهِيَّةِ ، وَنَسْخُ الْعَزِيمَةِ . وَيُقَالُ : أَتَانَا طَبَقٌ مِنَ النَّاسِ وَطَبَقٌ مِنَ الْجَرَادِ أَيْ جَمَاعَةٍ . وَقَوْلُ الْعَبَّاسِ فِي مدحِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

تُنْفَلُ مِنْ صَالِبٍ إِلَى رَحِيمٍ • إِذَا مَضَى عَالَمٌ بَدَا طَبَقٌ

أَيْ قَرْنٌ مِنَ النَّاسِ . يَكُونُ طَبَاقُ الْأَرْضِ أَيْ مَلَأَهَا . وَالظَّبْقُ أَيْضًا عَظِيمٌ رَّفِيقٌ يَفْصِلُ بَيْنَ الْفَقَارَيْنِ ، وَيُقَالُ : مَضَى طَبَقٌ مِنَ الظَّلَلِ وَطَبَقٌ مِنَ النَّهَارِ أَيْ مُعَظَّمٌ مِنْهُ . وَالظَّبْقُ وَاحِدٌ الْأَطْبَاقُ فَهُوَ مُشَتَّرٌ . وَقَرَئَ « لَتَرْكَينَ » بِكَسْرِ الْبَاءِ عَلَى خَطَابِ النَّفْسِ وَ« لَيَرْكَينَ » بِالْيَاءِ عَلَى لَيِّرْكَينِ الْإِنْسَانِ . وَ« عَنْ طَبَقٍ » فِي مَحْلِ نَصْبٍ عَلَى أَنَّهُ صَفَةٌ لِ« طَبَقاً » أَيْ طَبَقاً مِجَاوِزاً لِطَبَقٍ . أَوْ حَالٌ مِنَ الضَّمِيرِ فِي « لَتَرْكَينَ » أَيْ لَتَرْكَينَ طَبَقاً مِجَاوِزاً لِطَبَقٍ أَوْ مِجَاوِزاً أَوْ مِجَا زَةً عَلَى حَسْبِ الْقِرَاءَةِ .

قَوْلُهُ تَعَالَى : (« فَإِنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ») يَعْنِي أَيْ شَيْءٍ يَمْنَعُهُمْ مِنَ الْإِيمَانِ بَعْدِ مَا وَصَحَّتْ لَهُمُ الْآيَاتُ وَقَامَتِ الدَّلَالَاتُ . وَهَذَا آسْتِفَهَامٌ إِنْكَارٌ . وَقِيلَ : تَعِجِيبٌ أَيْ أَعْجَبُوا مِنْهُمْ فِي تَرْكِ الْإِيمَانِ مَعَ هَذِهِ الْآيَاتِ .

قَوْلُهُ تَعَالَى : (« وَإِذَا قَرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْجُدُونَ ») أَيْ لَا يَصْلُونَ . وَفِي الصَّحِيفَ :

إِنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ قَرَأَ « إِذَا السَّمَاءُ أَنْشَقَتْ » فَسَجَدَ فِيهَا فَلَمَّا أَنْصَرَفَ أَخْبَرَهُمْ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَجَدَ فِيهَا . وَقَدْ قَالَ مَالِكٌ : إِنَّهَا لَيْسَتْ مِنْ عِزَّاتِ الْمَسْجُودِ ؛ لَأَنَّ الْمَعْنَى

لا يذعنون ولا يطعون في العمل بواجباته . آبن العربي : وال الصحيح أنها منه وهي رواية المدینین عنه وقد اعتمد فيها القرآن والسنة . قال آبن العربي : لما أهتم الناس تركت قراءتها ؛ لأنني إن سجدت أنكروه وإن تركتها كان تقصيراً ممن فاجتنبها إلا إذا صليت وحدي . وهذا تحقيق وعد الصادق بأن يكون المعروف منكراً والمنكر معروفاً ؛ وقد قال صلى الله عليه وسلم لعائشة : "أولاً حدثنا قومك بالكفر هدمت البيوت ولرددته على قواعد إبراهيم" . ولقد كان شيخنا أبو بكر الفهرى يرفع يديه عند الركوع عند الرفع منه ، وهو مذهب مالك والشافعى ويفعله الشيعة ، خضر عندي يوماً في محرس آبن الشواء بالشغر – موضع تدريسى – عند صلاة الظهر ودخل المسجد من المحرس المذكور فتقدم إلى الصف وأنا في مؤخره قاعداً على طاقات البحر أتنسم الريح من شدة الحر ، ومعي في صف واحد أبو ثنتين رئيس البحر وقائده مع نفر من أصحابه ينتظرون الصلاة ويتعلّم على مراكب تحت المينا ، فلما رفع الشيخ يديه في الركوع وفي رفع الرأس منه قال أبو ثنتين وأصحابه : ألا ترون إلى هذا المشرق كيف دخل مسجdenا؟ فقاموا إليه فأقلولوه وأرموا به إلى البحر فلا يراكم أحد . فطار قابي من بين جوانحى وقلت : سبحان الله هذا الطرطوسى فقيه الوقت . فقالوا إلى : ولم يرفع يديه ؟ فقلت : كذلك كان النبي صلى الله عليه وسلم يفعل ، وهذا مذهب مالك في رواية أهل المدينة عنه . وجعلت أسكنهم وأسكنهم حتى فرغ من صلاته وقت معه إلى المسكن من المحرس ، ورأى تغير وجهى فأنكره وسائلى فاعلمته ، فضحك وقال : ومن أين لي أن أقتل على سنة؟ فقلت له : ولا يحل لك هذا فإنك بين قوم إن قت بها قاموا عليك وربما ذهب دمك . فقال : دع هذا الكلام وخذ فى غيره .

قوله تعالى : **بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُكَذِّبُونَ** ﴿٢٢﴾ **وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا**
يُوْعُونَ ﴿٢٣﴾ **فَبَشِّرُهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ** ﴿٢٤﴾ **إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا**
الصَّالِحَاتِ **لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ** ﴿٢٥﴾

قوله تعالى : «**إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُكَذِّبُونَ**» مهدا صلى الله عليه وسلم وما جاء به .
وقال مقاتل : نزلت في بني عمرو بن عممير وكانوا أربعة فأسلم آثناان منهم . وقيل : هي
في جميع الكفار . «**وَاللَّهُ أَعْلَم بِمَا يُوَعِّدُونَ**» أى بما يضمرونه في أنفسهم من التكذيب . كذا
روى الضحاك عن ابن عباس . وقال مجاهد : يكتمون من أفعالهم . ابن زيد : يجحون
من الأعمال الصالحة والسيئة ، مأخذ من الوعاء الذي يجمع ما فيه ؛ يقال : أوعيت الزاد
والنتائج إذا جعلته في الوعاء ؛ قال الشاعر :

الخَيْرُ أَبِقَ وَإِنْ طَالَ الزَّمَانُ إِلَيْهِ * وَالشَّرُّ أَخْبَثَ مَا أَوْعَيْتَ مِنْ زَادٍ

وعاه أى حفظه ؛ تقول : وعيت الحديث أعيه وعياً وأذنْ واعية . وقد تقدم . (١) فبشرهم
بـ **يَعْذَابَ الْأَئِمَّةِ** أى موجع في جهنم على تكذيبهم . أى أجعل ذلك بمنزلة البشارة . (إلا الذين
آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ) آستثناء منقطع ، كأنه قال : لكن الذين صدقوا بشهادة أن لا إله
إلا الله وأن مهدا رسول الله ، وعملوا الصالحات أى أدوا الفرائض المفروضة عليهم (لهم أجر)
أى ثواب (غير ممنون) أى غير منقوص ولا مقطوع ؛ يقال : مننت الحبل إذا قطعه .
(٢) وقد تقدم . وسأل نافع بن الأزرق ابن عباس عن قوله «**لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ**» فقال :
غير مقطوع . فقال : هل تعرف ذلك العرب ؟ قال : نعم قد عرفه أخوه يشك حيث يقول :

فَتَرَى خَلِفَهُنَّ مِنْ سُرْعَةِ الرَّجْدِ * بَعْدَ مَيْنَانِ كَانَهُ أَهْبَاءُ

قال المبرد : المدين الغبار ؛ لأنها تقطعه وراءها . وكل ضعيف مدين وممنون . وقيل :
«**غَيْرُ مَمْنُونٍ**» لا يعنى عليهم به . وذكر ناس من أهل العلم أن قوله «**إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا**
الصَّالِحَاتِ» ليس آستثناء وإنما هو بمعنى الواو ، كأنه قال : والذين آمنوا . وقد مضى
فـ (٤) «**البقرة**» القول فيه والحمد لله .

(١) راجع ج ١٨ ص ٢٦٣ (٢) راجع ج ١٥ ص ٣٤١ .

(٣) تقدم هذا البيت بلفظ : فترى حفتها من الريع والوق * بع مينا ... اخ .

(٤) راجع ج ٢ ص ١٦٩ .

سورة البروج

مكية باتفاق . وهي ثمان وعشرون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قوله تعالى : **وَالسَّمَاءُ ذَاتُ الْبُرُوجِ**

قسم أقسام الله به جل وعز . وفي «البروج» أقوال أربعة : ذات النجوم ؛ قاله الحسن وقتادة ومجاهد والضحاك . الثاني – القصور ؛ قاله ابن عباس وعكرمة ومجاهد أيضاً . قال عكرمة : هي قصور في السماء . مجاهد : البروج فيها الحرس . الثالث – ذات الخلق الحسن ؛ قاله المنهان بن عمرو . الرابع – ذات المنازل ؛ قاله أبو عبيدة ويحيى ابن سلام . وهي آثنا عشر برجاً ، وهي منازل الكواكب والشمس والقمر . يسير القمر في كل برج منها يومين وثلث يوم ؛ فذلك ثمانيه وعشرون يوماً ، ثم يتسرّ ليلتين ؛ وتسرّ الشمس في كل برج منها شهراً . وهي : الحمل ، والتور ، والجوزاء ، والسرطان ، والأسد ، والسنبلة ، والميزان ، والعقرب ، والقوس ، والجدي ، والدلو ، والحوت . والبروج في كلام العرب : القصور ؛ قال الله تعالى : «**وَلَوْكُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدِهِ**» . وقد تقدم .

قوله تعالى : **وَالْيَوْمُ الْمَوْعِدُ** (١) **وَشَاهِدٌ وَمَشْهُودٌ** (٢)

قوله تعالى : «**وَالْيَوْمُ الْمَوْعِدُ**» أي الموعود به . وهو قسم آخر ، وهو يوم القيمة ؛ من غير اختلاف بين أهل التأويل . قال ابن عباس : وعد أهل السماء وأهل الأرض أن يجتمعوا فيه . «**وَشَاهِدٌ وَمَشْهُودٌ**» آخْتَلَفَ فِيهِمَا ؛ فقال عليٌّ وابن عباس وابن عمر وأبو هريرة رضي الله عنهم : الشاهد يوم الجمعة ، والمشهود يوم عرفة . وهو قول الحسن .

(١) مэр الشهور (فتحتین) : آخر ليلة منه ؛ وهو مشتق من قوْظِمْ : آستَسْرَ القمر ؛ أي خف ليلة المسار ؛ فربما كان

ليلة وربما كان ليلتين . (٢) راجع ج ٥ ص ٨٢

ورواه أبو هريرة مرفوعاً قال قال رسول الله صل الله عليه وسلم : "اليوم الموعود يوم القيمة واليوم المشهود يوم عرفة والشاهد يوم الجمعة ... " نرجحه أبو عيسى الترمذى في جامعه وقال : هذا حديث [حسن] غريب لا نعرفه إلا من حديث موسى بن عبيدة ، وهو موسى بن عبيدة يضعف في الحديث ، ضعفه يحيى بن سعيد وغيره . وقد روى شعبة وسفيان الشورى وغير واحد من الأئمة عنه . قال القشيني في يوم الجمعة يشهد على كل عامل بما عمل فيه .

قلت : وكذلك سائر الأيام والليالي ، فكل يوم شاهد وكذا كل ليلة ، ودليله ما رواه أبو نعيم الخاطف عن معاوية بن قترة عن مَعْقِل بن يسار عن النبي صل الله عليه وسلم قال : "ليس من يوم يأتى على العبد إلا ينادى فيه يابن آدم أنا خلق جديداً وأنا فيها تَعْمَل عليك شهيد فاعمل في خيراً أنتهد لك به غداً فإني لو قد مضيت لم ترق أبداً ويقول الليل مثل ذلك" ،^(١) حديث غريب من حديث معاوية ، تفرد به عنه زيد العمى ، ولا أعلم له مرفوعاً عن النبي صل الله عليه وسلم إلا بهذا الإسناد . وحكى القشيني عن ابن عمر وابن الزبير أن الشاهد يوم الأضحى . وقال سعيد بن المسيب : الشاهد التَّرْوِيَة ، والمشهود يوم عرفة . وروى إسرائيل عن أبي إسحاق عن الحارث عن علي رضي الله عنه : الشاهد يوم عرفة ، والمشهود يوم النحر . وقاله التَّخَمِي . وعن علي أيضاً : المشهود يوم عرفة . وقال ابن عباس والحسين ابن علي رضي الله عنهم : المشهود يوم القيمة ، لقوله تعالى : « ذَلِكَ يَوْمٌ مُّجَمُّعُ لِهِ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مُّشَهُودٌ »^(٢) .

(١) ازبادة من صحيح الترمذى .

(٢) في كتاب الأنساب للسمعاني : « العمى » بفتح العين المهملة وتشديد الميم ، هذه النسبة إلى العم وهو بطن من نمير . وفي تهذيب التهذيب : « قال علي بن مصعب : من زيد العمى لأنه كان كلاماً مثل عن شيء ، قال حتى أسأل عن شيء » .

(٣) آية ١٠٣ سورة هود .

قلت : وعلى هذا آختلفت أقوال العلماء في الشاهد فقيل : الله تعالى ؛ عن ابن عباس والحسن وسعيد بن جبير ؛ بيانه : « وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا »^(١) ، « قُلْ أَئِ شَيْءٌ أَكْبَرُ شَهَادَةَ قُلْ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبِنَّكُمْ »^(٢) . وقيل : محمد صلى الله عليه وسلم ؛ عن ابن عباس أيضا والحسين بن علي ؛ فرأى ابن عباس « فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلَّ أُمَّةٍ شَهِيدٌ وَجَئْنَا بِكَ عَلَى هُؤُلَاءِ شَهِيدًا »^(٣) ، وقرأ الحسين « يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا »^(٤) .

قلت : وأقرأ أنا « وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا »^(٥) . وقيل : الأنبياء يشهدون على أنهم ؛ لقوله تعالى : « فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلَّ أُمَّةٍ شَهِيدٌ »^(٦) . وقيل : آدم . وقيل : عيسى بن مريم ؛ لقوله : « وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ »^(٧) . والمشهود أمهاته . وعن ابن عباس أيضا ومحمد بن كعب : الشاهد الإنسان ؛ دليله : « كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا »^(٨) . مُقاتل : أعضاؤه ؛ بيانه : « يَوْمَ تَشَهِّدُ عَلَيْهِمُ الْأَسْنَمُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ »^(٩) . الحسين بن الفضل : الشاهد هذه الأمة ، والمشهود سائر الأمم ؛ بيانه : « وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أَمَةً وَسَطَّا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ »^(١٠) . وقيل : الشاهد الحفظة ، والمشهود بنو آدم . وقيل : الليلي والأيام . وقد بيناه .

قلت : وقد يشهد المال على صاحبه ، والأرض بما عمل عليها ؛ ففي صحيح مسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم : « إِنَّ هَذَا الْمَالَ خَضْرٌ حَلْوٌ نَّعْمٌ صَاحِبُ الْمُسْلِمِ هُوَ مَنْ أُعْطِيَ مِنْهُ الْمُسْكِنُ وَالْيَتَيمُ وَابْنُ السَّبِيلِ — أَوْ كَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — وَإِنَّهُ مَنْ يَأْخُذُهُ بَغْيَرِ حَقِّهِ كَانَ كَالَّذِي يَا كَلَّ وَلَا يَشْبَعُ وَيَكُونُ عَلَيْهِ شَهِيدًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ »^(١) . وفي الترمذى عن أبي هريرة قال : فرأى رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية « يَوْمَئِذٍ تُحَدَّثُ أَخْبَارَهَا »^(٢) . قال : « أَتَدْرُونَ مَا أَخْبَارَهَا »؟ قالوا : الله ورسوله أعلم . قال : « فَإِنَّ أَخْبَارَهَا أَنْ تَشَهِّدَ عَلَى

(١) آية ٧٩ سورة النساء .

(٢) آية ٤١ سورة الأنعام .

(٣)

(٤)

(٥)

(٦)

(٧)

(٨)

(٩)

(١٠)

(٤) آية ٤٥ سورة الأحزاب .

(٥) آية ١٤٣ سورة البقرة .

(٦) آية ١١٧ سورة المائدة .

(٧) آية ١٤٣ سورة البقرة .

(٨) آية ٢٤ سورة النور .

(٩) آية ١٤٣ سورة البقرة .

كل عبد أو ملة بما عميل على ظهرها تقول عمل يوم كذا وكذا – قال – فهذه أخبارها ، قال حديث حسن غريب صحيح . وقيل : الشاهد الخلق ، شهدوا الله عن "وجل" بالوحدانية . والمشهود له بالتوحيد هو الله تعالى . وقيل : المشهود يوم الجمعة ؛ كما روى أبو الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "أكثروا على من الصلاة يوم الجمعة فإنه يوم مشهود تشهد الملائكة ..." ذكر الحديث . خرجه ابن ماجه وغيره .

قلت : فعلى هذا يوم عَرَفة مشهود ، لأن الملائكة تشهدونه وتتنزل فيه بالرحمة . وكذا يوم التَّبَّوْر إن شاء الله . وقال أبو بكر العطار : الشاهد الحجَّر الأسود ؛ يشهد لمن لم يشهده بصدق وخلاص ويقين . والمشهود الحاج . وقيل : الشاهد الأنبياء ، والمشهود محمد صلى الله عليه وسلم ؛ بيانه : «إِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِنَ النَّبِيِّنَ مَا أَتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ – إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى – : وَآتَانَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ»^(١) .

قوله تعالى : قُتِلَ أَصْحَابُ الْأَخْدُودِ آلَنَارِ ذَاتِ آلَوْقُودِ
إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُوْدٌ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ

قوله تعالى : («قُتِلَ أَصْحَابُ الْأَخْدُودِ») أي لعن . قال ابن عباس : كل شيء في القرآن «قتل» فهو لعن . وهذا جواب القسم – في قول الفراء – واللام فيه مضمرة ؛ كقوله : «والشمس وَحَحَاها – ثم قال – قد افلح من زَكَّاها» أي لقد أفلح . وقيل : فيه تقديم وتأخير ؛ أي قُتل أصحابُ الأخدود والسماءِ ذات البروج ؛ قاله أبو حاتم السجستاني . . آبن الأنباري : وهذا غلط ؛ لأنَّه لا يجوز لقائل أن يقول : والله قام زيد ؛ على معنى قام زيد والله . وقال قوم : جواب القسم «إِنْ بَطَشَ رَبَّكَ لَشِيدِدُ» وهذا قبيح ؛ لأن الكلام قد طال بينهما . وقيل : «إِنَّ الَّذِينَ فَسَنُوا» . وقيل : جواب القسم مخدوف ؛ أي السماءِ ذات البروج لَتُبَعَّثُنَّ . وهذا اختيار آبن الأنباري . والأخدود : الشق العظيم

(١) آية ٨١ سورة آل عمران .

المستطيل في الأرض كالخندق ، وبجمعه أخدود . ومنه الخندق المخاري الدموع ، والمخددة ؛ لأن الخندق يوضع عليها . ويقال : تخندد وجه الرجل إذا صارت فيه أخدود من جراح . قال طرفة :

ووجه كأن الشمس حللت رداءها * عليه نون اللون لم تخندد

(النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ) « النار » بدل من « الأَخْدُودِ » بدل الأشغال . و « الْوَقُودِ » بفتح الواو قراءة العامة ، وهو الحطب . وقرأ فتادة وأبو رجاء ونصر بن عاصم (بضم الواو) على المصدر ؛ أي ذات الاتقاد والاتهاب . وقيل : ذات الوقود بأبدان الناس . وقرأ أئمبا العقيل وأبو السجال العذوي « وَأَبْنَ السَّمِيقَعْ » النَّارُ ذَاتُ « بالرفع فيما ؛ أي أحرقهم النار ذات الوقود . (إِذْهُمْ عَلَيْهَا قُوْدُ) أي الذين ختدوا الأخدود وقعدوا عليها يلقون فيها المؤمنين ، وكانوا يتجرون في الفترة بين عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم . وقد اختلفت الرواية في حديثهم . والمعنى متقارب . ففي صحيح مسلم عن صحيب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : كان ملكً في Yemen كان قبلكم وكان له ساحر ، فلما كبر قال للملك : إنك قد كبرت فأبعث إلى « غلاماً أعلمته السحر » ، فبعث إليه غلاماً يعلمه ؛ فكان في طريقه إذا سلك راهب ، فقدَ إليه وسمِع كلامه فأعجبه ؛ فكان إذا أتى الساحر مرأة بالراهب وقعد إليه ؛ فإذا أتى الساحر ضربه ؛ فشك ذلك إلى الراهب فقال : إذا خشيت الساحر فقل : حبسني أهل . وإذا خشيت أهلك فقل : حبسني الساحر . فيينا هو كذلك إذ أتى على دابة عظيمة قد حبسَت الناس فقال : اليوم أعلم أَسَاطِيرًا أفضل أم الراهب أفضل ؟ فأخذ حبراً فقال : اللهم إن كان أمرُ الراهب أحب إليك من أمر الساحر فاقتله هذه الدابة حتى يمضى الناس ؛ فرمأها فقتلها ومضى الناس . فأتى الراهب فأخبره فقال له الراهب : أتى بمني ؛ أنت اليوم أفضل مِنِي ، قد بلغ من أمرك ما أرى ، وإنك ستُبتلى ، فإن آتُتْ لِيَتَ فلا تدل على . وكان الغلام يبرئ الآئمَة والأبرص ويداوي الناس من سائر الأدواء . فسمع جليسَ للملكَ كان قد عَمِيَ فاتاه بهدايا كثيرة فقال : ما هاهنا لك أجمع إن أنت شفيفي . فقال : إنَ لا أشفى أحداً ، إنما

يُشْفَى اللَّهُ، فَإِنْ أَنْتَ آمِنْتَ بِاللَّهِ دَعَوْتُ اللَّهَ فَشَفَاكَ؛ فَآمِنْ بِاللَّهِ فَشَفَاهُ اللَّهُ . فَأَقَى الْمَلِكَ بِخَلْسٍ إِلَيْهِ كَمَا كَانَ يَخْلِسُ ؛ فَقَالَ لِهِ الْمَلِكُ : مَنْ رَدَ عَلَيْكَ بَصَرَكَ؟ قَالَ رَبِّي . قَالَ : وَلَكَ رَبٌّ غَيْرِي؟ قَالَ : رَبِّي وَرَبِّكَ اللَّهُ . فَأَخْذَهُ فَلَمْ يَزِلْ يَعْذَبَهُ حَتَّى دَلَّ عَلَى الْغَلَامِ؛ بَخِيَءَ بِالْغَلَامِ فَقَالَ لِهِ الْمَلِكُ : أَيْ بُنْيَ؟ أَقْدَلَ بَعْضَهُ مِنْ سِخْرَكَ مَا تُبَرِّئُ إِلَّا كَمَهُ وَالْأَبْرَصُ، وَتَفَعَّلَ وَتَفَعَّلَ؟ قَالَ : إِنِّي لَا أَشْفَى أَحَدًا، إِنِّي يُشْفَى اللَّهُ . فَأَخْذَهُ فَلَمْ يَزِلْ يَعْذَبَهُ حَتَّى دَلَّ عَلَى الرَّاهِبِ؛ بَخِيَءَ بِالرَّاهِبِ فَقِيلَ لَهُ : أَرْجِعْ عَنْ دِينِكَ . فَأَبَى فَدَعَا بِالْمِنْشَارِ فَوُضِعَ الْمِنْشَارُ فِي مَفْرِقِ رَأْسِهِ فَشَقَّهُ حَتَّى وَقَعَ شِقَاهُ . ثُمَّ جَاءَ بِخَلْسِ الْمَلِكِ فَقِيلَ لَهُ : أَرْجِعْ عَنْ دِينِكَ؟ فَأَبَى فَوُضِعَ الْمِنْشَارُ فِي مَفْرِقِ رَأْسِهِ فَشَقَّهُ بِهِ حَتَّى وَقَعَ شِقَاهُ . ثُمَّ جَاءَ بِالْغَلَامِ فَقِيلَ لَهُ : أَرْجِعْ عَنْ دِينِكَ؛ فَأَبَى فَدَفَعَهُ إِلَى نَفِرٍ مِّنْ أَصْحَابِهِ فَقَالَ : أَذْهَبُوكُمْ إِلَى جَبَلٍ كَذَا وَكَذَا فَاصْعُدُوكُمْ بِهِ الْجَبَلُ، إِلَّا بَلَقْتُمْ ذِرْوَتَهُ فَإِنْ رَجَعْتُمْ عَنْ دِينِهِ وَإِلَّا فَأَطْرَحُوكُمْ؛ فَذَهَبُوكُمْ بِهِ فَاصْعُدُوكُمْ بِهِ الْجَبَلُ فَقَالَ : اللَّهُمَّ أَكَفِنِيهِمْ بِمَا شِئْتَ؟ فَرَجَفَ بِهِمِ الْجَبَلُ فَسَقَطُوا . وَجَاءَ يَمْشِي إِلَى الْمَلِكِ فَقَالَ لِهِ الْمَلِكُ : مَا فَعَلَ أَصْحَابِكَ؟ قَالَ : كَفَانِيهِمُ اللَّهُ . فَدَفَعَهُ إِلَى نَفِرٍ مِّنْ أَصْحَابِهِ فَقَالَ : أَذْهَبُوكُمْ بِهِ فَأَحْمَلُوهُ فِي قَرْقُورٍ فَتَوَسَّطُوكُمْ بِهِ الْبَحْرِ، فَإِنْ رَجَعْتُمْ عَنْ دِينِهِ وَإِلَّا فَأَقْذَفُوكُمْ؛ فَذَهَبُوكُمْ بِهِ فَقَالَ : اللَّهُمَّ أَكَفِنِيهِمْ بِمَا شِئْتَ؛ فَآنَكَفَاتُ بِهِمِ السَّفِينةُ فَغَرِقُوا . وَجَاءَ يَمْشِي إِلَى الْمَلِكِ فَقَالَ لِهِ الْمَلِكُ : مَا فَعَلَ أَصْحَابِكَ؟ قَالَ : كَفَانِيهِمُ اللَّهُ . فَقَالَ لِلْمَلِكِ : إِنَّكَ لَسْتَ بِقَاتِلٍ حَتَّى تَفْعَلَ مَا أَمْرَكَ بِهِ . قَالَ :

(١) وما هو؟ قَالَ : تَجْمَعُ النَّاسُ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ وَتَصْلِبُونِي عَلَى جِذْعٍ، ثُمَّ خُذْ سَهْمًا مِّنْ كَاتِنِي ثُمَّ ضَعِّ السَّهْمَ فِي كَيْدِ الْقَوْسِ ثُمَّ قَالَ : بِاسْمِ اللَّهِ رَبِّ الْغَلَامِ، ثُمَّ أَرْمَنِي؛ فَإِنَّكَ إِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ قَتَلْتَنِي . بِخُمُّ النَّاسِ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ وَصَلَبَهُ عَلَى جِذْعٍ، ثُمَّ أَخْذَ سَهْمًا مِّنْ كَاتِنِهِ ثُمَّ وَضَعَ السَّهْمَ فِي كَيْدِ الْقَوْسِ ثُمَّ قَالَ : بِاسْمِ اللَّهِ رَبِّ الْغَلَامِ؛ ثُمَّ رَمَاهُ فَوَقَعَ السَّهْمُ فِي صُدُغِهِ فَوُضِعَ يَدُهُ فِي صُدُغِهِ فِي مَوْضِعِ السَّهْمِ ثَمَّ قَالَ النَّاسُ : آمَنَا بِرَبِّ الْغَلَامِ! آمَنَا بِرَبِّ الْغَلَامِ! آمَنَا بِرَبِّ

(١) القرقرود (بضم القافين) : السفينة الصغيرة .

(٢) الكثنة (بالكسر) : جمعة السهام تتخذ من

جلود لا خشب فيها ، أو من خشب لا جلود فيها .

الغلام ! فَأَتَى الْمَلِكُ فَقِيلَ لَهُ : أَرَيْتَ مَا كُنْتَ تَحْدِدُ ؟ قَدْ وَاللهِ نَزَّلَ بِكَ حَذْرُكَ ، قَدْ آمَنَ النَّاسُ ؛ فَأَمَرَ بالْأَخْدُودِ فِي أَفْوَاهِ السَّكَّاكِ ، نَخْدُتْ وَأَضْرَمَ النَّيْرَانَ وَقَالَ : مَنْ لَمْ يَرْجِعْ عَنِ دِينِهِ فَأُحْمِوْهُ فِيهَا — أَوْ قِيلَ لَهُ أَقْتِحِمْ — فَفَعَلُوا ؛ حَتَّى جَاءَتْ أَمْرَأَةٌ وَمَعَهَا صَبِّيٌّ لَهَا فَنَقَاعَسَتْ أَنْ تَقْعُ فِيهَا فَقَالَ لَهَا الغَلامُ : « يَا أُمَّهُ أَصْبِرِي فَلَأْنِكَ عَلَى الْحَقِّ » . خَرَجَهُ التَّرْمِذِيُّ بِعَنْهُ . وَفِيهِ : « وَكَانَ عَلَى طَرِيقِ الْغَلامِ رَاهِبٌ فِي صَوْمَعَةٍ » قَالَ مَعْمَرٌ : أَحَسِبَ أَنَّ أَصْحَابَ الصَّوَامِعِ كَانُوا يُوْمَئِذٍ مُسَلِّمِينَ . وَفِيهِ : « أَنَّ الدَّابَّةَ الَّتِي حَبَسَتِ النَّاسَ كَانَتْ أَسْدًا وَأَنَّ الْغَلامَ دُفُنٌ » — قَالَ — فَيُذَكَّرُ أَنَّهُ أَخْرَجَ فِي زَمْنِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ وَأَصْبَعَهُ عَلَى صُدْغَهُ كَمَا وَضَعَهَا حِينَ قُتِلَ » . وَقَالَ : حَدِيثُ حَسْنٍ غَرِيبٍ . وَرَوَاهُ الضَّحَّاكُ عَنْ أَبْنَى عَبَّاسٍ قَالَ : كَانَ مَلِكٌ بَخْرَانَ وَفِي رَعِيَّتِهِ رَجُلٌ لَهُ فَتَّى فَبَعْثَهُ إِلَى سَاحِرٍ يَعْلَمُهُ السُّحُورُ ، وَكَانَ طَرِيقُ الْفَتَى عَلَى رَاهِبٍ يَقْرَأُ الإِنْجِيلَ ؛ فَكَانَ يَعْجَبُهُ مَا يَسْمَعُهُ مِنَ الرَّاهِبِ ، فَدَخَلَ فِي دِينِ الرَّاهِبِ ؛ فَأَقْبَلَ يَوْمًا فَإِذَا حَيَّةً عَظِيمَةً قَطَعَتْ عَلَى النَّاسِ طَرِيقَهُمْ ، فَأَخْذَ حِجْرًا فَقَالَ بِاسْمِ اللَّهِ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ؛ فَقَتَلَهَا . وَذَكَرَ نَحْوُ مَا تَقْدِمُ . وَأَنَّ الْمَلِكَ لَمَّا رَمَاهُ بِالسَّمِيمِ وَقَتَلَهُ قَالَ أَهْلُ مَلْكَةِ الْمَلِكِ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنِ ثَامِرٍ ؛ وَكَانَ أَسْمَ الْغَلامَ ، فَفَضَّبَ الْمَلِكُ وَأَمَرَ نَخْدُتَ أَخْادِيدَ ، وَجُمِعَ فِيهَا حَطَبٌ وَنَارٌ وَعُرْضٌ أَهْلُ مَلْكَتِهِ عَلَيْهَا ، فَنَرَجَعَ عَنِ التَّوْحِيدِ تَرْكَهُ ، وَمَنْ ثَبَتَ عَلَى دِينِهِ قَذَفَهُ فِي النَّارِ . وَبَجِيَّ بِأَمْرَأَةٍ مَرْضَعٍ فَقِيلَ لَهَا أَرْجِعِي عَنِ دِينِكِ وَإِلَّا قَذَفَنَاكَ وَوَلَدَكَ — قَالَ — فَأَشْفَقَتْ وَهَمَتْ بِالرَّجُوعِ ، فَقَالَ لَهَا الصَّبِّيُّ الْمَرْضَعُ : يَا أُمِّي ، أَثْبِتِي عَلَى مَا أَنْتِ عَلَيْهِ فَإِنَّمَا هِيَ عَمِيقَةٌ ؛ فَأَلْقَوْهَا وَآبَانَاهَا . وَرَوَى أَبُو صَالِحٍ عَنْ أَبْنَى عَبَّاسٍ أَنَّ النَّارَ أَرْتَفَعَتْ مِنَ الْأَخْدُودِ فَصَارَتْ فَوْقَ الْمَلِكِ وَأَصْحَابِهِ أَرْبَعِينَ ذِرَاعًا فَأَحْرَقُوهُمْ . وَقَالَ الضَّحَّاكُ : هُمْ قَوْمٌ مِنَ النَّصَارَى كَانُوا بِالْيَمَنِ قَبْلَ مَبْعَثِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَرْبَعِينَ سَنَةً ، أَخْذَهُمْ يُوسُفُ بْنُ شَرَاحِيلَ بْنُ تَبَّعَ الْمُهَيرِيُّ ، وَكَانُوا نِسَّافًا وَثَمَانِينَ رِجَالًا ، وَحَفَرُوهُمْ أَخْدُودًا وَأَحْرَقُوهُمْ فِيهِ . حَكَاهُ الْمَاوَرْدِيُّ ، وَحَكَى الشَّعْلَى عَنْهُ أَنَّ أَصْحَابَ الْأَخْدُودِ مِنْ بَنِ إِسْرَائِيلَ ، أَخْذَنَا رِجَالًا

(١) فِي الأَصْوَلِ : « ... إِلَّا اللَّهُ عَبْدُ اللَّهِ ... » وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

وَنَسَاءٌ نَخْدُوا لَهُمُ الْأَخَادِيدُ، ثُمَّ أَوْقَدُوا فِيهَا النَّارَ، ثُمَّ أُقْيَمَ الْمُؤْمِنُونَ عَلَيْهَا وَقِيلَ لَهُمْ: تَكْفِرُونَ أَوْ تُقْذِفُونَ فِي النَّارِ؟ وَيُزَعمُونَ أَنَّهُ دَانِيَالُ وَأَصْحَابُهُ؛ وَقَالَهُ عَطِيَّةُ الْعَوْفِيُّ^(١). وَرَوَى نَحْوُ هَذَا عَنْ أَبْنَ عَبَّاسٍ. وَقَالَ عَلَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إِنَّ مَلِكًا سَكَرٌ فَوْقَعَ عَلَى أَخْتِهِ، فَأَرَادَ أَنْ يَجْعَلَ ذَلِكَ شَرًّا فِي رَعِيَّتِهِ فَلَمْ يَقْبِلُوا؛ فَأَشَارَتْ عَلَيْهِ أَنْ يَخْطُبَ بِأَنَّ اللَّهَ—عَزَّ وَجَلَ—أَحْلَّ نَكَاحَ الْأَخْوَاتِ فَلَمْ يُسْمَعْ مِنْهُ. فَأَشَارَتْ عَلَيْهِ أَنْ يَخْتَدُ لَهُمُ الْأَخْدُودُ وَيُلْقِي فِيهِ كُلُّ مِنْ عَصَاهُ. فَفَعَلَ. قَالَ: وَبِقَيَّا هُمْ يَنْكَحُونَ الْأَخْوَاتِ وَهُنَّ الْمُجْوَسُونَ، وَكَانُوا أَهْلَ كِتَابٍ. وَرَوَى عَنْ عَلَى أَيْضًا أَنَّ أَصْحَابَ الْأَخْدُودَ كَانُوا سَبِّبَهُمْ أَنْ نَبِيًّا بَعْدَهُ اللَّهُ تَعَالَى إِلَى الْحَبْشَةَ، فَأَتَيْهُ نَاسٌ نَخْدُوا لَهُمْ قَوْمُهُمْ أَخْدُودًا، فَنَّ أَتَيَّبَ النَّبِيَّ رَمَى فِيهَا، بَفْنِي، بِأَمْرِ أَمَّةِهَا بُنْيَ رَضِيعَ بَفْزِعَتْ، فَقَالَ لَهَا: يَا أَمَّاهَ، أَمْضِي وَلَا تَجْزَعِي. وَقَالَ أَيُوبُ عَنْ عِكْرَمَةَ قَالَ: «فُقِيلَ أَصْحَابُ الْأَخْدُودِ» قَالَ: كَانُوا مِنْ قَوْمِكَ مِنَ السَّجِستانَ. وَقَالَ الْكَلَبِيُّ: هُمْ نَصَارَى بَخْرَانَ، أَخْذُوا بَهَا قَوْمًا مُؤْمِنِينَ نَخْدُوا لَهُمْ سَبْعَةَ أَخَادِيدَ^(١)، طَوْلَ كُلِّ أَخَادِيدٍ أَرْبَعُونَ ذَرَاعًا، وَعَرْضُهُ آثَنَا عَشْرَ ذَرَاعًا. ثُمَّ طَرَحَ فِي النَّفْطِ وَالْحَطَبِ، ثُمَّ عَرَضُوهُمْ عَلَيْهَا، فَنَّ أَبِي قَذْفَوْهُ فِيهَا. وَقِيلَ: قَوْمٌ مِنَ النَّصَارَى كَانُوا بِالْقَسْطَنْطِينِيَّةِ زَمَانَ قَسْطَنْطِينِيَّةِ. وَقَالَ مَقَاتِلُ: أَصْحَابُ الْأَخْدُودُ ثَلَاثَةٌ، وَاحِدٌ بَخْرَانٌ، وَالآخَرُ بِالشَّامِ، وَالآخَرُ بِفَارَسٍ. أَمَّا الَّذِي بِالشَّامِ فَأَنْطِنِيَانُوسُ الرُّومِيُّ، وَأَمَّا الَّذِي بِفَارَسٍ فَبِيَخْتَنَسِرٍ، وَالَّذِي بِأَرْضِ الْعَرَبِ يُوسُفُ بْنُ ذِي نُوَّاصِ. فَلَمْ يُنْزِلْ اللَّهُ فِي الَّذِي بَخْرَانَ وَالشَّامَ قُرْآنًا، وَأَنْزَلَ قُرْآنًا فِي الَّذِي كَانَ بَخْرَانَ. وَذَلِكَ أَنَّ رَجُلَيْنِ مُسْلِمَيْنِ كَانُوا أَحْدَهُمَا بِتَهَامَةِ وَالآخَرُ بِخْرَانَ، آجَرَ أَحْدَهُمَا نَفْسَهُ، بِخَلْعٍ يَعْمَلُ وَيَقْرَأُ الْإِنْجِيلَ؛ فَرَأَتْ آبَنَةُ الْمُسْتَأْجِرِ النُّورَ فِي قِرَاءَةِ الْإِنْجِيلِ، فَأَخْبَرَتْ أَبَاهَا فَأَسْلَمَ. وَبَلَغُوا سَبْعَةً وَثَمَانِينَ بَيْنَ رَجُلٍ وَأَمْرَأَةٍ، بَعْدَ مَا رُفِعَ عَيْسَى، نَخْدُوا لَهُمْ يُوسُفُ بْنُ ذِي نُوَّاصِ بْنُ شَيْعَةِ الْجَيْرَى^(١) أَخْدُودًا وَأَوْقَدَ فِيهِ النَّارَ؛ وَعَرَضُوهُمْ عَلَى الْكُفَّارِ، فَنَّ أَبِي أَنْ يَكْفُرُ قَذْفَهُ فِي النَّارِ، وَقَالَ: مَنْ رَجَعَ عَنْ دِينِ عَيْسَى لَمْ يَقْذِفْ. وَإِنَّ أَمْرَأَةً مَعْهَا وَلَدَهَا صَبِيرٌ لَمْ يَتَكَلَّمْ، فَرَجَعَتْ، فَقَالَ لَهَا أَبَنُهَا: يَا أَمَّاهَ، إِنِّي أَرَى أَمَامَكَ

(١) النَّفْطُ (بِالْكَسْرِ وَقَدْ يَفْتَحُ): دَهْنٌ مَعْدُنٌ مَرِيعٌ لِلْاحْتِرَاقِ، تُوقَدُ بِهِ النَّارُ وَيُتَداوَى بِهِ.

نارا لا تطفأ ، فُقدِفَ جيئاً أنفسهما في النار ، بفعلها الله وآبنا في الجنة . فُقدِفَ في يوم واحد سبعة وسبعين إنسانا . وقال ابن إسحاق عن وهب بن منبه : كان رجل من بقایا أهل دين عيسى بن مريم عليه السلام ، يقال له قيميون ، وكان رجلا صالحًا مجتهدًا زاهدا في الدنيا مجاب الدعوة ، وكان سائحا في القرى لا يُعرف بقرية إلا مضى عنها ، وكان بناءً يعمل الطين . قال محمد بن كعب القرطي : وكان أهل نجران أهل شرك يعبدون الأصنام ، وكان في قرية من قراها قريبا من نجران ساحر يعلم غلمان أهل نجران السحر ، فلما نزل بها قيميون بني بها خيمة بين نجران وبين تلك القرية التي بها الساحر ، بفعل أهل نجران يبعثون غلمانهم إلى ذلك الساحر يعلّمهم السحر ، فبعث إليه الثامر عبد الله بن الثامر ، فكان مع غلمان أهل نجران ، وكان عبد الله إذا مرّ بصاحب الخيمة أبغبه ما يرى من أمر صلاته وعبادته ، بفعل مجلس إليه ويسمع منه حتى أسلم ، فوَحَّدَ الله وعبد وجعل يسأله عن أسم الله الأعظم ، وكان الراهب يعلمه فكتمه إيه و قال : يا ابن أخى ، إنك لن تحمله ، أخشى ضعفك عنه ، وكان أبوه الثامر لا يظن إلا أن آبنته مختلف إلى الساحر كما مختلف الغلمان . فلما رأى عبد الله أن الراهب قد بخل عليه بتعليم أسم الله الأعظم ، عَمَدَ إلى قِدَحٍ بقمعها ، ثم لم يُبْقِ لله تعالى آسماً يعلمه إلا كتبه في قِدَحٍ ، لكل أسم قِدَحٍ حتى إذا أحصاها أُوقِدَ لها نارا ، ثم جعل يُقْدِفُها فيها قِدَحًا قِدَحًا ، حتى إذا مر بالاسم الأعظم قذف فيها بقِدَحٍ ، فوشَّبَ القِدَحُ حتى نَجَّ منها لم يضره شيء ، فأخذه ثم قام إلى صاحبه ، فأخبره أنه قد علم أسم الله الأعظم الذي كتبه إيه ، فقال : وما هو ؟ قال : كذا وكذا . قال : وكيف علمته ؟ فأخبره بما صنع . فقال له : يا ابن أخى ، قد أصبته ، فامسكت على نفسك وما أظن أن تفعل . بفعل عبد الله بن الثامر إذا دخل نجران لم يلق أحدا به ضر إلا قال : يا عبد الله ، أتوحد الله وتدخل في ديني فأدعوك الله لك فيعافيتك مما أنت فيه من البلاء ؟ فيقول : نعم ، فيوحد الله ويُسلِّمُ فيدعوك الله له فيشفى ، حتى لم يُبْقِ أحد نجران به ضر إلا أتاه فأتبعه على دينه ودعاه فعوْفٌ ، حتى رفع شأنه إلى ملكهم فدعاه فقال له :

(١) في تاريخ الطبرى : « قيميون » بالفاء .

(٢) القدح (بالكسر) : المسمى قبل أن يصل ويراش ، جمعه قداح .

أفسدت على أهل قري وخالفت ديني ودين آبائي ، فلأنه مثلك بك . قال : لا تقدر على ذلك ؛
 بفعل يرسل به إلى البيل الطويل فيُطرح عن رأسه فيقع على الأرض ليس به بأس . وجعل
 يبعث به إلى مياه نجران ، بحار لا يلق فيها شيء إلا هلك ، فيُلقي فيها فيخرج ليس به بأس ؟
 فلما غلبه قال له عبد الله بن الثامر : والله لا تقدر على قتلني حتى توحد الله وتؤمن بما آمنت به ؛
 فإنك إن فعلت ذلك سُلطت على وقتلني . فوحد الله ذلك الملك وشهد شهادته ، ثم ضربه
 بعصا فشجه شجحة صغيرة ليست بكيرة فقتله ، وهلك الملك مكانه ، وأجتمع أهل نجران على
 دين عبد الله بن الثامر ، وكان على ما جاء به عيسى بن مريم من الإنجيل وحْكمه . ثم أصابهم
 ما أصاب أهل دينهم من الأحداث ؛ فلن ذلك كان أصل النصرانية بجران . فسار إليهم
 ذو نواس اليهودي بجنوده من حمير ، فدعاهم إلى اليهودية وخيّرهم بين ذلك أو القتل ، فاختاروا
 القتل نفذ لهم الأخدود ؛ خرق بالنار وقتل بالسيف ومثل بهم حتى قتل منهم عشرين ألفا .
 (١)
 وقال وهب بن منبه : آنئ عشر ألفا . وقال الكلبي : كان أصحاب الأخدود سبعين ألفا .
 قال وهب : ثم لما غلب أرياط على اليمن نخرج ذو نواس هاربا فاقتجم البحر بفرسه فغرق .
 قال ابن إسحق : ذو نواس هذا آنسه زرعة بن تبان أسعد الحميري ، وكان أيضا يسمى
 يوسف ، وكان له غدائر من شعير تُوس ، أى تضطرب ، فُسْمِيَ ذا نواس ؛ وكان فعل
 هذا بأهل نجران فأفلت منهم رجل اسمه دُوس ذو تعلبان ، فساق الحبشة ليتصدر بهم ، فلکوا
 اليمن وهلك ذو نواس في البحر ؛ ألقى نفسه فيه ، وفيه يقول عمرو بن معدي كرب :

أَتُوَعِدُنِي كَأَنِّكَ ذُو رُعْيَنِ * بَأَنَّمِمِ عِيشَةً أَوْ ذُو نُوَاسِ
 وَكَأَنْ كَانَ قَبْلَكَ مِنْ نَعِيمٍ * وَمُلْكٌ ثَابِتٌ فِي النَّاسِ رَاسِ
 قَدِيمٌ عَهْدُهُ مِنْ عَهْدِ حَادِي * عَظِيمٌ فَاهِرٌ الْجَبْرُوتُ قَاسِ
 أَزَالَ الدَّهْرَ مُلْكَهُمْ فَاضْحَى * يُنْقَلُ مِنْ أَنَاسٍ فِي أَنَاسٍ

(١) في بعض النسخ : « سبعين ألفا » .

(٢) هو كفراب أو كمان ، ويكسر . وهو أول من كسا البيت الحرام .

وذُرْعَيْنِ مِلِكٌ مِنْ مَلُوكِ حِمِيرٍ . وَرُعَيْنِ حِصْنٌ لَهُ . وَهُوَ مِنْ وَلَدِ الْحَرْثَ بْنِ عُمَرَ بْنِ حِيمَرٍ أَبْنَ سَبَا .

مسَأْلَةٌ — قَالَ عَلَمَائِنَا : أَعْلَمُ اللَّهَ عَنْ وَجْلِ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ فِي هَذِهِ الْآيَةِ ، مَا كَانَ يَلْقَاهُ مِنْ وَحْدَةٍ قَبْلَهُمْ مِنَ الشَّدَائِدِ ، يُؤْنِسُهُمْ بِذَلِكَ . وَذَكْرُهُمُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَصْةُ الْفَلَامِ لِيَصْبِرُوا عَلَى مَا يَلْقَوْنَ مِنَ الْأَذَى وَالْآلَامِ ، وَالْمُشْقَاتُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا ؛ لِيَتَأْسُوا بِمِثْلِ هَذَا الْفَلَامِ فِي صَبَرَةٍ وَتَصْلِبَةٍ فِي الْحَقِّ وَتَمْسِكَهُ بِهِ ، وَبِذَلِكَ نَفْسَهُ فِي حَقٍّ إِظْهَارِ دُعُوتِهِ ، وَدُخُولِ النَّاسِ فِي الدِّينِ مَعَ صِغْرِ سَنَّةٍ وَعَظْمِ صَبَرَةٍ . وَكَذَلِكَ الرَّاهِبُ صَبَرَ عَلَى التَّمْسِكِ بِالْحَقِّ حَتَّى تُشَرَّبَ بِالْمِنْشَارِ . وَكَذَلِكَ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ لَمَّا آمَنُوا بِاللَّهِ تَعَالَى وَرَسَخَ الإِيمَانُ فِي قُلُوبِهِمْ ، صَبَرُوا عَلَى الْطَّرْحِ فِي النَّارِ وَلَمْ يَرْجِعُوا فِي دِينِهِمْ . أَبْنُ الْعَرَبِ^(١) : وَهَذَا مَذْسُوخٌ عِنْدَنَا ، حَسْبَ مَا تَقْدِمُ بِيَانِهِ فِي سُورَةِ « النَّحْلَ » .

قَلْتُ : لَيْسَ بِمَذْسُوخٍ عِنْدَنَا ، وَأَنَّ الصَّبَرَ عَلَى ذَلِكَ مِنْ قَوْيَتِ نَفْسِهِ وَصَلْبِ دِينِهِ أَوْلَى ؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى مُبَرِّأً عَنْ لُقْهَانِ : « يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمُعْرُوفِ وَأَنْهِ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ »^(٢) . وَرَوَى أَبُو سَعِيدِ الْخُدْرِيَّ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « إِنَّ مَنْ أَعْظَمَ الْجَهَادَ كَامِلَةً عَدَلٌ عَنْ دَلِيلِ سُلْطَانِ جَاهَرٍ » . نَحْرَجَهُ التَّرْمِذِيُّ وَقَالَ : حَدِيثُ حَسَنِ غَرِيبٍ . وَرَوَى أَبْنُ سَنْجَرَ مُحَمَّدَ بْنَ سَنْجَرَ عَنْ أُمَيَّةِ مُوَلَّةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَتْ : كُنْتُ أَوْضَئَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَتَاهُ رَجُلٌ فَقَالَ : أَوْصَنِي . فَقَالَ : « لَا تَشْرِكْ بِاللَّهِ شَيْئًا وَإِنْ قُطِعْتُ أَوْ حُرِقتُ بِالنَّارِ ... » الْحَدِيثُ . قَالَ عَلَمَائِنَا : وَلَقَدْ آمَتِحْنَ كَثِيرًا مِنَ احْصَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْقَتْلِ وَالصَّلْبِ وَالتَّعْذِيبِ الشَّدِيدِ فَصَبَرُوا وَلَمْ يَتَفَتَّوْا إِلَى شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ . وَيَكْفِيكَ قَصْةُ عَاصِمٍ وَخَيْبَ وَاحْصَاهِمَا وَمَا لَقُوا مِنَ الْحَرُوبِ وَالْمَحَنِ وَالْقَتْلِ وَالْأَسْرِ وَالْحَرْقِ ؟ وَغَيْرُ ذَلِكَ . وَقَدْ مَضِيَ فِي « النَّحْلَ » أَنْ هَذَا إِجْمَاعٌ مِنْ قَوْيٍ فِي ذَلِكَ ؟ فَنَأْمَلُهُ هَذَا^(٣) .

(١) رابع ج ١٠ ص ١٨٠ وَمَا بَعْدَهَا ، وَص ٢٠٢ آية ١٧ سورة لِقَمَانَ .

(٢) رابع ج ١٠ ص ١٨٠

قوله تعالى : (قُتِلَ أَصْحَابُ الْأَخْدُودِ) دعا على هؤلاء الكفار بالإبعاد من رحمة الله تعالى . وقيل : معناه الإخبار عن قتل أولئك المؤمنين ؟ أى إنهم قُتلوا بالنار فصَبَرُوا . وقيل : هو إخبار عن أولئك الظالمين ؛ فإنه روى أن الله قبض أرواح الذين ألقُوا في الأخدود قبل أن يصلوا إلى النار ، وخرجت نار من الأخدود فأحرقت الذين هم عليها قعود . وقيل : إن المؤمنين نجوا وأحرقت النار الذين قعدوا ذكره النحاس . ومعنى «عليها» أى عندها ؛ وعلى بعنى عند . وقيل : «عليها» على ما يدنو منها من حفافات الأخدود ؛ كما قال :

* وبات على النار الندى والمحاق *

والعامل في «إذ» «قتل» ؛ أى لعنوا في ذلك الوقت . (وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ) أى حضور . يعني الكفار كانوا يعرضون الكفر على المؤمنين فن أبي القوه في النار ؛ وفي ذلك وصفهم بالقسوة ثم بالجلد في ذلك . وقيل : «على» بمعنى مع ؛ أى وهم مع ما يفعلون بالمؤمنين شهود .

قوله تعالى : وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ (١) الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (٢)

قوله تعالى : (وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ) وقرأ أبو حبيبة «نَقَمُوا » بالكسر . والفصيح هو الفتح . وقد مضى في «براءة» القول فيه . أى ما نقم الملك وأصحابه من الذين حرقوهم . (إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا) أى إلا أن يصدقوا . (بِاللَّهِ الْعَزِيزِ) أى الغالب المنيع . (الْحَمِيدُ)

(١) البيت لأعشى قيس ، وصدره :

* تشب لمقرورين يصلطيانها *

(٢) في بعض النسخ : «أى بالجلد» بدل «ثم بالجلد» .

(٣) راجع ج ٨ ص ٢٠٧

أى الحمود في كل حال . (الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ) لا شريك له فيما ولا نديد .
وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ أى عالم بأعمال خلقه لا تخفي عليه خافية .

قوله تعالى : إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا
فَلَهُمْ عَذَابٌ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلْحَرِيقٌ (١) إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا
وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ
الْكَبِيرُ (٢)

قوله تعالى : (إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ) أى حرقوهم بالنار . والعرب
تقول : فتن فلان الدرهم والدينار ، إذا أدخله الكور لينظر جودته . ودينار مفتون . ويسمى
الصائغ الفتان ، وكذلك الشيطان ؛ وورق فгин ؛ أى فضة محترقة . ويقال للحرة فتين ؛
أى كأنها أحرقت حجارتها بالنار ، وذلك لسوادها . (ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا) أى من قبيح صنيعهم
مع ما أظهره الله لهذا الملك الجبار الظالم وقومه من الآيات البينات على يدى الغلام . (فَلَهُمْ
عَذَابٌ جَهَنَّمَ) لکفرهم . (وَلَهُمْ عَذَابٌ الْحَرِيق) في الدنيا لحراقهم المؤمنين بالنار . وقد
تقدم عن ابن عباس . وقيل : « وَلَهُمْ عَذَابٌ الْحَرِيق » أى و لهم في الآخرة عذاب زائد على
عذاب كفرهم بما أحرقوا المؤمنين . وقيل : لهم عذاب جهنم وعداب الحريق . والحريق :
أسم من أسماء جهنم ؛ كالسعير . والنار دركات وأنواع لها أسماء . وكأنهم يذهبون
بالزمهرير في جهنم ، ثم يذهبون بعد عذاب الحريق . فالاول عذاب يبردها ، والثانى . عذاب
بحتها . (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا) أى هؤلاء الذين كانوا آمنوا بالله ؛ أى صدقوا به وبرسله .
(وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ) أى بساتين . (تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ) من ماء غير آسن ،
ومن ابن لم يتغير طعمه ، ومن نهر لذة للشاربين ، وأنهار من عسل مُصَقَّى . (ذَلِكَ الْفَوْزُ
الْكَبِيرُ) أى العظيم ، الذي لا فوز يشبهه .

(١) الحرة (فتح الحاء المهملة) : أرض ذات جحارة سود بخزة . (٢) في نسخة من الأصل : « وكانوا » .

قوله تعالى : إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ أَشَدُّ^(١) إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ^(٢)
وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ^(٣) ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ^(٤) فَعَالٌ لِمَا
يُرِيدُ^(٥)

قوله تعالى : (إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ) أى أخذه الجبارية والظلمة ؛ كقوله جل
ثناوه : « وَكَذَلِكَ أَخْدُ رَبَّكَ إِذَا أَخْدَ الْقَرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْدَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ » . وقد
(١) تقدم . قال المبرد : « إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ » جواب القسم ؛ المعنى : والسماء ذات البروج إن
بطش ربك . وما بينهما معرض مؤكّد للقسم . وكذلك قال الترمذى الحكيم في نوادر الأصول :
إن القسم واقع على ذكر صفتة بالشدة . (إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ) يعني الخلق — عند أكثر
العلماء — يخلقهم آبتداء ثم يعيدهم عندبعث . وروى عكرمة قال : عجب الكفار من إحياء
الله جل ثناوه الأموات . وقال ابن عباس : يبدئ لهم عذاب الحريق في الدنيا ثم يعيدهم
عليهم في الآخرة . وهذا اختيار الطبرى . (وَهُوَ الْغَفُورُ) أى الستور لذنب عباده المؤمنين
لايقصحهم بها (الْوَدُودُ) أى الحب لأوليائه . وروى الضحاك عن ابن عباس قال : كما يوذ
أحدكم أخيه بالبشرى والمحبة . وعنه أيضا « الودود » أى المتودد إلى أوليائه بالغفرة . وقال
مجاهد : الود لأوليائه ؛ فعول بمعنى فاعل . وقال ابن زيد : الرحيم . وحكى المبرد عن
إسماعيل بن إسحاق القاضى أن الودود هو الذى لا ولد له ؛ وأنشد قول الشاعر :

وأركب في الروع عُرْيَانَةً * ذلولَ الجناح لقاهاً ودوداً

أى لا ولد لها تَحِينَ إليه . ويكون معنى الآية : إنه يغفر لعباده وليس له ولد يغفر لهم من
أجله ؛ ليكون بالغفرة متفضلاً من غير جزاء . وقيل : الودود بمعنى المسودود ؛ كركوب
وحلوب ؛ أى يوذ عباده الصالحون ويُحبّونه . (ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ) فرأى الكوفيون إلا عاصماً
« المجيد » بالخفص نعتاً للعرش . وقيل : لـ « ربك » ؛ أى إن بطش ربك المجيد لشديد .

(١) آية ١٠٢ سورة هود راجع بـ ٩٥ ص

ولم يمتنع الفصل لأنَّه جاري مجرِّي الصفة في التشديد . الباقيون بالرفع نعتا لـ«ذو» وهو الله تعالى . وأختاره أبو عبيد وأبو حاتم ؛ لأنَّ المجد هو النهاية في الكرم والفضل ، والله سبحانه المنعوت بذلك ، وإنْ كان قد وصف عرشه بالكرم في آخر «المؤمنون» . تقول العرب :

فَكُلْ شَجَرَ نَارٍ، وَاسْتِمْجِدْ الْمَرْخَ وَالْعَفَارَ؛ أَى تَنَاهِي فِيهِ حَتَّى يَقْبَسْ مِنْهُما . وَمَعْنَى ذُو الْعَرْشِ :

أَى ذُو الْمُلْكِ وَالسُّلْطَانِ؛ كَمَا يَقُولُ : فَلَانْ عَلَى سَرِيرِ مَلْكِهِ؛ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ عَلَى سَرِيرٍ . وَيَقُولُ :

ثُلَّ عَرْشَهُ؛ أَى ذَهَبَ سُلْطَانَهُ . وَقَدْ مَضَى بِيَانُ هَذَا فِي «الأَعْرَافِ» وَخَاصَّةً فِي «كَابِلِيَّةِ الْأَسْنَى» فِي شَرْحِ أَمْيَاءِ اللَّهِ الْحَسَنِيِّ . (١)

(٢) فَعَالٌ لِمَا يُرِيدُ أَى لَا يَمْتَنِعُ عَلَيْهِ شَيْءٌ يُرِيدُهُ .

الزمخشري : «فَعَالٌ» خبرُ آبْتَادِ مَحْذُوفٍ . وَإِنَّمَا قَيْلُ : «فَعَالٌ» لِأَنَّ مَا يُرِيدُ وَيَفْعُلُ فِي غَایَةِ الْكَثْرَةِ . وَقَالَ الْفَرَاءُ : هُوَ رَفِعٌ عَلَى التَّكْرِيرِ وَالْأَسْتِئْنَافِ؛ لِأَنَّهُ نَكْرَةٌ مُحْضَةٌ . وَقَالَ الطَّبَرِيُّ : رَفِعٌ «فَعَالٌ» وَهِيَ نَكْرَةٌ مُحْضَةٌ عَلَى وَجْهِ الْإِتَّابَ لِأَعْرَابٍ «الْغَفُورُ الْوَدُودُ» .

وعن أبي السُّفْرَ قال : دخل ناسٌ من أصحاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَعْوِدُونَهُ فَقَالُوا : أَلَا نَأْتِكَ بِطَيِّبٍ؟ قَالَ : قَدْ رَأَى ! قَالُوا : فَمَا قَالَ لَكَ؟ قَالَ قَالَ :

إِنِّي فَعَالٌ لِمَا أُرِيدُ .

قَوْلُهُ تَعَالَى : هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجَنُودِ (١٧) فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ (١٨) بَلْ
الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبِ (١٩)

قوله تعالى : «(هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجَنُودِ) أَى قَدْ أَتَاكَ يَا مَهْدِ خَبْرِ الْجَمَعِ الْكَافِرَةِ
الْمَكَذِّبَةِ لِأَنْبِيَائِهِمْ؛ يُؤْتَسِهُ بِذَلِكَ وَيُسْلِمُهُ . ثُمَّ يَنْهَمُ فَقَالَ . (فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ) وَهُمَا فِي مَوْضِعٍ
جَرَّ عَلَى الْبَدْلِ مِنْ «الْجَنُودِ» . الْمَعْنَى : أَنَّكَ قَدْ عَرَفْتَ مَا فَعَلَ اللَّهُ بِهِمْ حِينَ كَذَبُوا
أَنْبِياءَهُ وَرَسُلَهُ . (بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا) أَى مِنْ هُؤُلَاءِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِكَ . (فِي تَكْذِيبِ)

(١) راجع ج ١٢ ص ١٥٧ . (٢) المرخ والعفار : شجرتان من أكثر الشجر نارا ، يختذل منها الزفاد .

والعرب تضرب بهما المثل في الشرف العالى . و «آسْتِمْجِدْ» : آسْكَثَرَ .

(٣) راجع ج ٧ ص ٢٢٠ .

(٤) هو سعيد بن محمد الحمداني .

لك ، كذاب من قبلهم . وإنما خص فرعون وثود ، لأن ثود في بلاد العرب ، وقصتهم عندهم مشهورة وإن كانوا من المتقدمين . وأمر فرعون كان مشهورا عند أهل الكتاب وغيرهم ، وكان من المتأخرین في الملائكة ؛ فدلل بهما على أمثالها في الملائكة . والله أعلم .

قوله تعالى : **وَاللَّهُ مِنْ وَرَاءِ كُلِّ مُحِيطٍ (١٧) بَلْ هُوَ قُرَّةُ الْبَحْرَيْنِ**

قوله تعالى : **(وَاللَّهُ مِنْ وَرَاءِ كُلِّ مُحِيطٍ)** أى يقدر على أن يتزل بهم ما أنزل بفرعون . والمحاط به كالمحصور . وقيل : أى والله عالم بهم فهو يجازيهم . **(بَلْ هُوَ قُرَآنٌ مَحِيدٌ)** أى متناه في الشرف والبركة ، وهو بيان ما بالناس الحاجة إليه من أحكام الدين والدنيا لا كما زعم المشركون . وقيل « مجيد » أى غير مخلوق . **(فِي لَوْجٍ مَحْفُوظٍ)** أى مكتوب في لوح . وهو محفوظ عند الله تعالى من وصول الشياطين إليه . وقيل : هو أم الكتاب ؛ ومنه آنسخ القرآن والكتب . وروى الضحاك عن ابن عباس قال : اللوح من ياقوتة حمراء ، أعلى معقود بالعرش وأسفله في جحر ملأ يقال له ماطريون ، كتابه نور وقلمه نور ، ينظر الله عن وجنه كل يوم ثلاثة وستين نظرة ، ليس منها نظرة إلا وهو يفعل ما يشاء ؛ يرفع وضياع ويضع رفيعا ، ويغنى فقيرا ويقر غنيا ، يحيى ويميت ، ويفعل ما يشاء ؛ لا إله إلا هو . وقال أنس بن مالك ومجاحد : إن اللوح المحفوظ الذي ذكره الله تعالى في جبهة إسرافيل . وقال مقاتل : اللوح المحفوظ عن يمين العرش . وقيل : اللوح المحفوظ الذي فيه أصناف الخلق والخلائق ، وبيان أمرهم ، وذكر آجالهم وأرزاقهم وأعمالهم ، والأقضية النافذة فيهم ، وما عاقب أمرهم ؛ وهو أم الكتاب . وقال ابن عباس : أقول شيء كتبه الله تعالى في اللوح المحفوظ « إن أنا الله لا إله إلا أنا ، محمد رسولى ، من آتى سلم لقضائي وصبر على بلائى وشكر نعائى كتبته صديقا وبعثته مع الصديقين ، ومن لم يستسلم لقضائي

(١) في روح المعانى : « ساطر بون » .

ولم يصِرْ عَلَى بَلَائِنِي وَلَمْ يَشْكُرْ نِعَمَّا فَلِيَتَخَذِّلَ إِهْنَّا سَوَابِ » . وَكَتَبَ الْجَاهِجَ إِلَى مُحَمَّدَ بْنَ الْخَنْفِيَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَتَوَعَّدُهُ ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ أَبْنَ الْخَنْفِيَةَ : « بَلَغْنِي أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى فِي كُلِّ يَوْمٍ ثَلَاثَةَ وَسْتِينَ نَظَرَةً فِي الْلَّوْحِ الْمَحْفُوظِ ؛ يُعَزَّ وَيُذَلَّ ، وَيَتَسْلِي وَيَفْرَحُ ، وَيَفْعَلُ مَا يَرِيدُ ؛ فَلَعْلَ نَظَرَةً مِنْهَا تَشْغُلُكَ بِنَفْسِكَ فَتَشْتَغِلُ بِهَا وَلَا تَتَفَرَّغُ » . وَقَالَ بَعْضُ الْمُفَسِّرِينَ : الْلَّوْحُ شَيْءٌ يَلْوَحُ لِلْلَّائِكَةِ فِي قَرْءَوْنَهُ . وَقَرْأَ أَبْنُ السَّمَيْعِ وَأَبْو حَيَّةَ « قُرْآنُ مُجَيدٍ » عَلَى الإِضَافَةِ ؛ أَى قُرْآنَ رَبِّ مُجَيدٍ . وَقَرْأَ نَافِعَ « فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ » بِالرُّفْعِ نَعْتًا لِلْقُرْآنِ ؛ أَى بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مُجَيدٌ مَحْفُوظٌ فِي لَوْحٍ . الْبَاقُونَ (بِالْجَرِّ) نَعْتًا لِلَّوْحِ . وَالْقَرَاءُ مُتَفَقُونَ عَلَى فَتْحِ الْلَّامِ مِنْ « لَوْحٍ » إِلَّا مَارُوِيًّا عَنْ يَحْيَى بْنِ يَعْمَرٍ ؛ فَإِنَّهُ قَرَأَ فِي « لَوْحٍ » بِضمِ الْلَّامِ ؛ أَى إِنَّهُ يَلْوَحُ ، وَهُوَ ذُو نُورٍ وَعُلُوٌّ وَشَرْفٌ . قَالَ الرَّمْخَنْسَرِيُّ : وَالْلَّوْحُ الْمُهْوَاءُ ؛ يَعْنِي الْلَّوْحُ فَوْقَ السَّمَاوَاتِ السَّابِعَةِ الَّذِي فِيهِ الْلَّوْحُ . وَفِي الصِّحَّاحِ : لَاحَ الشَّيْءُ يَلْوَحُ لَوْحًا أَى لَمْحًا . وَلَاحَ السَّفَرَ : غَيْرَهُ . وَلَاحَ لَوْحًا وَلُواحًا عَطْشًا ، وَلَاحَ مُثْلَهُ . وَالْلَّوْحُ : الْكَتْفُ وَكُلُّ عَظَمٍ عَرَبِيًّا . وَالْلَّوْحُ : الَّذِي يَكْتُبُ فِيهِ . وَالْلَّوْحُ (بِالضِّمْنِ) : الْهَوَاءُ بَيْنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ . وَالْحَمْدُ لِلَّهِ .

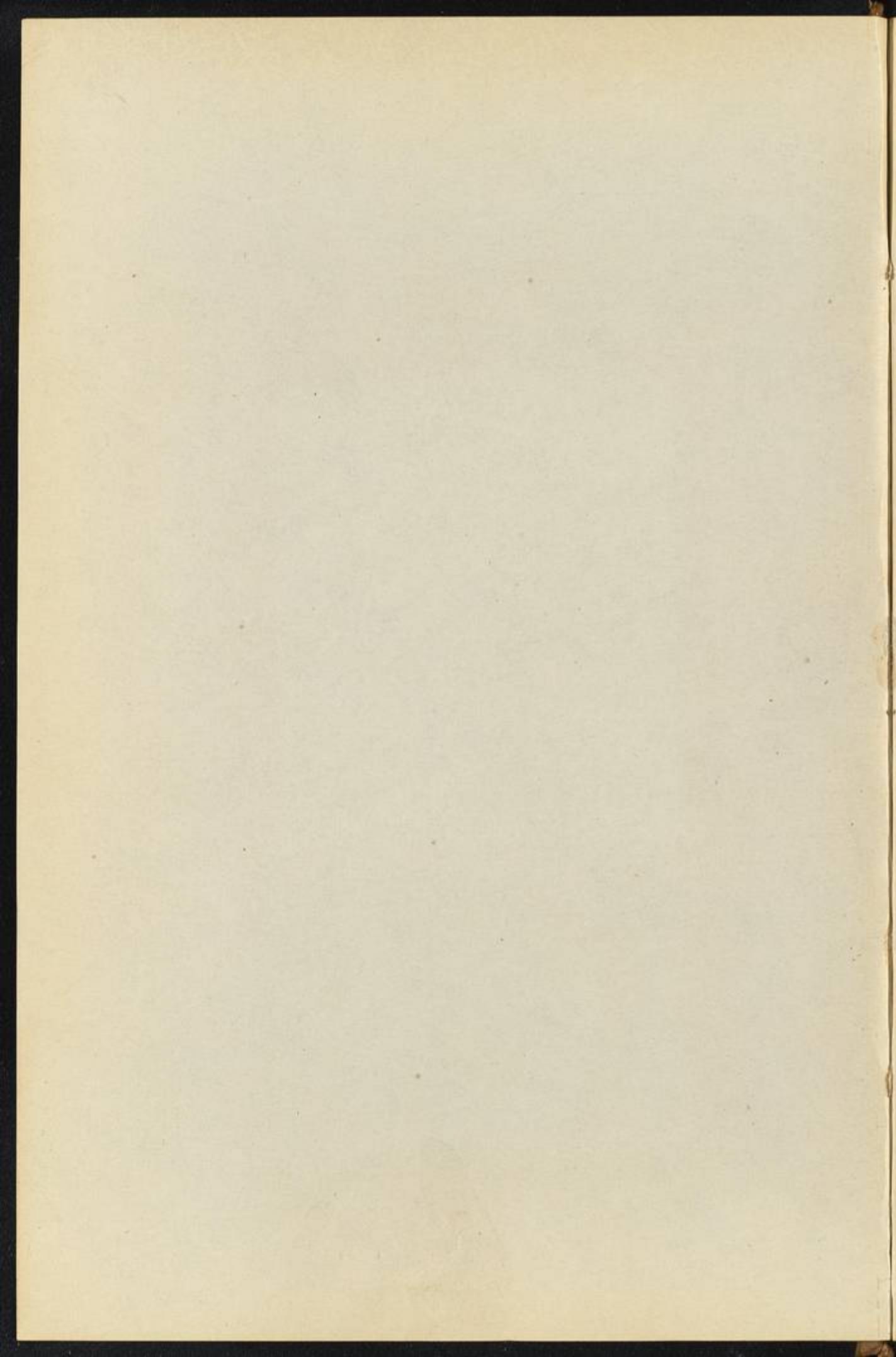


تَمَ بِعُونِ اللَّهِ تَعَالَى الْجُزْءُ التَّاسِعُ عَشَرُ مِنْ تَفْسِيرِ الْقَرْطَبِيِّ ،
يَتَلَوَهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى الْجُزْءُ الْعَشْرُونُ ، وَأَقْلَهُ :
”سَوْرَةُ (الْطَّارِقِ)“

+ +

كُل طبع الجزء التاسع عشر من كتاب "الجامع لأحكام القرآن" للقرطبي
بمطبعة دار الكتب المصرية في يوم الثلاثاء ٢١ ربيع الأول سنة ١٣٦٩
(١٠ يناير سنة ١٩٥٠) م
محمد نديم
مدير المطبعة بدار الكتب
المصرية

(مطبعة دار الكتب المصرية ١٩٤٨/١٩٤٨/٥٠٠٠)





COLUMBIA UNIVERSITY



0026814900

DATE DUE

DATE DUE

GL JUN 12 1980

GL JUL 11 1980

GL AUG 8 1980

GL FEB 19 1981

GL JUN 12 1980

09791090

IN ENTRY

INSERT

BOOK CARD

PLEASE DO NOT REMOVE.
A TWO DOLLAR FINE WILL
BE CHARGED FOR THE LOSS
OR MUTILATION OF THIS CARD.

Y9761098

JAN 18 1963

PRINTED IN U.S.A.

